

العرف والصناعات في الأندلس

منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة

(٩٢-٨٩٧ هـ / ٧١١ - ١٤٩٢ م)

تأليف

جهاد غالب مصطفى الزغول

(ماجستير في التاريخ الإسلامي الجامعة الأردنية)

أريد - الأردن

٢٠٠١ م



الحرف والصناعات في الأندلس
منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة

اهداءات ٢٠٢٢

جامعة الحسين بن طلال

الأردن

الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة

(٨٩٧.٩٢هـ/٧١١-١٤٩٢م)

تأليف

جهاد غالب مصطفى الزغول

(ماجستير في التاريخ الإسلامي الجامعة الأردنية)

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

مركز الافق

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠١/١/٢٢٦)

رقم التصنيف: ٩٥٦.٠٤٤١

المؤلف ومن هو في حكمه: جهاد غالب الزغول

عنوان الكتاب: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى

سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)

الموضوع الرئيسي: ١. تاريخ الأندلس

٢. حضارة إسلامية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: ٢٠٠١/١/٣١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا "

صَلَّى اللّهُ الْعَلِيم

الإهداء

إلى والديّ قديرًا وعرفانًا

إلى جميع أخوتي وأخواتي

إلى أخي أسامة . . .

إلى كل القلوب المؤمنة بالعلم . والإيمان .

إليهم جميعا . . . أهدي هذا العمل العلمي المتواضع .

آملًا أن أكون قد وفيتهم بعض حقهم علي . . .

ج : جزء

د.ت : دون تاريخ

هـ : هجري

ط: طبعة

م : ميلادي

مج: مجلد

مخ : مخطوط

س: السفر ، السنة

ع: العدد

ص: الصفحة

ق: القسم ، القرن

ت: توفي

• : استخدمت للتعريف ببعض المصطلحات .

المحتويات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| الإهداء..... | 3 |
| الرموز المستخدمة في العواشر وقائمة المصادر والمراجع..... | 5 |
| المحتويات..... | 7 |
| المقدمة..... | 1 |
| 1. تحليل أهم المصادر والمراجع..... | 4 |
| 2. تمهيد..... | 10 |
| أ. تعريف الحرفة والصناعة..... | 15 |
| ب. تنوع الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي..... | 19 |
| الباب الأول | |
| المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية ومناطق توزيعها وانتشارها | |
| الفصل الأول: المواد الأولية من أصل نباتي وحيواني..... | 27 |
| 1. المحاصيل الزراعية..... | 29 |
| أ. الحبوب..... | 29 |
| ب. الأشجار والنباتات المثمرة والفواكه..... | 35 |
| ج. قنبات العطرية والطبية والألياف..... | 51 |
| 2. الغابات..... | 57 |
| 3. الثروة الحيوانية..... | 61 |
| 4. الثروة المائية..... | 66 |
| الفصل الثاني: المواد الأولية من أصل معدني وصخري..... | 71 |
| 1. الطماجم والمواد المعدنية..... | 73 |
| أ- المواد المعدنية الفلزية..... | 74 |

- ب- المواد المعدنية غير الفلزية ٨١
- ٣- مقاطع الرخام والحجر ٨٩

الباب الثاني أنواع الحرف والصناعات الأندلسية

----- تمهيد ٩٥

الفصل الأول: الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية ١٠١

أ. الصناعات النسيجية ١٠٣

١. المنسوجات الحريرية ١٠٣

٢. المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية ١٠٩

٣. البسط والسجاد ١١٥

ب. الصناعات الجلدية ١١٩

ج. النجارة وأعمال الخشب ١٢٧

الفصل الثاني: الصناعات المعدنية والكيميائية ١٢٥

أ. الذهب والفضة ١٣٧

ب. النحاس والقصدير والبرنز ١٤٨

ج. صناعة المعادن وأعمال الحديد ١٥٢

د. صناعة الأصباغ ١٥٤

هـ. صناعة الورق ١٥٧

و. الزيوت والصابون ١٦٤

ز. الخزف ١٦٧

ح. الزجاج ١٧١

الفصل الثالث الصناعات الغذائية ----- ١٧٥

- أ. طعن الحبوب. ----- ١٧٧
 ب. صناعة السكر ----- ١٨٠
 ج. صناعة الخمور ----- ١٨٣
 د. الطحانة ----- ١٨٤

الفصل الرابع الصناعات الرسمية ----- ١٩٢

- أ. صناعة السفن والأساطيل العربية ----- ١٩٥
 ب. صناعة الأسلحة ----- ٢٠٧
 ج. سكة القنود ----- ٢١٩
 د. العاج ----- ٢٣١
 هـ. الطراز ----- ٢٣٦
 و. الرغام ----- ٢٤١

الباب الثالث

الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات

الفصل الأول شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية ----- ٢١٧

- أ. العرب ----- ٢٤٩
 ب. البربر ----- ٢٥٠
 ج. أهل البلاد الأصليين ----- ٢٥١
 د. الموالى ----- ٢٥١
 هـ. الصقالبة ----- ٢٥٢
 و. اليهود ----- ٢٥٣
 ز. موالى اليهود ----- ٢٥٤
 ح. المرأة الأندلسية ----- ٢٥٥

- أ. التمسح بالعرف والصناعات والإلتصاف إليها ٢٥٩
- ب. التمسح للعرف والاعتزاز بها ٢٦٢
- ج. أعداد العاملين في العرف والصناعات ٢٦٥
- د. أجور العاملين في العرف والصناعات ٢٦٦
- هـ. لباس أهل العرف ٢٦٧

- أ. تنظيم الأسواق على أساس التمسح العرفي ٢٧١
- ب. الأسواق العامة ٢٧٥
- ج. التنظيمات العرفية ٢٧٧
- د. الإشراف والرقابة على الأسواق ٢٨١

المقدمة

فتح المسلمون الأندلس عام ٩٢هـ / ٧١١م، واستقروا فيها نحو ثمانية قرون. وشملت الأندلس الهضبة العظيمة التي يتكون منها الجزء الأكبر من شبه جزيرة أيبيريا (هضبة الميزيتا)، وأجزاء من هذه الهضبة يتصل بعضها عن بعض بأودية عديدة، وتجري فيها أنهار كثيرة بعضها يصب غرباً في المحيط الأطلسي كنهر الوادي الكبير، وبعضها يصب شرقاً في البحر الأبيض المتوسط مثل نهر إبرة. أما مناخ الأندلس فهي جملته معتدل الحرارة صيفاً وشتاءً، وهي غريزة الأمطار. كثيرة المياه، هضبة التربة، متنوعة المعادن، وقد كان لهذه المميزات أثر بارز في توجيه حضارتها.

والحضارة الإسلامية في الأندلس، كانت في كثير من جوانبها امتداداً للحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وكانت أيضاً الأساس القوي الذي بنى عليه الأوروبيون حضارتهم، والمنطلق الذي بذلوا منه لتطوير علومهم وصناعاتهم. الحضارة الإسلامية في الأندلس شملت المؤرخين والباحثين والدارسين، ولكن اهتمامهم بجوانبها المختلفة لم يكن متساوياً، بل لم يمس هذه الجوانب لم يحط إلا باليسير من الدراسات، وحتى هذه الدراسات على قلتها لم تكن متخصصة في جانب محدد تحترق، وتسلط عليه الأصواء لتسير غيرة، وتكشف دقائقه، وتظهر خفاياه.

لقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلس، والحضارة الإسلامية فيها، ومنها يشمل ذلك من نواحي سياسية وعسكرية واجتماعية ولغوية. ولما الدراسات الاقتصادية فكانت بائرة، مما حرم المكتبة العربية من هذا النوع من هذه الدراسات الهامة، وجعلها معتبرة إليه، وقد دفعني ذلك إلى تجنّب الصعاب، وتجاوز العقبات، للقيام بتأليف عميقة متخصصة تتناول جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية في الأندلس ألا وهو الجانب الاقتصادي وتجربتي الدراسة من هذا الموضوع فواسع (الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة) (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م)، لتبحثها بدقة وعمق، وخاصة في الحرف والصناعات كل لها دور مهم في حياة المجتمع الأندلسي، ولعبت دوراً مميزاً في تنشيط الاقتصاد، وإشاعة الرخاء والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكّهم من السير قدماً نحو التقدم والازدهار.

لقد عالجت هذه الدراسة موضوع الحرف والصناعات في الأنتلس على مدى ثمانية قرون، إذ لم يكن ممكناً حصر هذا الموضوع في إطار زمني محدود أو مكاني محدد، لأن المعلومات قليلة ومتناثرة في بطون المصادر والمراجع على اختلاف أنواعها.

ومن أجل إعطاء الصورة الواضحة لموضوع البحث، كان لا بد للباحث من تتبع نشأة وتطور كل صناعة منذ فتح الأنتلس حتى سقوط غرناطة، فبمّا توافرت المادة العلمية، وكلّ عليه لهذه الغاية أن يطلع على جميع المصادر المتوفرة، المتعلقة بتاريخ الأنتلس وحضارتها، وقد بذل البحث ما وسعه الجهد في هذا المجال، وأطلع على المصادر الحديثة سواء المخطوطة منها أو المطبوعة، كما أطلع على كثير من المراجع والتدريبات المتخصصة، وحلّل تتبع كل مطومة في مطائنها، وبعد أن تجمع لديه ما اعتقد أنه يفي بالعرض، ويحقق المطلوب، عكف على إعداد هذه الدراسة، لوضع مصونها في إطاره.

وقد جاءت هذه الدراسة في: تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة. إضافة إلى هذه المقدمة التي سبيلها تحليل لأهم المصادر والمراجع

وقد تناول الباحث في التمهيد: تعريف الحرفة والصناعة لغةً ومصطلحاً، كما تناول أهمية الحرف والصناعات، وتنوعها في المجتمع الإسلامي، وعناية المفكرين المسلمين بها، حيث حاولوا تصنيفها وفق أسس متعددة ومختلفة، ومن أهم هؤلاء والذي تناول الباحث أرائهم - بالعرض والتحليل - إخوان الصفا، والعرفي، والدمشقي، وغير خلدون.

الباب الأول:

وتناول الباب الأول: المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية، ومناطق توريدها ومنتجها، وذلك في فصلين. خصص الأول منهما للمواد الأولية من أصل نباتي وحيواني، حيث تحدث عن المحاصيل الزراعية: أي الحبوب، والأشجار والنباتات المعمرة وفولكه، كالزيتون والتوت وإنتاج الحرير، والقطن والكتل، والزعفران والقصير، وفصص السكر، والبن، والخبز، والنفاح، والرمال، والكمثرى، والقراسيا، والرمز، وغيرها. وعن النباتات العطرية والطبية والأقلوية. كما تناول الفاكهة، والثروة الحيوانية، والثروة المائية من: سمك، وعبير ولؤلؤ، ومرجل.

وخصص الفصل الثاني للمواد الأولية من أصل معنوي وصحري، فتناول المعادن والمواد المعدنية القارية كالكهرباء والفضة والحديد والفضة والرصاص والقصدير. والمواد المعدنية غير القارية كالزئبق والكحل والكبريت والفوسفور، والفراخ والجبس، والبرصعور، والطين، والرخام والحجر.

الباب الثاني:

أما الباب الثاني فقد تضمن أنواع الحرف والصناعات الأتلية، وذلك جاء مطولاً بعض الشيء، حيث وقع في تمهيد وأربعة فصول.

وفي التمهيد تم استعراض التأثيرات السلبية على الاقتصاد منذ بداية الفتح، مع إشارة إلى ما وجده المسلمون في المدن الأتلية من تحطّر وتعف مصنوعة من الذهب والفضة، مرسعة بأنواع الأحجار الكريمة. وقد أعطى هذا التمهيد فكرة عن تأثير الأتلية بالحضارة الشامية في عهد ولادة، ثم استقلالها التدريجي عن المشرق منذ قيام الإمارة الأموية فيها، وترسخ حصولها بعد ذلك، وتأثير هذه الحضارة وتأثيرها في أهل البلاد من الأتلية.

وتناول الفصل الأول من هذا الباب: الصناعات النسيجية والجلدية والفضية، وقد فصل الباحث القول في كل من هذه الأقسام الثلاثة، حيث استعرض في مجال الصناعات النسيجية: المنسوجات الحريرية، والقطنية والكتانية والصوفية، وصناعة البسط والسجاد، كما استعرض بالتفصيل كلاً من الصناعات الجلدية والفضية.

وتناول الفصل الثاني: الصناعات المعدنية والكيميائية. حيث تحدث عن صناعات الذهب والفضة اللذين كانا من أهم المعادن التي استُخدمت في إسبانيا على نطاق واسع قبل الفتح الإسلامي وبعده، كما تناول صناعة النحاس والحديد والبرونز، والحديدية وأعمال الحديد. وتم التركيز على الصناعات الكيميائية: مثل صناعة الأصباغ، والورق، والبرونز والصابون، والخزف، والرخام.

وتحدث الفصل الثالث عن الصناعات المعدنية، فتناول طحس الحبوب، وصناعة السكر، والخمور، والطبخة.

وأوردت صناعة السج والاسطوخودوس، وصناعة الأسلحة، وسبك النقود، والنجار، والطرز، والرخام، في الفصل الأخير من هذا الباب نظراً لأهميتها، إذ كانت هذه الصناعات تخضع لإشراف الدولة ورقابتها المباشرة، وقد أولاهما الأمراء والحكام

في العصور المختلفة جل اهتمامهم وعنايتهم. وقد اتخذت هذه الصناعات طابعاً رسمياً ولذا أطلقت عليها اسم "الصناعات الرسمية".

الباب الثالث:

وأما الباب الثالث من هذه الدراسة فهو موصوغة تبحث عن الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات. وقد جاء في ثلاثة فصول، تناول الأول منها: شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية، وتتمثل هذه الشرائح في: العرب، والسيرير، وأهل البلاد الأصليين، والموالي، والسفالية، واليهود ومواليهم، وأخيراً: المرأة الأندلسية التي لعبت دوراً مهماً في الصناعة.

وتناول الفصل الثاني من هذا الباب: التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها، حيث تبحث عن التعصب للحرفة والاعتزاز بها، وعن أعداد العاملين في كل حرفة وصناعة، وعن لجور العاملين في هذه الحرف والصناعات. كما تبحث عن تحرك أهل الحرف ملابسين تميز بعضهم عن بعض.

وتناول الفصل الثالث علاقة التول بأصحاب الحرف والصناعات وذلك من حيث: تنظيم الأسواق على أسس التخصص الحرفي، والأسواق الجامعة، والتنظيمات الحرفية، والإشراف ورقابة على الأسواق.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأولية والمراجع الحديثة، وكانت هذه المصادر متنوعة إذ كُتب منها قناريخي والجغرافي والأندلسي والفنّي، إضافة إلى كتب التراجم، وقد اقتضت طبيعة البحث، ومعالجة الإحاطة بجريته الرجوع إلى هذا الكم الكبير من المصادر

١. تحليل أهم المصادر والمراجع

وفيما يلي يقدم الباحث: تحليلاً لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، موضحاً مدى الاستفادة منها:

أولاً: كتب التاريخ

• كتاب "المعقبين" لابن حيان، أبي مروان حيان بن حلف بن حسين القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ/ ٩٨٧-١٠٨٦م). يعد هذا الكتاب من أهم المصادر الأندلسية التي أُنعت منها في هذه الدراسة، إذ يتناول جانباً من تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، وبخاصة ما يتعلق منها في القرن الرابع الهجري، حيث وصلت الأندلس إلى درجة عالية من

الإزدخار والرقى، وقد روي هذا الكتاب بإشارات اقتصادية قيمة عند حديثي عن صناعة المنسوجات القطنية والكتانية، وصناعة الطراز، وصناعة السمر والأساطيل الحربية، وصناعة الذهب والفضة، ومما تفرّد به ابن حبال في كتابه هذا أنه قدم معلومات عن دار السكة التي أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في مدينة قرطبة سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م)، كما أشار إلى حرص الخليفة على صرف العملة من حلال الذهب والفضة، وحملتها من قش وقنبر، وذكر أسماء بعض الأشخاص الذين أسند إليهم مهمة الإشراف على دار السكة في عهد الناصر وحلفاء الحكم المستنصر. كما أفادت الدراسات من إشارة ابن حبال إلى بعض أسواق قرطبة في القرن الرابع الهجري/ قبلئذ قبيلاي. وقد استقى ابن حبال معلوماته عن معاصرين للأحداث، منهم: أحمد بن محمد الرزقي (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥م)، وعيسى بن أحمد الرزقي (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)، ومحمود بن هشام، وصاعد البغدادي وغيرهم. ومما يعطي معلوماته قيمة تاريخية واقتصادية كبيرة أنه تميز بصوف نظرت وطريقة تعامله والحالة رأيه وعدالة نقده ونزاهة حكمه، وهو يتحرى الدقة والأمانة فيما ينقل. وقد بلغت ثقته في روايته أنه لا يكتفي بتعيين يوم الحادثة التي يذكرها، بل يذكر الساعة، كما يعطي أحيانا التاريخ الهجري ومقابلته الميلادي*.

* كتاب الفن بالإمامة، لأبي صاحب الصلاة، أبي مروان عبد الملك بن محمد قباجي (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م): ويشاول هذا الكتاب جانباً مهماً من تاريخ الدولة الموحدية. وهذا الكتاب لم يصل إلينا كاملاً، ولا يعرف منه حتى الآن غير سر من الجزء الثاني بمساج الفترة الواقعة ما بين سنة (٥٥٤-٥٦٩هـ / ١١٥٩-١١٧٣م)، وتكم أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قد استفاد من عمله الرسمي في الدولة الموحدية، وذكر معلومات كثيرة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، معتمداً في ذلك كله على مشاهداته وروايات المشاركين بالأحداث، بالإضافة إلى الرسائل والوثائق الرسمية التي أورد منها قسراً كبيراً. وقد ألفنا كثيراً في معرفة بعض الجوانب المتعلقة بالحرف والصناعات، من مثل صناعة تسخير الكتب والمصاحف، وصناعة المسابر الخشبية ومدى تقبلي

* انظر ابن خلدون، المقبر، ج ٥، اعني بشرد ب، شملنا وأخرون، المعهد الإنساني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، مقدمة القاتر. ويشاول لهذا المصدر فيما بعد ابن خلدون، المقبر، ج ٥

الأتلسيين لهذه الصناعة، وصناعة النسيج والأسلحة الحربية، مع الإشارة إلى بعض أنواع النسيج ومراكز صناعتها، كما ذكر بعض أنواع الأسلحة المستعملة في عصر الموحدين. وتعود ابن صاحب الفصالة في الإشارة إلى الأرباح الهائلة المستخدمة لطحن الأقوات في مدينة جبل طارق، كما أورد بعض المعلومات عن إبلان أهل الحوفا والصناعات، وعن اهتمام الدولة الموحدية بتطوير الأسواق وتنظيمها على أساس التخصص الحرفي.

• كتاب تاريخ إسبانية الإسلامية لو كتاب أعمال الأعلام في من يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لابن الخطيب، لسان الدين بن محمد (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٦م): يبحث هذا الكتاب في تاريخ الأمراء والخطباء بالأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٢٨-١٧٣هـ / ٧٥٥-٧٨٩م) وحتى عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر (٧٦٠-٧٥٥هـ / ١٣٥٤-١٣٥٨م)، كما يتناول التعريف ببعض ملوك النصارى الأسباليين.

وقد قدم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية وخاصة ما يتعلق منها بالصناعات العسكرية في عصر الخلافة، كصناعة الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات، وصناعة الأحذية (الخيل) الكتفية، وما كان ينتج منها في كل علم، وصناعة النسيج الحربية، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها، مع الإشارة إلى أهم مراكز إنتاجها وهي: قرطبة والقرطاج والقرطاجنة ومدينة سلم. وتعود ابن الخطيب بما قدمه من معلومات عن إنتاج معامل السلاح، فذكر أن دار القوسيين كانت تنتج في كل عام ثلاثة عشر ألف قوس، وأثنى عشر ألف قوس، وفي كل شهر عشرين ألفاً من أصناف القوس. وقد استمد ابن الخطيب معلوماته التي أوردتها من روثبات ابن حيان.

• كتاب نكر بعض مشاهير أهلان فارس في القديم المسمى بـ "بيوننت فارس الكبير"، لمؤلف مجهول. ويتضمن هذا الكتاب معلومات تاريخية وحسابية قيمة لا يكاد نجدها في مصدر آخر، إذ يتحدث مؤلفه عن ثلاثة وثلاثين بيتاً من مشاهير بيوننت فارس، أولها بيت بني فندق، وآخرها بيت بني القسوديين. أما أهميته بالنسبة لهذه الدراسة فبررت عند حديثه عن بيت بني شيبور إذ يجد المؤلف يتحفاً بملفوظات فرد في بيته، وهو جمعه لعناصر السكك في المجتمع الأندلسي، من عرب وبربر وموالي، ويهود، بصلة إلى أهل تلك الأصلين (الأسباليين)، وما كان لكل عنصر من حروف وصناعات وأعمال، سواء

لكننا أفعالاً حرة لم رسمية في نطاق الدولة، مما أثرى هذه الدراسة بمعلومات فريدة من نوعها.

ومن المصادر التاريخية الأخرى التي ألفها الدراسة: * كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لمحي الدين بن محمد بن عبد الواحد بن علي المرابطي (عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس منذ فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار قولاة، والورراء والقضاة، والشعراء وأعيال الكتاب. ويتضمن الكتاب معلومات جغرافية واقتصادية واجتماعية قيمة، ويعالج المؤلف الأحداث بصورة مختصرة، غير أن أخباره عن الموحدين قد اتسمت بشيء من التفصيل، مما يجعله مصدراً هاماً لا يمكن أن يستغنى عنه باحث في تلك الحقبة من تاريخ المغرب والأندلس، وحلقة لا بد أن يقرأها المرابطي قد اعتمد في روايته عن الدولة الموحدية على ملاحظاته ومشاهداته الشخصية. بينما ارتكز في معلوماته المتلفة على كثير من المؤرخين المعاصرين للأحداث مثل ابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، وابن أبي القيسر (ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م)، وابن حبان (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، والحميدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)، وغيرهم. وقد روينا بمعلومات قيمة عن معاش الأندلس ومناطق انتشارها، وعن حروب المرأة الأندلسية وصناعة الورقة.

• كما ألفنا الدراسة من كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري، أبي الحباس أحمد بن محمد المرابطي (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، وقد ذكر فيه أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، متبعاً في ذلك منهج تسلسل الأحداث على أسس السنين. وتتنوع أهمية الكتاب من اقتباسات مؤلفه الكثيرة عن روايات معاصرة للأحداث، إذ أشار في مقدمة كتابه إلى اعتماده على عدد كبير من المؤرخين الذين سبقوه، أمثال عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)، والطبري (ت ٢١٠هـ / ٩٢٢م)، وعريب بن سعيد (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، والبيكري (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، وابن حبان، كما أكثر من النقل عن القرطبي وعن ابن صاحب الصلاة. وقد استفادت الدراسة منه عند الحديث عن صناعة الطرار، وصناعة سك النقود، وصناعة الذهب والفضة، وصناعة القلنس، ومنتجات دار الصناعة في قرطبة، وصناعة المعن والأسلحة، وصناعة القرحام، ولجور العاملين في الحرف والصناعات، وتنظيم الأسواق الأندلسية.

• كتاب الحقل الموشية في ذكر الأخبار الموثقة لمؤلف مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري / ربيع عشر الميلادي) وهو يتناول تاريخ المغرب منذ تأسيس منية فاس إلى أول آخر القرن الثامن الهجري، وقد أمدنا بمعلومات تاريخية واقتصادية قيمة عن عصري المرابطين والموحدين في الأندلس، وخاصة فيما يتعلق منها بصناعة المنابر والمقصورات الضخمة، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها مع الإشارة إلى بعض مراكز إنتاجها، إضافة لصناعة الأرحاء الهوائية.

ثانياً: كتب الجغرافية

وهي من أهم المصادر التي لا يمكن للباحث في التاريخ، وعلى الأخص التاريخ الاقتصادي، الاستغناء عنها، نظراً لما تقدمه من معلومات جغرافية واقتصادية ذات قيمة علمية كبيرة، فهذه المصادر أمدتنا بمعلومات قيمة عن مواقع المدن الأندلسية، وما اشتهرت به كل مدينة من حاصلات زراعية، وعلبات، وشروات حيوانية ومائية، ومعار.

كما أمدنا بمعلومات مهمة عن مقاطع الحجر والرخام، وعن تنوع الصناعات والحرف الأندلسية وتعددتها، وما كان لكل مدينة من صناعات خاصة بها، ويمكن للمرء أن يلحظ ذلك من خلال تتبعه لصفحات هذه الدراسة، حيث ألفت كثيراً من المصادر الجغرافية في البابين الأول والثاني.

ومن أهم هذه المصادر كتاب صورة الأرض، لابن حوقل المصري (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) الذي زار الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وكتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للقسري، أبي عبد الله محمد (ت ٣٨٠ / ٩٩٠م). وقد قدم المصدر معلومات متميزة عن عصر الخلافة.

والجاءت دراسة من كتب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، لأحمد بن عمر بن أسد الحنظلي (ت ٣٩٣-٤٧٨هـ / ١٠٠٢-١٠٨٥م). وهو كتاب جغرافي تاريخي، يتضمن معلومات اقتصادية على جانب كبير من الأهمية، أخذ منها البحث في حواش عديدة، وتكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه اعتمد على العديد من المؤرخين الذين سبقوه مثل أحمد بن محمد الرززي، وعيسى بن أحمد الرززي.

وقدم كتاب جغرافية الأندلس، وأوروبا من كتب المسالك والممالك لأبي عبد الله بن عبد العزيز القنبري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) معلومات مهمة ومسيرة عن بعض المواد الأولية الدلحة في الصناعات ومناطق توزيعها وانتشارها في الأراضي الأندلسية، كما قدم معلومات جيدة عن صناعة الأصباغ، وأهم المراكز التي اشتهرت بإنتاجها.

ولقد كانت الدراسة كثرة من كتب الجغرافية، لمؤلفه الرهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م)، ومن كتاب نزهة المشتاق في إغتراف الألقاب لمؤلفه الإندلسي، أبي عبد الله محمد بن محمد الحنفي (ت ٥٦٠هـ / ١١٩٤م) وقد اهتم كلا المصدرين اهتماماً بالغا بمظاهر النشاط الاقتصادي بالأندلس، وبخاصة في عصري المرينيين والموحدين. وتتميز الإندلسي بصورة خاصة بدقة ما أورده من معلومات عن المحاصيل الزراعية والمعادن والغابات والصناعات، وذلك بفضل رعايته للأندلس، وتجولته في بعض جهاتها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

كما كانت الدراسة من كتاب "فرحة الأندلس" لابن غالب، محمد بن أيوب المرابطي (عاش في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي). ويتناول الكتاب جغرافية الأندلس وتقسيمها الإداري إلى كور، ينكر في كل منها ما تشمله من مدن وحصون وقرى، وما تتميز به من خصائص، والمسافة بين المدن، وما اشتهرت به كل منها من منتجات زراعية ومعادن وصناعات، ويفصل القول عن قرطبة ومسجدها الجامع ومقصورتها ومحرابه ومبصره. ويتحدث عن بناء مدينة الزهراء وما حوته قصورها من مظاهر الأبهة والترف، ثم يتطرق إلى تحديد الأندلس، ويأتي على ذكر جبالها وأنهارها وما اشتهرت به من المعادن والأشجار ومفلسطع الرخام، والأحجار الكريمة بصورة عامة. ويعتمد ابن غالب على مصادر متقدمة مثل: أحمد بن محمد قرطبي، وعبد الله بن عبد الحكم بن القنبر، وأحمد بن أبي القليل، وابن حبان، ولدا كل من أهم المصادر التي كانت البحث في جوانب عديدة.

وقدم كتاب الجغرافيا لابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) بعض المعلومات عن صناعة القبر القوشي بالذهب في كل من مالقة والمريجة ومرسية، وبعض المعلومات عن صادرات الأندلس وولادتها، وبالإضافة إلى مشاهدات ابن سعيد عن الأندلس فقد أخذ من مصادر سبقته مثل البرقي وابن الرشح وغيرهما.

كما اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر الجغرافية الأخرى وأهمها كتاب
تقويم البلدان، لأبي إهداء عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣١م)، وكتاب
مسلك الأندلس في ممالك الأندلس لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)،
وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، محمد عبد الصمم، (توفي في القرن
للتسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)، وكتاب أوضح المسالك في معرفة البلدان
والممالك، للسباهي، محمد بن علي رادة (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م)، وقد وجد الباحث أن
هذه المصادر اعتمدت فيما أوردته من معلومات على مصادر جغرافية سابقة، فلتحصر
دورها في تكملة المصادر السابقة.

ثالثاً: الكتب الأدبية

نجد في الكتب الأدبية من المصادر المهمة في توضيح بعض جوانب الحياة
الاجتماعية والاقتصادية، فقد على مؤلفي هذه الكتب بمناحي الحياة المختلفة، في حيز
طقت الاهتمامات السياسية على المؤرخين. ومن بين المصادر الأدبية الحديثة التي
اعتمدت عليها الدراسة:

كتاب لحن القوام، لأبي بكر محمد بن حسن الربيعي (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)،
وكتاب المدخل إلى تقويم القسطنطين، لابن هشام القلمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد
(ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م)، ودار الكتابين صاحباً لبحث عبر صفحاته، وقد اختصر الأول
مهما بالقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وثمة ثلثي حتى القرن السادس
لهجري / الثاني عشر الميلادي، وبها ملامح المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة فوجدنا
بمعلومات واقعية عن مجالات العمل التي كان يتعاملها كل من الرجل والمرأة في البيئة
الأندلسية على اختلاف فئاتهم الاجتماعية، إذ التمسك كثير من أسماء هذه الحرف بأسماء
بعض الحرفاء الأندلسية. وحلل الكتابي بالعاطف لثقتنا على أنواع الملابس وأنواع فريسة
وأصناف الحلوى والمعطور والأصباغ والمسوجات، كما أن فيهما إشارات إلى الصناعات
البحرية كالسفن التجارية والأساطيل الحربية، وأنواع المأكولات المتعددة.

وكتاب روضة المحاسن وعدة المحاسن - ديوان أبي بكر يحيى بن محمد
المعروف بالجزولي قرطبي وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصير - صممه
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح قرطبي (ت ٦٠٦هـ / ٢٠٩م) وقد روج
ابن مطروح في مساعده لكتابه بين ديوان الجزولي قرطبي (توفي في النصف الأول

من القرن السادس الهجري) الموسوم بـ"روضة المجلس" وكتابه الآخر بـ"فردوس المعسر".
والجزائر عاش في سوسة أثناء حكم بني هود لها، وكان غير الحال يعمل بالقصبة.
وديونه المذكور عبارة عن رسالة ذكر فيها مثاق العرائس إذ رد به على أبي القصر
علي بن عبد الرحمن الفرجي (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) الذي كان يتجرس بالقراء، فلقى
الجزائر حججه وألوفه في رسالته هذه، وهي ذات قيمة عالية للبحث، إذ بينت لنا بعض
الحرف والصناعات الشائعة في عصره. ولوصح الكتاب كذلك اعتراضه وفتح الحرفين
بحرفهم وتصحيحها، كما عثر في الجزائر القسطنطيني هذا بالقصبة إذ رد على وزير ابن
هود حسداي بن شيروط الذي علق عليه حرفة القصبة بقصيدة بين فيها فصل القصبة
على الحجابة.

وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، على بن موسى (ت ٦٨٥هـ /
١٢٨٦م). وهو كتاب تعلقت لسهرة آل سعيد القاطنة في قلعة بحصب (قلعة بني سعد)
على إسماعيل، إذ وضع بركة محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحجاري بعنوان "المصهب في
غريب المغرب"، وقدمه هدية للأمير عبد الملك بن سعيد، ودون فيه تاريخ الأئمة
الأندلسيين حتى سنة (٥٣٠هـ / ١١٣٥م)، وقد أخرج على صيغته الموقوفة سنة
(٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) بعد أن أضاف إليه شيء الكثير وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات
متنوعة عن المسوجات الحرفية والصويفية. والصناعات الغذائية، وصناعة الحبوب
وصناعة القمح والأشعة، وأكد ابن سعيد أن صناعة الزجاج قد استتبطها عيسل بن
فريلس (ت ٢٧٤هـ / ١٨٧م) من الحجارة. ومن أهم المصنوعات التي اعتمد عليها
بالإضافة إلى الحجاري، أحمد الرزي، وابن فرج الجيتاني (٣٤٤هـ / ٩٩٥م).

وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ /
١٣٧٤م). ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية التي تتحدث عن الأندلس في عهد
دولة بني الأحمر وخاصة عن غرناطة، إذ أمدنا حول غرناطة بما يحتم البحث
بمعلومات مهمة عن العمارة التي تمتلكها وعن صناعاتها المختلفة كالمنسوجات
الصويفية والصناعات الذهبية والفضية، والعلة المتداولة بين الناس في فترات
الهجري / الرابع عشر الميلادي، والكتابات المنقوشة عليها. وأكد ابن الخطيب على سبق
الأندلسيين في اكتشافهم الآلات النارية التي استعملوها أثناء حروبهم مع القسطنطيني
الإسباني، والتي فزعهم، كما أكدت على ذلك الحوادث الإسبانية التي تدورخ للفترة
نصها.

وكتب نفع الطيب من حصن الأندلس الرطب ونكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بالمغربي (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، نسبة إلى مقرة موطن أسرته القديم، وهي من أصل قسطنطينية، ولقد ولد المغربي في تلمس سنة (٩٨٦هـ / ١٥٧٨م)، ثم رحل إلى المشرق سنة (١٠٢٧هـ / ١٦١٧م) وزار مصر والحجاز ودمشق، والتقى بجلة علمائها، وألقى الدروس عن الأندلس وتاريخها ورجالها. وفي دمشق شجعه صديقه المولى أحمد بن شاهين أن يصح كتاباً للتعريف بوريرها ابن الخطيب، وعاد إلى القاهرة، ووضع الكتاب، ولكنه عاد ومهد لكتابه بذكر الأندلس وتاريخها وحاضرتها وأهلها، وبعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة حول الأندلس وتاريخها وجغرافيتها وأهلها، وهو من أقدم المصادر العربية عن تاريخ الأندلس وحاضرتها، وقد رافق هذا الكتاب معظم صفحات الدراسة، إذ أنه من المصادر قليلة التي عثت تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى السقوط، ويحوي من المعلومات الاقتصادية الكثيرة ما أفاد البحث في شتى مناحيه. ونكسر أهمية الكتاب في تعدد مصادرنا وتنوعها، وحصله للعديد من المصادر التي لا زالت مفقودة حتى اليوم.

رابعاً: كتب الفقه

ولمعت كتب الفقه معلومات اقتصادية ذات قيمة علمية عالية، كل لها الأثر البالغ في إثراء بعض جوانب هذه الدراسة. وكانت هذه الكتب على صريحي:

الأول: كتب الفتاوى، ومن أهمها: كتاب الوثائق والسجلات، لأبي العطار محمد بن أحمد الأموي (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وكتاب فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد القرطبي المالكي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م). وبعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي خدمت البحث، إذ قدم لنا نصاً يصف فيه كيفية بناء الأرحاء الأندلسية، ومقاييس أحجارها وأحشائها، ومادة نواحيها، كما قدم لنا معلومات مهمة عن بعض أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين، وعن صناعة الأصباغ وأسماؤها. وأثرت كثيراً من كتب المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى علماء الطريقة والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الوشريطي (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، إذ روتني بإشارات مفيدة عن صرب النقود في عصر ملوك الطوائف، وعن المصنوعات المعدنية في عهد المرابطين، وقدم إشارة مفيدة عن صناعة الورق واستخدامه في الأندلس في عهد دولة بني الأحمر.

الثاني: كتب الحصة، ومن أهمها

كتاب "أحكام السوق"، ليجي بن عمر الكتفي الأندلسي (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م) وكتاب السطفي: "في أداب الحصة" ورسالة ابن عبدون في القضاء والحصة ورسالة ابن عبد الرؤوب في "أداب الحصة والمحتسب" ورسالة جرسومي في الحصة^{١٦} وقد امتلأت هذه المصادر بمعلومات قيمة عن مظاهر النشاط الاقتصادي، وأخذت منها كثيراً في الحديث عن الصناعات الحرفية، وصناعة الخزف والوجاج، وصناعة الورق والأصباغ، وفي الحديث عن الحرف التي مارسها المرأة الأندلسية، وعن تنظيم الأسواق المدن الأندلسية ومراعاة التخصص الحرفي في ذلك. ورودتنا ببعض المعلومات عن التنظيم الإداري للحرف والصناعات تبين منها أنها كانت في غلبة الدقة والانتظام، إذ نجد في كل حرفة ما يسمى بـ "الأمين" و"العريف"، وبحث هذه المصادر في الرقابة والإشراف على الأسواق وأخذت الدراسات بمعلومات على درجة كبيرة من الأهمية خاصة ما يتعلق منها بالمحتسب، وما يجب أن يتوافر فيه من خصائص وصفات تؤهله لتفليح عمله على خير وجه، بالإضافة إلى مهام المحتسب وواجباته وتوابعه في مراقبة الأسواق وصبط عمليات البيع والشراء التي كانت تمارس من أهل الحرف. كما رونتنا بمعلومات عن أعوان المحتسب الذين كانوا يساعدونه في عملية صبط الأسواق. وملاحقة المخالفين من أهل الحرف والصناعات المختلفة.

خامساً: كتب التراجم

لقد تعددت كتب التراجم في الأندلس وخصوصاً ما يتعلق منها بتراجم العلماء الذين عاشوا فيها، ورودتنا هذه الكتب بمعلومات اقتصادية، ولكنها كانت بسيرة، فهي مجرد إشارات للعلماء الذين اقتصت بهم أسماء حرفهم، وعدا عن هذا فقد جاءت هذه الإشارات عرضاً في بعض التراجم تذكر الأسواق وأصنافها، ولأغتنا في تبيان شرائح المجتمع الأندلسي المختلفة والتي من ضمنها أهل الحرف والصناعات، وركزت هذه الكتب على الورق وصناعاته ومن عمل ورقاً. وأهم هذه المصادر:

- كتاب تاريخ علماء الأندلس، لابن خردسبي، أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م).

^{١٦} يشير ابن عبدون والسطفي بالاعتناء بالمحتسب المحلي، في حين نهت بقية المصادر بالمحتسب القطري

- كتاب جدوة المقيس في تاريخ علماء الأندلس، للحمودي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م).
- كتاب ترتيب المدرك وتزويد المسالك لمعرفة أعلام مناهج مالكة، للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى الفيضي (٥٤٤هـ / ١١٤٩م).
- كتاب قصيدة لأبي بشكو، أبي القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ / ١١٨٢م).
- كتاب بركة المعلمين في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، أحمد بن يحيى (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م).
- كتاب حلة السراء، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة المعروف بابن الأثير، (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).
- كتاب دليل وفائدة لكتابي الموصل والصلة، للمراكشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م).
- كتاب صلة الصلة، وهو دليل للصلة بالشكولية في ترجم أعلام الأندلس، لابن الربيع، أبي جعفر أحمد (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م).
- الدراسات الحديثة**
- في الدراسات الحديثة في موضوع البحث نذكر، إذ لم تحظ قانوني الاقتصادية وخاصة المتعلقة منها بالحرف والصناعات بدراسة مستقلة كاملة تعالج جميع فترات الحكم الإسلامي الأندلسي، وإنما جاءت هذه الدراسات على أشكال متعددة:
- فمنها ما كانت مقتصرة على فترة محدودة حيث عجزت عن إعطاء صورة متكاملة عن الوضع الاقتصادي العام في الأندلس، ومن هذه الدراسات:
- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ومحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المروية الأندلسية في العصر الإسلامي، منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطون عليها (٣٤٤-٤٨٤هـ / ٩٥٥-١٠٩١م)، وكذلك S. M. IMAMUDDIN, THE ECONOMIC HISTORY OF SPAIN UNDER THE Umayyads, 711-1031 A.C.
- وقد استفادت من كل منها في مجله وحسب الفترة التي عالجها، ومنها ما كان بحثاً عاماً في حضارة الأندلس دون تفصيل وتوصيح دقيق للنشاط الاقتصادي كدراسة محمد عبده حاتم، ملامح حضارية في الأندلس، وعبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة العرب في الأندلس، وجاك: بن. ريسلر: الحضارة العربية، وجاءت هذه الدراسات

لنتحدث في حضارة المسلمين بشكل علم دون التركيز على جانب معين، ومما استفدناه منها جاء عاماً ومختصراً.

ومنها ما كان يبحث في منطقة جغرافية معينة كدراسة عبد العزيز مسلم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ودراسة أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي لتاريخ وحضارة ودراسة يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حصارية، ومحمد شبانة: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة. وقد زودتنا هذه الدراسات بمعلومات عن الصناعات المختلفة وذلك حسب تخصصها بمدينة معينة أو عصر معين. وعدا عن هذه الدراسات فقد ألقينا لفتي بروفيسال في كتابه: سلسلة علمية في أدب الأندلس وتاريخها ومحمود شبيب هراجنة في رسالته: الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين. إضافة إلى العديد من المراجع والمقالات التي وردت في نهاية الدراسة.

٣. تمهيد

أ- تعريف الحرفة والصناعة

الحرفة في اللغة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، يقال هو يحرف لعرافه ويحترف، بمعنى يكتسب من هاهنا وهاهنا^(١) وقيل الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، ولان حرفي: أي معاملي^(٢). وحرفة الرجل شيعته، أو صناعته، وحرف لأهله ولحترف، بمعنى كسب وطلب ولعلل. وقيل: الاحتراف: هو الاكتساب ليأكل^(٣).

(١) الأزهري أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تصحيح عبد الله دويريش، مراجعة محمد علي الفجل، ج ٥، دار المصرية للتأليف والترجمة (تت)، ص ١٦. يشير لهذا المصدر فيما بعد الأزهري، تهذيب اللغة، لخط ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، مج ٩، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب، قطر كتلك. القوامي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م)، تفريع اللغات السبعة على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات القديمة، تحقيق: إميل جيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ط ١، ١٩٨٥م ص ٧٧٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد: القوامي، تفريع اللغات.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حمد (ت ٣٨٩هـ / ١٠٠١م)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد القادر عطار، ج ٤، ط ٣، دار اللم للكتاب، بيروت: لبنان، ١٩٨٤م، ص ١٢٤٢، يشير لهذا المصدر

أما الحرفة في المعنى الاصطلاحي، فهي: الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب. وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة، لأنه يحترف فيها، يقولون: صنعه فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يعمل كذا، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "إني لأرى الرجل مهججني، فيقول: هل له حرفة؟ فيقول: لا، سقط من عيني"^(٦٠).

فالحرفة إذن تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة الكسب ووسيلة المعاش، والصناعة مأخوذة من الفعل: صنع، وقال ابن سيدة: صنع الشيء يصنعه صنعا فهو مصنوع، وصنّيع. واستصنعت الأمر: دعوت إلى صنعه، والصناعة ما تستصنع من أمر، وقد صنّعه فهو صناعتي؛ أي اتخذته صناعة^(٦١).

والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة^(٦٢)، ورجل صنيع الينين؛ وصنّيع الينين أي صنّيع حلق يعلل الينين. وامرأة صنّاع الينين؛ أي حاقلة ماهرة بعمل الينين^(٦٣)، والصنّاع (جمع صنّاع): هم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم^(٦٤).

فيما بعد: الجوهري، الصحاح: قطر: ابن منظور، لسان العرب، مج ١٩، ص ٤٤؛ الفراء، تخرّيج الدلالات، ص ٧٧٥.

(٦٠) ابن منظور، لسان العرب، مج ٩، ص ٤٤؛ الفراء، تخرّيج الدلالات، ص ٧٧٥.

(٦١) الفريدي، محمد مرتضى الصبّاح، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الطنّو، مراجعة مصطفى حجازي، ج ٢٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م، ص ١٢٢ - ١٢٤، يشير لهذا المصدر فيما بعد: الفريدي، تاج العروس؛ قطر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٥٠٥، يشير لهذا المرجع فيما بعد: جواد علي، المفصل.

(٦٢) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، المفصّل، مج ٣، ص ١٦، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، (إدب)، ص ٢٥٧. يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن سيدة، المفصّل.

(٦٣) الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١٢٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٨، ص ١٢٠٩؛ الفراء، تخرّيج الدلالات، ص ١٧٧٦؛ الفريدي، تاج العروس، ج ٢١، ص ٣١٤.

(٦٤) الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١٢٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٨، ص ١٩٠٢؛ الفراء، تخرّيج الدلالات، ص ٧٧٦.

(٦٥) الجوهري، تهذيب اللغة، ج ٢، ص ١٣٨؛ ابن سيدة، المفصّل، مج ٤، ص ١٢، ص ٢٥٧.

لأن الصناعة هي ما ينتج من عمل الصانع، كالسيف والمكين من عمل الحداد،
والحرارة والصندوق من عمل النجار.

فالصناعة بالمعنى الاصطلاحي: عبارة عن عمل ينوي به الصانع في
صنعه، ويكون مما يعبر في ذات المصنوع، كالطبخة والحبرة والطباعة، أو في صنعه
كالنجارة والحدادة والصياغة. وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته^(١)
ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة،
كل عمل يقوم به الإنسان؛ فالحرفة هي "كلية" الصناعة التي يرتق منها، وهي جهة
الكسب، والاحتراف هو الاكتساب أي كل^(٢)، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه
ينقلب فيه الإنسان ويتصرف للكسب، حتى تشمل النجارة، والزراعة، وتطويع الطوم،
والسمرة، والطبابة، والقبالة، والصيلة، والطباعة في الأسواق، والتجارة والحياطة،
والصباغة، واللباغ، والورقة، والحدادة، والصياغة، والبناء^(٣).

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها،
وهذا يتطلب استعمال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، ولخشب ومعادن
وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال قطن والحرير والكتان في صناعة
المسوجات واستغلال الأخشاب في صناعة السفن، وأعمال النجارة، واستغلال المعادن
في صناعات الحدادة والصباغة وغيرها. وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن يطلق عليها
اسم "الحرف الصناعية"، وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق مفهوم الحرفة. ونجد في
مصادرنا ما يشير إلى ذلك، فهذا المجبلي (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م) يشير إلى "أهل
الحرف والصناعات"، ويذكر منهم: الباغ، والسمرة، والحولز، والبناء، والكتب،

(١) ظاهر خير الله الشويري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، مج ٩، ج ١، يناير ١٩٠٤، ص ٥٧-٥٨،
مشار لهذا المرجع فيما بعد: الشويري، الحرفة وتوابعها

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٩، ص ١٤٤ قزويني، تاج العروس، ج ٢٢، ص ١٢٢

(٣) الشويري، الحرفة وتوابعها، ص ٥٧.

"الخرز" محترف صناعة الخرز، وهي صناعة الجذ والأحذية، المجبلي، أسد بن سعد، ت ١٠٩٤هـ /
١٦٨٢م، القيسر في أحكام التصدير، تحقيق: موسى قنبل، شركة فوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،
١٩٧٠م ص ٩٣، مشار لهذا المصدر فيما بعد: المجبلي، القيسر في أحكام التصدير

والصناعات، والفنارات، والحبال، والبرام، والصغار، والقوس، والخراط،، والفشار،
والحائك، والنجار، والرماح،^(٢١) ويشير في موضع آخر إلى أهل الحرف وينكو
منهم الفركز والحدكو^(٢٢).

وبكذلك نجد إشارات تذكر أهل (الصناعات والحرف)^(٢٣)، و(أهل الصنعة
والحرف)^(٢٤)، و(أصحاب الصنعة والهم)^(٢٥) و(أهل الصنعة)^(٢٦) و(أرباب الصنعة)^(٢٧)،
و(أصحاب الصناعات)^(٢٨)، وهذه الإشارات تشعرون بوجود فارق بين الحرفة والصناعة.

٢١- فنارت: صناع تربط ألحود الصنعة لربط الصنعة، والجمع فنارتون، عبد القادر رمانة، أسماء
الحرف المعروفة في مدينة قلز، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، كانون الثاني "يناير" ١٩٧٣، ص ١١٦،
يشير لهذا المراجع فيما بعد: رمانة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة قلز
"الصغار صنعة الصغار، والتمسك الأصغر من الصغار والفشار، والصغار جس بجمع التمسك والتلصق،
والفشار: التمسك، الأيمن: ابن سينا، المختصر، مج ٢، ص ٥، ص ٢٥،
"فخرنا: محترف غرط الألوكة والأخشاب وحرفته متممة للتجارة، رمانة، أسماء الحرف المعروفة في
مدينة قلز، ص ١١١

(٢٢) صبيحاني، التفسير في أحكام التفسير ص ٨٤.

(٢٣) صبيحاني، التفسير في أحكام التفسير، ص ٥٥.

(٢٤) القرطبي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٥٥هـ / ١١١١م)، إحصاء علوم الدين، ج ٢، دار المعرفة
للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (تت) ص ٨٢، يشير لهذا المصدر فيما بعد: القرطبي، إحصاء علوم الدين
(٢٥) المنكاسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان (ت ١٢١١هـ / ١٨٠٠م)، الإكسير في ديك
الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز العلمي للبحث العلمي، قرطاج، ١٩٦٥م، ص ١٦١، يشير لهذا
المصدر فيما بعد: المنكاسي، الإكسير

(٢٦) ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، مسالك الأيسر في مسالك
الأيسر، ج ٥، مطبوع في مكتبة الجامعة الأردنية، مذكرو غلام رقم (١٠٣٨) ص ١٢، يشير لهذا المصدر
فيما بعد: ابن فضل الله العمري، مسالك الأيسر، مخ.

(٢٧) ابن حوقل، أبو القاسم القصبيري، (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت (تت)، ق ١، ص ١٠٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض

(٢٨) السطفي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الملقب (ت في نهاية ق ٥هـ / ١١م أو أوائل ق ٦هـ /
١٢م)، في أدب الحسبة، بإعتناء كوك ولفي بروفسال، باريس، ١٩٣١م، ص ٩، يشير لهذا المصدر فيما
بعد: السطفي، في أدب الحسبة.

(٢٩) ابن حبان، أبو مروان القزطبي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، المتقن في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: محمد
فرحس قحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان (تت)، ص ٢٠، ٤٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن حبان،
المتقن في أخبار بلد الأندلس.

ب- تنوع الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي

تعتبر الحرف والصناعات من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، لذلك أولاهما المفكرون المسلمون جانباً من اهتمامهم وعنايتهم، وحاولوا تصنيفها وتبويب أنواعها وفق أسس متعددة ومختلفة، وهذا ما نجده في (رسائل إخوان الصفا) (١٠ هـ/ ١٠٠ م)، وفي كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي (٥٠٥ هـ/ ١١١١ م)، وفي كتاب (الإشارة إلى مجلس التجارة) للدمشقي (ت بعد ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م) وفي (مقدمة ابن خلدون) (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م).

أما (رسائل إخوان الصفا)^(١)، فقد وجهت عناية خاصة إلى العمل وإلى الصناعات، ولتنت في رسالة خاصة على الصناعات، وأشارت إلى شرف الصانع^(٢) ووصفت مراراً صناعة له بأنه "لا يتعلم الصناعة لكر نصه مثل أولاد الملوك... (أو) لرهده وورعه ورصاه بقول من أمور الدنيا، وإيمانه على طلب الآخرة مثل الأنبياء عليهم السلام... (أو) لكسبه ونقل طبيعته عن الحركة، ويرضى بالقل والهول في طلب المعيشة كالممكنين والسؤال (أو) من أجل مهنته، ولترجاء طبيعته، وقلة فهمه، مثل النساء والعنات من فرجا"^(٣).

ويلاحظ أن إخوان الصفا في تصنيفهم لطبقات المجتمع، قد صنّفوا الناس على أساس مادي حسب عملهم ودخلهم، فقلنا في نظائهم كلهم صنّاع وتجار، أصحاب وفقراء. فالصنّاع: هم الذين يعملون بأيديهم وأوتاهم، يحشون من بيع ما ينتجون. والتجار: هم الذين يتبايعون بالأخذ والإعطاء، وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون.

^(١) يقول الصفا: جمعة سرية بذات فعاليتها في البصرة أو بغداد، وانتشرت في مختلف البلدان، وكانت تشكل صد الخلقة العنسية وتسمى للتجديد العام، جاعة ذلك وسيلة لإحداث ثورة سياسية دينية علمية، ولهذا الغرض ألفوا رسائلهم المشهورة بـ (رسائل إخوان الصفا) وعددها بين إحدى وخمسين وثلاث وخمسين رسالة، وتناولوا فيها كل نواحي المعرفة التي يحتاجها الفرد المكلف في القرن الرابع الهجري، فنظر: عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت: لبنان، ١٩٧١ م، ص ٨٥، سيّار لهذا المرجع فيما بعد. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي.

^(٢) يقول الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلال فقرة، مع ١، دار صفير، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٨٧، سيّار لهذا المصدر فيما بعد: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٨٦.

^(٣) يقول الصفا، رسائل مع ١، ص ٦٩١، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٨٦.

والأغنياء: هم الذين يملكون المواد الأولية، والمنتجات الصناعية، والنفراء هم المحتاجون إليها ومطالبهم القوي^(١).

لما الحرف والصنعة، فقد صنفتها بحرفي الصفا وفق أسس متعددة ومختلفة، صنفتها حسب موضوع الصناعة إلى نوعين:

أ- الصناعات الروحانية: وتشمل المهن الفكرية (العلمية).

ب- الصناعات الجسمية: وتشمل الحرف اليدوية (الصناعية). وهذه صنفتها إلى:

١. صناعات يكون موضوعها بسيطاً: كالماء (مثل صناعة الملاحين، والسفّافين، وقروّاتين، والسجلّين، الخ)، والقرّاب (مثل صناعة حفار الأبار، والأنهار، والقسي، والقبور، والمعادن، الخ)، والشار (مثل الصائغين، والوقّنين، والمشعلين)، والهواء (مثل المزارين، والقبولّين، والناعّضين لجميع)، والماء والقرّاب معاً (مثل القصارين، والقضاريين، والقنّورين وصراحيّ القنن، وكل من يبل القرّاب).

٢. صناعات يكون موضوعها مركباً، وهي ثلاثة أنواع: الأول، الأجسام المعدنية (مثل صناعة الحدادين، والصغارين، والقرّاجين، والصواغين)، فثاني: النباتات، والصناعات من هذا النوع إما أن تتناول أصول نبات من الأشجار والقصبات والأوراق، مثل (صناعة القنّاريين، والخبّاضين، والحصريين، والقبولّين، والأفطاسيين ومن شاكلهم)، أو تتناول لحاء النبات (مثل الكتّافين ومن يعمل القصب، والكاغذ ومن شاكلهم)، أو تتناول ورق الأشجار والحبّاش ورعر النباتات ومورها وعروقها وقشورها أو تتناول ثمر الأشجار وحبّ نبات مثل (القنّاقين، والقرّازيين، والعصاريين، وكل من يخرج الأدّاهل من ثمر الشجر وحبّ النبات)، فثالث: الحيوان (مثل صناعة الصّادين، ورعاة السم، والبقير، والبيطرية، الخ)، أو تتناول إنتاج الحيوان (مثل صناعة القصارين، والقشّافين، والقباضين، والأساكفة، والحرّازيين)، أو مقادير الأجسام (مثل فوزّاتين والكيّافين). ومن الصناعات ما موضوعها أجساد الناس كصناعة الطبّ والمريبيين، ونحسوس الناس كصناعة المطّمين^(٢).

(٢) يقول الصفا، رسائل، مج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦: فنوري، تاريخ الحرف الاقتصادية، ص ٨٦.

(٣) يقول الصفا، رسائل، مج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦: فنوري، تاريخ الحرف الاقتصادية، ص ٨٦: صياح براهيم التوبّلي، الأسلاف في الصور الجبلي شتّى وتطورها، دار الحرية للطباعة: بغداد، ١٩٧٦م، ص ٢٩، يشار لهذا المرجع فيما بعد: صياح التوبّلي، الأسلاف.

وصنف إخوان الصفا الصناعات حسب فائدتها وأهميتها للمجتمع، كما يلي:

أ. صناعات ضرورية: كالزراعة والحياكة والبناء.

ب. صناعات تابعة لها وحداثة (أي الصناعات الضرورية): لو منمتة ومكملة لها. فمثلاً صناعة الحياكة ضرورية ومهمة للإنسان، إلا أنها لا تتم إلا بصناعة الغزل، وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة الطحج، فصارت صناعة الغزل وصناعة الطحج تابعة وحداثة للحياكة.

ج. صناعات للجمال والرفية، كصناعة القدياج، والحزير، وصناعة العطور^(١). وصنفوا الصناعات تصنيفاً ثالثاً حسب استخدام الصناعة للآثار، كصناعة الحدائق والمعارين، والرجاجين، والحراريين، والمضاريين، والطباخين، والقشوقيين، والحباريين^(٢). وصنفوها تصنيفاً رابعاً حسب الآلات والأدوات المستعملة فيها. وحلماً حسب قيمة إنتاجها مثل صناعة الذين يعملون آلات الرشد كالأسطراب، فإن قطعة من الصخر قيمتها خمسة دراهم، إذا عمل منها أسطراب يسوي مائة درهم^(٣). ويشير الدكتور النوري إلى أهمية هذه الصناعات لأنها تدل على نطاق الصناعات الموجودة في القرن الرابع الهجري، وعن التخصص المتقدم فيها، كما أنها تلقي ضوءاً على الفكر الاقتصادي في تلك الفترة^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن رسائل إخوان الصفا أدخلت الأتراك في القرن (١٠٥٠هـ / ١١م) فيذكر ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) إنشاء ترجمته للكرماني^(٥) (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) بأنه جلب معه رسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، ولا يعلم

^(١) إخوان الصفا، رسائل، مج ١، ص ٢٨٤-٢٨٥؛ النوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٩٨.

^(٢) إخوان الصفا، رسائل، مج ١، ص ٢٨٢-٢٨٤.

^(٣) المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٨٧-٢٨٨.

^(٤) النوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٩٩.

^(٥) الكرماني - هو أبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي من أهل قرطبة، وهو أحد فرسان في طم الهند و الهندسة، رحل إلى ديار المشرق و انتهى منها إلى حران من بلاد الجيرة، وعني هناك بطلب الهندسة والطلب، ثم رجع إلى الأندلس وجلب معه رسائل إخوان الصفا، توفي بقرطبة سنة ٤٥٨هـ وقد بلغ شعره ستة أظفار ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو الفوارس (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، حيون الأقباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق - حران، رسائل منشورات دار مكتبة المصاحف بيروت، ١٩٦٥م، ص ٤٨٤-٤٨٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن أبي أصيبعة، حيون الأقباء.

أحدًا أدخلها الأندلس قبله^(٢٦) ولا شك في أن الأندلسيين قد درسوها، وأخذوا منها في شتى مجالات الحياة.

لما افترق في فقد قسم "الصناعات والحرف" إلى: صناعات ضرورية (مهمة)، وصناعات غير ضرورية (كمالية)، وهي ما يمتدحى عنها أرجوعها إلى طلب النعم والتزين في الدنيا، كصناعة الفخار، والصياغة، وتشييد البيوت بالحجر، وصناعتها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صناعات مستحبة (كالخياطة، والنجارة، والحدادة، والنجارة، والفراشة). وصناعات غير مستحبة (كالدباغة، والحجاسة، والكناسة، والدلالة، الخ)^(٢٧).

ولما اختلف في فقد صنف الصنائع إلى:

- أ- صنائع علمية، وتشمل المهن الفكرية (كالقلم والحرف والهندسة).
 - ب- صنائع عملية، وتشمل المهن البدوية (كالحيكة، والفلاحة، ومشط الصوف والكتان)، وهذه يمكن أن تمارس بعد تدريب بسيط.
 - ج- صنائع مركبة منهما (أي علمية وعملية)، كالطب والفرومية والكتابة^(٢٨) ومن ناحية صحية صناعتها إلى: صنائع مضرّة بالأمور والأزواء، وهي التي يخالط فيها الصناعات للنساء والصبان. وصنائع مضرّة بالأمم والأجسام، مثل الأتباء الممتنة والسماك والعبار، كصناعة الكيال والمغزل، والأعمال الشاقة مثل حمل الأثقال^(٢٩). كما صناعتها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صنائع شريفة، وصنائع خبيثة^(٣٠).
- ولما اختلف في حلون، فقد قسم الصنائع حسب ضرورتها إلى:

^(٢٦) في أبي سعيد، حيون الأندلس، ص ٤٨١-٤٨٢.

^(٢٧) الفرقي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٨٢-٨٤؛ فطر: صياح الفقه، الأصناف، ص ٢٠.

^(٢٨) الفتنخي أبو الفضل جعفر بن علي إ. ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) الإشارة إلى مجلس التجارة ومعرفة جند الأعراف ورواها وغشوش المسلمين فيها (في كتاب دراسة في الفكرة الاقتصادية العربي، لمحمد عائور)، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٦، ١٩٧٣م، ص ٣٨، ٤١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد؛ الفتنخي، الإشارة إلى مجلس التجارة.

^(٢٩) الفتنخي، الإشارة إلى مجلس التجارة، ص ٤١-٤٢.

^(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٠.

صناعات بسيطة، وهي الصناعات الضرورية التي يحتاجها المجتمع الحضري والبنوي على حد سواء كالخياطة، والحدادة، والنجارة، والحقاكة، والجزارة، وصناعات مركبة، وهي الصناعات الكمالية التي لوجنتها أحوال الفهم والترف، وهذه تتوفر بها المجتمعات المتقدمة والمتحضرة، يقول ابن خلدون: "فإذا تمكنت المدينة وتراينت فيها الأعمال ووفت بالضروري ورئت عليه صرف رائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش"^(١). وفي موضع آخر يقول:

"وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله فيما يوجد في المدن المستبعدة في العمارة، والأحذية في عوائد الترف والحصارة، مثل الزجاج، والصانع، والذهاب، والطبايح، والصغار، والفرش، والنباح، وأمثال هذه، وهي متفاوتة، ويقدر ما تريد عوائد الحصارة، وتستدعي أحوال الترف، تحدث صناعات لتلك النوع"^(٢).

كما أشار ابن خلدون إلى (أنهات الصناعات)، وصنفها إلى نوعين: صناعات ضرورية في العمران كالفلاحة، والبناء، والخياطة، والنجارة، والحقاكة. وصناعات شريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة، والورقة، والعناء، والطب، وما سوى ذلك من الصناعات الخفيفة ومنفعة لها"^(٣).

^(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد والسي، ج ٣، ط ١، لجنة البعث العربي، ١٩٦٠م، ص ٩٢٣-٩٢٤، يشير لهذا المصدر فيما بعد ابن خلدون، المقدمة، انظر كذلك، صباح القحطاني، الأصل، ص ٣٠.

^(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٨٨٤-٨٨٥.

^(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٣١.

الباب الأول

المواد الأولية الداخلة في الصناعات
الأندلسية ومناطق توزيعها وانتشارها

الفصل الأول

المواد الأولية من أصل نباتي وحيواني

١. المحاصيل الزراعية:

أ. الحبوب:

لولى الأندلسيون زراعة الحبوب جانباً كبيراً من اهتمامهم وعلايتهم، نظراً لأهمية هذا المحصول وضرورته في الحياة اليومية، إذ يستفاد من القمح والشعير والبقول والحمص والعدس والأرز وسائر أنواع الحبوب في مجالات الصناعة الغذائية التي لا غنى للإنسان عنها. كما أن القمح والشعير أهمية خاصة، باعتبارهما من المحاصيل الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد الدولة، إذ كانت تشكل مورداً مهماً من موارد الأندلس المالية^(١).

وقد انتشرت زراعة الحبوب في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية فاشتهرت قرطبة^(٢) (CORDOBA) وجيان^(٣) (JEAN) بزراعة القمح والشعير وسائر أنواع الحبوب.

^١ القنري، أبو حمزة محمد بن عمر (ت ١٢٧٨هـ / ١٠٨٥م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلاد وفسلك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد القدير الأهوازي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥. ص ١٢٤-١٢٧، يشير لهذا المصدر فيما بعد القنري، ترصيع لأخبارنا غرر ككتلة: القنري، أبو عبد الله بن عبد القدير (ت ١٢٨٧هـ / ١٠٦٤م)، جغرافية الأندلس ولوروا من كتاب الفسلك والممالك لأبي عبد القنري، ط ١، تحقيق: عبد الرحمن العمري، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٧هـ / ١٩٦٨م، ص ١٠٥. يشير لهذا المصدر فيما بعد: القنري، جغرافية الأندلس، ابن غالب، محمد بن أيوب القزويني الأندلسي (عاش في ٦هـ / ١٢م)، قطعة من كتاب فرحة الأنص لآب غالب، عن كور الأندلس ومنها بعد الأربسقة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١، ج ٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـ / نوفمبر ١٩٥٥م، ص ٢٠٦. يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن غالب، فرحة الأنص، هولادة، محمود حسن شبيب، قوضع قرراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأردنية، عمان، محرم ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ١٤٦، يشير لهذا المرجع فيما بعد: هولادة، قوضع قرراعي في الأندلس.

^٢ كما اشتهرت زراعة القمح والشعير في بعض الأقاليم التابعة لقرطبة، ومثل ذلك إقليم الصدور، القصبة، لورت، الصنف، بني مسرة، مينة، كرتش، قنل (أو قنل) قهر عفر، صلالة، شعراء، وإقليم لونة قنلوة، فنظر القنري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٤-١٢٧ القنري، جغرافية الأندلس، ص ١١٠ مؤلف مجهول، وصف جدد لقرطبة الإسلامية، مكتب حسين موسى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ١٣، ١٩٦٥ / ١٩٦٦م، ص ١٧٩-١٨١، يشير لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية.

^٣ الإسباني، أبو عبد الله محمد بن محمد القسوي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في أشراف الأقطار، ج ٥، تحقيق: شيرلي وآخرون، نابولي، بروستق أود ي. ج. بيريل، لوجونوي بلكا فورم، ١٩٧٥م،

وكثر زراعة الحبوب في أرجوحة^(١) (ARIONA)، حيث وصفها المقدسي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) بـ: بلاد الحبوب^(٢)، وفي غرناطة والمناطق التابعة لها^(٣). وفي سهل الكتيفية^(٤) والبرجلات^(٥)، إذ ذكر ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) أنهما بحر من بحر الصفاة ومعنى من معادن الحبوب المفصلة^(٦).

=

ص ٥٦٨. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الإريسي، نزهة المشتاق: ابن فضل الله المصري، مسلك الأبحر، مخ، ص ١٣٦؛ الحميري، محمد عبد السلام (عاش في ق ٩هـ / ١٠م)، القروص المسطر في حيز الأقطار، تحقيق: إسماعيل صلس، مكتبة لبنان ودور النشر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص ١٨٢. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحميري، القروص المسطر.

(١) أرجوحة، بلد من ناحية جبال الأندلس، بقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي، (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م)، معجم البلدان، ج ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٢٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ص ١٤٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد، بقوت الحموي، معجم البلدان.

(٢) المقدسي، أبو عبد الله محمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، لسان القلوب في معرفة الأقطاب، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م، ص ٢٢٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المقدسي، لسان القلوب.

(٣) في نفس غرناطة مثلاً، كان يزرع القمح والشعير والذرة العربية، واسلاف قطناني قتي تتل: القمح والكرسة والقول والقمح قطر، القرواني، محمد بن محمود، (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، نثر البلد والسير للبلاد، دار صفاة، دار بيروت، ١٩٩٩م، ص ٥٠٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القرواني، نثر البلد؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلسي، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، مخ ١، تحقيق: محمد علي، دار المعارف، مصر (ت ١١٥٠٩٦)، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، الإحاطة؛ مؤلف مجهول، (س أول ق ٨هـ / ١٤م)، القل الموشية في ذكر الأخبار الموكثية، تحقيق: سهيل ركاز وعبد القادر رملية، دار قرشك الحديثة، دار القضاة، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٩١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، القل الموشية، حيلولة، توسع الزراعي في الأندلس، ص ١٤٤.

(٤) الكتيفية: كلمة مشتقة من كلمة Campos الكتيفية، ومعناها هنا السهول أو سهل من الأرض، وتقع شمال غرب غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مخ ١، ص ٢٩٦ ويشير الإريسي إلى القل الكتيفية، الذي يضم القل الكتيفية، قرطبة، قرطبة، بيتة، قيرت، والبنغة، بالإضافة إلى جملة حصون أخرى. الإريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٣٦.

(٥) البرجلات: جمع برجلة وهو تعريف للكلمة الإسبانية Parcela، أي قطعة من الأرض، وتقع البرجلات شمال شرق غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مخ ١، ص ٩٦.

(٦) ابن الخطيب، النسخة القيدية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ٢٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، النسخة القيدية.

وكانت غلات القمح والشعير في مدينة أُبْدَة^(١) (UBEDA)، وأندَة^(٢) (ONDA) وبرشلونة^(٣) (BARCELONA). ومن المناطق التي اشتهرت بزراعة القمح مدينة شَرْب (SEGORBE) من أعمال بلنسية^(٤). والمُنْكَب^(٥) (ALMUNECAR)، ومُرْسِيَة^(٦) (MURCIA)، التي تميز فحمها بكثرة اللّحج من الحبة الواحدة، حيث ذكر الفهري أنها تنبت مئة سنبلة، وفي كل سنبلة ثمانون حبة ومئة حبة طويلة^(٧). واشتهرت طَلَيْطَلَة^(٨) (TOLEDO) بزراعة الحنطة المتميزة بجودتها، كما اشتهرت بحصنها لقُرأت طويلة^(٩)، فتمتعها " لا تكبير ولا تسوس على مر السنين، يتوارثها

^(١) أبْدَة: تقع شرق بلنسية وتبعد عنها سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة بالقرب من نهر الوادي الكبير (نهر الإبريسي، نهره المشتق)، ج ٥٥، ص ١٥٦٩ المصري، صفة جزيرة الأندلس متلخفة من كتاب الفروس المصطلح في خير الأقطار، على بشرها، إ.آلي بروفسال، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٨. ص ١١، ميشال لهذا المصدر فيما بعد، صفة جزيرة الأندلس.

^(٢) أندَة: من أعمال كورة بلنسية، تقع شرق قرطبة وتكبير. انظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٥، ابن فضل الله المصري، مسالك الأبحار، مخ، ج ٢، ص ٣٦.

^(٣) تقع في فركش الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الأندلسية، بينها وبين طركوبه خمسون ميلا. المصري، فروس المصطلح، ص ١٦٤.

^(٤) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٨٥.

^(٥) والمُنْكَب: يد على ساحل جزيرة الأندلس، من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلا. انظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٢٨ م)، مرصد الإطلاع على أسماء الأسكنة والبلد، ط ١، ج ٢، تحقيق: علي محمد الجبلي ومحمد علي الباسمي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م، ص ١٣٢٤. ميشال لهذا المصدر فيما بعد. البغدادي، مرصد الإطلاع.

^(٦) ابن الخطيب، مشاهدات لسلي الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) نشر وتحقيق: أحمد مختار الجبلي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨. ص ٨٠. ميشال لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، مشاهدات لسلي الدين.

^(٧) مرسية: من أعمال تكبير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط. (٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢١-٨٥٧ م)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٧.

^(٨) الفهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م)، الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صافي، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨. ص ١٠٠. ميشال لهذا المصدر فيما بعد. الفهري، الجغرافية.

^(٩) طَلَيْطَلَة: مدينة كبيرة ذات خصائص مرموقة بالأندلس، تقع على شاطئ نهر تاجو، ويتصل عليها بعدل وادي المجلو، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس. لندعا القساري سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م. انظر: ياقوت

الخلف عن السلف^(١). كما اشتهرت سرقسطة (ZARAGOZA) بحفظ القمح والبقول والحمص وسائر أنواع الحبوب لفترات طويلة دون أن تصاب بالفسوس^(٢).

وتوحي هذه الإشارة إلى زراعة القمح والحمص قد اقتصرت بها سرقسطة، ولكن هذا لا يعني عدم زراعتها في مناطق الأندلس الأخرى^(٣)، إذ في كتاب الفلاحة الأندلسية تشير إلى زراعة القمح والقمح والحمص والبقول والحبوب، والذرة، وغيرها من أنواع الحبوب، وأصناف قطناني في الأندلس حيث تربية القطنية والسماح الملائم^(٤).

كما اشتهرت زراعة الحنطة والقمح في مدينة قرمونه^(٥) (CARMONA) وحصن بلبانة^(٦) (BAENA)، وحصن سهيل^(٧) (FUENGIROLA)، وشريش^(٨) (JEREZ DE LA

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٩ القندلي، مرصد الإقلاخ، ج ٢، ص ١٨٦٢ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ١٢٠-١٣٥

^(١) بالقرن العشري، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠، أنظر: القرعي، الجغرافية، ص ٨٢

^(٢) القرعي، جغرافية الأندلس، ص ١٨٨ أنظر: الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١

^(٣) سرقسطة: تقع في شرق الأندلس، وتعرف بالندبة البيضاء، لأن أحوالها القديمة من حجر فرخام الأبيض، ولعل سميت بذلك لكثرة حصنها وجدرانها. وأند القساري سرقسطة من أيدي المسلمين سنة (١١١٢هـ/ ١١١٨م) أنظر: الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦-٩٧

^(٤) القرعي، الجغرافية، ص ٨١، القرعي، شهاب الدين أحمد بن محمد قطناني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نافع قطوب من غصن الأندلس الرطوب، مع ١، تحقيق: إسماعيل هلال، دار صافر، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٩٧، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القرعي، نافع قطوب.

^(٥) حنطلة، محمد جده، ملاحح حصارية في الأندلس، منشور ضمن كتاب أبحاث ودراسات جهدا إلى صد الكريم عرافيه بمناسبة بلوغه الفلسفة والسكن، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩، ص ٢٨٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حنطلة، ملاحح حصارية.

^(٦) ابن بصال، عبد الله محمد بن إبراهيم الطائفي (عاش في ١١٠٥هـ/ ١١١٠م)، كتاب الفلاحة، بشر وترجمة خوسيه ماريه ميلان بيوركوسا، ومحمد عريسل، معهد بولاي حسن، تطوان، ١٩٥٥م، ص ١٠٩-١١١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بصال، الفلاحة، أنظر: ابن حجاج الأندلسي، أبو عمرو أحمد بن محمد (عاش في ١١٠٥هـ/ ١١١٠م)، الفلاح في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، وجابر أبو صعدة، تحقيق: لثرف، عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤، سيشار له فيما بعد، ابن حجاج الأندلسي، الفلاح في الفلاحة، ابن الولي، أبو ركريا يحيى بن محمد بن أحمد (عاش في ١١٠٥هـ/ ١١١٠م)، كتاب الفلاحة، مدريد، ١٨٠٢م، ص ٩٤-٩٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الولي، الفلاحة.

^(٧) قرمونة: مدينة بالأندلس، تقع شرقي إشبيلية وغروب قرطبة. أنظر: الإبراهيمي، دراسة القطناني، ج ٥، ص ١٥٧٢ ابن الفيل، محمد بن علي القزويني (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، حلة السمط وسنة القرمط، تحقيق:

(PRONTERA) وشنترة^(١٤) (CINTRA)، وطركونة^(١٥) (TARRAGONE)، وتطلوه^(١٦) (TUDELA)، ووادي الحجرة (GUDALAJARA)، وتكمير^(١٧) (TUDMER) التي تقع شرقي قرطبة^(١٨)، وإبتهج^(١٩) (ECTIA)، ومدينة المرية (ALMERIA) التي يحسّر بها الشاعر لفترة طويلة دون أن يتسوس^(٢٠). كما في سلقير، وهو مكان قريب من المرية،

• =

أحمد مختار الحلبي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٦م، ص ١٨٢. يشير لهذا المصدر فيما بعد:
 ابن القابل، صلة السط.

(٢١) بركة، حصبة كورة فيرة، وهي كبيرة حصينة، يكتفها تسجار وأهجار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧١. ابن فضل الله العمري، مسلك الألبان، ص ٢٧، ج ٢، ص ٢٣٧. البغدادي، مرآة الإطلاح، ج ١، ص ٢٣٦.

(٢٢) ابن الخطيب، راحة الكتاب وجمعة المصاب، تحقيق: محمد عبد الله علي، مكتبة الشاذلي، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٢٨٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد. ابن الخطيب، راحة الكتاب، ص ٢٠٠. حسان سويل، بالغ حرمي مائة، وهو عمل عظيم كثير الضياع، وفيه جبل سويل، لا يرى سويل بالأنلس إلا مداه، العمري، ناسخ الخطيب، ص ١٦٤.

(٢٣) شريط: من كورة شونة بالأنلس، تقع على مقربة من البحر، بينها وبين الشافة خمسة وعشرون ميلاً. العمري، صلة جزيرة الأنلس، ص ١٠٣.

(٢٤) شنترة: من مدن غرب الأنلس، تابعة لمدينة الأثوية، وتقع على مقربة من البحر. ومن خواصها أن تصح والشعر يور على هيها ويصعد إلى بعد (٤٠) يوماً. انظر: العمري، صفة جزيرة الأنلس، ص ١١٢. العمري، ناسخ الخطيب، ص ١٦٤.

(٢٥) طركونة: مدينة أولية، تقع على شاطئ البحر المتوسط، بين مدينة طرطوشة وبرشلونة، انظر: ابن علق، فرحة الأنلس، ص ١٢٨٦. القزويني، نزهة القلائد، ص ٥٤٥.

(٢٦) تطونة: مدينة من المدن الشمالية الإسبانية، تقع على وادي الأيو على بعد ٧٨ كيلو متراً، شمال غرب سرقسطة، انظر: ابن الكردوس، أبو مروي عبد الملك القزويني (عاش في أوله ق ١٢هـ / ١٢م)، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار الحلبي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص ٩٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن الكردوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء العمري، صفة جزيرة الأنلس، ص ٦٤.

(٢٧) وادي الحجرة: مدينة بالأنلس، تقع شمال شرق مدريد، وكانت تصروف بمدينة الفوج. انظر: ابن الكردوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٧٢. العمري، صفة جزيرة الأنلس، ص ١٩٢.

(٢٨) الحلبي، ترصيع الأخبار، ص ١٥. ابن علق، فرحة الأنلس، ص ٢٨٤.

(٢٩) إبتهج: اسم لكورة بالأنلس من أصل رقة، تقع على نهر غرطلة المسمى شليل أو (سندل)، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٧١.

(٣٠) قزويني، جغرافية، ص ١٠١.

اشتهر بزراعة القمح الفائق الجودة، الذي تبنت الحبة الواحدة منه مائة وثمانين مسيلة، وفي كل مسيلة ثمانون حبة^(١).

وكثرت زراعة القمح والشعير في ششتريين^(٢) (SANTAREM)، ولوريس^(٣) (LORENSE)، وإبيرة^(٤) (ELIVIRA)، ومدينة لورقة^(٥) (LORCA) التي امتازت بحصوبة أرضها وطيب مزارعها ووفرة إنتاجها من الحبوب^(٦). واشتهرت مدينة ييسورة^(٧) ومنطقة فحص بلاطة^(٨) بزراعة الحنطة الجيدة.

لما زراعت الأرز^(٩)، فقد انتشرت في المناطق الجنوبية والشرقية من الأندلس^(١٠). ويشير إلى مدينة بالنسية^(١١) (VALENCIA)، التي اشتهرت بإنتاج الأرز بكميات كبيرة، حتى أنها كانت تصدره إلى جميع بلاد الأندلس^(١٢).

(١) قرطبي، المصدر نفسه، ص ١١٠٠، معالجة، الوصف الزراعي في الأندلس، ص ١٤٤.

(٢) ششتريين: تقع على نهر تاجو، بالقرب من مدينة الأثونة. أنظر: ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٩١. القرويني، آثار البلاد، ص ٥٤٢.

(٣) لوريس: مدينة بالأندلس، وهي فصحة كورة جبل، وتقع من قرى دانية بالأندلس، القفدي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ١١٢. ابن القطيب، مشاهدات لسلي القتي، ص ١٨٦. ابن القطيب، روضة القتاب، مج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) إبيرة، كورة كبيرة من كور الأندلس، تقع جنوب شرق قرطبة، ومن أشهر مدنها مدينة غرطاسة. أنظر ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٢. القفدي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ١١١. ابن القطيب، مشاهدات لسلي القتي، ص ١٨٤. ابن القطيب، روضة القتاب، مج ٢، ص ٢٩١.

(٥) لورقة: مدينة كبيرة بالأندلس، وهي فاصدة كورة شمير. القرويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(٦) القرويني، آثار البلاد، ص ١٥٥٥. معالجة، الوصف الزراعي في الأندلس، ص ١٤٥.

(٧) ييسورة: تقع شرق بطليوس على بعد مائة ميل منها. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥١٤.

(٨) فحص بلاطة: يقع بين مدينة لشبونة وششتريين. وينسب الإدريسي أن الحنطة تزرع في هذا الفحص فتيهم في الأرض أربعين يوماً فتمسك، ولي القليل الولد منها يعطي مائة كيل. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٩-٥٥٠.

(٩) أدخل المسلمون زراعة الأرز إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي، ومنها انتقلت زراعته إلى بقية بلاد أوروبا. أنظر: فور القوافي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والفنية والاجتماعية، والاقتصادية والفنية، دار الفكر، ١٩٨٢، ص ٢٩٤. يشير لهذا المرجع فيما بعد، القوافي، الإسلام في حضارته ونظمه.

(١٠) لند بنو، الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ٢٩. يشير لند المرجع فيما بعد: لند بنو، الحضارة العربية.

درعت مناطق شاسعة من الأرض الأندلسية بأشجار الزيتون، واشتهرت منطقة جبل الشرف^(٦) (AJARAFE) التي تقع غربي إشبيلية^(١) (SEVILLA)، والمعروفة بنزيتها الخصبة، وفوقها الجمة، ومساحتها الواسعة^(٢)، بزراعة أشجار الزيتون بكثرة، حتى أن المسافر كان يمشي في ظلها مسافة أربعين ميلاً طويلاً وقتي عشر ميلاً عرضاً. وتمتد هذه المنطقة من مدينة إشبيلية إلى مدينة أبله^(٣) (NIEBLA)^(٤) وقد أشرف فيكري إلى كثافة أشجار الزيتون التي تغطي جبل الشرف لدرجة أنه لا تكاد تشمس معه بقعة

^(١) بلنسية. من مدن شرق الأندلس، تقع شرقي مرسية وفوطية وغربي طرطوشة. أنظر: ابن غلب، فوحة الأندلس، ص ١٢٨٥، القندي، مرشد الاطلاع، ج ١، ص ١٢٢٠، أبو القداء، صفات ابن اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٢٢ هـ - ١٣٣١ م)، تقويم البلدان، اعني بتسميته: رينود، وفارون ملك كركيس ديستان، دور طباعة السلطنة، باريس، ١٨٤٠ م، ص ١٧٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد. أبو القداء، تقويم البلدان، القفري، ترصيع الأخبار، ص ١٧.

^(٢) جبل الشرف: ثل تراب البحر يشرف على منطقة إشبيلية، ويوصف بأنه شريف القبة، كريم التربة، داسم المسرة، طولُه من الشمال إلى الجنوب أربعين ميلاً وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلثا عشر ميلاً. فطو: القفري، ترصيع الأخبار، ص ٩٥، فيكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٥، الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤١، باقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥، القندي، اسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م)، فصول الأندلس وأهلها، لابن حزم وابن سعيد والقندي، نشرها وقيم لها، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٩٦٨ م، ص ٥٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد. القندي، فصول الأندلس وأهلها، القفري، نفع الطبيب، مج ١، ص ١٥٩.

^(٣) تقع إشبيلية شرق أبله وغرب فوطية، وهي عروس بلاد الأندلس، اشتهرت بسط الزيتون تحت الأرض لفترة طويلة. أنظر: ابن غلب، فوحة الأندلس، ص ٢٩٦، القفري، نفع الطبيب، مج ١، ص ٢٠٨.

^(٤) فيكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٥، الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤١، ابن القبط صلة القسطنطين، ص ١٣٩، الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩.

^(٥) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٤١، ابن الوردي، سراج القسطنطين (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، خريطة المصنوعات وفريدة العرفان، طبعة مصطفى الحلبي الحلبي، مصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٩ م، ص ٢١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الوردي، خريطة المصنوعات، الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٩، القفري، نفع الطبيب، مج ١، ص ١٥٩.

^(٦) أبله: من مدن غرب الأندلس. تبعد عن المحيط الأطلسي ستة أميال. أنظر الحموي، قروض المحطرات، ص ٥٠٨.

لانتقال زيتونة وانتسابك غصونه^(١) واشتهر زيتون جبل القشوف بقه كثير الربيع عند العصر، لا يتغير على طول الدهر^(٢)، لذا كل أهل إشبيلية يتساجرون بالزيت، حيث كان الفائض منه يصدر إلى بلدان المشرق والمغرب^(٣).

وكثرت زراعة أشجار الزيتون في قرطبة^(٤) (CORDOBA)، وشودر^(٥) (JODAR)، التي تبعد ثمانية عشر ميلاً عن قرطبة، ومارتش^(٦) (MARTOS)، وحسن بلكونة^(٧) (PORCUNA)، وحسن بيشتر^(٨) (BOBASTRO)، وفرسوس^(٩)، ووادي فرمل^(١٠)، وبيغو^(١١) (PRIEGO)، ومقشقة^(١٢) (MENTESA)، ومخنة نصر^(١٣) ومورور (MORON).

^(١) ليكري، جغرافية الأندلس، ١١٥، أنظر: ابن بطوطة، فتاحة من ١٣٢٤ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

^(٢) ابن حجاج الإشبيلي، المتع في الفتاح، القسمة من (ب)، المصري، فروس المصطار، ص ١٥٩، البسكوي، عبد الرشيد صالح بن بوري (عاش في ٩٠٠-١٠٥٠م)، تلخيص الآثار وعجائب الملك القاهر، ترجمة: صباه الدين بوزنكوف، إدارة التحرير الرئيسية للأدب الشرقية، موسكو، ١٩٧١، يشير لهذا المصدر فيما بعد ليكري، تلخيص الآثار.

^(٣) العدري، ترميز الأعيان، ص ١٦٥ الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥١١، القشدي، فستل الأندلس وأطرافها ص ١٥١ خريطة المعجائب وخريطة المغرب ص ٢١، المصري، فروس المصطار، ص ١٥٩، القشدي، بلح الطيب، مع ١، ص ١٥٨.

^(٤) المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٤-٢٢٥.

^(٥) شودر. حسن يقع شرقي جبل، وثيقة بلنسية، المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٢ الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٩.

^(٦) مارتش: تبعد خمسة عشر ميلاً عن قرطبة. المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٢، ٢٢٥.

^(٧) حسن بلكونة: تبعد أربعين ميلاً عن قرطبة. المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

^(٨) حسن بيشتر: تبعد ثمانين ميلاً عن قرطبة، المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٧.

^(٩) فرسوس: مدينة سهلية، تبعد ستين ميلاً عن قرطبة. المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٤.

^(١٠) وادي فرمل. منطقة سهلية كثيرة القطن والأطراف القطن. تبعد أربعين ميلاً عن قرطبة، المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

^(١١) بيغو: بلدة بالأندلس من أصل جبلي كثيرة القطن والزيتون والقرع. المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٥.

^(١٢) مقشقة: مدينة بالأندلس من أصل جبال، ويقال إنها من قرى شلطة. المقسي، أسن التقسيم، ص ٢٢٥.

^(١٣) مورور: صفة جبال، ج ٥، ص ٢٠٧-٢٠٨.

^(١٤) مخنة نصر: قرية بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٧.

والمناطق التابعة لها ^(١)، واشتهرت بقرة (CABRA) وأصغلاها ^(٢)، وشريش ^(٣)، ولبله
والمناطق التابعة لها ^(٤)، بكثرة أشجار الزيتون.

واشتهرت زراعة الزيتون في بجة ^(٥) (PECHINA)، وإبيورة ^(٦)، وغرملطة ^(٧)،
وولدي أش ^(٨) (GUADIX)، وبلشقة ^(٩)، وحصن بيقة ^(١٠)، وبسطة ^(١١) (BAZA)،
وأكوش (ARCOS) التي تقع على وادي نكة ^(١٢).

كما اشتهرت زراعة الزيتون في فمارش (COMARES) التي تقع شمال شرق
ملاقة ^(١٣)، وفي العمرية ^(١٤)، وطيرنيش، التي تقع شرق العمرية ^(١٥)، وتكمير ^(١٦)، وألش ^(١٧)

^(١) مورور من مدن قرطبة بين الغرب والجنوب، تبعد عن قرطبة ستين ميلاً. ابن خالب، فرحة الأندلس،
ص ٢٩٣.

^(٢) البيرة: تقع جنوب قرطبة، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. قطر. ابن خالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٧
قيلادي، مرصد الإطلاق، ج ٣، ص ١١٠٦٣، المصري، قروض المعطر، ص ٤٥٣.

^(٣) المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٦٠٢.

^(٤) ابن خالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٢، ابن التيفل، صلة السمك، ص ١١٤٥، ابن سعد، المغرب، في حالي
المغرب، تحقيق: شوقي حبيب، ج ١، ط ٢ دار المعرف: مصر، ١٩٩٤ م. ص ٣٣٩، يشار لهذا المصدر
فيما بعد. ابن سعد، المغرب، في حالي المغرب، المصري، قروض المعطر، ص ٥٠٨.

^(٥) بجة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة إبير، غربت وانتقل أهلها إلى العمرية. قطر. قيلادي، ترصيع
الأخبار، ص ١٨٧، قيلادي، مرصد الإطلاق، ج ١، ص ١١٦٣، ابن الخطيب، مشاهدات لسلي القيس، ص ١٤٧
ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٦١.

^(٦) قطري، ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

^(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١١١٥ مؤلف مجهول، الحقل الموشية، ص ٩١.

^(٨) وادي أش: مدينة بالأندلس، قريبة من غرملطة، قطر. المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

^(٩) بلشقة: حصن كبير عثر بهبط به شجر قروتون، يبعد عن حصن ثنونة الذي يقع جنوب إشبجه عشرون
ميلاً الإفريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٢، ابن فضل الله العمري، مسالك الألبصار، مج ٢، ص ٣٢.

^(١٠) الإفريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧١، ابن فضل الله العمري، مسالك الألبصار، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٧
المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٩.

^(١١) بسطة: من أعمال جبل، تقع بالقرب من وادي أش. وقوت القصوي، معجم قبلاي، ج ١، ص ١٤٢٢
المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٥.

^(١٢) المصدر نفسه، ص ١٤.

^(١٣) ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، ص ٢٨٧، ابن الخطيب، مشاهدات لسلي القيس، ص ٧٩.

^(١٤) ابن الخطيب، مشاهدات لسلي القيس، ص ١٨٢، ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩١.

^(١٥) ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩١.

(ELCHE)، وقريليا^(٢٧) (CREVILLENTE)، ودافية^(٢٨) (DENIA)، وحصن مريوط^(٢٩) (MURVIEDRO)، الذي يقع قرب طرطوشة^(٣٠) (TORTOSA)، وإقليم سرطسطة^(٣١)، وحصن بيلوية^(٣٢)، وحصن القلوط^(٣٣) (LOS PEDROCHES)، وإبراعة^(٣٤) (FRAGA)، وسطيلة^(٣٥)، وإقليم القزيتون^(٣٦). ولورقة التي تشتهر بتصديره إلى سائر البلاد^(٣٧). ويلاحظ أن زراعة القزيتون تركزت في المناطق الجنوبية والشرقية من الأندلس.

^(٢٧) القدري، ترصيع الأخبار، ص ٥، أ.

^(٢٨) نفس، مدينة الأندلس، من أصل تيمور، القزويني، آثار البلاد، ص ١٥١٣، القدي، مرصع الإخلاص، ج ١، ص ١١١.

^(٢٩) قريليا، مدينة بالأندلس، بينها وبين قريلوة عشرون ميلاً، القسري، صفة جزيرة الأندلس، ١٥١.

^(٣٠) دافية، مدينة كبيرة شرق الأندلس، وهي مشتقة من: دافندو، إذا قرب، من ناحية أبو القنطار، عصر من حسن (ت ١٢٣٣هـ / ١٢٣٥م) المطرب من لشعة أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وأغروب، دار العلم للجميع (ت ١٢٣٣هـ / ١٢٣٥م)، سائر لهذا المصدر فيما بعد: من ناحية، المطرب؛ من جانب، فرقة الأندلس، ص ٢٨٥.

^(٣١) القسري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٠-١٨١.

^(٣٢) طرطوشة، تقع على ساحل البحر المتوسط شرق بقية قرطبة، أنشأ: من جانب فرقة الأندلس، ص ٢٨٤-٢٨٥.

^(٣٣) القدري، ترصيع الأخبار، ص ٥٦.

^(٣٤) حصن بيلوية، من أصل مدينة وشقة، التي تقع شرقي سرطسطة. القدري، ترصيع الأخبار، ص ٥٥-٥٦.

^(٣٥) حصن القلوط: ناحية بالأندلس متصل بجوف لوريطة، ويقع شمال قرطبة، ينسب إليه القسري، صدر من حسني القلوطي، باقرت القسري، معجم البلاد، ج ١، ١٢٩٢: القسري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٠-١١١.

^(٣٦) إبراعة، مدينة بالأندلس من أصل ماروت، القدي، مرصع الإخلاص، ص ٩٩.

^(٣٧) سطيلة: نعت ثلاثة عشر ميلاً من أرجونة القسري، أصل القسري، ص ٢٢٣.

^(٣٨) إقليم القزيتون. يسم المناطق التابعة، جافة، لارند، مكاسة، وإبراعة، أنشأ: من ناحية، القسري، نعت القسري، ص ٢٢٨.

^(٣٩) قرطبة، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧)، كتاب القديس الأثوري، تحقيق: إميليو مولينا وخاليتوبوسك، بولا، المجلس الأعلى للتحقيق العلمية، معهد قتلون مع القديس القديس، مدريد، ١٩٩٠م، ص ٥٢. سائر لهذا المصدر فيما بعد: قرطبة، القديس الأثوري. أنشأ: ابن القزيتون أبو محمد الإشبيلي (ت ٥٨١هـ / ١١٨٦م)، كتاب القديس القديس الأثوري، تحقيق: إميليو مولينا وخاليتوبوسك، بولا، المجلس الأعلى للتحقيق العلمية، معهد قتلون مع القديس القديس، مدريد، ١٩٩٠م، ص ١٥٦. سائر لهذا المصدر فيما بعد: ابن القزيتون، القديس الأثوري.

٧. قنوت وإنتاج الحرير

تعتبر شجرة قنوت من أهم الغلات الزراعية، ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة، إذ يستغل منها في تربية دودة القصر، التي تستخرج من شرايقها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية.

وقد كثرت زراعة القنوت في منطقة بينو^(١) (PRIBOO) وأنكوني^(٢). واشتهرت مناطق حصن شش^(٣) ووادي شش^(٤) وقيفة^(٥) (FINANA)، بزراعة أشجار القنوت وإنتاج الحرير. كما اشتهرت بذلك مرسية حتى أن أكثر ما في بسايقها تُسجّر القنوت المعد لعلف الحرير^(٦)، ومنها كل الحرير يصدر إلى غرناطة^(٧).

وتعد مدينة جبلي من أشهر المدن الأندلسية في إنتاج الحرير^(٨)، حتى أنها كانت تعرف بـ"جبلان الحرير" لكثرة اعتناء بلايتها وحاصرتها بتربية دودة الحرير^(٩). وقد كان

(١) المنسي: أصل القنوت، من ٢٢٥.

(٢) أنكوني: بالأندلس من أصل شمير. ويذكر الحميري أن شجر قنوت ينبت في أرضها من نحو عرسه ولا اعتال. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢.

(٣) حصن شش. يقع على بعد مرحلة من قرية. ابن سيدة، المغرب في حلس المغرب، ج ٢، ص ٢٢٥. المقري، فتح الطب، مج ١، ص ١٦٤.

(٤) قرطبي، كتاب الألو، ص ١٩٠. ابن خلدون، اختصار كتاب الألو، ص ١١٩٥. ابن الخطيب، روضة الكتاب، مج ٢، ص ١٢٩٥. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

(٥) قيافة، قرية بقرى وادي لش من الأندلس. ابن الخطيب، روضة الكتاب، مج ٢، ص ١٢٩٥. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٢.

(٦) الكمال، الإكسير في فكاك الإمبر، ص ١٦٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٨) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر قنيلي، ج ١، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ١٩٨٧م. ص ٣٢٩-٣٣٠م، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن رشد، فتاوى الطبري: أبو قتادة، توفيق الهادي، ص ١٢٧٧. ابن فضل الله العمري، مسلك الأبرار، مج ٢، ص ٣٦. القلندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط ١، ج ٥، تحقيق: أبو عبد الله الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. ص ٢٢١. يشير لهذا المصدر فيما بعد: القلندي، صبح الأعشى، ابن القيساني، محمد بن علي ردة (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والمسالك، مخطوط في مركز فوشاق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، ص ١، ميكروفيلم، شريط رقم ٥٥٩، ص ٤٢/ب، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن السبكي، أوضح المسالك.

يشعها أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها تربي هذه للدودة^(١). واشتهرت جزيرة والمناطق التابعة لها بإنتاج الحرير الجيد الذي ينتشر في البلاد ويصم الأفاق^(٢). ويكثر الحرير في منطقة جبل شلير^(٣) والقرى المتصلة به^(٤) وفي برج (BORJA) التي تقع شمال غرب القرية^(٥). وفي دلاية^(٦) (DALIAS)، والقرية^(٧)، وأندرش^(٨) (ANDARAX)، ومققة (ALAOA) وأصلها^(٩)، وخرنطية، وبسطة^(١٠) كما توصف سهول الكهانة، والبرجلات^(١١) وإقليم بشرة بني حسان وشبالش^(١٢) بأنها معدن من معدن الحرير.

^(١) قنقدي، فسال الأتلس وأطها، ص ١٥٥. ابن سعيد، المغرب في ظل المغرب، ج ٢، ص ١٥١. الطبري، فتح الطب، مع ٢، ص ٢١٧.

^(٢) (الترسي، نرعة المشتق، ج ٥، ص ١٥٦٨. أنظر - ابن فضل الله العمري، مسلك الأسيار، مع، ج ٢، ص ١٣٦. الحميري، فروض السطر، ص ١٦٨٢. الطبري، فتح الطب، مع ١، ص ١٤١.

^(٣) الإسطرعي، أبو اسحاق يونس بن محمد القنوسي، (عاش في النصف الأول من ق ١٠ هـ / ١٠ م)، كتاب مسالك الممالك، إذ فتشفت كتابته صدر، لوجودي بالقنوس، يؤد - ي. جويل، ١٩٢٧ م ص ٤٤. سيشر لهذا المصدر فيما بعد: الإسطرعي، ممالك الممالك، الحمري، توصيف الأحجار، ص ١٩٢. الحميري، فروض السطر، ص ٢٤.

^(٤) جبل شلير، يقع جنوبي خرنطية بالقرب من البحر المتوسط ويتصل بالجزيرة الخضراء وتغطي الشجج شتاء وصيفاً، لذا يعرف بـ "جبل الثلج". أنظر: البكري، جغرافية الأتلس، ص ٨١ - ٨٥. فرحري، جغرافية، ص ٩٢، ابن خلدون، فرجة الأتلس، ص ٣٠٧.

^(٥) البكري، جغرافية الأتلس وأوروبا، ص ٨٤-٨٥. الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١١٢.

^(٦) ابن الخطيب، ربيعة الكتاب، مع ٢، ص ١٢٨٩. ابن الخطيب، مشاهدات لسنن الدين، ص ٨١-٨٢.

^(٧) دلاية: قرية فلتسية صغيرة تقع على مقربة من غربي القرية، أنظر: ابن الخطيب، ربيعة الكتاب، مع ٢، ص ١٢٩٠. ابن الخطيب، مشاهدات لسنن الدين، ص ٨٢.

^(٨) فرحري، جغرافية، ص ١٠٦. ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ط ١، تحقيق اسماعيل الحرسي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠ م، ص ١٤٠. سيشر لهذا المصدر فيما بعد: ابن سعيد، الجغرافيا، ابن الفوري، خريطة الممالك، ص ١٢٤. الطبري، فتح الطب، مع ١، ص ١٦٢-١٦٣.

^(٩) أندرش: بلدة فلتسية صغيرة من أصل القرية، تقع على البحر الأحمر على مقربة من البحر المتوسط، وتشير في التاريخ بأنها كانت مقام أبي عبد الله محمد آخر ملوك الأتلس، وبلاطة الصغير عقب سقوط غرناطة. أنظر: ابن الخطيب، ربيعة الكتاب، مع ٢، ص ١٢٩١. ابن الخطيب، مشاهدات لسنن الدين، ص ٨٨.

^(١٠) فرحري، جغرافية، ص ١٩٢. أبو القداء، تواريخ البلدان، ص ١١٧٥. قنقدي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢.

^(١١) ابن الخطيب، الإحاطة، مع ١، ص ١١١٥. مؤلف مجهول، الحلال القروية، ص ١٩١. المكلي، الإكبر في تلك الأسير، ص ١٦٠-١٨٢.

(ALAGA) وأصلها^(١)، وخرنطلة، وبسطة^(٢) كما توصف سهول الكتنيّة،
والبراجلات^(٣) وإقليم بشرة بني حسان وشيالش^(٤) بأنها معدن من معدن الحرير.
القطن والكتان .

كانت القطن والأعشاب التي تدخل في صناعة الأقمشة والمنسوجات، تزرع في
الأندلس على نطاق واسع، كالقطن والكتان، والزعتر، والصنوبر، والكمون،
والكزبرة والقرفة والحناء^(٥).
لما راعة القطن^(٦) فقد اشتهرت في مدينة إشبيلية التي تقع على نهر الوادي
الكبير^(٧) (GUADL QUIVIR) حيث القربة الحصبة والمياه الوفيرة. ولما تفرقت إشبيلية عن

^(١) الفرعي، الجغرافية، ص ١٢٢، أبو القاد، توفيق القسطل، ص ١٧٥، القشتلي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢.

^(٢) ابن القطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١١٥ مؤلف مجهول، مقال القرشية، ص ٩١، المقدسي، الإمبر في
تلك الأسير، ص ١٦٠-١٨٧.

^(٣) ابن القطيب، القصة البديرة، ص ٢٢.

^(٤) إقليم بشرة بني حسان. من إقليم خرنطلة، ويضم المناطق التالية: حصن بركة والمزاةق والقلمنة، وحصن
شيالش، ودلاية، فطر. ابن القطيب، القصة البديرة، ص ١٢٩ ابن القطيب، مشاهدات أسير القيس، ص ١٨٨
ابن القطيب، روضة القتاب، مج ٢، ص ٢٩٤.

^(٥) كولا، ج ١، الأندلس، ط ١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية؛ إبراهيم خورشيد ولسون، دار
الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد
كولان، الأندلس.

^(٦) أدخل العرب زراعة القطن إلى الأندلس بعد الفتح من المشرق الإسلامي، ومنها انتقلت زراعته إلى
المناطق المجاورة. انظر: علي محمد حمودة تاريخ الأندلس السياسي والاقتصادي، دار الكتاب
العربي، ط ١، ١٩٥٧، ص ٢١٧ سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حمودة تاريخ الأندلس السياسي والاقتصادي،
الإسلام في حضارته ونظمه، ص ٢٩٤.

^(٧) نهر الوادي الكبير: يعرف بأسماء متعددة منها: "نهر ييطي"، "نهر قرطبة"، "نهر إشبيلية"،
وتنحدر من جبال شقرة ويصب في المحيط الأطلسي، ويبلغ طوله من منبعه إلى مصبه (٣١٠)
كيلو. ومن أشهر المدن الواقعة على- مدينة قرطبة، وإشبيلية الواقعة على حافة الشرق، والتي تبعد مسافة
خمسين ميلا عن مصبه. انظر أورسوس، (٢٧٥-٣٨٠م)، تاريخ العالم، تحقيق: عبد الرحمن
بندي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٢ ص ٧١ سيشار لهذا المصدر فيما بعد: أورسوس،
تاريخ العالم الإنريسي، ترجمة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦١ الفرعي، الجغرافية، ص ٩٧-١٩٨ ابن علق، فرحة
الإفكر، ص ١٣٠٧ قسباي، لومنت السالك، مخ، ص ١/٩.

لقطن بالوفرة والجودة العالية^(١)، وكان تتقاضى منه بمصر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب^(٢). وكثرت زراعة القطن في كورة^(٣) رندة^(٤)، ومنطقة وادي أش^(٥).
لما زراعت الكتان^(٦) قد كثرت في منطقة إبيرة وأصعها^(٧)، وكل مكانها رفيعاً مشمواً بجودته^(٨). وانتشرت منطقة فحس إبيرة بإنتاج الكتان الجيد، الذي كان يصدر إلى أقصى بلاد المسلمين^(٩). واشتهرت منطقة جبل شلير والقرى المتصلة بها بزراعة الكتان الذي يفضل كتان القيوم^(١٠).
ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بزراعة الكتان: مدينة لاردة^(١١) (LERIDA) التي كانت تصدره إلى جميع القنور الأندلسية^(١٢). ومدينة شيروب من أصع

(١) القدي، ترصيع الأخير، ص ١٩٦ ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٢ قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

(٢) كان القطن يصدر إلى إفريقية، والقيروان، وسجلماسة، فطر - القدي، ترصيع الأخير، ص ١٩٦ ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٢ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥ القصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

(٣) كورة: هي عبارة عن الصلح أو القلعة، وتطلق أيضاً على المدينة ابن القبط، صفة السط، ص ١٧١ رندة: محل حصن بالأندلس من أصل تنكرنا ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٢ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٢٩.

(٤) قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

(٥) تحدث أبو الخير الأندلسي مسجها عن كيفية زراعة الكتان في الأندلس، فطر أبو الخير الأندلسي، كتاب في القلعة المطبوعة الجديدة: غلب، ط ١، ١٢٥٧هـ / ١٩٣٨م، ص ١٢٩-١٤١، ينشر لهذا المصدر فيما بعد. أبو الخير الأندلسي، القلعة.

(٦) خير ابن سعيد هذا إلى مملكة إبيرة التي تقع بين مملكتي قرطبة والقروية، ومملكتي جبل ومالقة، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٩١ فطر ابن القبط، الإحاطة، مسج، ص ١١٥ المؤلف مجهول، الحل الموثقة، ص ٩١.

(٧) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٨٤.

(٨) قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤.

(٩) القدي، جغرافية الأندلس ولوروا، ص ١٨٥ قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٢.

(١٠) لاردة: مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، وتشمل أصعها بأصل طر كورة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧.

(١١) قصري، القروى السط، ص ٥٧.

بطنسية^(١)، وباجة^(٢) (BEJA)، وقندرش^(٣) وبجفة^(٤)، وولاي تش^(٥)، والعربية قتي وصعها
 ابن الخطيب بأنها بلد الكتان^(٦) ومدينة غريش الواقعة شمال غرب قرطبة^(٧).

٤. الزعفران والمصفر

وتصيرت الأندلس بوزارة الزعفران والمصفر^(٨). وعما من القبلات قتي شمال في
 صناعة الأصباغ^(٩). فاشتهرت طليطلة بوزارة الزعفران لثقل الجودة^(١٠) الذي يعم
 البلاد ويجهز به إلى الأقاليم^(١١).

وكثرت غلات الزعفران^(١٢) في منطقة ولدي الحجرة قتي تقع شرقي طليطلة،
 ومنها كل يصدر إلى سائر الجهات الأندلسية^(١٣). وطنسية قتي يركو بها وجود^(١٤). وأند
 (UBEDA). حيث تكثر مواه الري لسقي^(١٥).

^(١) ابن خلدون، فوجحة الأندلس، ص ٢٨٥.

^(٢) باجة. تقع غرب قرطبة وجنوب شرق الأندلس. انظر الرشاشي، قبائل الأندلس، ص ١٢٥ قزويني،
 أنثر البلاد، ص ١٥٩، المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٥٩.

^(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

^(٤) ابن الخطيب، مشاهدات أسن قتي، ص ٤٧.

^(٥) الرشاشي، قبائل الأندلس، ص ١٩٠ ابن الخريف، انقصر قبائل الأندلس، ص ١٩٥.

^(٦) ابن الخطيب، مشاهدات أسن قتي، ص ٨٣.

^(٧) ابن الخريف، انقصر قبائل الأندلس، ص ١٧٥.

^(٨) ابن بصال، الفلاح، ص ١١٦ المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٩٩، ١٤٤.

^(٩) قنهور، أبو حنيفة أحمد بن دود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)، كتاب قبائل، (جزء ثالث ونصف الأول
 من الجزء الخامس)، تحقيق: برنارد ليفي، دار النشر: مركز ستيفن بيرسبان، ١٩٧٤، ص ١٦٧-١٧٢،
 يشير لهذا المصدر فيما بعد: القبلات، ج ٣.

^(١٠) ابن خلدون، المقابس، ج ٥، اعني بشرط: ب. شامونا وآخرون، المعهد الإسباني لعلوم الثقافة، مدريد-
 ١٩٧٩ م، ص ٣١٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلدون، المقابس، وأثر الحموي، مجمع البلدان، ج ٤،
 ص ٣٩-٤٠.

^(١١) القبري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ١٨٨ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٣ المقري، نفع
 الطيب، مج ١، ص ١٤٣.

^(١٢) الزعفران استعمالات أخرى، فهو يدخل في تحضير الحماض الطبية المعقدة في علاج عتق القلب والتهاب
 القولون، كما يستخدم في علاج مرضي الفطمة الذي يؤدي إلى صدف الإصبع أولا. انظر: حبانة، موضوع
 زراعي في الأندلس، ص ١٧٩.

وفي بيضة^(١) (BAEZA) كان يزوع الزعفران ومنها يصدر برأً وبحراً إلى
الخراج^(٢). ويكثر الزعفران في مدينة باعة (PRIBGO) من أعمال غرناطة^(٣).
لما بسطة قد اختص أهلها بمعالجة الزعفران^(٤)، فكانت تنتج منه ما يكفي لسد
حاجة مسلمي الأندلس^(٥)، وكانت زراعة العنبر^(٦) توجد في كورة إبيرة^(٧) وكورة

^(١) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٣، ابن فضل الله العمري، مسلك الأصيل، ص ٢، ج ٢، ص ١٣١
العمري، فروق المصطفى، ص ٦٠٦.

^(٢) العمري، ترصيع الأخبار، ص ١١٧، باقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١١٩٠، القزويني، نثر البلدان،
ص ١٥١٣، القلوبي، تلخيص الإكليل، ص ١٢٢.

^(٣) ليد: مدينة أندلسية باعاً الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٢٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م)، وهي مجاورة
لباسة، لكنها لا تقع على قوادي الكبير، فنظر: أبو سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١٧٥، أبو
قضاء، تقويم البلدان، ص ١١٦٧، حياطة، أوضح القزويني في الأندلس، ص ١٢٩.

^(٤) يلسة: مدينة أندلسية من أعمال جبال، تقع على نهر قوادي الكبير، قرب إشبيلية. فتولى عليها العمري،
سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)، فنظر: ابن علقم، فرحة الألف، ص ٢٨٤، شندقي، فصول الأندلس وأهلها،
ص ١٥٥، القشتندي، صبح الأحشي، ج ٥، ص ٢٢٦، العمري، فروق المصطفى، ص ١١٢١، السباهي، أوضح
مسلك، ص ٢٥، ب.

^(٥) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٩، ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١٧١، ابن علقم،
فرحة الألف، ص ٢٨٤، القشتندي، فصول الأندلس وأهلها، ص ٥٥-٥٦، القشتندي، صبح الأحشي، ج ٥،
ص ٢٢٦، العمري، فروق المصطفى، ص ١١٢١، السباهي، أوضح المسالك، ص ٢٥، ب، العمري، نصح
الطيب، ص ٢٧٧.

^(٦) كتاب باعة تصدق الزعفران خارج الأندلس. فنظر: باقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٢٦، ابن
سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١١٥٤، أبو قضاء، تقويم البلدان، ص ١٧٧.

^(٧) ابن الطوط، مشاهدات أسلاف، ص ١٣١، ابن الطوط، رحلة الكتف، ص ٢، ج ٢، ص ٢٥١.
^(٨) القشتندي، صبح الأحشي، ج ٥، ص ٢١٤.

^(٩) العنبر: وهو قزطم قدي يصبح به، وهو نوعان بري، وريفي، وهذا الأخير في البساتين. فنظر
المنهري، النبات، ج ٣، ص ١٦٧-١٦٦، ابن علقم، أبو جعفر أحمد بن محمد (د.ت)، مفرد العنبر ومفرد
الهموم، ص ١١٠. مشاف لهذا المصدر فيما بعد: ابن علقم، مفرد العنبر.

^(١٠) العمري، ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

لبلة^(١)، وإشجية لتي تمررت بلنتاج الصخر المنفصل على غيره، وكان قفائض منه يصدر إلى سائر الأكطار^(٢).

ومن قنبات الأخرى التي تختل في صناعة الأصابع: القود^(٣) وقيم^(٤) للذي يستخلص من بندهما وعروقهما اللون الأحمر الذي تصبغ به القلوب^(٥). والبلج الذي يستخرج منه اللون الأزرق^(٦).

١. قصب السكر

عرفت الأندلس زراعة قصب السكر (السكرز) ^(٧) في المناطق الساحلية، وبالقرب من شواطئ الأنهار، حيث الأرض الرملية الرطبة، والمياه الوفيرة، والحرارة العالية. إذ إن المناطق الباردة لا تناسبه^(٨).

(١) الطري، ترصيع الأخبار، ص ١١٠، إن قنبلت صلة السط، ص ١١٥، القوي، آثار البلاد، ص ١٥٥٥، في سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ١٣٢٩، المصري، قروض المسطر، ص ١٥٠٨، قبلكوي، شخص الآثار، ص ١٣٥.

(٢) الطري، ترصيع الأخبار، ص ٩٦، المصري، قروض المسطر، ص ٥٩.

(٣) القود: نبات دقيق في رأسه جب شديد حمرة كثير الماء، تطبخ عروقه ويصنع بهاها وقسوة أصناف بعضها ما نوره أصفر، وبعضها ما نوره أبيض. والذي تصبغ به قلوب هو الذي يزرع في هستان، أنظر: القينوري، كتاب القنات، ق ٢، جمع. محمد حيد الله، المعهد القومي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٩٤-١٩٥، ميشال لهذا المصدر فيما بعد، القينوري، القنات، ق ٢.

(٤) قيم: شجر منجم لمر يصنع بطيخه، ورقة مثل ورق اللوز، أما السطل والأصل، فهي ذات لون أصفر. القينوري، القنات (١٩٥٣)، ص ٥٢.

(٥) قريدي، أبو بكر محمد بن حسن بن ميم (٢٧٦هـ/ ٩٨٩م)، لسان العلوم، تحقيق: رمضان عبد القواب، ط ١، ١٩٦٤، ص ٦٣-١٠٧، ميشال لهذا المصدر فيما بعد. قريدي، لسان العلوم، نشر كتك: ابن هشام القمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الإكيلي، (٥٧٧/١١٨١م)، المدخل إلى تكوين القل وتطعيم القبل، مج ٢، تحقيق: غوسية بيريت لاثرو، المجلس الأعلى للدراسات العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠، ص ٢٠١، ٢٢٠. ميشال لهذا المصدر فيما بعد: ابن هشام القمي، المدخل: عبد الطي قونخري، ملاحم من المجتمع الأندلسي، من خلالصوص لسان الفلسفة، مجلة البحث العلمي: قرطاج، ج ٣٧، ١٩٨٧، ص ١٧٧. ميشال لهذا المرجع فيما بعد. قونخري، ملاحم من المجتمع الأندلسي.

(٦) ابن هشام القمي، السطل، مج ٢، ص ١١٤٣، قونخري، ملاحم من المجتمع الأندلسي، ص ١٧٧.

(٧) قريدي، لسان العلوم، ص ١١٤٣، ابن هشام القمي، السطل، مج ٢، ص ١٤٩.

(٨) ابن حجاج الإكيلي، السلق في القلحة، ص ١٦٣، القري، فتح الطوب، مج ١، ص ٢٠٠.

وتعد مدينة المنكب من أوسع المناطق الأندلسية زراعة لقصب السكر. حتى أنها تعتبر مركزاً مهماً لتصديره إلى مختلف البلدان^(١) وتوجد زراعة قصب السكر في مناطق شلّوبين^(٢) (شلوبيونة SALO BRENA) وإشبيلية^(٣) وإبيرة^(٤)، وسهول غرناطة (الكتبية وإيراجلات)^(٥)، والعمرة^(٦)، وشمجة^(٧). هذا ويلاحظ تركيز زراعة قصب السكر في مناطق الأندلس الجنوبية.

٦. التين

اشتهرت الأندلس بزراعة التين بكثرة وخاصة في منطقة مالقة، التي يسمب فيها تين قرني^(٨)، وهو من أجود أنواع التين ولطيفها طعماً ومذاقاً^(٩). وتعد مالقة وأصاها من أوسع المناطق الأندلسية زراعة لأشجار التين، حتى أن المنطقة الساحلية

(١) ابن الخطيب، مشاهدات لسق التين، ص ١٨٠. ابن الخطيب، رحلة الكتاب، ص ٢، ص ١٢٨٨. القنطري، صبح الأضي، ص ١٢١، قنطري، أحمد بن يحيى (ت ٩١٠ هـ / ١٥٠٨ م)، المعجم للمعرب والجمع المنوب عن فتوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج ١٠، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ ص ٢٦٨-٢٦٩. ميشو لهذا المصدر فيما بعد. قنطري، صبح المعجم للمعرب، حكمة، ملحق حصرية، ص ١٩٠.

(٢) شلوبيونة قرية على شاطئ البحر المتوسط بينما وبين المنكب حثرة لوسل. انظر القنطري، صبح الأضي، ج ٥، ص ١٢١. العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١١.

(٣) كل قصب السكر يزرع جنوب مدينة إشبيلية في سائر ترف بهلات الفصلي، انظر العمري، ترصيع الأخبار، ص ١٩٦. ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٢. العمري، صفة جزيرة الأندلس ص ٢١.

(٤) ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٣. قنطري، آثار البلاد، ص ١٥٠٢. ابن الخطيب، الإحاطة، ص ١٠. ص ١٩٨. العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤.

(٥) ابن الخطيب، القصة القبرية، ص ١٢٢. ابن الخطيب، الإحاطة، ص ١، ص ٩٦.

(٦) قنطري، ترصيع الأخبار، ص ٨٥.

(٧) شمجة، مدينة بالأندلس من أعمال ريف، ويقال لها شمجة، وهي قرية قريبة من البحر المتوسط بالقرب الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦١.

(٨) نسبة إلى ريف، وهي كورة من كور الأندلس، جنوبي قرطبة، نزلها جند الأرض من العرب، وكانت مالقة تابعة لها. انظر، الإبرسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٠-٥٧١. ياقوت القسوي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٣. العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٩.

(٩) الإبرسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٥. القنطري، فضائل الأندلس وأطباها، ص ١٥٢. ابن فضل الله العمري، مسالك الأندلس، ص ٢، ص ١٢٥. قنطري، فتح الطيب، ص ٢، ص ٢١٩.

الواقعة بين حصن سهيل وبليش من أصل ملاقة كلها كفت مغروسة بالشجر^(١). لذا فقد اشتهرت ملاقة بتجارة التين، فكل ما يصدر منها إلى مصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند والصين، وذلك لهجونه وحلاوته^(٢). كما اشتهرت منطقة جبل الشرف التابعة لإثيوبية بزراعة التين القوطي والشمري، وهما صنفان تميزت بهما إثيوبية عن بقية المناطق الأتلمسية^(٣). وكان التين يحمل منها إلى سبته وسلا وغيرها من بلاد المغرب^(٤)، وانتشرت زراعة التين بكثرة في بلادسية التي بلغت أنواعها فيها سنين بوعا لا يشبه بعضها بخاصة لا في الطعم ولا في اللون^(٥). وفي أندلس من أصل بلادسية^(٦)، ودقوقة^(٧)، ولقنت^(٨) (ALICANTE)، ومرسية^(٩)، وتكمير^(١٠)، وأشكوني^(١١)، وسرقسطة التي اشتهرت بحفظ التين القلبي^(١٢).

(١) يذكر القنطري في المسافة بين حصن سهيل وبليش بقدر ثلاثة أيام. انظر القنطري، فصول الأندلس وأطرافها، ص ٥٧ - ١٥٨ المغربي، نصح الطوب، مج ٢، ص ٢١٩

(٢) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٥ في سعد، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: غسوف فريوط خليف، مطبعة كريمة، تطوان: المغرب، ١٩٥٨. ص ٧٦، يشير لهذا المصدر فيما بعد. ابن سعد، بسط الأرض، ابن قروي، خريدة المعانيب، ص ١٢٤ ابن بطوطة، محمد عبد الله (٧٧٩هـ / ٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة الظفار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، دار الكتاب العلمية، بيروت: لبنان، ط ١، ١٩٨٧م. ص ٦٧٩. يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن بطوطة، تحفة الظفار للقنطري، صبح الأعيان، ج ٥، ص ١٢١٢ في السبائي، أوضح المسالك، مخ، ص ٨٧ / ١

(٣) الحنري، نزهة الأعيان، ص ١٩٩ القنطري، فصول الأندلس وأطرافها، ص ٥١ - ١٥٢ ابن قروي، خريدة المعانيب، ص ١٢١ القروي، آثار البلاد، ص ١٤٩٧ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٩ المغربي، نصح الطوب، مج ١، ص ١٥٩، ٢٠٠.

(٤) ابن رشد، غزالي في رشد، ج ٣، ص ١١٤٥٢ في خلخال، أبو القاسم شمس الدين، ط ١، ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان ونبأ أبناء العرب، تحقيق: إسماعيل صلي، مج ٧، دار صقر، بيروت، ١٩٧٧م. ص ١١٩. يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلخال، وفيات الأعيان.

(٥) القروي، المعروفة، ص ١٠٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٤.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٢٤ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٦.

(٨) لقت - مدينة صغيرة عاصدة تقع على ساحل الأندلس الشرقي. بينها وبين دقوقة سبعون ميلاً. انظر الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٨ ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٢٧٤ ابن فضل الله المصري، مسالك الأمصار، مخ، ج ٢، ص ١٢٣ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٠.

(٩) المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣.

وفي أقاليم بالشمالية^(١)، ودقوة^(٢)، ولقنت^(٣) (ALICANTE)، ومرسية^(٤)،
ونكمير^(٥)، وتشكوني^(٦)، ومرقطة التي تشتهر بحفظ القين القليس^(٧).
وكثرت زراعة القين في القنينة^(٨)، وواي قرملن، وبيجو، ومارش، وبيلسة^(٩)،
وغرناطة^(١٠)، وفارش^(١١)، ومريلة (MARBELLA)^(١٢)، وبلش (VELEZ)^(١٣)، وهي من
أكثر بلدان الأندلس ثيابا^(١٤)، وفي شريش^(١٥)، والجزيرة الخضراء^(١٦) (ALGECIRAS)،
وحسن فسطاة^(١٧)، وشتمرية^(١٨) (SANTAMARIEA)، وطابطة^(١٩)، وإقليم القنشين
الذي يضم مدينة شلب، ومنه يصدر قنين إلى فسطاط العرب^(٢٠)، ومن فجنير ما تذكر إلى

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٦٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٢٤ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٦.

(٣) لقنت: مدينة صغيرة عفرقة تقع على ساحل الأندلس القناري، بينها وبين دقة سبعون ميلاً. فسطاط
الإندلس، نزلة المشتاق، ج ٥ ص ١٥٥٨ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١٢٧٤ ابن فضل الله
الحموي، مسائل الأندلس، مخ، ج ٢، ص ١٣٣ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٠.

(٤) الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣.

(٥) الطبري، ترمص الأندلس، ص ٨.

(٦) الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢.

(٧) فرهمي، الجغرافيا، ص ٨١، المغربي، تاريخ الطوب، مج ١، ص ١٩٧.

(٨) القنينة: من المدن التابعة لقرطبة، على بعد يومين منها. المقدسي، لأصق القنينة، ص ٢٣٤.

(٩) المقدسي، لأصق القنينة، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(١٠) ابن الخطيب، القصة البديعة، ص ١٤١ القنينة، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢٠٩.

(١١) ابن الخطيب، مشاهدات لسان القين، ص ١٧٩ ابن الخطيب، ربيعة الكتاب، مج ٢، ص ٢٨٨.

(١٢) مريلة: تقع غربي ملقة على بعد أربعين ميلاً، وجنوبي بيشتر الإندلسي، نزلة المشتاق، ج ٥،
ص ٥٧٠.

(١٣) بلش: تقع غرب مدينة طاب. فسطاط - القنينة، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١١.

(١٤) القنينة، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١١.

(١٥) الإندلس، نزلة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٣ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٢.

(١٦) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، أصلها متصلة بأعالي ثندنة، تقع شرقي ثندنة جنوباً
قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٣٦ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٣.

(١٧) حسن فسطاة: يقع شمالي شلف على بعد ثمانية عشر ميلاً. الإندلس، نزلة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٢.

(١٨) شتمرية: وهي شتمرية غرب، مدينة في الأندلس من مدن القنينة، تقع على ساحل المحيط الأطلسي
الإندلس، نزلة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٤٣ الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٤-١١٥.

(١٩) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٩.

الذي يضم مدينة شلب، ومنه يصدر القطن إلى أسواق الغرب^(١)، ومن الجدير بالذكر أن
الخمر في الأندلس كانت تصنع من شمر القطن والعنب^(٢).

٧. العنب

والعنب كثرت زراعته في أودية من أصال جبال، حتى أنه لكثرت فيها يكاد لا
يباع ولا يشتري^(٣). وفي ملقة التي تتميز أعيانها بكبر الحبة وحلاوة الطعم^(٤)، وأشهر
بن بطوطة الذي زار الأندلس في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر
الميلادي إلى كثرة أعيانها بقوله: إن العنب يباع في أسواقها بحسب شلابة أرض
بدرهم صغير^(٥).

وانتشرت زراعة العنب بكثرة في قرطبة، والجزيرة^(٦)، والشبقة، ووادي الرمان،
وفرمس^(٧)، وإشبيلية التي كانت تصدره إلى بلاد المغرب^(٨)، وغرناطة التي
كان أهلها يدخرون العنب سلماً من الفساد إلى ثلثي العلم^(٩).
وقمارش^(١٠). وتعد بلش من أكثر بلدان الأندلس عنباً^(١١). كما اشتهرت شلب^(١٢)،
وباعة^(١٣)، وبرجة^(١٤)، والمرية^(١٥)، وبجعة^(١٦)، ووادي ثش^(١٧)، بزراعة الأعطاب بكثرة.

(١) الإدريسي، لزعة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٣.

(٢) القاري، فتح الطوب، مج ٣، ص ٢١٤.

(٣) القنطري، فضل الأندلس وأعيانها، ص ١٥٦ القاري، فتح الطوب، مج ٣، ص ٢١٧.

(٤) القاري، البحر الفاء، ص ١٨١، حيلة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٥٥.

(٥) بن بطوطة، حفة التنظر، ص ٦٧٩.

(٦) قطر، تقع على بعد عشرة أميال من مدينة جبال، المقدسي، لمس القسطنطين، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٨) ابن خلكان، وفاء الأعيان، مج ٧، ص ١١٩.

(٩) ابن الخطيب، للجنة الجارية، ص ١٤٠ القنطري، صبح الأعيان، ج ٥، ص ٢٠٩.

(١٠) ابن الخطيب، مشاهدات أسلاف القاري، ص ١٧٩ ابن الخطيب، رحلة الكتاب، مج ٢، ص ٢٨٨.

(١١) القنطري، صبح الأعيان، ج ٥، ص ٢١١.

(١٢) شلب: قرية تقع على سبل البحر المتوسط وبعد عن مدينة لشب إثنى عشر ميلاً. الإدريسي، نزهة
المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(١٣) ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١١٥٤ أو القضاء، تقرير البلدان، ص ١٦٧.

(١٤) ابن الخطيب، مشاهدات أسلاف القاري، ص ١٨١ ابن الخطيب، رحلة الكتاب، مج ٢، ص ٢٠٨٩.

ومن المناطق الأنطبية التي اشتهرت بأعاليها: دافية^(١)، وأش^(٢)، ولقت^(٣)،
وحصن مريبطر^(٤)، ومزسية^(٥)، وسرقطة^(٦)، وجزيرة يابسة^(٧)، وشفتورية^(٨)،
وليلة^(٩)، وغورية^(١٠) (CORIA)، ولورقة^(١١).

٨. قنقاع

وزرعت أشجار قنقاع بكثرة في غرناطة^(١٢)، التي اشتهرت بحصنها^(١٣). وفي
حصن جليانة (JULIANA) من أعمال وادي آش. وينسب إليه قنقاع الجلياني الذي يمثل
بالتقاء، وكبر الحجم، وحلاوة الطعم، ودكاء الرقعة^(١٤) كما تنتشر زراعة قنقاع في
منطقة جبل شلور^(١٥)، وتكمير^(١٦)، وأشكوني^(١٧)، ووشقة^(١٨) (HUESCA)، ولورقة^(١٩).

٢٠

(١) ابن بطوط، مشاهدات لسائر الصين، ص ١٨٢، ابن بطوط، رحمة الكتاب، ص ٢، ص ٢٩١

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧، القنطاري، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١١.

(٣) العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٤.

(٥) القزويني، آثار البلاد، ص ٥١٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٨، ابن فضل الله العمري، مسائل الأندلس، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٣

العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٠.

(٧) العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨١.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٩) القزويني، الجبل القلبي، ص ١٨١، العمري، نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٩٧.

(١٠) العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٢، العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٥.

(١٢) ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٧، ابن سعيد، المغرب في حالي المغرب، ج ١، ص ٣٣١.

(١٣) قورية. تقع بالقرب من مدينة مارت. العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤.

(١٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٦، القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٦.

(١٥) القنطاري، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩.

(١٦) ابن بطوط، نزهة المشتاق، ص ٤٠.

(١٧) العمري، نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٤٩.

(١٨) القزويني، الجبل القلبي، ص ٩٣.

(١٩) العمري، نزهة المشتاق، ص ٨.

(٢٠) العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٧.

وسر مسطحة^(٢٧)، التي تميزت بوفرة إنتاجها من القنّاج، فلمعكس ذلك على أسعاره، حتى أنه كان يباع بأوخص الأثمان^(٢٨)، لذا فإنهم كانوا يتخزنونه سمناً لسائر من كما يذكر الحميري^(٢٩)، واشتهرت شلب^(٣٠) (SELVES) وقلمرية^(٣١) (COIMBRA) والأشبونة^(٣٢) (الأشبونة LISBONNE) بكثرة أشجار القنّاج.

٩ الرمان

انتشرت زراعة الرمان في ملقة، التي وصف رمانها بأنه "لا نظير له في الدنيا"^(٣٣). وفي غرناطة، التي اشتهرت بحصه^(٣٤)، وطلوطة التي تميزت بزراعة عدة

^(٢٧) وشقة، تقع شرقي مسطحة، على بعد خمسين ميلاً، البحري، تروصع الأشجار، ص ١٥٥ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٤.

^(٢٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٣.

^(٢٩) قزهي، الجمرقية، ص ١٨٩ القزهي، فتح الطوبى، مج ١، ص ١٩٧.

^(٣٠) يشير إلى ذلك الحميري بقول "وربما يوع فيها وسق القنّاج بما شاع به الأرطال البصرة في غيرها" هذا مع الظن أن الوسق يساوي (٦٠) صاعاً. انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٧ هاجنة، الوصع الرمان في الأندلس، ص ١٥٨.

^(٣١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٧.

^(٣٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٠٦ قبلهوي، للخص الأندلس، ص ١٣٠.

^(٣٣) قلمرية: من بلاد برغال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وتبعد عن (المحيط الأطلنسي) إلى عشر ميلاً، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤.

^(٣٤) لشبونة، تقع غربي ملقة، على ساحل المحيط الأطلنسي، ويذكر القزهي: أن قنّاج مدينة لشبونة كقنّاج أرمنية، دور القنّاج منه ثلاثة ألبار وثلث وكثير "قزهي، الجمرقية، ص ١٨٥ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦.

^(٣٥) إلى بطرقة، تحفة الفلك، ص ٦٧٩.

^(٣٦) إلى القلعة، القلعة القديرة، ص ٤٠.

أنواع منه^(١)، ولشكوني^(٢)، ولورقة^(٣)، وتكمير^(٤)، ومنطقة وادي الرمان، التي تقع على بعد أربعين ميلاً من قرطبة^(٥).

وقد اشتهرت الأندلس بزراعة عدة أنواع من الرمان كل من بينها، الأمليسي^(٦)، والعمرسي^(٧)، والشعري، والقسطيسي، والخمسي، والشحي، والحرابنسي، والقرجيسي^(٨)، والسفري، والسعري^(٩). ويعد هذا الأخير من أشهر أنواع الرمان وأكثرها انتشاراً في الأندلس. ويمتاز هذا النوع بحذوبة الطعم، وغزارة الماء، وحسن السورة، ورقة النسوة. ولا يعرفنا هذا أن نذكر إلى ظهور الرمان كلفت تستعمل في صناعة الأصباغ^(١٠).

١٠. الكمثرى والقراسيا والموز

تميزت مناطق شرق الأندلس بزراعة الكمثرى، حيث كلفت تزرع في تكمير^(١١)، وبنسبة^(١٢)، ولشكوني^(١٣)، ووشقة^(١٤)، وركلة^(١٥)، (RICLA)، ولورقة^(١٦)، كما زرعت في شترة^(١٧)، والأشبونة^(١٨) من مناطق غرب الأندلس.

(١) القشتلندي، صبح الأحش، ج ٥، ص ٢٢.

(٢) العمري، صلة جزيرة الأندلس، ص ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٤) الحزري، ترصيع الأخبار، ص ٢، أ.

(٥) المنبسي، لسن القشوب، ص ٢٢٤.

(٦) ابن هشام القفسي، المدخل، مج ٢، ص ٢١٦.

(٧) ابن بطوطة، تحفة النظار، ٦٧٩.

(٨) ابن العوام، الفلاح، ص ٢٧٢.

(٩) الرمان السفري، نسبة إلى سفر بن عبد الله وكان من رجال عبد الرحمن الداخل. وكان عبد الرحمن قد وجه هدية إلى حاكم بلنسية من الأندلس، فوجهت إليه من طرائف الشام وفوائدها، فكللها وجهت له رماناً شام، فلم يصل للأندلس إلا واحد فهدى، فأعطى عبد الرحمن رجلاً من تلك الهدية، وقسم عليهم من ذلك الرمان، فألجده سفر بن عبد الله ففرسه فبعت فبنته فبنت من حده وزرعوه وشبهوه إليه. انظر: ابن هشام القفسي، المدخل، مج ٢، ص ٢١٦-٢١٧.

(١٠) القفطي، في أدب، المصبة، ص ١٤١ لدوري، تاريخ الحرق الاقتصادي، ص ١٠٧.

(١١) الحزري، ترصيع الأخبار، ص ٢، أ.

(١٢) العمري، فتح الطب، مج ١، ص ١١٦.

لما قتراسيا (قتراسيا)، قد زرعت في سهول وجبال بلنسية^(٢٧)، التي اشتهرت
 بزراعة الأنواع الجيدة منها^(٢٨). وفي القيصرية^(٢٩)، وسرقطة التي اشتهرت بحفظها^(٣٠). كما
 عرفت غرناطة زراعة القتراسيا البعلبكية^(٣١) التي تمتاز بجمال مظهرها وحلاوة
 مذاقها^(٣٢). أما المور فقد انتشرت زراعته في سواحل الأندلس الدافئة^(٣٣)،
 وساحل بلبونة^(٣٤)، وغرناطة^(٣٥)، وشلوبيونة^(٣٦)، والعمرية^(٣٧) وشعجلة^(٣٨)،
 والمنكب، التي لا يوجد المور إلا بها كما يذكر القفطندي^(٣٩).

١١. أنواع أخرى

- =
 (٢٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢.
 (٢٨) الحميري، ترصيع الأخبار، ص ١٥٥ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٥.
 (٢٩) ركلة مدينة بالأندلس، قرب سرقطة وقلمة ليوب. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٨ ٧٩
 (٣٠) المصدر نفسه ص ١٧٢.
 (٣١) المصدر نفسه ص ١١٣.
 (٣٢) الحميري، ترصيع الأخبار، ص ١١٠-١١١.
 (٣٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٠.
 (٣٤) ينكر القزويني، أن فيها كثيرا من حب البلوب (قتراسيا) الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد.
 قزويني، الجمع الفوائد، ص ١٠٢.
 (٣٥) الحميري، الفروض المصطفى، ص ١٦٤.
 (٣٦) الحميري، فتح الطب، مع ١، ص ١٩٧.
 (٣٧) قتراسيا البعلبكية: الإشارة هنا إلى بلبك الشام، وتدل على أن العرب نظروا من قديم إلى الأندلس،
 حاملة، ملامح حضارية، ص ١٨٨.
 (٣٨) القفطندي، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢٠٩.
 (٣٩) الحميري، فتح الطب، مع ١، ص ٢٠٠.
 (٤٠) القزويني، أنظر قبلة، ص ١٥٠٢؛ بلوكي، تلخيص الأثر، ص ١١٩.
 (٤١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٥٦.
 (٤٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١١.
 (٤٣) الحميري، ترصيع الأخبار، ص ٨٥.
 (٤٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦١.
 (٤٥) ربما يقصد بذلك الأنواع الجيدة من المور. القفطندي، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١١.

ولتشرت زراعة الخوخ والقصل في غرناطة^(١)، ومنطقة جبل شليل^(٢)، كما
اشتهرت بمنطقة حفظ الخوخ والإجاص^(٣). وتتميز الأنواع الجيدة من السجرجل^(٤).
وليلة بزراعة العناب^(٥).

ومن الأشجار المثمرة الأخرى، التي انتشرت زراعتها في الأندلس الجوز
واللوز^(٦)، حيث كثرت زراعتها في غرناطة^(٧)، وإشبيرة^(٨)، وحصن غريزة^(٩)،
ودانية^(١٠)، التي اشتهرت بتصدير اللوز إلى بلاد المغرب والشرق^(١١).

لما أشجار النخيل فقد زرع في قرطبة^(١٢) وجبل^(١٣)، والجريزة
الخصراء^(١٤)، والمريّة^(١٥)، ولوريّة^(١٦)، وفريش^(١٧)، بينما يذكر القرويني أن النخيل لم
تنجح زراعته في جميع بلاد الأندلس إلا في مدينة لش، التي تقع بالقرب من تكوير^(١٨).
هذا، ويستفاد من ورق النخول (الخرص) في صناعة السلال والحصر وما شاكلها^(١٩).

(١) القنطري، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢) قزري، الجرافية، ص ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨١ قفري، نوح الطيب، مع، ١، ص ١٩٧.

(٤) الحري، ترصيع الأثمار، ص ٢.

(٥) الحري، ترصيع الأثمار، ص ١١١.

(٦) الحري، نوح الطيب، مع، ١، ص ٢٠٠.

(٧) ابن خلدون، التمهيد، ص ١٤٠ مؤلف مجهول، نداء مصر، ص ٤٣.

(٨) ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٢٨١.

(٩) حصن غريزة: حصن ساجور لجبل شليل، ينسب إليه الجوز، وذلك في به من الجوز شيئا وترك من غير

رشد ولا يحمله في طمسه جوز الإبريسي، راحة المشتاق، ج ٥، ص ٦٧.

(١٠) باقرت المصري، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣١.

(١١) أبو شعيب، تكملة البلدان، ص ١١٧ القنطري، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١٢.

(١٢) أبو سعد، بسط الأثر، ص ٧٤، ص ١٧٤ ابن بطوطة، رحلة فتاوى، ص ٦٧٩.

(١٣) ابن خلدون، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢١١.

(١٤) المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٢.

(١٥) الحري، ترصيع الأثمار، ص ١١٧-١١٨.

(١٦) هلمنة، قروض الزراعي في الأندلس، ص ١٦٦.

(١٧) ابن خلدون، اتصال قلب الأندلس، ص ١٧٥.

(١٨) القرويني، آثار البلاد، ص ١٥١ القنطري، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ١١١.

(١٩) ابن هشام، المعاني، مع، ٢، ص ٣٣١.

ج. قنات الطرية والطبية والأكلوية

وررع الأندلسيون قنات الطرية والطبية والأكلوية، في مناطق متعددة من الأراضي الأندلسية، مثل: قورد الذكي لطر في جبل شقورة^(١)، إذا كفت شقورة من المنطق المختصة في صناعة الطور بالأندلس^(٢)، والفرجس، والقورد وأصناف الأثرلر في مدينة بيرة وجبل شوية المجاورة لها^(٣)، والبتصج في شقرة^(٤) والأشبونة^(٥)، وجبل قرطبة التي ببت فيها كذلك القورد والموس^(٦)، وأصناف الريلحين في غرطبة^(٧)، وعود الينلجوج (الأنجوج)^(٨) في ملحة دلالية، وهو قعود الذي لا يقل نكاءً وطرأً عن قعود الهندي^(٩)، وأنواع الريلحين والمشمومات في منفة بالنسية، التي اشتهرت بكثرة لشجارها وعلوب ربحها، وإذا كلى أهل الأندلس يدعونها (مطيب الأندلس)^(١٠) وقد اُشهر فكري إلى جبل في ملحة لكشوبة^(١١) (Oxonoba)، وذكر أنه كثيراً ما تقوح منه رائحة الطر إذا ما اشتهلت فيه قبار^(١٢).

^(١) العمري، صفح جزيرة الأندلس، ص ١٠٥.

^(٢) حنابلة، ملتح حنابلة، ص ١٩١.

^(٣) العمري، صفح جزيرة الأندلس، ص ١٤٩.

^(٤) المصدر نفسه، ص ١١٣.

^(٥) هاجنة، القوضع القراعي في الأندلس، ص ١٧٧.

^(٦) القرطبي، عرب بن سعد، (٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، تقويم قرطبة، شرة مع ترجمة فرنسية؛ ريسهوت دوزي، لين، بريل ١٩٦١م، ص ٦١، ٧٥، ١٨٥. ميشل لهذا المصدر فيما بعد؛ القرطبي، تقويم قرطبة.

^(٧) القزويني، آثار قبلة، ص ٥٤٧.

^(٨) فيلندوج، اسم يطلق على قعود الذي يتغير به، القينوري، قنات (١٥٣) ص ٣٩.

^(٩) فكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٤ القري، ملح الطيب، مع ١، ص ١٤٦.

^(١٠) المطيب، عندهم، حرمة يسونوها من أنواع قرويلين ويطون فيها الفرجس والأنس وغير ذلك من أنواع المشمومات. أنظر: قركشي، عبد القود (ص ٧٧ هـ / ١٢م)، المعجم في تلخيص ألبار المشروب، تحقيق: محمد القرويل ومحمد الحلي، مطبعة الإطفة بالقاهرة، ط ١، ١٩٤٩. ص ٢٧٠، ميشل لهذا المصدر فيما بعد؛ قركشي، المعجم.

^(١١) لكشوبة (لكشوبة): تقع غربي قرطبة بالقرب من مدينة الأشبونة لطر: ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٩١ بالقوت العموي، معجم قبائل، ج ١، ص ٢٤٠.

^(١٢) فكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٤ القري، ملح الطيب، مع ١، ص ١٤٦.

ومن أنواع الفيلين والأرهار الأخرى التي كانت تزرع في الأندلس، الأمن واليسمين، والنسرين، والقيلوفر، والقرنجان، والحموري، والحبق القرطبي^(١)، وغيرها. واشتهرت الأندلس برعاية النباتات الطبية، وخاصة "نبات الجانيتا" - هو عفار^(٢) التي كانت تصدره الأندلس إلى جميع الأصقاع^(٣). وورع هذا النوع من النباتات في جبال غرناطة^(٤)، وجبل شابر^(٥)، ولبلبة^(٦).

ومن العقاقير الطبية الأخرى التي عرفتها الأندلس لمرّ الطوب الذي اشتهرت به قلعة أيوب (Calatayub)^(٧). والكهرباء وهي عبارة عن مادة صمغية تدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية، واشتهرت مدينة شدونة^(٨) (Sedoma).

ونذكر الحموري أن في غيران شنت مرتين* من جبل شغورة تشفال كسير قوي الفل^(٩). وكثرت الأعشاب الطبية والعقاقير الدوائية في غرناطة، ومنطقة جبل شابر^(١٠) وكيرة^(١١).

أما الألفية (القرنفل والبهارات) فقد زرعت على نطاق واسع في الأندلس، إذ ذكر المسعودي، أنهم زرعوها منها خمسة وعشرين صنفاً، من بينها المسبل، والقرنفل

(١) ابن حجاج الإيبلي، المتع في الفلاحة، ص ١٢٠-١٢٢، ابن بصال، الفلاحة، ١٦٢-١٧٠.

(٢) الخار: هو اسم لكل ما يتقوى به من ثبات وقشر. ابن هشام القاسي، المدخل، مج ٢، ص ١٢٦.

(٣) الحموري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٤١.

(٤) ابن الخطيب، القصة البديرة، ص ١٢٢، ابن هشام، طوط الطوط، ص ٣٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٠٥.

(٦) باقرت المصري، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠.

(٧) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جولة تقع من أصل سرخطة ولها عدة حصون، ويقرب منها مدينة لبلبة البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، باقرت المصري، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٩٠ المصري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٤١.

(٨) الكهرباء: مادة صمغية توجد عند سواحل البحر بالأندلس وخاصة عند لسبول نبات السدوم، والنوع الأندلسي منه أصغر وأصلب من النوع الشرقي، ولها نبات كهرباء الأرض يشده، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، الحموري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٤١.

(٩) الحموري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٥.

(١٠) ابن الخطيب، القصة البديرة، ص ١٢٢، ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٠٥.

(١١) الحموري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٩.

والصنل، والقرفة، والمطبخ، والفوس، والقسط، والثريرة (الذرة الصفراء)^(١)، وغيرها. ولصنل أنواع الأكلوية هو المطبخ، الذي يدخل في تحضير مادة الأنتلان^(٢)، وهي عبارة عن صنف من الأحماض تصل بها الأيدي والنتيل^(٣). وزرع السنبل للقاتل الجودة في منطقة جبل شابر^(٤) الذي اشتهر بمختلف أنواع الأكلوية الهندية^(٥)، وفي إقليم القنصون قنصج لمدينة قرطاجنة الحقاء^(٦) (Cartagena). كما ينبت السنبل القروي الطوب في جبل شغورة^(٧) والقنصل في لبله^(٨) والقسط الطيب في لدة وعارث^(٩). كما زرعت أنواع الأكلوية في جبال غرناطة^(١٠)، وجبل شوية المجاور لمدينة خيرة^(١١).

٣. النباتات

تعتبر الغابات من أهم ثروات الأنتلس الطبيعية، لكونها تشكل المصدر الرئيسي للأخشاب.

وقد تحدثت الأشجار وتنوعت في الأنتلس. إذ تشير كتب الفلاحة الأنتلسية إلى أشجار (الصنوبر، والسرو، والبن^(١)، والمستن، والصفصاف^(٢)، والقمرعر^(٣)،

^(١) السعدي، علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م)، مروج الذهب ومقتل الجوهرة، طبعة بيرية دي مينار وبالية دي كركاي، علي بنقوجا ونسجمها: شارل بلا، ج ١، منشورات الجمعية القبلانية: بسوت، ١٩٦٥، ص ١٩٥-١٩٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد: السعدي، مروج الذهب: القنص: القنص، تلح الطوب، ص ١، ص ١٩٩، رواية (السعدي).

^(٢) شكري، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٦ القنص، تلح الطوب، ص ١، ص ٢٠٠.

^(٣) بن عثمان القنص، السنبل، ص ٢ ص ١٩٧ في القنص، مفرد القنص، ص ٥.

^(٤) ابن الطوب، الإحطلة، ص ١، ص ١٠٥.

^(٥) القنص، تلح الطوب، ص ١، ص ٢٠٠.

^(٦) قرطاجنة الحقاء، مدينة تابعة لكورة تيمور، تبعد عن مرسية قرطاجنة الحقاء، ص ١٤١.

^(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

^(٨) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

^(٩) القنص، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٧.

^(١٠) القنص، تلح القنص، ص ٥٤٧.

^(١١) القنص، صفة جزيرة الأنتلس، ص ١٤٩.

والحور، والخروب^(١)، إضافة إلى أشجار البقس والملخس والبلوط التي تنتشر في مناطق مختلفة من الأراضي الأندلسية.

أما أشجار الصنوبر فقد كثرت في مناطق: القصر^(٢) (Alcacer)، وشنتوية العرب^(٣)، وملطوش^(٤) (Salas)، وقنص^(٥)، وبطلين بلس^(٦)، وجبل أطريجزش^(٧)، وجزيرة ياسة^(٨)، وجبال طرطوشة، التي اشتهرت بإنتاج خشب الصنوبر الجيد. وهو

^(١) قبل: شجر صنم، ليس لشجرة صالحة، وله حب طويل أنصو شديد القصر، يثبت في الصنم، وثمرته تشبه قرون القويا، وفيها حب ومن ذلك الحب يستخرج دهن قليل. ديوبري، ثبات (البحر ١٦٥٣) ص ٤٨.

^(٢) الصنم، وهو الحلاف، ويسمى السوجر، وهو شجر صنم، وأصله كثير، ديوبري، ثبات (البحر ١٦٥٣) ص ١٤٢.

^(٣) قرحر، شجر صنم من شجر الجبال، ومنه ينشد لورد القطر، وللمرحر ورس تصبغ به قلاب لطر. ديوبري، ثبات، ق ٢ (القلوس القباي)، ص ١١٢٩، ١١٢٨ في هشام القلي، ص ١٩٤.

^(٤) لطر، ابن حجاج الإشبلي، المتع في الفلاح، ص ٨٠، ٦٤. ابن العوام، الفلاح، ص ٢٨٤، ٤٠١ - ٤٠٣. ابن بصال، الفلاح، ص ٨٤.

^(٥) قصر، مدينة بالأندلس، بينها وبين شلب أربع مراحل، وهي مدينة حنة تقع على سفة نهر المسمى شطير الإندلس، نرعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٤٤ الحميري، سفة جزيرة الأندلس، ص ١٦١.

^(٦) الحميري، سفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٥.

^(٧) شطير، جزيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، قرب مدينة ليلة المصدر نفسه، ص ١٦٠، ١١١.

^(٨) قصر نفسه، ص ١٤٥.

^(٩) بطلين: من كورة تصير على مقربة من لورقة، في الغراف، لتصل القباي الأسود، ص ١١١٩. ابن حاتم القرطبي، أبو يحيى محمد (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)، جنة قرضا في القباي لما ذكر الله وقصى، تحقيق: صلاح جرر، مج ٢، دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م. ص ٢٨١، موافق لهذا المصدر فيما بعد. ابن حاتم القرطبي، جنة قرضا.

^(١٠) يذكر القرطبي، أن هذا جبل المعروف بلطريجز، هو القباي بين بلاد الأندلس وبلاد الأفرنج (فرنسا). والذي يبدو أن المقصود به جبل قرب القباي بين فرنسا وشمالي إسبانيا. القرطبي، جمع قباي، ص ٨٠.

^(١١) قرطبي، القباي الأسود، ص ١٨٢. القرطبي، جمع قباي، ص ١٢٨. ابن حاتم، لتصل القباي الأسود، ص ١٦٩٠. البختي، مرصد الإطلا، ج ٤، ص ١٤٧٠ الحميري، سفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨.

خشب أحمر صفلي البشرة، يمتاز بالطول والعرض والقسوة على مقاومة التلف للناسن من القسوس^(١). ولشهرته يشار إليه بـ"خشب الصنوبر الطرطوشي"^(٢). كما اشتهرت قلعة بكثره أشجار الصنوبر، وهذا يعني كثرة إنتاجها من الخشب، إذ يذكر الإبريسي أن الخشب يقطع بها ويلقى في الماء، ويحمل إلى دافية ويلصق في البحر، وذلك بتخييره في القهر من قلعة إلى جريزة شقر^(٣) (Jucar) إلى حصن قوير^(٤) (Cullera) حيث يرغ هناك ثم ينقل بالمرالكب إلى دافية ويلصق^(٥). ومن الجديد ذكره أنه يستخرج من أشجار الصنوبر مادة الرقت، التي تستخدم في طلاء السفن لحمايتها من التلف^(٦). وكثت الأخشاب توجد بكثرة، حيث تنتشر الغابات خاصة في مناطق: جيلن وأصالها^(٧)، حتى أن مدينة ننتشكة^(٨) كانت تصدر الأخشاب إلى معظم أنحاء الأندلس^(٩). وفي حصن قيشلطة^(١٠) وجبال شلب^(١١).

(١) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٥، ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٦، ابن الخراط، المختصر في أخبار البشر، ص ١١٤٩، القروي، آثار البلاد، ص ١٥٤٥، ابن فضل الله العمري، مسلك الأبرار، ص ٢٢، ص ٣٢، العمري، صفحة جريدة الأندلس، ص ١٢٤.

(٢) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٥، العمري، صفحة جريدة الأندلس، ص ١٥٤.

(٣) جريدة شقر: تقع بين شلطة وبلنسية ويهدح بالعمية ثمانية عشر ميلاً، ابن الخراط، المختصر في أخبار البشر، ص ١١٣٤، العمري، صفحة جريدة الأندلس، ص ١٠٢.

(٤) حصن قوير: يقع على بعد خمسة وعشرين ميلاً من مدينة بلنسية، وهو حصن مرفوع على موقع نهر شقر. الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٦.

(٥) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٠، ابن فضل الله العمري، مسلك الأبرار، ص ٢٢، ج ٢، ص ٣٣.

(٦) الفريدي، لمن العلوم، ص ١١٣٢، الفريدي، القبا، ج ٢، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٧) ابن سعد، المغرب، في حالي المغرب، ج ٢، ص ٤٩.

(٨) ننتشكة من أصال جيلن. ابن علق، فرحة الأندلس، ص ٢٨٤.

(٩) ابن علق، فرحة الأندلس، ص ٢٨٤.

(١٠) قيشلطة: مدينة بالأندلس من أصال جيلن، الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٩، الفريدي، من العلوم، الإطلاع، ج ٢، ص ٣٦.

(١١) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٤٢، العمري، صفحة جريدة الأندلس، ص ١٠٦.

ومن جبال إسكورة^(١) (Sierra de Segura) وبوابة كل الخشب يقطع ويحمل إلى تشيلية عبر نهر الوادي الكبير^(٢) (Rio Guadalquivir) وكانت لأشجار البلوط هي الأكثر انتشاراً في الأندلس، حتى أنها وصفت بـ"بلاد البلوط"^(٣).

وقد انتشرت أشجار البلوط في مناطق متعددة، من بينها: فحص البلوط^(٤)، وغرناطة^(٥)، وجبال قرطبة^(٦)، وسهول جبال حصن بطروش^(٧) الذي اهتم أهله بحفظ البلوط وخدمته، إذ إنهم كانوا يستعملونه كغذاء في أوقات الشدة والمجاعة^(٨). وكثرت أشجار القيقب في جبال طرطوشة^(٩)، ولطريجرش^(١٠)، وأشجار الطحش، التي كانت تستخدم لأشبهاها في صناعة القسي، في جبل شقورة^(١١)، وجبل لطريجرش الذي تشتهر بكثرة الأخشاب، ومنه كان يصدر خشب الطحش إلى مناطق الأندلس والمغرب^(١٢).

ومن الأشجار الأخرى التي انتشرت في الأندلس شجر العيس^(١٣) والصور والدردار في برجة وغرناطة^(١٤)، والسرول في بلنسية^(١٥). وشجر القنتبات في جزيرة قادس

^(١) جبال إسكورة: (Sierra de Segura) وهي سلسلة جبال تمتد في شرقي نالعة جبل المكلسي، الإكسبير في تلك الأسير، ص ٦٨.

^(٢) ذلك لأن الوادي الكبير ينبع من جبال إسكورة وبوابة كما يذكر المكلسي. المصدر نفسه، ص ٦٨.

^(٣) هاجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٨٢.

^(٤) ينسب إلى البلوط وفيه شجر البلوط فهو القند الطعم. ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٩ قبلهدي، مرصد الأطلال، ج ١، ص ٢٢٠.

^(٥) القنتدي، صبح الأحيى، ج ٥، ص ٢٠٩.

^(٦) ابن الجوام، فلاحنا، ٢٥٩ - ١٢٦٠ الإنريسي، فرحة المشتاق، ج ٥، ص ٥٨٠.

^(٧) حصن بطروش: يقع شمال قرطبة، ويعد عنها مسافة أربعين ميلاً، الإنريسي، فرحة المشتاق، ج ٥، ص ٥٨٠.

^(٨) الإنريسي، فرحة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨٠. ابن فضل الله قصري، مسلك الأضرار، ص ٢، ج ٢، ص ٢٨-١٢٩ قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٥.

^(٩) ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٦. ابن الخراط، مختصر القبلان الأول، ص ١١٤٩، قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٤.

^(١٠) قزحري، جغرافية، ص ٨٠.

^(١١) قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٥.

^(١٢) قزحري، جغرافية، ص ٨٠.

^(١٣) عيس: شجر صغير، يتميز بالطول والعمق، تصنع منه قوس القوسعة والرحال. انظر. القيسوري، قنات، ق ٢ (القوس قنات)، ص ٢٨٦.

قطن التي اشتهرت أيضاً بشجيرة تشبه قنبول القطن، تفرز مادة صمغية تستعمل في تصنيع الفرجاج^(٢٧).

واشتهرت شذونة بشجر القمل، الذي تصنع منه الخراويل^(٢٨). وعرفت الأتلس شجر الخرم^(٢٩)، الذي تصنع من لحقه الحبال^(٣٠).

ومن نباتات الأتلس، نبات الحفاء^(٣١) الذي اشتهرت به قوطلجنة الحفاء^(٣٢)، وشذونة^(٣٣) وطافقة^(٣٤) (Italica) التي تقع بالقرب من مدينة إشبيلية^(٣٥).

ومدينة لغت التي كانت تصدره إلى جميع بلاد البحر كما يذكر الإدريسي^(٣٦) وفتتبرت نبات السمار^(٣٧)، والقوم^(٣٨) والأسل (الدينس)^(٣٩)، والحرزوان في الأراضي

^(٢٧) ابن القطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨١-٨٢ ابن القطيب، ربيعة الكتاب، مج ٢، ص ١٢٨٩ مؤلف مجهول، (من أهل ق ٩٥٨/ ١٥٠م)، أخر لاهم غرناطة، وهو كتاب لبدة القصر في قضاء دولة بني نصر. لمؤلف أندلسي من رجال القرن التاسع الهجري، معاصر لسقوط غرناطة، ط ١، تحقيق محمد رطسوي، دفر حبل، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٤١، يشير لبدة القصر فيما بعد: مؤلف مجهول، لبدة القصر.

^(٢٨) القزوي، الجعرقية، ص ١٠٢

^(٢٩) الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١١٤ حنابلة، ملحق حنابلة، ص ١٨٨

^(٣٠) الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١٠٩.

^(٣١) الخرم: شجر يشبه القوم غير أنه قصير وأعرض، وينتج من جنوده خلاتها القطن، ومن خواصه الحبال القيدوري، نباتات (لبن ١٩٥٢) ص ١٤٤.

^(٣٢) ابن هشام القاسمي، القطن، مج ٢، ص ٢٦٢.

^(٣٣) ابن هشام القاسمي، القطن، مج ٢، ص ٢٦٢.

^(٣٤) حفاء: نبات في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأودية والآبار. القيدوري، نباتات (لبن ١٩٥٢)، ص ١٢١

^(٣٥) القزوي، ترصيع الأخبار، ص ٤٠٥ الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١٥١

^(٣٦) الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١٠١.

^(٣٧) الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١٢٢ فونثريسي، الجعر القاص، ج ١١، ص ٩٧.

^(٣٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨٨ ابن فضل الله المصري، مسلك الأبصار، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٣ الحميري، صفة جزيرة الأتلس، ص ١٧٠.

^(٣٩) السمار: بكسر السين المهملة شقته الصفة على ضرب من القطن تصنع منه القصر. ابن القباطي، صفة القطن، ص ١٧٠-١٧١.

^(٤٠) القوم: وهي شجرة القطن، لها خوص كخوص القطن، يقال له القطن والألم، وينتج من خواصها صبر يسمى القطن باسم الخوص، القيدوري، نبات (طبعة لبن ١٩٥٢)، ص ١٦٧.

الأندلسية وكانت هذه التنبؤات تنمو في بطون الأودية، ويقرب من مجاري الأنهار ويستفاد منها في صناعة الحصر، والجمال، والأطباق، والسلال، وما شاكلها^(٦٧).

٣. الثروة الحيوانية

كلى لانتشار المراعي في سفوح الجبال والأودية، وفروج الأندلسية أثر كبير في نجاح تربية الحيوانات، وخاصة تربية الأغنام والأبقار، والخيول والبغال^(٦٨). ولقد أولى الأندلسيون تربية الأغنام والأبقار عناية خاصة، نظراً لأهميتها وفائدتها الاقتصادية الكبيرة، إذ يستفاد منها في مجالات عديدة من بينها الصناعات الغذائية والجلدية والصوفية.

ولازدهرت تربية الأغنام والأبقار في جبل قنارات^(٦٩)، الذي يقع ششمالي مدينة طليطلة وتمتاز أغنامه ولبنانها بالسم، ويضرب بها لسي ذلك المثال في جميع لطار الأندلس، ومنه كلفت تصدر إلى سقر قبلاد^(٧٠).

وتعد مدينة قرطبة من المناطق المشهورة بتربية الأغنام، والمتاجرة بها، إذ يذكر ابن القنظ^(٧١) أنه كان يدخلها من جلالتب العظم في كل يوم ليام درور الجلالتب بها وهي معلومة ما بين سبعين ألف رأس إلى مائة ألف رأس حاشا ليقر^(٧٢).

^(٦٧) الأسل: من الأعلاث، وهو يخرج كصيدا طلقا ليس لها ورق ولا شوك، إلا أن لطارها محددة وليس لها خشب، وقد ينلق الناس هتندونه من أرشبة يستقون بها وحبالا. ويبيت الأسل في بطون الأودية ويقرب من مجاري الأودية والأنهار، وتصنع منه الحصر والعرابيل، قنوي، قنات (لندن ١٩٥٣)، ص ٣٤.

^(٦٨) القريدي، لبح العوام، ص ١٥١ ابن هشام القسبي، المنزل، مع ٢، ص ٢٣١ ٢٣٢.

^(٦٩) جبل قنارات، قروض قرطبي في الأندلس، ص ١٨٩.

^(٧٠) جبل قنارات: يقع شمالي مدينة طليطلة، ويسمى من ظهر مدينة سلم إلى أن يصل إلى قرب مدينة قرطبة في الجهة الغربية من الأندلس، انظر: الإندلسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٢ ابن لصل له القسري، سلك الأندلس، مع ٢، ج ٢، ص ٢٩.

^(٧١) الإندلسي، المصدر نفسه والصيغة نفسها أن فصل الله القري، المصدر نفسه والصيغة نفسها: الحموي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٦ ١٣٣.

^(٧٢) وهو أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم بن نظام الأخباري القريشي، نقل منه ابن حبان. انظر: ابن سلق، فرحة الأندلس، ص ٢٩٦.

^(٧٣) المصدر نفسه، الصيغة نفسها.

ومن المناطق الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بتربية الأغنام والأبقار ومراكز المولشي: جبال^(١)، وإشبيلية^(٢)، وشذونة، والجزيرة الخضراء^(٣)، ولورقة^(٤) (Lorca) وتكمير^(٥)، (Tadmur)، وقلمرية^(٦)، وشلب^(٧)، وجزيرة قيس^(٨)، وميورقة^(٩) (Mallorca)، وقلعة رباح (Cali rava) التي تقع غربي طليطلة^(١٠). ومدينة ملقم^(١١) (Medinaceli) التي اشتهر بتصدير الأغنام^(١٢). واستبحر التي أغار عليها نصارى شمال إسبانيا سنة (٥٦٨هـ / ١١٧٢م) وغنموا منها حوالي خمسين ألف رأس من الغنم، ومائتي رأس من البقر^(١٣)، مما يدل على كثرة أغنامها وأبقارها.

^(١) عن الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرون السادس الهجري، ط١، دار الشرق، بيروت القاهرة، ١٩٨٣ ص ١٩٩. يشير لهذا المرجع فيما بعد: عن الدين موسى، النشاط الاقتصادي.

^(٢) ابن علق، فرحة الأنص، ص ١٢٩٣ عن الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٩٩.

^(٣) هاجنة، الوضع الزراعي، ص ١٩١.

^(٤) قرطاطي، القبائل الأمازيغية، ص ١٥٦ ابن خلدون، لمصالح القبائل الأمازيغية، ص ١٥٦.

^(٥) الحدي، ترسيخ الأغنام، ص ٢.

^(٦) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٤٧.

^(٧) عن الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٩٩.

^(٨) الحدي، صلة جزيرة الأندلس، ص ١٤٥.

^(٩) ميورقة، ومنورقة، وبليسة، هي أكبر جزائر الأندلس في البحر المتوسط، على سواحلها الشرقي، مصالحة لشبانيا وإبليسة، ويسمى بها البحر فيون المحتشون. جزائر البليور، ابن خلدون، صورة الأرض، ص ١١٠. قشتالي، فضائل الأندلس وأهلها، ص ١٥٩، المرقشي، المسجب، ص ١١٥، (هش).

^(١٠) ابن علق، فرحة الأنص، ص ١٢٨٩ ابن خلدون، لمصالح القبائل الأمازيغية، ص ١٤١.

^(١١) مدينة ملقم، مدينة كبيرة بطنجة والصلوات والبساتين والجنات، تقع شرقي وادي المجسرة على بعد خمسين ميلا، انظر: الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٣.

^(١٢) هاجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٩١.

^(١٣) ابن صلب، الصلوات، عبد الملك بن محمد (٥٩٤هـ / ١١٩٨)، فنون الإسلام (تاريخ بلاد الأندلس والمغرب في عهد الموحدين)، تحقيق: عبد القادي القاري، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م. ص ١٢٨-١٢٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن صلب، الصلوات، فنون الإسلام، انظر: عن الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٩٨.

لما تربية الخيل فقد اشتهرت في ليبيا^(١)، وقرطبة وأصغها^(٢)، ودروقة^(٣) (Daroca)، التي عرفت تربية الخيول وتولدها إذ "كل يخرج منها ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل"^(٤). واختصت إشبيلية أكثر من غيرها في تربية الخيول وتولدها^(٥). واشتهرت تربية البغال في مدينة قرطبة، وهي البغال الموصوفة بحسن شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوتها، واشتهرت قرطبة بتصديرها والمتاجرة بها، إذ كانت تتروح لثمتها بين المقاتين والخمسةة دينار^(٦).

(١) ابن حبل، المقنن في أخبار بلد الأندلس، ص ١١٧، ابن خلاب، فحة الأندلس، ص ٢٩٢.

(٢) محمد بن عبد الوهاب القسبي (١١١٩هـ / ١٧٠٧م)، رحلة فوزير في فتكات الأسير، نشر: هريست كاستلي، منشورات مؤسسة الجغرافيا فرنكو (إدت)، ص ٢٢، يشير لهذا المصدر فيما بعد: القسبي، رحلة فوزير.

(٣) دروقة: مدينة بالأندلس، من حل قلعة أبواب عظيمة في سفح جبل، بينها وبين قرطبة خمسون ميلاً، الحميري، فروض المصطلح، ص ٢٣٥،^(١) لغري، ترصيع الأخبار، ص ٦،^(٢) ابن حبل، المقنن في أخبار بلد الأندلس، ص ١١٧، ابن الخطيب، تاريخ لمملكة الإسلامية أو كتاب أصل الأعلام في من يوسع قبل الاحتكام من ملوك الإسلام، ط ٢، تحقيق: ليلي بروفنسال، دار المكتوف، بيروت، لبنان، دار، ١٩٥٦، ص ١٠، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، أصل الأعلام، هادجة، فوضع قراعي في الأندلس، ص ١٩٠.

(٤) باقرت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٤، القزويني، آثار قبلا، ص ٥٥٢.

واشتهرت منطقة الماشا الفاصلة بين الأندلس وقشتالة الجديدة، بتربية البغال، وتعتبر جزيرة سيورقة بتربية البغال^(٢١)، التي تمتاز بحسن السير والسرعة والقدرة على التحمل، واشتهرت بتصديرها إلى بلاد الأندلس^(٢٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الخيل والبغال، كانت تستخدم في الأغراض العسكرية كوسيلة للنقل وحمل الأسلحة والمعدات الثقيلة، كما كانت تستخدم في إدارة الأرحاء التي تطحن الحبوب^(٢٣).

ومن حيوانات الأندلس المشهورة، التي أفاد الأندلسيون من جلودها ولوبلها وفرائها: حيوان السمور^(٢٤)، وكان يوجد بكثرة في جهات شلب^(٢٥)، وتطليقة^(٢٦)، وطرطوشة^(٢٧)، وجزيرة بریطانية التي تصدر جلودها إلى مدينة سرقسطة^(٢٨)، وهي المدينة المختصة بصناعة ثوب السمور^(٢٩).

كما عرفت الأندلس حيوانات الثعلبية^(٣٠)، والفولان، وحمار الوحش، والأيل^(٣١)، والفتيس القبرية، التي تستخدم فرونها في صناعة القصب^(٣٢)، واهتم الأندلسيون بتربية أنواع الطيور، كالنداج والحمام والبط والإوز يعرض أكلها والمناجزة بها والاستفادة من

^(٢١) الفصلي، رحلة الروريز، ص ٢٢.

^(٢٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٠.

^(٢٣) القنري، نوح الطوب، مج ١، ص. عر اثنين موسى، الفشلط الاقصدي، ص ١٢٣٧ كولان، الأندلس، ص ٩٩.

^(٢٤) السمور: هو حيوان بري عيشه من الحرث والسمك القبري، يسبح عليه في الأنهار ويعوض في طلبه، وغصينه هما الجنديقشر، ويخذ من جلده فراء. كثر: ابن المشاء، مفرد الطوم، ص ٣٠، ٣١، ١١٨.

^(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣١.

^(٢٦) الإسطرعي، المسلك والمساك، ص ١٤٤، القنسي، لمس القلقيم، ص ٢٢٩.

^(٢٧) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

^(٢٨) القنري، نوح الطوب، مج ١، ص ١٩٧-١٩٨؛ (رواية القناري في السمور).

^(٢٩) القنري، نوح الطوب، مج ١، ص ١٢٢ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣ ابن شبيب، فرحة الأندلس، ص ٢٨٧-٢٨٨.

^(٣٠) الثعلبية: حيوان أبيض من الأرب، وأطوب في اللحم وأحسن وبراً وكثيراً ما يلبس فرائها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والقساري - كثر: القنري، نوح الطوب، مج ١، ص ١٩٨. رواية (ابن سيدة).

^(٣١) القننسي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٢٧.

^(٣٢) القزويني، نوح الطوب، ص ١٠٥.

زيلها في إصلاح الأرض^(١). وانتشرت أنواع الطيور البرية التي يستفاد من لحومها وجلودها وأريشها في مناطق الجبال والغابات الأندلسية. كما شغلت البانسية والقبالة، والبارج واليملم، والطولويس، والقرطال، والحجل، والنعلم، واليزاة، والنسور^(٢). وكثرت القبرة في بلجة^(٣)، والأشبونة، وتعد بيزة الأشبونة من أحسن البيرة^(٤). كما كثرت النسور في منطقة الجزيرة الخضراء. فتي تعد من المناطق المشهورة بتصيد جلودها والمتاجرة بها، إذ كانت هناك مناطق خاصة لصيد الطيور كما ينكر العدري^(٥) جاعتى الأندلسيون بترية قتل من أجل إنتاج الصل، وذلك في مناطق إشبيلية^(٦)، وبلجة^(٧)، وأوربة^(٨)، وبلش^(٩). وقتورية^(١٠) (Cantoria)، وجبل، وقرمونة^(١١)، ولشبونة (الأشبونة)^(١٢)، وقصر أبي دافس^(١٣) (Alcacer do sal)، وشاب^(١٤)، وبرشلونة^(١٥).

(١) ابن حجاج للإشبيلية، المقنع في الفلاحه، ص ١٧٧، أبو الخير الأندلسي، الفلاحه، ص ٧٢-٧٦، عر القديس موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٢، حايطة، فوضع الزراعي في الأندلس، ص ١٩٢.

(٢) القرطبي، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٦١، ٦٢، ٧٧، ٩١، ١٠٥، ١١٩، ١٢٣، ١٤٥.

(٣) قرطبي، جغرافية، ص ٨٥.

(٤) ابن غلب، فرحة الألفس، ص ٢٩١.

(٥) ينكر العدري أنه يوجد في سائر الجزيرة موضع معروف على البحر لصيد الطيور، وأنه في كل أو في من قدام جس من الطير لا يأتي في غيره، وذلك المواضع مستملكة عنهم ويكتونها في صيقات بينهم، وينالونها بالأسل الكبار، ومن عنهم يجلب جلد قشر القمب إلى كثير بلاد الأندلس. وتعد هذه البحارة لى الصيد كل يدرب كحرفة يعتمد عليها بعض سكان في معيشتهم. انظر: العدري، ترصيع الأخبزر، ص ١٢٧-١٢٨.

(٦) العدري، ترصيع الأخبزر، ص ١٩٦، ابن غلب، فرحة الألفس، ص ٢٩٢، القزويني، آثار البلاد، ص ٤٩٧.

(٧) ابن غلب، فرحة الألفس، ص ٢٩٠، ابن سعيد، المقرب، في حلى المغرب، ج ١، ص ١٤٠٣، أبو القدام، تقويم البلدان، ص ٦٦٨.

(٨) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ١٨٦، ابن الخطيب، ريمانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩٢.

(٩) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ١٨٦، ابن الخطيب، ريمانة الكتاب، مج ٢، ص ٢٩٢.

(١٠) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٥.

(١١) عر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٢.

(١٢) ابن غلب، فرحة الألفس، ص ٢٩١، القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٥.

(١٣) قصر أبي دافس: من مناطق غربي الأندلس. القسوي، الفروض السطلي، ص ٤٧٥.

(١٤) عر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٠٢.

٤. الثروة المائية

تشتهر الأندلس بطول سواحلها وكثرة أنهارها^(١)، لذا فإنها كانت غنية بمنتجاتها وخاصة من الأسماك، والخير والمرجان، واللؤلؤ.

١. الأسماك

كل السمك والحيات أكثر ما يصاد في سواحل الأندلس^(٢)، خاصة في مناطق المنكب^(٣)، وبزليقة^(٤) (Bezmliana)، وشونة^(٥)، ومريكة^(٦)، وجزيرة شلطي^(٧)، وفي الأنهار مثل نهر الإيزر^(٨) (Ebro)، والوادي الكبير^(٩)، ووادي طرطوش^(١٠) ووادي رقة^(١١) (Guadiana). وكل السمك يحمل من السواحل إلى المناطق الداخلية، حيث كل يباع في أسواق قرطبة^(١٢)، وبشيلية^(١٣)، ومندوجر^(١٤) (Mondujar) وغيرها.

^(١) العميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٩.

^(٢) القري، فتح الطيب، مج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

^(٣) ابن سينا، بسط الأرض، ص ٤٥.

^(٤) الإبري، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٤.

^(٥) بريقة: قرية على ساحل البحر قريبة من ملقة يصطاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى مناطق البحار. الإبري، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٥؛ العميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٤.

^(٦) ويوجد في سواحلها حوت القن، الذي سميت به عن غيرها العميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٩.

^(٧) ابن الخطيب، مشاهدات على القن، ص ٧٥.

^(٨) ومنها يحمل السمك مملحا إلى بشيلية القري، فتح الطيب، مج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

^(٩) بحر الإبر: ينبع من جبال البرت، ويجري من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر المتوسط بالقرب من طرطوش، ويبلغ طوله أربعة مائة ميل ونوب. ويوجد فيه صنف من السمك يقال له قترحت، وهو سمك ليس له إلا شوكة واحدة قشر قزحي، الجمهرية، ص ١٨٢ ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٣٠٨ قزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٥.

^(١٠) وفيه من السمك والحيدل العظيمة كالبوريك والقنيلات. القزوي، الجمهرية، ص ٨٨.

^(١١) وفيه الحوت الطيب من القري والقزويني، آثار البلاد، ص ٥١٥.

^(١٢) وفي رقة (قن) ينبع من المنطقة الواقعة على جبل شلر، ويصب في المحيط الأطلنسي، ويبلغ طوله ثلثمائة ميل. وفيه حوتان كثيرة سفر الكولي. انظر ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٣٠٨ القزوي، الجمهرية، ص ٩٧.

^(١٣) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٤.

وتجدر الإشارة إلى أن اصطواد السمك كان يمارس كحرفة تشكل مصدر رزق لبعض السكان. وكان صيادو السمك يستعملون شبكة الحرير والصنابير الحادة في صلب الصيد^(٢).

٢. الفخير

وكان الفخير^(١) مستخرج بكثرة من مولد الأندلس الغربية^(٢)، وقد اشتهرت به مدينة شلب^(٣).

والأشبونة (شبرونة)^(٤)، والكشونة (لکشونوة)^(٥) وشخنة إذ وجد في موانئها الفخير الذي لا يقل جودة عن الفخير الهندي^(٦).

=

(١) الفخري: فتح الطوب، مج ١، ص ١٦٨.

(٢) مذكور: حسن يقع بالقرب من القربة، الإسباني: فرقة البشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٦ المصري: صفة جزيرة الأندلس ص ١٨٥.

(٣) الأشبوني، صفة الفخير، (٥٧٩ هـ / ١٢٠٠ م) خريد القصر وجريدة القصر، تحقيق: لارانش لزنوش، وأخرى، ج ٢، دار التونسية للفن، ١٩٧١ م، ص ٢٩٩ - ٣٠٠، يشير لهذا المصدر فيما بعد: الأشبوني، خريدة القصر، ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٤) الفخير: هو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة، إلا إذا سكت أو أفرغت، فله حينئذ يذبح منها راحة تكية، وقيل الفخير روث بعض السمك البحرية، أو نبات يذبح في البحر أو يبع من في البحر - فطر ابن قتيبة، صفة السمك، ص ١٢٠ الفخري: فتح الطوب، مج ١، ص ١٩٩.

(٥) الفخسي: أصل الفخسيم، ص ١٢٣٩ ابن شلب، فرقة الأندلس، ص ١٣٠٨ ابن قتيبة، صفة السمك ص ١٣٠.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٣٨٠.

(٧) ابن شلب، فرقة الأندلس، ص ٢٩١، ١٣٠٨ يلقون العموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥، ج ٥، ص ١١٦ القرويني، فنر البلاد، ١٥٥٥ شوخ القرب، شمس الدين أبي عبد الله الأصبغري، الفخشي (٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م)، كتاب نسخة القصر في عجائب القرب والبحر، ١٩٢٣، Poble, Par A. Mehren, ص ٢٤٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد: شوخ القرب، نسخة القصر، الفخري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٥٢.

(٨) ابن شلب، فرقة الأندلس، ص ١٢٩١ يلقون المصري، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٤٠ شوخ القرب، نسخة القصر، ص ١٢٤٥، الفخشي، مرشد الإطلاخ، ج ١، ص ٨-١٠ الفخري، تلخيص الأثر، ص ١٣٥.

(٩) ابن سعيد، بطل الأرض، ص ١١١ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٢.

كما وجد القنير في ساحل شنترين^(١) وشذونه^(٢)، وهو من أجود أنواع الطير،
ومعها كان يصدر إلى قرطبة ومصر، وكانت تباع الأوقية منه في الأندلس بثلاثة مثاقيل
ذهباً، وفي مصر بعشرة دنانير^(٣).

٣. المرجان واللؤلؤ

لما المرجان فكان يستخرج^(١) من سواحل الأندلس الجنوبية.
وخاصة من ساحل بلش^(٢) والجزيرة الخضراء^(٣) وساحل بحر البيرة الذي
يستخرج منه المرجان بكميات كبيرة، حتى أنه استخرج منه في أقل من شهر نحو ثمانين
كطراً كما ينكر البكري^(٤).
ويستخرج اللؤلؤ من نهر الوادي الكبير^(٥)، كما كان يستخرج بكثرة من ناحية
مدينة يرشونة، إلا أنه قليل الجودة^(٦). هذا ولا تخفى قيمة اللؤلؤ والمرجان إذ تصنع
منهما قلائد والعقود التي كانت تستخدم كطلي للزينة.

^(١) الإسطرعي، كتاب الأغنياء، تحقيق: مولر، غوتاه، مؤسسة مكتبة المكي: بغداد (١٩٦٢)، ص ٢٢. سيشر
لهذا المصدر فيما بعد. الإسطرعي، الأغنياء: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج ٧، ص ١١٢٨ قرويني، كسر
الهاء، ص ١٥١٢ شيخ القريوة، نسخة الشعر، ص ١٢٤٥ قبله، في تلخيص الأثر، ص ١٢٩
^(٢) ينكر البكري أنه يوجد بحر شذونة لطيب القنير العربي قوردي، البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٥
نظراً للمصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠١.

^(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ١١٩٤ شعري، فتح الطيب، مج ١، ص ١٤٢-١٤٤.

^(٤) يشير المقدسي إلى طريقة استخراج المرجان في " إقليم المغرب " الذي يضم بلاد الأندلس، فينكر أن
المرجان عبارة عن " جبل في البحر، يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم سبيل من خشب قد لغوا عليها
شباب من القتل المحلول وربطوا في كل صلب حبلين، يلتصقا برجلان، فيرميان بالصليب. ويدير القواربي
للغروب، فينطلق بالقوارب (المرجان)، ثم يجدونه، فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دواهم ثم يجل في
أسواق لهم ويبيع جرافاً وخبصاً، ولا يترق له قلب جليه ولا لؤلؤ " . انظر: المقدسي، لصحن التنقيب،
ص ٢٢٩.

^(٥) شيخ القريوة، نسخة الشعر، ص ٢٤٢.

^(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.

^(٧) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٢٩ شعري، فتح الطيب، مج ١، ص ١٤٢-١٤٢.

^(٨) وينكر القورني: " أن شهرته أغلت من وصله " القورني، جغرافية، ص ٨٨.

^(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٢٩ شعري، فتح الطيب، مج ١، ص ١٤٢.

الفصل الثاني

المواد الأولية من أصل معدني وصخري

١. المناجم والمواد المعدنية

عرفت المعدن في إسبانيا منذ القدم، وكان الرومان يستخرجون حثا كبيرا منها، كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص^(١). وقد قام الرومان باستغلال المناجم بالطرق العلمية التي كانت معروفة آنذاك، كما كانت لهم طرقهم الخاصة في ذلك. وكان العمل في المناجم شاقا وخطرا، وقليل الأجر، لذا فقد كان العبيد والسجناء هم الذين يعملون فيها^(٢). وكانت الأدوات المستخدمة في المناجم هي تلك التي عثر عليها حول ودخل المناجم كقفاروس والمصاييح والحللات والمعاول^(٣).

وقد استثمرت المعدن في إسبانيا منذ القدم بصورة، إلا أنها اهتمت في فترة القوطي والاضطرابات في عهد القوط^(٤) (Cotbs) وبعد الفتح الإسلامي للأندلس استغل المسلمون الثروات المعدنية التي كانت منتشرة في مختلف المناطق الأندلسية لصنع استعمال، وقد استعملوا في البداية بغيرات السكان الأصليين حيث استخدموا الأيدي العاملة السابقة، وشاركهم العمل في المناجم جنباً إلى جنب^(٥).

لما عن طبيعة العمل في المناجم، فقد لورد الإدريسي نصا ثثار فيه إلى كيفية استخراج الرقيق من حصن أبال (Ovejo) الذي يقع شمال مدينة قرطبة، فذكر أنه يحصل فيه لأكثر من ألف رجل، قسموا إلى أربع مجموعات:-

(١) شكيب أرسلان، مقال التنقيب في الأخبار والآثار القديمة، ج ١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (بدت) ص ١٨٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: أرسلان، مقال قديمة

(٢) S m., Imaunuddin, The Economic History of Spain Under The Umayyads, (711- 1031 A.C) , Dacca, 1963.P 157-168.

(٣) P 157-158.-Imaunuddin, The Economic History of Spain

(٤) أنور عرفاني، الإسلام في حداثته ونظمه، ص ٣٠٢.

(٥) مني محمود، المسلمين في الأندلس وعلاقتهم بالقرنجة، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٨٦. ص ٢٠٨ سيشار لهذا المرجع فيما بعد: مني محمود، المسلمين في الأندلس

Imaunuddin, The Economic History of Spain.P 158

الأولى: تقوم بمعالجة قطع الحجر من المنجم، والثانية: تنقل الحطب لأعمال الصهر، والثالثة: تضع ألواني سيك الفزيق وتصفهه، أما المجموعة الرابعة فتتولى عملية صهر المعدن في أفران خاصة أعدت لذلك^(١).

ونذكر الإبريسي الذي زار المنجم في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أن عمقه من سطح الأرض إلى أسطه يبلغ أكثر من مئتين وخمسين قلعة^(٢). كما تصنعت الطرق التقنية لمعالجة المعدن وتطويعها من الشوائب المعلقة بها، ومن ذلك ما روي عن الطريقة التي استعملها أهل الأندلس بمنطقة حصن المعدن لتخليص معدن النحاس، وكانت الطريقة المتبعة في السابق أن يلقى بالمعدن المستخرج من الأرض في نيل من الماء الجاري، فيحمل القنار المواد القارية لخفضها ويرسب المعدن الخالص عند مصب النهر، وقد فكر المسلمون بطريقة أخرى وهي دهن المعدن المستخرج بالزيت حيث تنتشع جريئته وتخف وتسير هي المحمولة من قبل القنار، وترسب المواد القارية عند المصب. وقد أثبت علماء الألمان قبل الحرب العالمية الثانية أن المعدن الحاصل بهذه الطريقة هو لنحاس وأسمى^(٣).

أ. المواد المعدنية الفلزية

استخرجت من الأراضي الأندلسية إبان العهد الإسلامي مختلف أسواع المعادن الفلزية، كالذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والزرنيخ، والقصدير^(٤).

^(١) الإبريسي، برقة المشتاق، ج ١٥، ص ١٥٨١ انظر: ابن فضل الله العمري، مسلك الأبرار، ص ٢٠، ص ١٢٩ العمري، صفوة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

^(٢) الإبريسي، برقة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨١ العمري، صفوة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

^(٣) دجاة باشا، تجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن السابع للهجرة، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية: تونس، ١٩٧٦، ص ٦٦، يشير لهذا المرجع فيما بعد. تجاة باشا، تجارة في المغرب الإسلامي.

^(٤) هيكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٠ قرطاجي، القنار الأثوري، ص ١١٩ ابن التبا، سلسلة القسطنطينية، ص ١٢٠ القروصي، أثار قبائل، ص ١٥٠٢ العمري، قروض المصطلح، ص ١٢٦ فيلقوي، تلخيص الآثار، ص ١١٧ العمري، فتح القلوب، مج ١، ص ١٢٣، ٢٠٠.

١. الذهب

لما الذهب فكل يستخرج بكثرة من مجاري الأنهار، وخلصه من رمال لهر لاردة^(١) (Rio Lerida) لحد روافد نهر الأبر^(٢) (Ebro)، وهو النهر الذي تجمع منه برادة الذهب الشالص^(٣).

كما يستخرج الذهب من نهر تاجو^(٤) (Rio Tajo)، وذلك بالقرب من مصبه في المحيط الأطلسي^(٥). ومن نهر شول (Rio Genil)، الذي يمر بطرف مدينة غرناطة، وهو لحد روافد نهر الوادي الكبير^(٦) (Rio Gundi Quivir)، ويستخرج منه الذهب الأحمر الذي يعد من أجود أنواع الذهب وأكثرها طيباً^(٧). ومن وادي حذرا^(٨) (Rio El)

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إسماعيل جباري، ج ٣، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ١٧٤، يشير لحداً قصير فيما بعد ابن حزم، رسائل، فكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٩ قرره في جغرافية، ص ١٨٢ شيخ القروية، نسبة لندر، ص ١٢١٥ المغربي، فتح القليب، ص ١٤٢.

(٢) القزويني، الجغرافيا، ص ٨٢.

(٣) قرطاطي، قبائل الأندلس، ص ١٥٠ ابن الخرافة، لخصصار قبائل الأندلس، ص ١٦٥ المصري، القروية، المعطار، ص ٥٠٧.

(٤) نهر تاجو، ويسمى طليطلة، ينبع من جبال شرقي الأندلس (من منطقة بلاد الجلائقة والبشكون)، ويصب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة الأكويرة، وهو من أطول أنهار الأندلس وأعرضها، إذ يبلغ طوله (٦١٠) كم. ومن أشهر المدن الواقعة عليه طليطلة، وطليطلة وقطرة السهل، بطليوس، تشار: لورسيوس، تاريخ العالم، ص ١٧٧ مسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١٩١ ابن حزم، المقتبس، ج ٥، ص ٢٧٨ - ٢٨٠ ابن شاذي، فرة الأندلس، ص ٣٠٨.

(٥) القزويني، الجغرافية، ص ٨٥.

(٦) ابن سعد، بسط الأرمز، ص ١١٠٠ الكتاني، الإكسير في فلك الأسير، ص ١٧٢ - ١٧١.

(٧) القزويني، الجغرافية، ص ٨٥.

(٨) حذرا أو حذرة. وكان يحرم بهر القرم، ونهر الذهب. وهو يخترق مدينة غرناطة من الشمال إلى الجنوب، وينبع من ناحية قرية ود التي تقع على بعد ستة أميال من غرناطة، وكثيراً ما يجود الذهب في المدينة. نشر القزويني، الجغرافية، ص ١٦٦ ابن الخرافة، لخصصار قبائل الأندلس، ص ١١٧١ بالقوت الحوي، معجم قبائل، ج ٤، ص ١٦٩٥ ابن سعد، الجغرافية، ص ١١٦٧ المصري، القروية، المعطار، ص ١٢٥ الكتاني، الإكسير في فلك الأسير، ص ١٧١.

(Darro) الذي يشق مدينة غرناطة، تستخرج برفقة الذهب الخالص^(١). كما يستخرج منه الذهب الأحمر، وقد توجد في رأس الوادي وفي لسته، " وهذا الذهب إذا اجتمع فبقه يباع مثقاله رقدا على جميع الذهب بالربيع والخص^(٢). ومن نهر طوم^(٣) كانت تستخرج برفقة الذهب الخالص، الذي يعرف بالذهب المعنى^(٤). ويوجد الذهب بكثرة في حصن المعدن الذي يقع بالقرب من مدينة الأثبونة، وتلك في البحر ينسحب بالذهب القبر^(٥) إلى منطقة الخصس وما حوله، وكان أهل تلك المنطقة يخدمون هذا المعدن طيلة فصل الشتاء^(٦) حيث يقومون بجمعه وتناقله من الشواطئ المعلقة به. وكانت مناجم الذهب منتشرة في عدة مناطق بالأندلس، من بينها الأثبونة (الشبونة)^(٧) وفيها معدن غريب الماده من القبر الخالص^(٨)، وإبيرة^(٩) التي اشتهرت بتصديره إلى سائر بلاد الأندلس^(١٠) وتكمير^(١١)، وإريسيا من فرنجولش^(١٢) (Hornachuelos) بمكل بحرف

(١) ابن خرداد، لخصر القبل الأثر، ص ١١٧٤ بالقوت العموي، معجم القبل، ص ١١٩٥ قروني، ثغر قبلات، ص ١٥٤٧ الهادي، مرشد الاطلاع، ج ٢، ص ٩١٠.
(٢) قزيري، الجغرافية، ص ٩٦.

(٣) نهر طوم: ينكر العموي أن هذا النهر ينقسم عند مدينة غرناطة إلى قسمين: قسم يجري في لسل المدينة، وقسم يجري في أملاكها، يجري في بعض حصنها، وتطس الأرحاء عليه خلال منزلها العميري قروني المصطلح، ص ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٥) القبر: اسم يطلق على الذهب وقصبة قبل لتساقطها، وقبل يطلق على جميع الجواهر الذهبية قبل لتساقطها، إلا أنه بالذهب أعرف أكثر. الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م) فتوح المشيكة في صوليط دار السكة، تحقيق: حسن مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٠م، ص ٢٠-٢١، يشير لهذا المصدر فيما بعد. الحكيم، فتوح المشيكة.

(٦) الإبريسي، فرقة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٤٧ ابن فضل الله الصوري، سلك الأبحار، ص ٢، ج ٢، ص ١٢٧ ابن قوردي، غرقة المعجب، ص ١٢٦ العميري، قروني المصطلح، ص ١٦١ السباهي، أوضح المسالك، ص ٢٥/ ٢٥.

(٧) القبري: جغرافية الأندلس، ص ١٢٢٩ بالقوت العموي، معجم القبل، ج ٥، ص ١١٦ القري، تلح الطيب، ص ١، ص ١٤٣، ١٥٢.

(٨) ابن خالب، فرقة الأندلس، ص ١٢٩١ قروني، ثغر قبلات، ص ١٥٥٥ القري، تلح الأثر، ص ١٢٥.

(٩) ابن خالب، فرقة الأندلس، ص ١٢٨٢ بالقوت العموي، معجم القبل، ج ١، ص ١٢١٤ الهادي، مرشد الاطلاع، ج ١، ص ١١١ ابن السطوب، الإحاطة، ص ١، ص ١٠٤ الحكيم، فتوح المشيكة، ص ٢٣ (١٠) قروني، ثغر قبلات، ص ٥٠٢.

بالمرج^(٢٧). وأعظم منجم للذهب في الأندلس يوجد في جهة ثلث بالقرب^(٢٨) (Santiago de Compostela).

٢. الفضة

والفضة من المعادن المشهورة في الأندلس^(٢٩)، وكانت تستخرج من مناجم: بيرة^(٣٠) ومنها تصدر إلى معظم أنحاء الأندلس^(٣١)، ولوشه (Lous) من أصل غرناطة^(٣٢)، ومن جهة إشبيلية^(٣٣)، وجبال قرطبة^(٣٤)، وكبريت من عمل قرطبة^(٣٥)، وقرية كرتش التابعة لها^(٣٦)، وفيها معدن غزير المدة طفق الجودة من قصة الحاصلة^(٣٧). كما كانت الفضة تستخرج من شترة^(٣٨)، وجبال^(٣٩)، وكورة بلجة^(٤٠)، وجبال حمة بلجة^(٤١)، وجبال مرسية^(٤٢)، وفيها توجد معدن فضة غزيرة المدة^(٤٣)، ومنطقة المرج

=

(٢٨) ابن قتيبة، أبو بكر أحمد بن محمد الهذلي (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، لندن، بريل، ١٣٠٢م، ص ٨٧. سيقر لهذا المصدر فيما بعد: ابن قتيبة، مختصر كتاب البلدان.

(٢٩) جورج لوش: تقع على بعد إثني عشر ميلا من حصن سدور. الإنريسي، لزعة الشقاق، ج ٥، ص ٥٧١.

(٣٠) الحميري، قروش المعطر، ص ١٤٠.

(٣١) ثلث بالقرب، تقع في فرك الشامي العربي من الأندلس على ساحل المحيط الأطلسي، وهي قاعدة جليقية، ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٢٧٢ المغربي، نفع الطيب، مع ١، ص ٢٠٠ رواية: (ابن سعد).

(٣٢) الحميري، مروج الذهب، ج ١، ص ١١٩٤ المغربي، نفع الطيب، مع ١، ص ١٤٤.

(٣٣) الإسطرعي، سالك المسلك، ص ١٤٤ ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٢ يقررت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٤٤ ابن الخطيب، الإحاطة، مع ١، ص ١١٠٤ الحمكي، الفتحة المشككة، ص ١٢٤ الحميري، قروش المعطر، ص ٢٤.

(٣٤) قزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.

(٣٥) المغربي، نفع الطيب، مع ١، ص ١٤٨.

(٣٦) الحمكي، الفتحة المشككة، ص ٢٢.

(٣٧) قزويني، آثار البلاد، ص ١٥٥٢ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٦٤.

(٣٨) الحمكي، الفتحة المشككة، ص ٢٢.

(٣٩) الإسطرعي، الأقليم، ص ١٢٢ الهكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩.

(٤٠) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٨١ المغربي، نفع الطيب، مع ١، ص ١٢٢، ٤٥٥.

(٤١) القزويني، المعجب، ص ٢٦٢.

بالتقرب من الفرنجولش^(١٧) وتستخرج القضة بكثرة من كورة تكوير^(١٨) فمن مساحاتها كان يستخرج في كل يوم ثلاثون رطلا كما يذكر القنري^(١٩).

٤. الحديد

والحديد من أكثر المعادن انتشارا في الأندلس^(٢٠)، ويوجد بكثرة في حصن ' قسطنطينية الحديد'^(٢١) إذ يذكر الإندريسي أنه يوجد " بجبله معادن الحديد الطيب المنطق على طيبيه وكثرته "، ومنه كان يصدر إلى جميع أقطار الأندلس^(٢٢).

ويجلب من منطقة برت ولة التي تقع بالقرب من مدينة برشلونة حديد قشلق، وهو حديد أسود تصنع منه آلة الحرب^(٢٣).

وكان الحديد يستخرج من بجلة^(٢٤)، ووادئ لش^(٢٥)، وإبيرو^(٢٦)، وحصن قرطبة^(٢٧) وكورة القرية^(٢٨)، ويكرش من عمل القرية^(٢٩) وجبل أندة من عمل بالتمسية^(٣٠) وجبل

==

(١٧) ابن القتيبة، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٧.

(١٨) القنري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٥٩.

(١٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩، المعجم، فروع المشتكة، ص ١٢٢ القنري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٣.

(٢٠) الإصطغري، مسلك المسالك، ص ١٤٤ المعجم، فروع المشتكة، ص ٢٢.

(٢١) الحميري، القروض المطار، ص ٥٣٩.

(٢٢) الإندريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٤ الحميري، القروض المطار، ص ٤١٠.

(٢٣) ابن القتيبة، مختصر كتاب البلدان، ص ١٨٧ البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩ ابن حبيب، فروع الأندلس، ص ١٢٨٥ القنري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٣.

(٢٤) القنري، ترويض الأخبار، ص ٢.

(٢٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٠ القنري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٣.

(٢٦) قسطنطينية الحديد، حصن يقع على بعد ستة عشر ميلا من مدينة فرنجولش. انظر: الإندريسي، فروع المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٤.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٥٧٤ ابن فضل الله القنري، مسلك الأخبار، مج ٢، ص ٣٧.

(٢٨) القنري، جغرافية، ص ١٠٤.

(٢٩) شيخ القروية، نخبة الشعر، ص ٢٤٢.

(٣٠) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٨٨.

وجبال طليطلة^(١٤) ولورية التي تقع بين دافية وشلمبة^(١٥)، وشلموش^(١٦)، وغريش التي تقع شمال غرب قرطبة وهي من أكثر بلدان الأندلس حدوداً^(١٧).

٤. القلحس

والقلحس من المعادن الموجودة بكثرة في الأندلس^(١٨). وكان يستخرج من جهات: بجاجة^(١٩)، وإبيرة^(٢٠)، وجبال طليطلة^(٢١)، ولكثونية^(٢٢)، ومنطقة حصن المعدن^(٢٣) وأكثر مناطق الأندلس نحاساً هي منطقة شمال الأندلس، كما يوجد فيها القصير^(٢٤) الذي

==

(١) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٢ بالقوت العموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٤٤ لقزويني، أنبار البلاد، ص ١٥٠٢ القيداني، مرشد الإطلاع، ج ١، ص ١١١ ابن القيم، الإحاطة، مع ١، ص ١٠٤ العمري، القروض المصطغر، ص ٢٤.

(٢) حصن قرطبة: ناحية طولها تسعة أيام وعرضها خمسة أيام مسورة بالقوى، شيخ قريوة، نغمة الدهر، ص ٢٤٢.

(٣) العمري، نفع الطيب، مع ١، ص ١٦٢.

(٤) المرآتشي، المعجب، ص ٣٦٢.

(٥) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٥ العمري، نفع الطيب، مع ١، ص ١٨٢.

(٦) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٢ قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٢.

(٧) المرآتشي، المعجب، ص ٣٦٢.

(٨) قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٠.

(٩) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٠ ابن الخراط، لتفصيل القتل الأثافي، ص ١١٧٥ قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٢.

(١٠) فكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٣٠ لقزويني، أنبار البلاد، ص ٥٠٢.

(١١) قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٩.

(١٢) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٢ لقزويني، أنبار البلاد، ص ١٥٠٢ القيداني، مرشد الإطلاع، ج ١، ص ١١١ قصيري، القروض المصطغر، ص ٢٤.

(١٣) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٢ ابن فضل الله العمري، مسلك الأيسر، مع ٢، ص ١٢٩ قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٢.

(١٤) العمري، نفع الطيب، مع ١، ص ١١٤٢ شكيب أرسلان، مقال شمسوية، ج ١، ص ١٨٢.

(١٥) نجاتي، التجارة في الصحوب الإسلامية.

مناطق الأندلس نحلها هي منطقة شمال الأندلس، كما يوجد فيها الصفر^(١) الذي يشبه الذهب^(٢) وكان النحل يستخرج من مناجم حجر النار في إقليم واحة^(٣) (Huerva).

٥. قرطاج وقرطاج

لما معدن قرطاج فكل يستخرج من تولحي: برجة^(٤)، ودلاية^(٥) من أصال
المرية، والبرية^(٦) وثلود^(٧)، وغريش^(٨)، وتكمير^(٩)، ومرحطة^(١٠)، وطليطلة^(١١)
وغري^(١٢).

كما يوجد بالقرب من مدينة لينارس (Linares) من أصال بيلسة مناجم كثيرة
من قرطاج، ومنها كل يسدر إلى معظم بلاد إسبانيا^(١٣).
ومن معدن الأندلس الأخرى: القصدير الذي اشتهرت به مدينة لكثونية، حيث
يذكر تلك الفكرى، ويشير أيضا إلى وجوده في ناحية إفرجة ولون^(١٤) (Leon).

(١) الصفر، هو قشور الحديد، وأصل هو صرب من قشور، والصفر الذهب أيضا، انظر، جواد طلي،
المجلد ٧، ص ١٧٥.

(٢) الفري، فتح الطيب، مع ١، ص ٧٠٠.

(٣) كولا، الأندلس، ص ١٠٤.

(٤) ابن سجد، المغرب في طلي المغرب، ج ٢، ص ٢٢٨؛ الفري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٥٠.

(٥) الفري، فتح الطيب، مع ١، ص ٢٢٢.

(٦) ابن سجد، فرجة الأندلس، ص ١٢٨٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مع ١، ص ١١٠٤؛ المصري، عروض
المعطر، ص ١٢٤؛ فري، الفري، مع ١، ص ١١٩.

(٧) ثلود، بلد بالأندلس، ينسب إليها كحل ثلودى، ويسمى أهلها من قرطاج، ويصل إلى سقر البلاد
البيضاء، مراد الإطلاح، ج ٢، ص ٨٠٩.

(٨) Immanuel, The Economic History of Spain, P 166.

(٩) الفري، عرض الأندلس، ص ٢.

(١٠) ابن سجد، سلة المعطر، ص ١٥٠.

(١١) الإسطر، ملك الملك، ص ٤٢.

(١٢) شكيب أرسلان، الحقل السنوية، ج ١، ص ١٨٢.

(١٣) قصاص، رحلة قوزير، ص ٢٦.

(١٤) الفكرى، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ الفري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢.

ب. المواد المعدنية غير القلزية

استخرجت من الأرضي الأنتيسية إبان العهد الإسلامي أنواع المعادن غير القلزية كالزئبق والكحل، والكبريت والفتوتيا، والزاج والذهب، والزنجرور، والطفلس، والزرجاج، والبلور والأحجار الكريمة، والملح^(١) وغيرها.

١. الزئبق

أما معدن الزئبق فكل ما يستخرج من جهات: جبل^(٢)، وقوطبة^(٣) وشلون^(٤)، ومنها كان يصدر إلى جميع المغرب^(٥). ومن مسطمة^(٦) وبطروش التي اشتهرت بتصديره إلى جميع الأندلس^(٧). وأجود أنواع الزئبق ما كان يستخرج من المعادن الذي يقع بالقرب من مدينة طلمونة^(٨). كما كان يستخرج بكثرة من حصن لبال، ومنه كان يصدر إلى جميع الأندلس^(٩)، ومن منطقة فمس البلسوما^(١٠)، وجبال البرانس (Sierra de Almaden) إذ يوجد فيها معدن زئبق حرير الماد، لا ينقطع، ومنها يحمل إلى جميع الأندلس^(١١).

(١) قرطاطي، كتاب الأثر، ص ١١٩، زكري، الجغرافيا، ص ١٨٩، ابن خلدون، ص ١٣٠، ١٥٠، ١١٧٦، القزويني، كتاب الجغرافيا، ص ٥٠٣.

(٢) ابن خلدون، مختصر كتاب، ص ٨٧.

(٣) شيخ قريوت، ندوة الدهر، ص ٢٤٢، قسري، نفع الطب، ص ٢٠٠.

(٤) شلون، تقع على بعد أربعة أميال من قوطبة. القرطبي، المعجب، ص ٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

(٦) مسطمة: حصن من صل فوريوط بالأندلس، الجغرافيا، مراد الإطلاح، ج ٣، ص ١٢٧٠.

(٧) زكري، الجغرافيا، ص ٨٧.

(٨) قسطنطين، الإشراف إلى محاسن الجغرافيا، ص ١٢٨، أحمد بدر، الحضارة العربية الإسلامية، ص ٥٧.

(٩) الأندلس، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨١، ابن فضل الله العمري، ملك الإسلام، ص ٢، ص ١٣٩، الجغرافيا، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

(١٠) ابن خلدون، مختصر كتاب الجغرافيا، ص ٨٧.

(١١) قسطنطين، جغرافيا الأندلس، ص ١١٢٩، ابن خلدون، نزهة المشتاق، ص ١٢٨٩، بقول القسطنطين، معجم الجغرافيا، ج ١، ص ١٤٩٢، القزويني، معجم المسطقات والجغرافيا، الموجودات، تحقيق غاروق سعد، دار الإحياء الجديدة، بيروت، ط ٤، ١٩٨١، ص ٢٠٣، أشار لهذا المصدر فيما بعد: القزويني، معجم المسطقات، ص ١٠٠، فوريوط، ندوة المعجب، ص ١٥٥، مؤلف مجهول، وصف جند قوطبة الإسلامية، ص ١١٨١، قسري، نفع الطب، ص ١٤٣.

وتعتبر الأنتلس من أشهر مناطق العلم إنتاجاً للزئبق في العصور الوسطى، حتى أنها كانت تصدره إلى سائر الإسلام والكفر كما يذكر المسعودي^(١)، ومن الجدير بالذكر أن إسبانيا لا تزال حتى اليوم من أوائل الدول المصدرة له^(٢).

٢. الكحل

والكحل من المعادن الوفيرة بالأنتلس، إذ كل يستخرج من ناحية طرطوشة الكحل الذي يشبه الكحل الأسفنجي^(٣) والذي يعد من أجود أنواع الكحل^(٤)، ومنها كل يصدر إلى جميع البلاد^(٥)، ومن ناحية بسطة يستخرج الكحل الأسود، من جبل هك يعرف بسجل الكحل الإتمد^(٦)، ومنه يحمل إلى بلاد المغرب^(٧)، كما يستخرج من جبل لمارجرش (لبرت) الكحل الإتمد القرطجني^(٨) ومنه يصدر إلى بلاد المشرق^(٩) واستخرج الكحل الإتمد كذلك من مدينة شودر (Joder) التابعة لمدينة جيلى^(١٠).

٣. الكبريت

ومعادن الكبريت الأحمر والأسفر كثيرة بالأنتلس^(١١)، حتى أن الكبريت الأحمر كان يصدر إلى الهند^(١٢).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٩٤ المقري، فتح الطب، مج ١، ص ١٤٤

(٢) أحمد بدر، القسرة العربية الإسلامية، ص ٥٦-٥٧.

(٣) البكري، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٩ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٤٥ شيخ فريوة، نكتة الدهر، ص ١٢٤ المقري، فتح الطب، مج ١، ص ١٤٢ البهوتي، تلخيص الآثار، ص ١٣١

(٤) القزويني، عجائب المسلوكت، ص ٢٤٨.

(٥) البكري، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٠ المقري، فتح الطب، مج ١، ص ١٤٣ ر

(٦) القزويني، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٦ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٥ ١٥١٢ القزويني، عجائب المسلوكت، ص ٢٤٦.

(٧) القزويني، جغرافية الأنتلس، ص ٩٩.

(٨) الكحل الإتمد هو حجر معروف له معادن كثيرة. ليجود أنواعه الأسفنجي، وهو حجر ينقله قرصان يلقح في علاج أمراض العين، حيث يرفع عنها الماء، ويغري أعصابها وينفع عنها كاسيرا من الأنف والأرجاع. القزويني، عجائب المسلوكت، ص ٢٣٨.

(٩) القزويني، جغرافية الأنتلس، ص ٨٠.

(١٠) شيخ فريوة، نكتة الدهر، ص ٢٤٢.

(١١) البكري، جغرافية الأنتلس، ص ١٢٩ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٢ المقري، فتح الطب، مج ١، ص ١٤٣.

ويوجد الكبريت الأحمر والأصفر بكثرة في جبل البيرلس^(٢)، وتشتهرت منطقة بلبارش (Pallars) التي تقع بالقرب من مرسية بمعدن الكبريت الأحمر، ونظرا لوجوده بكثرة فقد كان يصدر إلى جميع أنطايا الأرض وحلصة إلى الشام، والعراق، واليمن^(٣). كما يوجد معدن الكبريت في مدينة بجقة^(٤).

٤. قنوتيا

وقنوتيا^(٥) من المعادن التي تستعمل في صبغ الفخار^(٦) وكانت تستخرج من مناطق شلويبنة^(٧) وجبال قرطبة^(٨) والبير^(٩) وقرية بطرنة^(١٠) (Paterna) وغيرها معدن قنوتيا الطيبة، التي تعد من أجود أنواعها وتعالجها في صبغ الفخار^(١١).

٥. الزاج والذهب

وتشتهرت الأندلس بمعادن الزاج والذهب^(١٢)، وهذا الأخير كلى يستعمل في صباغة الثياب ودباغة الجلود، وله فوائد علاجية منها أنه يحمي لطف الدم، وينفع في تخفيف لوجاع الأسفل^(١٣)، وقد اشتهرت به مدينة لبلة^(١٤) وككنكة (كوككة)^(١٥) وقرطبة^(١٦).

=

^(١) الفرعي، الجغرافية، ص ٣١

^(٢) القزويني، صلبت المغولقات، ص ١٢٠٢ ابن قزويني، غرقة المعجب، ص ١٥٥

^(٣) القزويني، الجغرافية، ص ٩٩.

^(٤) الحميري، صلبت جزيرة الأندلس، ص ٣٩.

^(٥) قنوتيا، حجر معدي ذو ألوان بيضاء وأصفر، له فوائد علاجية، حيث ينفع في علاج أسرارص الحمير، القزويني، صلبت المغولقات، ص ٢٥٩.

^(٦) ابن المشاء، مفرد الطوب، ص ٢٢، ٩٢.

^(٧) بلقوت الحميري، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٤.

^(٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٥٢ القزويني، ناسخ الطب، ص ١، ص ١٤٢.

^(٩) ابن خالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٢ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٢ البغدادي، مرشد الإطلاق، ج ١، ص ١١١ ابن الخطيب، الإحفاة، ص ١، ص ١٠٤ الحميري، فروض المعطار، ص ٢٤.

^(١٠) بطرنة، تقع على بعد اثني عشر ميلا من مدينة شلويبنة، الإندلس، فرقة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٤.

^(١١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩ الإندلس، فرقة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٤ القزويني، ناسخ الطب، ص ١، ص ١٤٢.

^(١٢) فرنشلي، قنوتيا الأندلس، ص ١١٩ ابن التبايت، صلبت المغولقات، ص ١٢٠ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٢ الحميري، فروض المعطار، ص ٢٢.

ولستخرج الزاج الذي يدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية^(٩) من جهات
لينة^(١٠) وإشيلية^(١١)، وكثكة^(١٢) لما معدن الزنجفور (السجور) فكان يستخرج من مناطق:
مسلمة^(١٣) وقصص قرطبة^(١٤) وجبال الأيراق^(١٥) ومن حصن لبéal الذي تشتهر بتصنيع
الزنجفور، ومنه كان التجار يحملونه إلى جميع قطار الأرض^(١٦).

٧. معدن الطلل

كان معدن الطلل يستخرج من جبل يقع بالقرب من طوبلة يعرف بـ " جبل
الطلل " واشتهرت طوبلة بتصديره والمتاجر به^(١٧)، ومن قرية معلم وبها معدن "
الطلل الأكنسي " الذي يمتاز بجودته وكثرته^(١٨).

٨. معدن الزجاج والبلور

=

^(٩) القزويني، مجلد الطبقات، ص ١٢٦٥ ج ٢، طي، الفصل، ج ٧، ص ٥٢٠.

^(١٠) قرطاطي، كتاب الأثر، ص ١٥١ القزويني، آثار قبائل، ص ١٥٥٥ ابن سبيح، المشروب في طي

المغرب، ج ١، ص ١٣٣٩ المصري، صفة جزيرة الأكنس، ص ١٦٨.

^(١١) شيخ الفريوط، نسخة الدهر، ص ٢٤٤.

^(١٢) القزويني، آثار قبائل، ص ٥٥٢.

^(١٣) جود طي، الفصل، ج ٧، ص ٥٢٠.

^(١٤) قرطاطي، كتاب الأثر، ص ١٥١ القزويني، آثار قبائل، ص ١٥٥٥ ابن سبيح، المشروب في طي

المغرب، ج ١، ص ١٣٣٩ المصري، صفة جزيرة الأكنس، ص ١٦٨.

^(١٥) الزخري الجبر، ص ١٨٩ ابن سبيح، المغرب في طي المغرب، ج ١، ص ١٣٣٩ المصري، صفة جزيرة

الأكنس، ص ١٦٨ المغربي، نصح الطيب، ص ١، ص ٢٠١.

^(١٦) شيخ الفريوط، نسخة الدهر، ص ٢٤٤.

^(١٧) المغربي، نصح الطيب، ص ١، ص ٤٥٥.

^(١٨) شيخ الفريوط، نسخة الدهر، ص ٢٤٤.

^(١٩) ابن سبيح، فرحة الأكنس، ص ١٢٨٩ والقوت المصري، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٩٢ القزويني، عجائب

المطولات، ص ١٢٠٣ شيخ الفريوط، نسخة الدهر، ص ١٢٤٤ البغدادي، مرشد الأتلاخ، ج ١، ص ٢٢٠.

^(٢٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨١ المصري، صفة جزيرة الأكنس، ص ١٠٠، مختلفة، ملحق

حضارية، ص ١٩٢.

^(٢١) المغربي، نصح الطيب، ص ١، ص ٢٠١.

^(٢٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١١١ قرطاطي، كتاب الأثر، ص ١٦٨ ابن الخراط، لتضمين

كتاب الأثر، ص ١٦٨ شيخ الفريوط، نسخة الدهر، ص ١٢٤٤ المصري، القزويني، المطال، ص ٥٥٥.

لما فزجاج، فقد استنبط الأندلسيون صناعته من الحجارة^(١) والبلور الصخري، وكلفت معالنه متوافرة في مدينة طرطوشة^(٢) ويقرب من مدينة لبللة^(٣)، ونكر القفري أن في مدينة المرية نوعا من الحصى يشبه اللد في رونقه، وله أولى عجيبة، كان يتخذ للرخوف والزينة، ومنها كل يصدر إلى سائر البلاد^(٤).

وكان قبلور^(٥) من المعادن الوفيرة بالأندلس، خاصة في منطقة جبل شجيران التي تقع شرقي مدينة لبللة^(٦)، وفي ملحمة لوزقة من عمل تميم^(٧).

كما أشار الحميري إلى وجود معدن لها (قبلور) في شمالي بطليوس^(٨) على بعد أربعين ميلا منها^(٩).

٩. الأحجار الكريمة

واشتهرت الأندلس بأنواع الأحجار الكريمة كالياقوت واللازورد والجزع والزمرد والبربرجد، والمرقشوش، والشاننج، والمغناطيس، والحجر البهبدي واليهودي وحجر لطلق^(١٠).

^(١) حجر فزجاج: فزجاج أنواع كثيرة يصير بواسطة النار ويثخن بأول كثيرة لأنه من بين الأحجار، ويهيل إلى كل صيغ يصيغ به، ومن خواصه أن يحل الأستل، ويثبت الشعر إذا طلي به في الفروق. قزويني، عجائب المخلوقات، ص ١٦٦٢ ابن سعاد، المغرب في جلي المغرب، ج ١، ص ١٣٣٣ القفري، نفع الطيب، ص ٣، ص ٣٧٤.

^(٢) قزويني، آثار البلاد، ص ١٥١٥ القفري، تلخيص الأثر، ص ١٢١.

^(٣) Imasuddin, The Economic History of Spain, P168-169.

^(٤) القفري، نفع الطيب، ص ١، ص ٢٠١ روية. (ابن سعاد) عن قتيب موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٧.

^(٥) قبلور صنف من فزجاج إلا أنه أصعب، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف فزجاج، وقبلور يصيغ بأول قياقوت غشبه القياقوت، قزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٥٠.

^(٦) القفري، حجر لبللة الأندلس، ص ١١٢٧ القفري، نفع الطيب، ص ١، ص ١٤٢.

^(٧) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٣٠٨ القفري، نفع الطيب، ص ١، ص ١٤٢.

^(٨) بطليوس: مدينة من مدن كورة مالقة في الأندلس، تقع على نهر وادي أنه (Rio Guadiana) قرطاجني، القياس الثموني، ص ٣٣.

^(٩) الحميري، فروض المعطار، ص ١٣٣ السيد عبد العزيز مسلم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٢، ص ١٤٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الحميد مسلم، قرطبة حاضرة الخلافة.

لما القلوت فهو نوع من الأحجار الكريمة التي كانت تستخرج بكثرة من نواحي الأندلس، حيث يوجد القلوت الأحمر في ناحية حصن ملت ميور من أعمال مالقة، إلا أنه نادر جدا ولا يصلح للاستعمال كما يذكر البكري^(١) ويوجد في ناحية المريسة حجر يشبه القلوت الأحمر^(٢) وبلغرب من قرية ناشرة من أعمال بجلقة يوجد القلوت بالشكل مختلفة وكنهه مصنوع، وهو حسن اللون، صبور على النار^(٣).

واللزورد نوع من الأحجار الكريمة، وهو عبارة عن حجر رملي يحتوي على الكبريت المشع ذي اللون الأزرق، وكل ما استعمله شقعا في الأندلس إبان العهد الإسلامي^(٤) واستخرج اللزورد الجدد بكثرة من ناحية لورقة^(٥) وجبل شلير^(٦).

والجزع من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توصل في الأختام، وقد تحفر عليه كتبه أو صور^(٧) وكل ما يستخرج من جبل يقع بلبرب من مدينة الأندلس^(٨) ومن الأحجار الكريمة الأخرى الزبرجد والرمرد، وهذا الأخير حجر أخضر اللون تتخذ منه الفصوص^(٩) وقد اشتهرت بهما مدينة غرناطة^(١٠).

—

(١) ابن خلدون، صلة السط، ص ١٢٠، القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٢، ابن الخطيب، النسخة البترية، ص ١١٠، البكري، تلخيص الأثر، ص ١١٨.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨، انظر: ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٣٠٨-٣٠٩، تفسير، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٧.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٨، ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٣٠٩، القزويني، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤١.

(٥) Imamoddin, The Economic History Of Spain, P 170.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٣٠٨، قرطبي، كتاب الأثر، ص ١٥٢، شيخ قريوة، نسخة القدر، ص ١٢٤٥، القزويني، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٧.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٠٥.

(٨) جوك طي، الفصل، ج ٧، ص ٥١٧-٥١٨.

(٩) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٩٩.

(١٠) جوك طي، الفصل، ج ٧، ص ٥١٩.

(١١) ابن الخطيب، النسخة البترية، ص ٤٠.

والمركشيتا حجر كان يستعمله الزجالون^(١) وله أصلان منها ذهبية فضية وحسبية، وجميع أصلها بفلسطين الكبريت، وتدخل في كثير من الصناعات^(٢) وكانت المركشيتا الذهبية تستخرج من جبال أهدة وهي مركشيتا لا نظير لها في الدنيا، وكانت تصدر من الأندلس إلى جميع الأقاليم^(٣)، كما كانت تستخرج المركشيتا بمختلف أصنافها من جبل شلير^(٤).

والشاذنج (قشانة) وهو حجر يقطع الدم، وينفع في مدونة العرس وخشونة الأجفان، ويستعمل في تلك التذاهيب^(٥) وكل يستخرج من جبال قرطبة^(٦).

وحجر المغناطيس الجلب للحديد يوجد بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير^(٧)، والحجر البجادي يوجد بلحية مدونة الأسيمة في جبل هناك يتلأأ فيه ليلاً كالسراج^(٨). أما الحجر اليهودي، فهو حجر يشبه حبة البلوط، وله خاصية تقويت الحصا التي تذكر في المثالة والكلية^(٩) وكل يوجد في ناحية صح أهيونت (Al Puente) من أعمال بلنسية^(١٠)، وفي جبل يقع بين الأسيمة وشقرة^(١١)، والمغنيسا وحجر الطلق^(١٢) من المعادن الموجودة بكثرة في الأندلس^(١٣).

^(١) ابن الحشاش، مفيد العلوم، ص ٨٢.

^(٢) قزويني، عجائب المسوقات، ص ٣٧٨.

^(٣) قزويني، عجائب المسوقات، ص ٣٧٨.

^(٤) ينكر البكري أن حجر المركشيتا الذهبية يوجد في جبل أهدة. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٨ المقري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢.

^(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مع ١، ص ١٤٢.

^(٦) ابن الحشاش، مفيد العلوم، ص ١٢٧ المقري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢، ٥٢٠.

^(٧) قزويني، آثار البلاد، ص ١٥٥٢ البكري، تلخيص الآثار، ص ١٢٣ المقري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢، ٥٢٠.

^(٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٨ ابن علق، فرحة الأندلس، ص ٣٠٩، شيخ القربوة، نسخة الدهر، ص ١٢٤٥ المقري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢.

^(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٨ ابن علق، فرحة الأندلس، ص ١٣٠٨ شيخ القربوة، نسخة الدهر، ص ١٢٤٥ المقري، فتح الطيب، مع ١، ص ١٤٢.

^(١٠) البكري، فروق المسطر، ص ٢٢.

^(١١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٢٨ البكري، ستة جريدة الأندلس، ص ٥٦.

١٠. الملح

والمالح من المنتجات الأندلسية، وكل يستخرج بكموف كبيرة من جبال مرأسطة التي تشتهر بمعدن الملح القزاني وهو الملح الأبيض الصافي الأمس الذي لا يوجد في غيرها من بلاد الأندلس^(١) كما استخرج الملح بكثرة من مناجم قباض والقروية^(٢) ولقت^(٣) وأجيرة بإسنة (Ibiza)^(٤) وطالقة^(٥). وعرف مسلمو الأندلس طريقة استخراج الملح بالفتخور، وذلك بطلب الماء المالح إلى برك وأحواص حلصة، وتركه لحرارة الشمس حيث يتبخر الماء ويترسب الملح في قاع البرك والأحواص^(٦).

١١. مود لأفري

يوجد بالقرب من إشبيلية معدن القزاني، ويعرف بـ "ثراب القهد"، ومنه يصنع القهد، وهو نوع من القزاني يدخل في تحضير الأصباغ، وكانت إشبيلية محتصة في صناعته^(٧) ويوجد فيها نوع آخر من القزاني يخلط بالحقق فلا يمتاز عنه لمجاسته له، لذا كلى يعجن ويطن ويؤكل^(٨).

~

^(١) يذكر العميري أن هذا الجبل يقع غربي شترين على بعد خمسين ميلا، العميري، المسروض المصطوف، ص ٣٣.

^(٢) حبر الطلق: وهو نوع من ليس يخلط القزاني قباض، ولعمري رقيق القزاني الميس، وهو حجر شريف يأتي على الرصاص والفضة والحديد فيحولها إلى فصة، انظر: القزوي، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٦.

^(٣) القزاني، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩ القزاني، نفع الطيب، مج ١، ص ١٤٢.

^(٤) القزاني، ترصيع الأخبار، ص ١٢٢ والقزاني، معجم القلندر، ج ٢، ص ١٢١٢ ليس القلندر، صفة القلندر، ص ١٥٠، ١٧٦، العميري، قزوين المصطوف، ص ١٢١٧ القزاني، نفع الطيب، مج ١، ص ١٥٠.

^(٥) كولان، الأندلس، ص ١٠٩.

^(٦) القزاني، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨.

^(٧) القزوي، المساحات المغرب، ج ١١، ص ٩٧.

^(٨) ابن المصطوف، محمد بن أحمد الأموي (٢٩٩هـ / ١٠٠٨م)، كتاب القزاني والقزاني، تحقيق: ب. شافيتا، كورنيل، المعهد الإسباني القزاني للثقافة، مدريد، ١٩٨٢، ص ١٩٩-٢٠٠، ١٠٢، موشو لهندا المصدر فيما بعد: ابن المصطوف، القزاني والقزاني.

^(٩) القزاني، المساحات، ص ٨٩.

^(١٠) المصدر نفسه، ص ٨٩.

وفي مجريط^(١) (Magerit) نوع من القرب كان يستعمل في صنع الجرام قنسي
تمتاز بلقوة والمنقطة، والقذرة على مقلومة القار^(٢)، كما يوجد في مدينة لورقة معادن
ثرية صفراء ومنها كلفت تصدر إلى كثير من الأقطار^(٣).
وفي قرية مغام قنسي تقع بالقرب من طابطة نوع من القطين كقنسي يستعمل في
تنظيف وغسل الشعر^(٤)، كما كان يستعمل كمادة غذائية في * هو نهلية في لدانة الأكل *
كما يذكر الإدريسي، ومنها كان يأخذ التجار إلى سائر بلاد المغرب^(٥) وقشام والعراق
وبلاد القزح^(٦).

٣. مقاطع الرخام والحجر

اشتهرت الأندلس برخامها المتعدد الألوان كالأبيض والأحمر والقهيري
والمجرع^(٧)، وكانت مقاطع الرخام موجودة في نواح عديدة من الأندلس خاصة بـبيرة^(٨)
وعطيلبة التابعة لها، وقد اشتهرت برخام الأبيض^(٩) وفي ناحية سبيلية من أعمال
ببيرة رخام الأبيض الملكي للصنع اللون^(١٠) وفي المرية الرخام الصقيل الملوكي^(١١)
وفي ناحية بكارش من عمل المرية^(١٢) جبل المرمر (الرخام) الملون^(١٣)، كما استخرج

^(١) مجريط، في القزح الجوفي (قشمال) من الأندلس، وهي مدينة شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن
قرشلي، نقاش الآثار، ص ٥٧.

^(٢) قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٩-١٨٠.

^(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦١-٥٦٢ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧١.

^(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٢ بالقوت المصري، معجم قبائل، ج ٥، ص ١٦٦ في فصل الله
قصري، مسالك الأندلس، مخ، ج ٢، ص ١٢٩ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٢.

^(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٢ في فصل الله قصري، مسالك الأندلس، مخ، ج ٢، ص ١٢٩
قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٢.

^(٦) بالقوت المصري، معجم قبائل، ج ٥، ص ١٦١.

^(٧) أبو قتادة، تواريخ قبائل، ص ١٦٧ في قبائل، صبح الأندلس، ج ٥، ص ٢٢٧.

^(٨) قزويني، آثار قبائل، ص ٥٠٢.

^(٩) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٨٢، رواية: (فرقي).

^(١٠) شيخ قزويني، نزهة المشتاق، ص ٢٤٣.

^(١١) القندي، فضائل الأندلس وأطرافها، ص ٥٨.

^(١٢) المراكشي، المعجم، ص ٢٦٢.

الرخام بكثرة من مقاطع: ملوثة^(١) (Merida) ومرقطة^(٢) وادي المنصورة
(Guadalmazor) الذي يقع شمال شرق المرية، وطركومة (Tarragone) وهي من
أكثر بلاد الأندلس رخاماً، ويوجد فيها الرخام الأبيض والأسود^(٣) واشتهرت فريش
برخامها الناصع القيلص الشديد الصفاء^(٤) وهو الرخام المنسوب إليها، والذي يعد من
أجود أنواع الرخام، وأصنه ديواناً ولشده صلابة^(٥). كما اشتهرت جبال قرطبة بالرخام
الأبيض الناصع اللون والخمري^(٦) وكذلك منطقة الفحص التابعة لها حيث اشتهرت
بمقاطع الرخام الأبيض^(٧).

واستخرج الرخام بكثرة من مقطع المنستير (Almonaster) الذي يقع في مفتح
جبل قرطبة^(٨)، ومن قرية بشرة من أعمال المرية، إذ كان فيها مقطع عجيب للعبد^(٩)
واشتهرت باغة التابعة لقرنطة بكثرة الرخام العريب الموشى بالحمرة والصرة وغير
ذلك من الرخام الجمالك والمجزع^(١٠).

هذا وقد أشار الزهري إلى المصيق المسمى بعين الأسود^(١١) وذكر أن هذا
المصيق خلقه الله تعالى شفا في جبل من الرخام الأحمر له حافتان عن يمين وشمال
ارتفاع كل واحدة منهما خمسون قلماً، وطوله أربعة فراسخ^(١٢).

»

(١) شيخ الفريوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

(٢) ملوثة: تقع غرب قرطبة، وهي مدينة حصينة كانت قاعدة للحكام الرومان الذين قاموا فيها منشآت صنيعة
لا زالت باقية إلى اليوم كقنطرة والسلب وخزان المياه. انظر: ابن الشباط، صلة السمع، ص ١١٤٧
البيدادي، مرآة الإطلاع، ج ٢، ص ١٢١٨ العمري، القوس المطول، ص ٥١٩.

(٣) العمري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٣ العمري، صلة جزيرة الأندلس، ص ٩٦.

(٤) ابن عديم، القرنطاني، جلة القراء، مع ١، ص ٢٦.

(٥) العمري، صلة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦.

(٦) الأندلسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٤ ابن عبد الله العمري، مسلك الألبان، مع، ج، ص ٣٧.

(٧) شمري، نفع الطوب، مع ١، ص ٢٠١. رواية: (القرقي) اختلافه ملاحح حصانية، ص ١٩٤.

(٨) شيخ الفريوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٢.

(٩) شمري، نفع الطوب، مع ١، ص ٥٥٥. رواية: (ابن بشكوك).

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٠١. رواية: (القرقي).

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٠١. رواية: (القرقي) اختلافه ملاحح حصانية، ص ١٩٤.

(١٢) ابن الأسود، مصيق يقع على بعد ثلاثين فرساً من مدينة مرسية، انظر: الزهري، الجعرافية، ص ١٠٠.

لأما مقاطع الحجر فكانت موجودة بكثرة في جهات قرطونة^(١) وأربطة^(٢) والمريسة وهي من الموانع المقصودة بالحجر، حيث أحاطت بها الصخور والأحجار الصلبة المضرسة من جميع الجهات^(٣) كما كانت الأحجار تنقطع من جبال قرطبة، ثم تنقل على المجل إلى موانع البناء^(٤) ومما يدل على كثرة مقاطع الحجر في الأندلس أن مدينة لزهراء^(٥) (Alzahra) التي أُنشئت في عهد الخليفة عبد الرحمن الداخل (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) كانت تشتهر في كل يوم لكثرة من سبوا آلاف صخرة من الصخر المحفور المحكم المعدل لخرص البناء^(٦).

واستخدم الجص والجير لتثبيت الأحجار وتبويض الجدران وتزيين المباني، وكان الجص يستخرج بكثرة من جبال حصن الحمة، إذ ينكر الإنريسي أن "جبال هذه الحمة كلها جص" وكل الجص يحرق فيها وينقل إلى مدينة المري حيث يباع بأرخص الأتمل نظراً لكثرة^(٧).

واشتهرت مرسطة بكثرة جصها وجورها، لذلك كانت تعرف بـ "المدينة البيضاء"^(٨). وذكر ابن غالب أنه كان يورد إلى مدينة لزهراء في كل يوم خمسمائة حمل من الجص والجير^(٩)، مما يدل على كثرة في الأندلس.

هذا ويلاحظ مما تقدم وفرة المواد الأولية، وتنوعها في أرجاء الأندلس، ومدى اهتمام الأندلسيين في استثمارها واستثمارها للصناعة، الأمر الذي انعكس على

(١) قرطبة، الجبر، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) قصري، قروض المطار، ص ٤٦١.

(٣) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج ٢، ص ١٢٠٤.

(٤) الإنريسي، لوحة المشتق، ج ٥، ص ٥٦٢.

(٥) عبد العزيز سليم، قرطبة حاضرة الممالك، ج ٢، ص ١٥٢.

(٦) لزهراء، تقع غربي قرطبة. وقد بُنيت بطلبها في سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦م) بأمر من الخليفة عبد الرحمن الداخل.

(٧) القاصر، ابن حذاري، قبيل، المغرب، ج ٢، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٨) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٣٠٠، ابن حذاري، قبيل، المغرب، ج ٢، ص ٢٢١، ابن الصطوب، أصل

الأعلام، ص ٢٨.

(٩) الإنريسي، فرحة المشتق، ج ٥، ص ٥٦٦.

(١٠) قصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٦.

(١١) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٣٠٠.

تخدم الصناعة وتطورها - كما سنرى- وأدى بالتالي إلى نمو الحركة الاقتصادية
والازدهارها، مما كفى له أكبر الأثر في تنشيط الاقتصاد الأندلسي، وإشاعة الرخاء
والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكّنهم من السير قدما نحو التقدم والازدهار، وهذا ما
سنلاحظه بصورة جلية خلال دراستنا للصفحات القادمة.

الباب الثاني

أنواع الحرف والصناعات الأندلسية

تبعته حركة الفتح الإسلامي للأندلس فترة من الركود والكساد الصناعي، إذ توقف
الصناع عن الإنتاج نتيجة لحالة القوضى وعدم الاستقرار. كما أضحى هذا الفتح هزة في
المجال الاقتصادي بسبب الظلم الهائلة التي حصل عليها المسلمون من المدن المفتوحة
مثل: لشبونة ولشبونة المدعوة من الذهب والفضة والمرصعة بأنواع الأحجار
الكريمة^(١)، ومن ذلك ما وجدناه في مدينة طليطلة (Toledo)، حيث ذكر الإدريسي أنهم
وجدوا فيها مائة وسبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة النفيسة، وألف
سيف مجوهر ملكي، كما وجدوا فيها من الدر والياقوت وأنواع كثيرة من الذهب والفضة
كثير^(٢)، مما يدل على تقدم هذه الصناعة وازدهارها في إسبانيا قبل الفتح
الإسلامي.

وكل عهد قولا (٩٥-١٢٨هـ / ٧١٣-٧٥٥م) عهد اضطراب وعدم استقرار
من الناحيتين السياسية والاقتصادية، باعتباره فترة انتقال من الحكم القرطبي إلى الحكم
الإسلامي، وكانت الأندلس خلال هذه العهد ولاية إسلامية تابعة لحلافة المشرق
الإسلامي، ولهذا فقد تأثرت بالعضلة الشامية وسارت على نهجها^(٣). وشهدت خلال
هذه الفترة هجرة أعداد ضخمة من العرب إليها معهم نساؤهم وأولادهم وممتلكاتهم وكثير
من مظاهر الترف، وأنشأوا فيها معظم الصناعات التي كانت سائدة في المشرق الإسلامي
إذ تنقل الكثير من الحرفيين وخاصة من قشلم ومصر لنشر صناعاتهم فيها.^(٤)

(١) ابن القوطية القرطبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧)، تاريخ الفتح الأندلس، تحقيق: عبد الله تيس الطباع، دار نشر
الجامعيين، بيروت ١٩٥٨، ص ١٤٦-١٤٧، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ الفتح
الأندلس، انظر: السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،
الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٢٥٩، يشير لهذا المرجع فيما بعد: عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام.
(٢) الإدريسي، رحلة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥١-٥٥٢، انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، ص ٥٦،
ج ٢، ص ١٢٩، العمري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢١.

(٣) عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٢٥٩، مصدر أعيد أبو الفصل، التأثيرات الشامية في
حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (١٢٨-١٧٢هـ / ٢٥٦-٢٨٨). مجلة الموروث العربي،
عدد ٣٦٦، ص ١٤، ١٩٨٨، ص ٢٢١، يشير لهذا المرجع فيما بعد: أبو الفصل، التأثيرات الشامية.

(٤) ستوروك، المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة: د. محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر
والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٤١، يشير لهذا المرجع فيما بعد: كعب المسلمون في تاريخ الحضارة، شارك

ومند قيام الإمارة الأموية بالأندلس (١٢٨-٣١٦هـ / ٧٥٥-٩٢٨م) أحد طابع الاستقلال السياسي عن المشرق يقوى فيها، وإن استمر تلقي التأثيرات الحضارية من المشرق الإسلامي^(١).

وحرص الأمير عبد الرحمن الداخل (١٢٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) منذ توليته الإمارة على توليد دعائم الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي في الأندلس، حيث لقي على عناصر الفوضى والاضطراب، المتمثلة بالصراع بين العرب والبربر من جهة وبين القيسية والبربرية من جهة أخرى.^(٢) كما شجع الزراعة والصناعة والتجارة، وأدخل كثيراً من الصناعات في البلاد، كصناعة المنسوجات والملابس، وصناعة تطعيم الصلب بالذهب والفضة، وهي صناعة دقيقة عرفت باسم (الفس للمشقي). واهتم الأمير عبد الرحمن الداخل بإقامة المنشآت العمرانية، كالقصور والمساجد والمتنزهات، متبعاً في ذلك التقليد الشامي، ومتشبهاً بما كان يفعله أجداده في المشرق^(٣).

واستمرت الأندلس في عهد الإمارة بتلقي المؤثرات الحضارية من المشرق الإسلامي، وخاصة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م) الذي أخذ يسائر حركة الازدهار الحضاري التي شهدتها بغداد رغم العداء القديم بين الأمرتين القيسية والأموية. ففتح أبواب الأندلس أمام التأثيرات الحضارية العراقية، وأخذ يقد الخلفاء العباسيين في مطهرهم وألبسهم، وفي الاحتجاب عن الرعية ليكسب إمارته علامات الرهبة والهيبة. وفتح أبواب الأندلس للتجار العراقيين والبصانع العراقيين

==

مستطلي، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٦٥، يشير لهذا المرجع فيما بعد. شكر مستطلي، الأندلس.

(١) انظر الفصل، التأثيرات الشامية، ص ٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٣) القري، فتح الطوب، مج ١، ص ٥٤٥-٥٤٦، انظر: دوروثي. إيفانبا شعبا وأرضها، ترجمة ط. السودي، مراجعة وتقديم عز الدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك، ١٩٦٥. ص ٣٧. يشير لهذا المرجع فيما بعد: دوروثي، إيفانبا شعبا وأرضها، كتاب المسلمون في تاريخ الحضارة، ص ١٥٩، انظر الفصل التأثيرات الشامية، ص ٢٢١-٢٢٢.

كالملايين ولقوات الزينة التي مرعان ما انتشرت بين أفراد المجتمع الأنطلسي.^(١) وتلكوا لنا الروايات أن هذا الأمير اشترى من أحد التجار عدداً كان للسلطنة زبيدة زوجة هارون الرشيد، بمبلغ عشرة آلاف دينار، وأهداه إلى الأميرة شفاء إحدى محظياته، وقد سرى هذا العقد ضمن الأشياء الثمينة الأخرى التي نهبت في بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون.^(٢)

وأشاد الأمير عبد الرحمن الأوسط تشبهاً بالمجسوسين درأ أسك النفود، ونشس استعمال الخاتم الرسمي، وليس درأ خاصة للطرز تصنع فيها ملايس خلصة لكل مرتبة من مراتب رجال الدولة، وتضم مصانع السوج التي كانت تنتج مختلف أنواع المنسوجات والأقمشة.^(٣) ونمت في عهد هذا الأمير صناعة السفن والأساطيل الحربية^(٤)، وصناعة الزجاج^(٥) والمجوهرات والحزف والأثاث^(٦). ولذا لم يكن لدى حلفائه ما يطلوبه غير الحفاظ على هذه التقاليد التي ابتدعها، وما أحسوه إليها لا يعدو اقتدياً والتحصين، ولو أنها فيما بعد سوف تأخذ طابعاً أنطلسياً خالصاً. أما في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وخلال عشرات السنين التي تلت حكمه فلي هذا التقليد لم يقدم أي تجديد جوهري، ولكن بقيت الحالة صورة لما كانت عليه في الشرق.^(٧)

وبهذا يبدو لنا جلياً أثر المشرق الإسلامي في نشأة الحرف والصناعات الأنطلسية، حتى أن الباحثة جورج مارسية يقول: "إننا لا نجد طابع الشرق ومسحره عندنا في

(١) خليل برلعمي السامرائي، أثر العراق الحضاري على الأندلس في قرون الفتي، وفتحت الهجرة (١٠١-٢٠٠هـ/ ٩١٢-٧٢٠م)، مجلة المورخ العربي، بغداد، ج ٢٧، ص ١٢، ١٩٨٦. ص ١٢٧. يشير لهذا المرجع فيما بعد السامرائي، أثر العراق الحضاري حدود، تاريخ الأندلس الإسلامي، ص ١٥٠.

(٢) ابن عدي، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١٩١. قطر: هي بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩. ص ٦٥. ويشير لهذا المرجع فيما بعد بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا.

(٣) ابن عدي، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١٩١. بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص ٦٤.

(٤) ابن قوطوبة، تاريخ الفتح الأندلسي، ص ١٨٨. ابن عدي، قبيل المغرب، ج ٢، ص ٨٩.

(٥) قناري، تلح الطيب، ص ٣، ١٢٨.

(٦) كز لآن، الأندلس، ص ١٧٦.

(٧) بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص ٦٥.

المغرب مقصوراً على هيئة البنيان وزخرفته قصيب، بل نجد أن الفنون الصناعية أيضاً تحصل من سماته الشيء الكثير، وتتم عن تلقاها به^(١).

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في نشأة وتطور الصناعات الأندلسية، رسوم الحضارة في الأندلس، إذ يرى ابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) أن رسوم الصناعات في الأمصار، إما هو رسوم الحضارة وطول أمداء، ويتخذ من الأندلس مثلاً يقول: "كلحال في الأندلس لهذا العهد، فإنا نجد فيها رسوم الصنائع فكلما ولحرفها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أسرارها، كالمباني والطبخ وأصناف الفناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص، وتنسجد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوصاف في البنا، ورسوم الأبنية من المعادن والخزف وجميع الفواصيص، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي تدعو إليها وعوائدها، فجددهم تقوم عليها وأبصر بها، ولقد صنعتها مستحكمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار، وما ذك إلا لما تقدمناه من رسوم الحضارة فيهم برسوم الدولة الأموية، وما قبلها من دولة الفاطميين وما بعدها من دولة الطوائف إلى علم جراً. فبلغت الحضارة فيها مبلغاً لم نكلفه في قطر^(٢).

وكل لأهل البلاد (من الإسبان) أثر بالغ في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية، إذ أن العرب كانوا الجذع القاس عن الصناعات، والسبب في ذلك كما نرى ابن خلدون - أنهم أعرق في البدولة، ولجأ عن العمل الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها^(٣). ولما كان الفاتحون متلخزين في ميدان الصناعة، فإنهم استعانوا في بداية الأمر بالعناصر المحلية لبناء قصورهم ومساجدهم، وصناعة ما تحتاج إليه البلاد، وهكذا احتسب المسلمون حضارة الشعب الإسلامي، وشملوا الحرفيين من أهل القنمة برعايتهم، وظل الصناع وأهل الحرف يسبغون في الطريق الذي كانوا يسبغون فيه من قبل^(٤)، ثم شاركهم المسلمون في حرفهم وصناعاتهم، حتى بلغوا في ذلك درجة كبيرة

^(١) في بروفسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥١م.

ص ٣٣، يشير لهذا المرجع فيما بعد: بروفسال، الشرق الإسلامي

^(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٩٢٦-٩٢٧.

^(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٩٢٩؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٥٩.

^(٤) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٥٩-٢٦٠.

من الإثقل والرقى، إذ قيل في وصف أهل الأندلس بأنهم "مستقرون في أثقل الصنائع
العملية، وإحكام المهن التصورية (الصوربة)، فهم أصبح الناس على مطلولة التعب في
تجويد الأعمال، ومقابلة القصب في تحسين الصنائع، تركبون في معقاة الحروب
ومعالجة الآتها"^(١).

(١) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٦٨٧ المقري، فتح الطوب، مج ٢، ص ١٥١.

الفصل الأول

الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية

١. الصناعات النسيجية

١. المنسوجات الحريرية

احتلت صناعة المنسوجات الحريرية مكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، وساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة، إذ اعتنى الأندلسيون عناية فائقة بتربية دودة القز، و زراعة أشجار القوت التي تشكل مصدر الغذاء الرئيسي لها، وقد بنيت المرأة الأندلسية جهداً لا يستهمل به في هذا المجال، فكانت تساعد في تحضير ورعاية بيض دود الحرير من شهر شباط إلى أن يفض في شهر آذار من كل سنة^(١)، وذلك في مراكز مختلفة من الأندلس.

وخطبت مدينة المرية (Almeria) بشهرة واسعة في صناعة المنسوجات الحريرية، فإليها انتقلت صناعة الحرير التي ازدهرت في بجاية (Pechma) في القربس الثالث والرابع للهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين^(٢). كما ورثت أيضاً قرطبة (Cordoba)، التي اشتهرت بصناعة قوشي والديباج، وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية ولصمحل قرطبة في عصر الفتنة، فلمرية كان * يعمل بها قوشي والديباج فوجد عمله، وكانت أولاً تعمل في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يتق في الأندلس من يجيد عمل الديباج لإجادة أهل المرية^(٣).

واشتهرت قرطبة بصناعة الألبسة القاعية والمنسوجات الحريرية السمكية^(٤)، إضافة إلى أبعاد أنواع الثياب المتخذة من جيد الحز والقز^(٥).

ويقال إنه كان يعمل بها عدد كبير من عمال النسيج والحيكة^(٦)، مما جعل الطليعة عبد الرحمن القاصر يفتخر بما يحك له في بلد الأندلس من الحز والقوشي وأصناف

(١) قرطبي، تقيوم قرطبة، ص ٤٩، ١٦٣ أحمد مختار المعادي، الحياة الاقتصادية في دولبة الإسلامية؛ ص ١٠٠ كتاب (دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وأخرون) منشورات دار الفلاس، ط ٢، الكويت ١٩٧٦ م ص ٣٦٣، ويشار لهذا المراجع فيما بعد: المعادي، الحياة الاقتصادية.

(٢) لسود عبد الحرير سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة لسطول الأندلس، مؤسسة شباط للدراسة والفتش، ١٩٨٤، ص ١٥٥، يشار لهذا المراجع فيما بعد: عبد الحرير سالم، تاريخ مدينة المرية.

(٣) بالقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١١٩ عبد الحرير سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٥.

(٤) عبد الحرير سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٥٤ رواية: (قرطبي).

(٥) الحز: صنف من الحرير تتخذ منه ثياب متينة، وقد سمي الحرير نفسه حزا. في الحشا: مغرد الطيور، ص ٤٢.

الثياب، حتى أنه استغنى بذلك عما كان يطلب إليه من المشرق الإسلامي^(١). وقد أشاد ابن حوقل الذي رآه الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بلمسجة الحرير والديباج والأندلسية، ذاكراً نفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات^(٢). واشتهرت (المرية) بصناعة المنسوجات الحريرية فسي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فقد ذكر ابن سعيد نقلاً عن ابن فرج أنه * حدث فيها من صناعة الرشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صناعة القز، وجميع ما يصل من الحرير، ما لم يصير مثله في المشرق ولا في بلاد الانصاري^(٣). كما أشاد الرزي (٣٤٧هـ / ٩٥٨م) إلى تقدم هذه الصناعة بالمرية ونفوق أهلها على غيرهم من أهل الأندلس، فذكر أن * لمرية مفتاح الرزق والكسب وموطن الحدائق من أصحاب الصناعات * ول في دحل أسوارها الحلكة والمنساجون الذين يرعوا في حياكة الثياب الحريرية الموشاة بالذهب^(٤). وكانت هناك مدن أخرى تشاركها هذه الصناعة مثل لقنت (Alicante)، وإشبيلية (Sevilla)، وغرناطة (Granada)، ومالقة (Malaga)، وفي هذه الأخيرة كانت تصنع أشد أنواع الشرق (الحرير الأبيض) إرهاباً، ومنها كان ينقل إلى سائر أنحاء الأندلس^(٥).

==

^(١) قبل أن يحد النسابون بلغ في مدينة قرطبة وجداً مائة وثلاثين ألفاً، وقبل أن يحددهم بلغ ثلاثة عشر ألفاً على الجفرم، قصة العرب في إشبيلية، مترجم من (Stanley Lane-Poole)، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م من ١٢٨، سيشار له فيما بعد: الجفرم، قصة العرب في إشبيلية جاك، من رسلر، المصنعة العربية، ترجمة غلام عبود، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار المصرية للتأليف والترجمة (دلت)، من ١٥٣، سيشار إليها المرجع فيما بعد: رسلر، المصنعة العربية.

^(٢) القاضي، القنصل بن محمد (٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، المجلس والمسيرات، تحقيق: الحبيب القيسي وأخرون، المصنعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨ من ١٨٠، وسيشار إليها المصدر فيما بعد: القنصلي والمجلس والمسيرات.

^(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

^(٤) ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٩٢ - ١٩٤ عهد الحرير سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦.

^(٥) Leonard Williams, The Arts and Crafts of Older Spain, III, Chicago 1908, P3-4.

الحرير سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦.

^(٦) Williams, The Arts and Crafts, III, P4.

وزدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في مدينة (المريّة) خلال العصر المملوكي، حيث أنها احتلت مكان الصدارة في هذا المجال، وتقدمت على مراكز المدن الأندلسية، فاحترف معظم سكانها صناعة التسيج والحولكة^(١) وكان يعمل بها من الحرير ما يفوق ما يصنع في غيرها جودة وإنتاجاً^(٢). ويقال إنه كان يوجد بها نحو ثمانمائة نول كانت معدة لتسيج طرز الحرير^(٣). وتشير رواية أخرى إلى وجود حوالي خمسة آلاف وثمانمائة نول في المريّة^(٤) كانت مخصصة لصناعة المنسوجات الحريرية بأنواعها المختلفة، ومن جملة هذه المنسوجات (الطل الموشية النفيسة، والدياج القاهر، والسفلاطون، والأصبهاني (الأصعقاني)، والجرجاني، والستور المكلفة، والقشيب المعينة، والخمر، والعنابي، والمعلج المذهبة)^(٥).

ونلاحظ مما سبق أن صناعة التسيج في (المريّة) تأثرت إلى حد كبير بالمنسوجات المشرقية التي ذاعت شهرتها في أنحاء العالم الإسلامي، فكانت تصنع

^(١) القزويني، الجغرافيا، ص ١٠٧.

^(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١١٧٧ للقسطنطيني، صبح الأحرى، ج ٥، ص ١٢١٠ القزويني، نوح الطيب، مع ١، ص ١٦٢.

^(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٢ إلى فضل الله المصري، مسلك الأبرار، مسج، ج ٢، ص ١٢١ الحميري، فروض المسطر، ص ١٥٣٨ مسد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة القريّة الأندلسية في العصر الإسلامي، منذ إنشائها حتى إسقاط المماليك عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية، ١٩٨١، ص ٢١٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد. أبو الفضل، تاريخ مدينة القريّة.

^(٤) ابن قوردبي، خريطة المصائب، ص ١٢٤ القزويني، نوح الطيب، مع ١، ص ١٦٢ القباقي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٢٧.

^(٥) الستور المكلفة: نقش من الحرير خضراء زاهية تزدن برخلاف ذهبية وأزهار تشبه الأكليل. عبد الحمير مسلم، تاريخ مدينة القريّة، ص ١٥٨.

^(٦) كتاب المعينة: تسيج من الكتان أو القطن يردى بتزيين صغيرة على شكل موجات. المرجع نفسه، ص ١٥٨.

^(٧) الصغار: ما ينطوي به المرأة على رأسها، وجمعه أنسرة وخمر. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥٧.

^(٨) القشيب: وهي القباب العتيقة المشهورة، وكانت تصنع في مطبخ القنطرة في الجانب الغربي من بغداد وتصب فيها وهي ثياب من خيوط القطن والحرير. قزويني، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٢.

^(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٢ إلى فضل الله المصري، مسلك الأبرار، مع، ج ٢، ص ١٢٤ إلى قزويني، خريطة المصائب، ص ٢٤-٢٥ الحميري، فروض المسطر، ص ١٥٣٨ أبو الفضل، تاريخ مدينة القريّة، ص ٢١٧.

بالعمرة أقمشة حريرية على مثل الأقمشة المصنوعة في بغداد، وجرجل^(١)، وأصفهان، إضافة إلى أقمشة السفلاطون الحريرية المطرزة بالذهب التي اشتهرت في الأصل ببلاد اليونان ثم انتشرت صناعتها في بلد الإسلام شرقاً وغرباً^(٢). أما القطن، فمسيج حريري اقتصت العمرة بصناعته حيث كان يعمل بها - لحال الرفعة القدر الكثيرة الأمتل^(٣)، وكان هذا المسيج يحلى بخيوط ذهبية، ولذلك أطلق عليه اسم (الحلل الموشية)^(٤)، والدياج من المنسوجات الحريرية السمكة، وكان يصنع من خيوط الحرير لينة ومدي، وقد تدخل في سجه خيوط الذهب^(٥). وتندر الإشارة إلى ازدهار صناعته في (العمرة) خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / المشر والحادي عشر الميلاديين، فقد كلى يعمل بها - الدياج المحكم للصناعة مثل المرجفات المعروفة بالعدائيات، وثياب السندس الأبيض، وهو ديباج أبيض كله، لا يخفى على أحد من صناعته شيء^(٦)، وتوالت المنسوجات الحريرية في مدينة العمرة، إذ كلى يصنع فيها قوشي والسفلاطون والقشادي، وغير ذلك من ألباس الدياج، ومنها كان يصدر إلى جميع الأقاليم^(٧).

وتركزت صناعة المنسوجات الحريرية في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين في كل من مالقة والعمرة ومرسية (Murcia) وفي هذه المدن ثلاث برع صناع قسيج في حيلكة * ثياب الحرير موشاة بالذهب ذات الصانع الغربية * التي يتعجب من حسن صنعها المشاركة إذا رلوا منها شيئاً^(٨). وقد اقتصت مالقة والعمرة بصناعة الحلل الموشية للنفوسة ذات الصور العجيبة التي تتجاوز ثمانها آلاف التصميم، وكل هذا النوع من المنسوجات ينتج برسم الخلفاء وكبار رجال الدولة

^(١) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان. القشادي: مرادف الإطلاج، ج ١، ص ٢٢٢.

^(٢) عبد العزيز مسلم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦ - ١٥٥ أو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص ٢١٥ - ٢١٦، القشادي: العملة الاقتصادية، ص ٢٢٩.

^(٣) ابن علقم، فرجة الأنف، ص ١٢٨٤ عبد العزيز مسلم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧.

^(٤) عبد العزيز مسلم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧.

^(٥) كانت ثياب السندس تصدر إلى الهند. قشاد: قشادي، الجغرافيا، ص ٢١، ص ١٠١.

^(٦) ابن علقم، فرجة الأنف، ص ١٢٨٤ - ١٢٨٢، قشادي: نفع الطب، ص ١، ص ١٦٢.

^(٧) ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١١٤٠ ابن سعيد، بسط الأرض، ص ١٧٤، قشادي: نفع الطب، ص ١، ص ٢٠١. روية: (ابن سعيد).

خاصة^(١). وتكونت في مرسية لصناعات الخال والديباج^(٢)، ومنها كانت تجهز العروس التي "تتخبط شورتها لا تقتر في شيء من ذلك إلى سواها". وكانت تحتل المركز الثالث بعد التربة وملقة في صناعة الوشي^(٣). كما اشتهت غرناطة وبسطة (Baza) بصناعة نوع من الملابس الحريرية عرف في الأندلس باسم "العابد المعتم ذي الأكتاف العجيبة"^(٤).

وكان الصناع يربون إبلهم هذا بالزخارف الهندسية ويصور الحيوانات الخرافية، ومن قطع الحريرية التي تنسج صناعتها إلى الأندلس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قطعة مخروطة بأزواج من الطولويس والحيوانات المتقابلة، وتصلهما شجرة الحياة^(٥).

ويلاحظ مما سبق ازدهار صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس خلال العصر الموحد في رغم تورع الموحدين عن ارتداء الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرير والديباج المطرز^(٦) ونجد الإشارة إلى استمرار صناعة المنسوجات الحريرية في المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى الإسبان حيث عمل الحكام المسيحيون على تشجيع رعاياهم من المسلمين على الاستمرار في هذه الصناعة، فقد منح ألفonso حامية سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٢م) إلى عربي اسمه علي وإبنه محمد وأبني فلرون أن يصنعوا الحرير في مدينة شاطبة (Jaizaba) التابعة لمملكة بنسونة^(٧). وكانت صناعة

(١) لشندي، فنائل الأندلس وأطرافها، ص ٥٨-٥٩ مقري، فتح الطيب، مج ٣، ص ٢٢٠. رولبة (لشندي) ١ حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢١٩.

(٢) ابن سعد، المغرب في حكم المغرب، ج ٢، ص ٢٤٥: رولبة (إبن سعد بن عبد الله بن إبراهيم الحنظلي في كتبه السمر السبيل في فراق المغرب).

(٣) لشندي، فنائل الأندلس وأطرافها، ص ٥٩ مقري، فتح الطيب، مج ٢، ص ٢٢١. رولبة (لشندي).

(٤) مقري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٠٩: رولبة (إبن سعد) ١ حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢١٩.

(٥) حر الدين فراج، فصل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ١٣٠٩ حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢١٩.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ١٨١٧ هشام أبو ربيعة، علاقة الموحدين بالمملكة النمرقية والذول الإسلامية في الأندلس، دار الفكر، ط ١، ص ١٩٨٤، ص ٢٢٩، سوار له فيما بعد أبو ربيعة علاقة الموحدين.

الحريز في مدينة شاطبة (Jatru) التابعة لمملكة بنلمية^(١). وكانت صناعة الحريز مزدهرة في مدينة طلوطة (Toledo) بفضل الصناع المسلمين الذين بنوا فيها عاب سقوطها بيد الإسبان عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(٢).

وفي عصر بني الأحمر تقدمت صناعة المنسوجات الحريزية في مملكة غرناطة تقدماً كبيراً، وتعددت مراكز إنتاجها، فاشتهرت ملقة^(٣) والمرية ودلاية (Dallaz) وادي أش (Guadix) وسهول (Puenjerocha) بهذه الصناعة، وفي الأخيرة كان يصنع نوع خاص من الحريز للنساء، تفضله أميرات غرناطة وحريمها^(٤). وتقدمت غرناطة في قرونين فثامن واثني عشر الهجريين / الرابع والخامس عشر الميلاديين بصناعة نوع من المنسوجات الحريزية المشاة، تتكون زخارفه من شريطة بها زخارف نجمية ونباتية وطيور وزخارف كتبية، ولطلق على هذا النوع من الزخارف "طرز الحمراء"، وذلك لتشابه زخارفه مع خزف الحمراء^(٥).

وكانت ثياب الخز والمنسوجات الحريزية الرائعة تتج في أندرش (Anderax) ونارجه، وتصدر إلى المغرب ومصر، وإلى الأمراء المسيحيين بشبه الجزيرة، ولقد كثرت في المنونات المسيحية الإشارات إلى إنتاج ملقة للنباح والقوشي علماً أكدت زيادة عدد سفن خشبلة البحرة ملقة سنة (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) وعونتها محصلة بمنسوجات الحريز الموشى^(٦).

(١) Williams, The Arts and Crafts, III, P5-6

(٢) محمد عبد الطيم رجب، المملكات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني لمة وملسوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (دنت)، ص ٤٧٠، ٤٧١، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الطيم رجب، المملكات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ٥٩، ١٧٧ عبد الحريز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٦١

(٤) محمد شبانة، يوسف الأول بن الأحمر، سلطان غرناطة، لجنة القيل العربي، ١٩٦٩ك، ص ١٩١، سيشار

له فيما بعد: محمد شبانة، يوسف الأول، عبد الحريز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٦١

(٥) حر الدين فراخ، فصل طماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٦) عبد الحريز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ٢٨٠ هـ

وكانت تستمر مصانع المنسوجات الإسلامية بإسبانيا المسيحية بإنتاج المنسوجات الحريرية القرمزية، كالملاحف والقصر والملابس المتنوعة المختلفة الأولى^(١). وتتميز الملابس القرمزية بتصميم خاص، فهي ذات ألوان زاهية، أهمها والأساسي المستعمل منها الأصفر الذهبي والأزرق والأسود والأحمر والأبيض، وتوجد بقايا من هذه الملابس في كل من سان سيباستيان (San Sebastian) بـ أنتيقره (Antequira)، ومتحف الفن بقطالونيا (Catalonia)، ومعهد دون حول دي مدريد (Instituto de Don Joad de Madrid) بمدينة بلنسية (Valencia)^(٢) ومن الجدير بالذكر أن المدن الإيطالية التي اشتهرت بصناعة الحرير في العصور الوسطى، نقلت عن الأندلسيين معظم فنونهم وطرقهم في هذه الصناعة المربحة، وكان مدينة فيرنتزا (فلورنس) تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^(٣).

٧. المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، حيث توافرت المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة في مناطق الأندلس المختلفة. وكل لوجود العمل والصناع المهمة، الذين تخصصوا في مثل هذا النوع من الصناعة أثر بالغ في تطورها وتقدمها في الأندلس، إذ اختلف بعضهم، وبخاصة النساء، صناعة غزل القطن والكتان والصوف. وكان للفرانجيين يعرف واحداهم بالفزّال أمكن حلصة في الأسواق الأندلسية^(٤)، مما ميا الخام اللازمة تلك الصناعة، فبرع الساجون في صنعها لتتنسب الأتوالق المختلفة.

(١) مكتسبي، الإكسير في فلك الأسير، ص ١٨٩، عبد الحرير سالم، في تاريخ وصناعة الإسلام في الأندلس، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) محمد شحاتة، يوسف الأول، ص ١٩١.

(٣) عن، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتمصرين " وهو العصر الرابع من كتاب الإسلام في الأندلس "، ط١، مكتبة الفلاح، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص ٤٤٧، يشير لهذا المرجع فيما بعد: عن، نهاية الأندلس.

(٤) ابن عيرون، محمد بن أحمد القنبري (ت في النصف الأول من ق ٦هـ / ١٢م) رسالة في القضاء والحكمة، منشور ضمن (تلكات أندلسية في أدب الحجة والفتوى) تحقيق: أيمن بروفنسل، مطبعة المسجد العلمي الفرنسي للكتاب الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ /، ص ٥٥، ٦٠، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن عيرون،

وتقرنت مدينة إشبيلية بصناعة المنسوجات القطنية، واستقر إنتاجها بالقرونة وال جودة عالية، وكان الفايص منه يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب^(٢). وازدهرت صناعة المنسوجات الكتفية في الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وكانت هذه المنسوجات تتكلف من الأكسية والذئب الفاخرة^(٣)، والألبنة المختلفة الأشكال، كالقبا^٤، والهوداج والأخبية^(٥)، وذكر ابن الخطيب: أنه كان يصنع من الأخبية في عهد المنصور بن أبي عامر ما يتجولر ثلاثة آلاف خباء كعدة للجدد في كل عام، هذا عدا ما كان يصنع للسلطان خاصة، ولعائل حرمه وعلمته^(٦). وكانت الأخبية تستخدم لتلبية حاجة الجند في حلهم وترحالهم، ومما يؤكد ذلك أن الحاجب المنصور حمل معه في صقفة سنة (٣٩٦هـ / ١٠٠١م) "أربعة وثلاثين وعشرين خباء" ومائة وسبعة وسبعين خباء من الأخبية المعروفة بالقرونة^(٧).

ومن أهم المراكز التي تشتهرت بصناعة المنسوجات الكتفية في القرون الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلبيرة (Elvira) و^(٨) قرطبة^(٩) ولاردة^(١٠) (Lerida)

==

في القضاء والصبة: ابن عبد غرؤوف أحمد بن عبد الله في نصف الأول من ق ٦ هـ / ١٢م رسالة في أدب الصبة والمصطب) منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في أدب الصبة والمصطب) تحقيق: موسى بروفسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للثقافة القرونية، القاهرة ١٩٥٥م، ص ٨٧. ينشر لهذا المصدر فيما بعد ابن عبد غرؤوف، في أدب الصبة والمصطب: قطنني عباس، أبو الفضل عباس بن موسى (ت ٥٢٤هـ / ١١٤٩م)، ترتيب المدرك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج ٢، تحقيق: أحمد بكسر محمود، مكتبة الحياة، بيروت، ودور مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (تت)، ص ٤٠٦، روية (قرطبي)، ينشر لهذا المصدر فيما بعد. قطنني عباس، ترتيب المدرك، ابن الخطيب، الإحسان، مج ١، ص ٢٢٢.

(١) البصري، ترويح الأخبار، ص ١٩٦. ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ١٩٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١١٩٥. البصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

(٢) الإبريسي، فرحة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٧. القرطبي، المعجم الفقه، ص ١٠٢.

(٣) القبة: من الخيام بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. ابن منظور، لسان العرب، مج ١، ص ٦٥٩.

(٤) ابن حبان، المحقق في ألبال بلاد الأندلس، ص ٤٠-٤١. روية: (عيسى بن أحمد القرطبي) قطر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٨-٨١٩.

(٥) أصل الأعلام، ص ١٠١، روية: (ابن حبان).

(٦) المصدر نفسه، والمقدمة نفسها.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٤.

(٨) ابن حبان، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٨.

وطليطلة^(١)، وبجدة. وهذه الأخيرة اختصت بصناعة الأردية والثياب الفاخرة التي كانت تضاهي وجودتها الأثواب النيقية المصرية، مما جعلها تكتسب شهرة واسعة نقلتها إلى أسواق مصر ومكة واليمن^(٢).

وكفت المنسوجات الكتانية المصنوعة في المراكز المذكورة، مما يهلي به الغلاء، ومن تلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٤هـ / ٩٢٥م)، وكانت تتضمن أربعين شقة من " شقق الكتان المتوسط لكسوة رجله "، ومائة شقة من " الشقق دون المتوسطة لكسوة رجله " ^(٣). وهديته لزعماء القبائل البربرية سنة (٣٢٦هـ / ٩٢٧م) وكانت تتضمن ثلاثين شقة من شقق الكتان وثلاثين رداءً من أردية الكتان المطعمة^(٤).

وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ظلت في باجة (Beja) والمناطق التابعة لها صناعة كتانية متخصصة^(٥). «ولما ازدهرت هذه الصناعة في حصن بكيران في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، لمكانت تصنع به الثياب الكتانية البيضاء التي تناع بالأنماط الفاخرة، وهي من أبداع الثياب علامة ورفق، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة والبياض»^(٦).

كما ازدهرت صناعة الكتان في مدينة بلنسية (Valencia)، واشتهرت بمنسوجاتها بالجودة العالية^(٧)، وكانت تصدرها إلى أقطار المغرب الإسلامي^(٨). وترتب على

^(١) العمري، الروض المغطى، ص ٥٠٧.

^(٢) القاضي، حواشي، ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٤٢٤.

^(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

^(٤) ابن حبان، القطب، ج ٥، ص ٣٨٩.

^(٥) المنسود هذا زعماء قبائل البربرية في المغرب الذين أخذوا فلولاً وطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر ابن حبان، القطب، ج ٥، ص ٤٢٧.

^(٦) كانت صناعة الكتان مزدهرة في بلجة في أيام بني عباد خلال القرن الخامس الهجري / العاشر الميلادي، ولكنها انكفت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بسبب التغير الذي طرأ على منطلق زراعة الكتان. انظر: المغربي، نبع الثوب، ص ١، ص ١١٥٩. عر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ١٢١٩، حقلنا، ملاحح حضارياً، ص ١٩١.

^(٧) الإدريسي، درة المشتاق، ج ٥، ص ٥٥٧.

^(٨) القره، الجغرافية، ص ١٠٢.

ازدهار هذه الصناعة في بلنسية قبل بعض الحرف المساعدة، كحرفة القصارة^(١) حيث كانت قنایب النایبة من الكتان تقصر فيها^(٢). ويختص القصارون بمعالجة القنایب، وذلك بصلها وتلكها وتليينها وتبييضها بعد خروجها من المدبج، وكانت هذه الصلوة تتم في عدة بالقرب من ضلعت الأودية والأشهار^(٣).

واشتهرت صناعة الصوف في الأندلس، بفضل كثرة المراعي المنتشرة في سفوح الجبال والأودية، ووفرة الموائس والأغنام التي تربي عليها، مما هيا مورداً هلباً من مادة الصوف الخلم اللازمة لتلك الصناعة^(٤)، هرع الصناع في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين بحياكة لوفى المنسوجات الصوفية، التي توافرت بجلودتها على المنسوجات الأرمينية^(٥). وكانت لمرجة الحبول التي تصنع من الصوف هي الأرقى من نوعها في العالم الإسلامي، إذ كانت تتلوح ألقانها ما بين الحمسين والستين ديناراً، ويبدو أنها كانت تصنع من حيوط الصوف، وتزين بالذهب والفضة فالأندلسيون ثم يسلموهم في أعمال لبودهم^(٦) أهل بلد على وجه الأرض، وربما عمل لسلطانهم لبود ثلاثينية بفونم قلبد منها بالحمسين والستين ديناراً، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وسنة لشبلر فهي من محاسن القروش^(٧).

—

(١) الشنقي، فصل الأندلس وألقانها، ص ١٥٩، القري، نبح القنایب، مج ٢، ص ٢٢١ (إرواة شنقي).

(٢) القصار: هو الذي يجر القنایب أي يبيضاها، وحرفته القصارة. ابن هشام القنایب، المدخل، مج ٢، ص ٣٢٤.

(٣) القري، الجغرافية، ص ١٠٢.

(٤) ابن هشام القنایب، المدخل، مج ٢، ص ٣٢٤. رسالة أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١٢٢.

(٥) انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط ٢، مدريد، ١٩٨٦ م، ص ٣٧٥، وموشلر لهذا المرجع فيما بعد: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

(٧) القرد: كل شعر أو صوف ملقح بعنه على بعض لهور ايد، والجمع ألق، ولورد. والقرد ما تحت السرج، ويقال: ألق السرج إذا صل له لبد، وفي الأعمال: لبدت السرج واللف لبدأ وألبدتها: جطت لهما لبدأ. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٢٨٦، القري، نبح القروش، ج ٢، ص ١٢٨.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩، P. ١١٠٩، Imamuddin, The Economic History of Spain.

وعرف الأندلسيون صناعة أنواع الملابس الصوفية المختلفة، ومن جملة تلك الممطر، وهو نوع من الثياب يرتدي للتوقي من المطر^(١)، وقد أهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ثوباً من هذا النوع إلى عبد الله بن التمر بن تميم القرطبي، وهو منجمه الخاص ليتوقاه من بال الأمطار^(٢). والثياب القطنية، وهي "مخترة للصناعة غربية العمل" وكانت تصنع في مدينة قلسنة (Calsena) القابعة لكورة شذوبة^(٣). وثياب الملف^(٤) المتخذة من الصوف، وكانت شائعة الاستعمال في الأندلس، وبخاصة في غرناطة، حيث كان يرتديها الناس في الشتاء^(٥). وتعد مدينة شقوبية^(٦) (Segovia) من أشهر المراكز التي احتضنت في صناعة الملف على اختلاف أنواعه وألوانه^(٧).

وتعد الأندلسيون من أصواق الحيوانات ولوبلها^(٨) ملابس القراء لتقيهم من برد الشتاء القارس، فخرج القراءون في نسج الثياب الفاخرة من قراء القليلات^(٩). وكانت هذه الثياب تستخدم على نطاق واسع من قبل المسلمين والنصارى، ويبدو أن الكميات المنتجة منها كانت تزيد على حاجة السوق المحلي، وإذا كان الفلتس يصدر إلى الأسواق الخارجية وبخاصة أسواق سبنة وتونس^(١٠).

(١) الممطر ثوب يرتدي للتوقي من المطر وهو معمول من الصوف، ويكون رأسه منه ملتصق به لتظلمه. ابن هشام الصفي، الفصل، مع، ج ١٢٦، وينهايت دوري، المعجم المتصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة لكرم فاضل، دار الحرية للطباعة مديرية مطبعة الحكومة بغداد، ١٩٧١ من ٣٢٩. سيشار له فيما بعد: دوري، المعجم المتصل.

(٢) ابن سيدة، المغرب في ظل المغرب، ج ١، ١٢٦-١٢٧.

(٣) المصري، صفة جزيرة الأندلس، من ١٦٢-١٦٣.

(٤) الملف. وهي ثياب حنة تصل من الصوف، القوي، الجاهلية، من ٧٦.

(٥) ابن التلمب، الإحاطة، مع، ج ١، ص ١٤٠.

(٦) شقوبية بالأندلس، وهي ليست بمدينة، إنما هي قرى كثيرة متجاورة مقاربة متلاصقة متداخلة الصلوات، فيها بئر كثير، بينها وبين طليطلة مائة ميل. المصري، القروس الممطر، من ٣٥٠.

(٧) السكاسي، الإكسير في فكك الأسر، من ١٣٣.

(٨) الرب: صوف الإبل والأرانب والقناب والفك والسمور ونحوها، والجمع لوبل، فطر: ابن منظور، لسان العرب، مع، ج ٥، ص ٢٧١.

(٩) القليلات: حيوان أقل من الأرانب والقطب في اللحم ولحم ويرأ، وكثيراً ما تلبس قراها، ابن عبد البر، في ثياب الصبية، من ١٠٤، القوي، فتح القلوب، مع، ج ١، من ١٦٨.

(١٠) القوي، فتح القلوب، مع، ج ١، من ١٩٨، رولية: (ابن سيدة).

وكانت القلوب التي تعرف باسم "أيو قلمون"^(١) تنسج في مدينة شنتريين (Santarem) في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهي ثياب رافعة القدر تمتاز بالجودة والعتلة، وتنسب إلى حيوان بحري يدعى (أيو قلمون) كان يخرج من المحيط الأطلسي إلى ساحل شنتريين، فيحتك بالصخور على شط البحر، فيسقط من جسمه "وبر" في لبن الحلو لونه الذهب لا يغير منه شيئاً، وهو عرير قليل، يجمع وتنسج منه ثياب يفتلون في اليوم كقولاً "وكانت هذه القلوب تنسج للملوك والحفلاء خاصة. وقد احتكر "ملوك بني أمية" هذه القلوب لأنفسهم ومنعوا بيعها في الأسواق الأندلسية أو تصديرها خارج البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة القلوب الواحدة منها كانت تزيد على ألف دينار نظراً لاعتبارها وحنها"^(٢). وقد أشار ابن خلكل (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، إلى حنها وجمال صنعها وجودة إنتاجها بقوله: "وحكى لي بعض الفصلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه القلوب هناك، ولما أن يمسها لي ما قدر لي يهر عنها، ثم قال: لكنها لرفع وتعم من نسج العنكبوت"^(٣).

وانفردت مدينة مرسطة (Zaragoza) في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، بصناعة ثياب السمور، وهي القلوب الرفيعة القاهرة العتقة الصنع، التي لا تضاهيها أية صناعة مماثلة في العالم الإسلامي أبداً، إذ إنها حظيت بشهرة واسعة نسبتها إلى مرسطة، فكانت تعرف (بالقلوب المرسطية)^(٤) وقد أشاد الحدي (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) بهذه الصناعة وذكر أنها "لا تحكى في لحي من

(١) أيو قلمون: صر من ثياب الروم يقولون أروا القلوب، وقيل ثوب يترأى إذا طلعت الشمس طوله بأثر في شئ. ابن منظور، لسان العرب، مج ١٢، ص ٤٩١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠-٢٤١ الإسطخري، مسالك الممالك، ص ١٤٢ الإسطخري، الأقاليم، ص ١٢٢ ابن خلكل، ولغات الأعيان، مج ٧، ص ١٢٨، وروية: (إلى حوال في كتاب المسالك والممالك) القروبي، لسان البلاد، ١٥٤٢ هجري، تلخيص الأثر، ص ١٢٩.

(٣) ابن خلكل، ولغات الأعيان، مج ٧، ص ١٢٨.

(٤) السمور: حيوان بري عيشه من الموت والسمك النهر، يتخذ من جلودها فراء عتقة الأسمق. ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ص ١٢٨، ابن الصبابة، ملوك الطوائف، ص ٣٠-٣١.

الآفتق^(٢٦). ومما يذكر في العمود الذي يصل من ويره القراء الرحمة القدر كان يجلس إلى سريسة من جزيرة بريطانية^(٢٧).

٣. البسط والسجاد

ازدهرت صناعة البسط والسجاد في الأندلس، بفضل المسلمين الذين أخذوا إليها هذه الصناعة من المشرق الإسلامي بعد الفتح، إذ لم يكن لإسبانيا قبل الفتح الإسلامي سابق معرفة بالسجاد صناعة أو استخداماً بالرغم من تاريخها الطويل، وما ازدهر غيرها من فنون حلفت بمباني عظيمة وتنعاً جميلة رائعة، تشهد بالتقدم الفني لهذه البلاد منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي^(٢٨).

ولم يصل إلينا ما يدل على أن أهل إسبانيا قد كفوا على علم بصناعة السجاد قبل الفتح، بل إلى أوروبا لم تعرف السجاد إلا بعد أن عرفته إسبانيا ونقلته عنها، وكان ظهور السجاد الإسباني في لندن عام (٦٥٣هـ / ١٢٥٥م) في احتفال عقد لمران (ليونور) القشتالية على (إدوارد الأول) ملك إنجلترا مثار دهشة عظيمة بين أهلها، بعد أن فرشت طرقات القصر والحجرة المخصصة للأميرة بالسجاد. ويذكر أن كثيراً من السلالات الأوروبية وبخاصة هي فرنسا تنسب السجاد إلى إسبانيا^(٢٩).

وقد شاع استخدام الصوف في صناعة البسط والسجاد، كما نجد شعر الصاعر أيضاً ولكن بدرجة قليلة جداً، أما الحرير فقد ندر استخدامه. وفي السجاد القفاخر كل الحرير يمتزج بالصوف^(٣٠).

وكانت البسط والسجاد تستعمل لأغراض مختلفة. فهناك ما يهرش منها على الأرض، وهي إما مستطيلة تسمى (نخ والجمع نخاخ)^(٣١) أو كبيرة وتسمى (البسط)^(٣٢).

^(٢٦) المعري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٢، ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٢٨٧-٢٨٨، يقرن العمودي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٢-٢١٣.

^(٢٧) المعري، ترصيع الأخبار، ص ٢٢.

^(٢٨) المعري، فتح الطب، مج ١، ص ١٩٧: روية. (المعاري في السج).
^(٢٩) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد في إسبانيا، ص ١٥٨، جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨١.

^(٣٠) جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٨.

^(٣١) ابن هشام القاسمي، المنطل، مج ٢، ص ١٣٥٥، قورني، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٤.

^(٣٢) قورني، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٤.

والبعض منها يعلق على الجدران للزينة ويسمى (الأتملط أو الزرقي والحصلي)^(١).
 وهناك نوع خاص يستعمل للصلاة ويسمى (السجد أو المصلي)^(٢).
 ولقد اشتهرت أكثر من مدينة بصناعة البسط والسجاد في القرنين الخامس
 والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، مثل تدمير (Tadmir) وأعمالها^(٣)
 وجبلة^(٤) (Chinchilla) التي يسمي إياها لوطاء الجبلي ل شهرتها به^(٥).
 وكان يصنع في كونكة^(٦) (كونكة Cuenca) من الأوطية المتخذة من الصوف كل
 غريبة^(٧) واشتهرت مرسية^(٨) وتنتقل القنبعة لها، بصناعة البسط لفافرة الغالية الثمن،
 التي كانت تصدر إلى بلاد المشرق الإسلامي^(٩). واختصت بسطة بصناعة البسط من
 الدجاج، وإيها تنسب المصليات البسطة^(١٠).
 وفي قرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي اقتصت مدينة فاس بصناعة
 البسط لفافرة، إذ برع الصناع في تحويلها لتتألف رغبات الناس واحتياجاتهم^(١١).

^(١) المكناسي، الإمبر في فلكه الأسير، ص ١١٠٤، دوروي، تاريخ الحرق الاقتصادي، ص ١٠٤.

^(٢) فونشرسي، المعول العرب، ج ٢، ١٤١٢ دوروي، تاريخ الحرق الاقتصادي، ص ١٠٤.

^(٣) الفري، ترصيع الأخبار، ص ٩.

^(٤) جبلة، ويقله لها شجالة، تقع في طرف كورة تميز بالأندلس مما يلي الجوف، ويحد خمسين ميلا من
 مرسية. انظر: الإنريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٦٠ المصري، صفه جزيرة الأندلس ص ١١٢.

^(٥) قرشلي، قبيل الأتول، ص ١٨٩ ابن خردادبه، اتصال قبيل الأتول، ص ١٩٩ الإنريسي، نزهة
 المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦ ابن فضل الله المصري، مسالك الأيسر، مع، ج ٢، ص ١٣٣ المصري، صفه جزيرة
 الأندلس، ص ١١٢.

^(٦) كونكة: مدينة بالأندلس من أصقال شتوية. وهذه الأخيرة تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر
 فتاجة. ابن صاحب الصلاة، فن بالأندلس، ص ١٤١٦ ابن خردوبوس، الاكفاء، ص ٨٠ البغدادي، مرآة
 الإطلاخ، ج ٢، ص ٨١٥، ج ٢، ص ١١٣٤.

^(٧) الإنريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦ ابن فضل الله المصري، مسالك الأيسر، مع، ج ٢، ص ٢٣.

^(٨) شندني، فصال الأندلس وأهلها، ص ١٥٩ المصري، صفه جزيرة الأندلس، ص ١٨٢ المصري، نفع
 الطيب، مع ٢، ص ٢٢١: رواية شندني.

^(٩) فري، نفع الطيب، مع ١، ص ٢٠١: رواية (ابن سيد).

^(١٠) بقوت المصري، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٢: المصري، فروض السطار، ص ١١٢.

^(١١) قزويني، آثار البلاد، ص ١٥٠٢ البغدادي، مرآة الإطلاخ، ج ١، ص ١١١ الباقوي، تلخيص الآثار،
 ص ١١٧.

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بصناعة البسط والسجاد بنشته (Enneste)^(١)، وبلاغة وفطنة والعربية وغرناطة^(٢). ونلاحظ مما سبق تركيز صناعة البسط والسجاد في المناطق الشرقية من الأندلس، ومما يؤكد ذلك أن الفخوة المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٩٨) طهر إلى شرق الأندلس بأمر بمنسج كساء وفرش جامع القيروان لما أراد تعميره^(٣). ويبدو أن سبب شهرة المناطق الشرقية بهذه الصناعة يرجع إلى إسكن المصريين في تلك المناطق، حيث علموا أهلها صناعة السجاد، وذلك عندما أرسلهم الوالي أبو الخطار حسان الدين بن ضرار الكلابي في إقليم (تكمير - مرسية) سنة (١٢٥٠ هـ / ٧٤٢ م)^(٤).

وكانت البسط والمصليات من بين الهدايا الثمينة التي تقدم للخلفاء، ونذكر على سبيل المثال هدية ابن شهيد للفخوة عبد الرحمن الناصر، التي اشتملت على ثلاثين بساطاً من الصوف مبتقاة مختلفة الألوان والصناعات، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً. ومائة مصلى من وجوه الفرش مختلفة الصناعات، من جنس البسط. وخمسة عشر مصفاً من عمل الخمر المنطوع شطرها، وسقراها من "جنس البسط الوجوه"^(٥).

وكان السجاد الثمين يفرش ويعلق في قصور الخلفاء والأمراء لإظهار روعتها وجمالها، فنذكر مثلاً أن مجلس الطعام في قصر المأمون بن ذي القنن^(٦) قد "فرش

^(١) ينشته: حصن من قصور الأندلس على نهر مورحيتي من جنقة. المصري: صفة جريسة الأندلس، ص ١٩٨.

^(٢) جمال معزز، فصل مصر على صناعة السجاد، ص ٢٥٨ جمال معزز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٢.

^(٣) جل الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

^(٤) جمال معزز، فصل مصر على صناعة السجاد بإيجازها، ص ٢٥٩ جمال معزز، السجاد الإسلامي، ص ٢٨١.

^(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٢٨٠ هـ / ١١٠٦ م)، كتاب المعر وديوان السبأ والخبر في أيام العرب والمسلم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، مج ٤، ق ٢، دار الكتب العلمية، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م، ص ٢٠٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلدون - المصري. أرفار فريمان في أخبار عباس، تحقيق مصطفى السقا وفخرو، ج ٩، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠ م، ص ٢٦٦ - ٢٦٢، سيشار له فيما بعد: المصري. أرفار فريمان، فخر كذلك: المصري، فتح الطيب، مج ١، ص ٣٥٨، رواية: (إلى قمرسي، وإلى خلدون).

^(٦) هو أبو الحسن يحيى المأمون بن إسماعيل الظاهر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي القنن (٢٢١ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٧٤ م) من أشهر ملوك طليطلة في عهد الطولقد. انظر: ابن الخطيب، أصال الأعلام.

بالوطاء القسري، وعُلفت على أبوابه وحناياه ستور الطعوم (القماش الثقيل) المتكئة ذات
 الصور المعقودة للأكلخظ^{١٠٠}، كما فرش مجلس الوضوء "بوطاء الوشي المرقوم بالذهب،
 وعُلفت فيه ستور مثقلة بمائلة^{١٠١}".

وقد قام الصانع المسلمون بدور المعلم لمن أراد من الإيمان تعلم صناعة السجاد،
 وظلوا كذلك حتى بعد روال الحكم الإسلامي بها، ولذا انتقلت صناعة السجاد
 والسجاد إلى مدن إسبانية متعددة، فاشتهرت كل من الكور وليثور وبلنسية وسلمكة
 ومريد، بفنتاج أنواع معينة من السجاد^{١٠٢}، وفي مدريد بالذات كانت تنسج قرزاسي
 والحياطي التي تعلق على الجدران، وكلفت ترخرف بصور البشر على اختلاف ألوانهم
 ولتكاليفهم وثيابهم وهياكلهم، وبصور الحيوانات البرية والبحريسة، إضافة إلى أوراق
 الأشجار على اختلاف أنواعها وألوانها^{١٠٣}. ومما يدل على مبلغ الأثر الإسلامي في هذا
 الشأن استخدام كثير من الألفاظ العربية للدلالة على السجاد في اللغة الإسبانية، فقد ظل
 لفظ القطيفة والطنفسة مستخدماً في غرناطة بمعنى السجاد بعد روال الحكم الإسلامي
 عنها، كما فُتسب اسم الحمرة (Alfombra) وزربية (Garbra) للدلالة على السجاد^{١٠٤}.

هذا، وقد كثر الأندلسيون يصنعون من لحاء الأشجار وخصولها^{١٠٥} القصر
 والقبيل والأطباق والسلاسل والمكس. وكثفوا يسجون من لحاء الخلفاء خاصة،
 فغاب الخدمة المعروفة بـ (الرداسي)، ومساور قتيق، وثورات القوابي

—

١٧٧-١٧٨،^{١٠١} ابن بسام، أبو القصر علي قسنطيني، (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، ذخيرة في مجلس أعدل
 الجريد، تحقيق إسماعيل جلي، ق ٤، مج ١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م. ص ١٢٠-١٢١، ويشمل
 لهذا المصدر أيضاً بعد: ابن بسام، ذخيرة.

^{١٠٢} جمال محرز، أصل مصر على صناعة السجاد بالمهاجرين، ص ١٨٥، جليل محرز، السجاد الإسلامي،
 ص ١٨٢.

^{١٠٣} ليكاسي، الإكسور في ذلك، الأخير، ص ١٠٥-١٠٥.

^{١٠٤} جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص ١٨٢.

^{١٠٥} مثل خرص القليل والسمار وقدم والأمل والقزوزي وغيرها. انظر: الفريدي، أصل قول، ص ١٥٢، ابن
 تينابل، صلة السجاد، ص ١٧٠-١٧١، ابن هشام القسبي، السجاد، مج ٢، ص ٢٢٠-٢٢١.

والمعسور، وشيرات اللوز، وأغشية حواشي القين وأحمال القزيب، ولحبل المسنن^(١). ويرعوا في صناعة الحصر، وقد أطلق على محترف هذه الصناعة اسم "الصنار"^(٢). وكلفت مرسية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تنتج نوعاً من الحصر التي تزين بها الحيطان، نظراً لجودة صنعها وجمال منظرها وتلصق ألوانها^(٣).

ب. الصناعات الجلدية

كل لوفرة الأغنام والأبقار والصنف الممثلة الأخرى أثر بالغ في ازدهار الصناعات الجلدية في الأندلس في العهد الإسلامي. وكان الجلد في أول مرحلة من تصديره يخضع لعملية أخذ ما عليه من صوف أو شعر، ولذا أطلق على محترفي هذه الصناعة اسم الصوفيين (ويُعرف واحد منهم بالصوف)^(٤) والشعاريين (ويُعرف واحد منهم بالشمار)^(٥) وقد استخدم هؤلاء مواد مساعدة على تعين على تلف الصوف والشعر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير والشب^(٦).

وبعد أن تجهر الجلود تلتى المرحلة الثانية، وهي عملية دباغة الجلود، التي كانت تتم في العمدة خارج أسوار المدن^(٧) لما ينشأ عنها من روائح كريهة، وكلل الدباغون يستعملون القرمز والشب واليتم والزعراي ومواد نيلقية أخرى في عملية الدباغة^(٨).

(١) السطى، في أدب الصبغة ص ٦٤-٧١ ابن خلدون، في القضاء والقصة، ص ٤١.

(٢) ابن عبد البروف، في أدب الصب، ص ١٠٢ الجرسيني، ص ١١ عن عبد بن جليل إيت في النصف الأول من ق ٦ هـ/ ١٠م)، رسالة في الصبغة، منشورة ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في أدب الصبغة والمصنعة"، تحقيق: إيلي بروغسالي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ١٩٥٥م، ص ١١٢. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الجرسيني، في الصبغة.

(٣) تشندي، مسائل الأندلس وأطرافها، ص ١٥٩ القنري، نيلج الطبيب، مج ٢، ص ١٢٢١ عن ابن موسى، تشنل الاقتصاد، ص ٢٢٢.

(٤) ابن حنبل، المقابس، ج ٥، ص ١٣٨٢ عبد القادر زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، ج ١٥-١٤، ١٩٨٠-١٩٨١، ص ٤٦٨، سيشار له فيما بعد: زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية.

(٥) زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، ص ٤٦٨.

(٦) ابن خلدون، في القضاء والقصة، ص ١٥٠ القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٦٥.

(٧) عن ابن موسى، تشنل الاقتصاد، ص ١٢٢٩ زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، ص ٤٦٨.

Insmuddin . The Economic History of Spain P.193

والدباغة من الحرف الأساسية في الصناعة الجلدية، وقد اشتهرت أكثر من مدينة لتسمية بهذه الصناعة، فاختصت قرطبة (Cordoba) بدباغة الجلود في القسور قرربع الهجري/ القرن الميلادي^(٢١). واشتهرت أصال الدباغة في القرنين الخامس والسادس الهجريين: الحادي والثاني عشر الميلاديين في مدينة لبلة (Lecbla)، التي كل لها خلية في الأمل الأحمر الصبغ الجيد لدباغ، المضاهي للأمل الطائفي*. ولهذا كانت تعرف بالحمراء^(٢٢).

كما اشتهرت أصال الدباغة في مدينة ملقة (Malaga)^(٢٣)، وإشبيلية^(٢٤) (Sevilla) وباجة^(٢٥) (Beja)، وطليطلة^(٢٦) (Toledo) وسرقطة (Zaragoza)، حيث كسل أحد أربابها يعرف بـرئيس الدباغين^(٢٧).

—

^(٢١) الإشبيلي، بكر بن إبراهيم إق ٦٢٩هـ / ١٢٣١م، كتاب التيسير في صناعة التيسير، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٧-٨، ١٩٥٩-١٩٦٠م. من ٣٢٠١١.٢٨، سوشل لهذا المصدر بما بعد، الإشبيلي، كتاب التيسير: القرويني، عجائب المخطوطات، من ١٢٦٥ حر الدين موسى، للتشيط الاقتصادي، من ١٢٢٠ ليس الطوبى، الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والثقافة الأوروبية، ط١، جامعة الدعوة الإسلامية للعالمية، طرابلس ليبيا، ١٩٨٦م، من ٣١، سوشل له بما بعد: ليس الطوبى، الإسلام في الأندلس وصقلية.

^(٢٢) ليس الطوبى، الإسلام في الأندلس وصقلية، من ١٣١ حثور، سجد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، مكتبة الأجلو المصرية، ١٩٨٢ م، من ١٨٣، سوشل لهذا المرجع بما بعد حثور، المدينة الإسلامية وبلبار، الحضارة العربية، من ١٨٨.

^(٢٣) الحدي، ترويح الأمل، من ١١١١ يقرت المصري، محمد قبلال، ج ٥، من ١١٠ ليس التيسير، صلة السط، من ١١٤٥ القزويني، فكر قبلال، من ٥٥٥.

^(٢٤) السطلي، في أدب الصبة، من ٦٣.

^(٢٥) قورنكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك إق ٧٠٣هـ / ١٢٠٣م، كتاب القبول والكتابة لتكلمى الموصول والصله، م ٥، ق ٦، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان إق ٦٦٢، روية. (القاريني أبو عباس بن علي بن حارون). سوشل لهذا المصدر بما بعد. قورنكشي، كتاب القبول والكتابة.

^(٢٦) كور لمدينة باجة خلية في دباغة الأمل في لامل بني حيد. القوي، فتح الطوبى، مج ١، من ١٥٩.

^(٢٧) قورنكشي، المعول العرب، ج ٦، من ٥٠٤.

^(٢٨) ابن القردوس، الاكتفاء في أمل النقاء، من ١١١٨ ابن مطروح القرسطي، أبو عبد الله إق ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م، روضة السلس، ديول أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ (الجرار القرسطي) والمصول من كتابه (قادة العصر وفلكة مصر)، تحقيق ودراسة: منجد مسلكي بهجت، مطبعة المجتمع العلمي العراقي.

- واختصت كل من غرناطة^(١) (Granada) و(بلجة) بدباغة الجلود في القرن السابع الهجري/ فثالث عشر الميلادي.
- وكان لمدينة بلجة ' حليصة في صن دباغ الأدم'^(٢). وكانت لكثير الجلود استعمالاً في المصنوعات الجلدية هي جلود المعاز والضل واليفير^(٣) وجلود السمور^(٤) وقطنيات^(٥) وقناعات^(٦) السود^(٧)، وحيوان المص^(٨)، والسمور^(٩)، إضافة لجلود الأسماك.
- ومن جملة المصنوعات الجلدية التي عرفتها الأندلس في القرون الوسطى: ثياب الأدم^(١٠)، والذرق (الدروع) المطبوخة التي تشتهر بها المرابطون والموحدون، وكانت تمتاز بجودتها ومثلتها^(١١). والقوسائد^(١٢)، ومفرش المائدة المصنوعة من الجلد لفرقيق^(١٣)، والسق^(١٤) الذي يتخذ من جلد السمك، ومنه تصنع أصداء قسوف ومقابضها^(١٥)، وقد اشتهت مدينة ملقة بصناعتها^(١٦). والجواب^(١٧)، وهي عسكرة
- ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٤٢، ١١٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن مطروح المرابطي، روحية الماس، Imamuddin, The Economic History of Spain P 193.
- (١) القشتلي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٧، رواية: (ابن فضل الله العمري في مسلك الأبطال).
- (٢) القشتلي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٥، رواية: (أبو قتادة في توبه البادل).
- (٣) السطلي، في أدب الحبة، ص ١٦٣، ابن عبد قزوف، في أدب الحبة، ص ١٠٣-١٠٤، ابن صدي، البيان، المطرب، ج ٤، ص ٣٨.
- (٤) العمري، ترصيع الأخبار، ص ١٢٧-١٢٨.
- (٥) قزوي، الجغرافية، ص ١٢٠، ١٦٦، ابن عبد قزوف، في أدب الحبة، ص ١٠٤.
- (٦) قزوي، الجغرافية، ٦٦.
- (٧) السطلي، حول إلى قدر العمل أو أقل منه، طويل القلق رأسه كراش الأثك. له أدب كلاني قمر، لسي رأسه فرون طول سود مرفوعة القلعة خارجة من بطوخة، ولجمة إلى خلفه، ومن جلد تصنع القوق للبطية، لطر. القروي، الجغرافية، ص ١١٨، حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٢٤١-٢٤٥، رواية: (أبو حامد القرطبي ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م).
- (٨) العمري، نفع الطيب، مج ١، ص ٣٥٨، العمري، قزهر القرائن، ج ٢، ص ٢٦٢.
- (٩) قزوي، أبو بكر محمد بن المص، ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م، طبقات القرويين والقرويين، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٤م، ص ٢٩١-٢٩٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القروي، طبقات القرويين، ابن حنبل، الطبقات، ج ٥، ص ٣٨٩.
- (١٠) قزوي، الجغرافية، ص ١١٨، حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٢٤٥.
- (١١) ابن هشام القسبي، المختل، مج ٢، ص ٣١٤.
- (١٢) العمري، نفع الطيب، مج ٢، ص ١١٩، بروفسلر، الشرق الإسلامي، ص ٢٣.

ومقابلها^(١)، وقد اقتصت مدينة ملقة بصناعتها^(٢). والجواب^(٣)، وهي عبارة عن وعاء من الجلد يستخدم لحط الأشياء الجلدة كالخف^(٤). كما اشتهرت الأندلس بصناعة ألجم الغويل وسروجها^(٥)، وكان المندروس الذي يدخل في صناعة السروج ويكون في القاعدة تحت الجلد يتخذ من القضة أو القصدير^(٦). وكانت حوافيت السراجل منتشرة في أسواق المدن الأندلسية لتقوية لتجالفات الجلد^(٧)، إذ لا تحمي أحمدة هذه الصناعة وضرورتها في حياة المجتمع الأندلسي آنذاك. وعرف الأندلسيون صناعة الأحذية بأنواعها المختلفة، ومن جملة ذلك: الأفرانق، وهي نوع من القمائل تتصل من الجلد وتخز بخيوط القنب، ويتخذ لها كعب من الجلد القسري يشد بواسطة العراء^(٨)، ويعرف صانعها بـ"الفرانق"^(٩). والحقاف (جمع خف) تصنع من الجلد ويقال لصانعها الحطاف^(١٠) والفرانق^(١١)، ويعرف أيضاً في الأندلس باسم "الإسكاف"^(١٢). وكان الخزفرون

==

^(١) المون، جلد السمك الذي تحب به السيلط والتمحل والسهام والصفصاف، ويكون على شكل السيوف، وقيل الفس، جلد الأطوم، وهي سمكة بحرية تعمل قوائم السيوف من جلددها، ابن منظور، لسان العرب، مج ١٢، ص ٦١٠.

^(٢) القنسي، أصل القنسيم، ص ١٢٢٩ ابن حبان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ٣٧.

^(٣) الإسطرقي، مسالك الألبار، ص ٤٢.

^(٤) السطسي، في أدب الصبغة، ص ٦٢.

^(٥) جود علي، الفصل، ج ٧، ص ٥٨٨.

^(٦) ابن حبان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٤٢ ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٦٦ الحصري، ترصيع الأبحار، ص ٦٥.

^(٧) عبد الرحمن القلي، حلة الصبغة في الطرز والتطبيق والتمويل، دار الثقافة، دار القيسية، المغرب، ط ١، ١٩٨٤، ص ١٢٩. رواية: (ابن سهل الأندلسي) سواثر له فيما بعد: عبد الرحمن القلي، حلة الصبغة

^(٨) قطر ابن حبان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٢٠٦ السطسي، في أدب الصبغة، ص ٤٨ ١٢٦ ابن حبان، القليل المغرب، ج ٧، ص ٢٤٩.

^(٩) ابن حبان، القليل المغرب، ص ١١٠٤ ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٦٦ الحصري، ترصيع الأبحار، ص ٦٥.

^(١٠) ابن بسلام، الطهارة، ج ١، ص ٢، ص ١٨٠٥ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤٤.

^(١١) ابن القوطب، الإحاطة، مج ١، ص ١٤٢.

^(١٢) يحيى بن عمر، أبو بكر يحيى بن عمر بن يوسف الكندي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، أحكام السوق، تحقيق:

حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الفشرقي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م ص ٩٤.

يصنعون نوعاً من الخفاف التي تلبسها النساء تعرف باسم " الخفاف الصرارة "، وقد نهى يحيى بن عمر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) الخزازين عن صنعها ونهى النساء عن لبسها في الأسواق^(١)، بهدف الحفاظ على المصلحة العامة. والأمواق (جمع موق)، وهي لحذية تصنع من الجلد وتلبس فوق الخف^(٢)، ويعرف صانعوها بالموثق^(٣).

واستغل مسلمو الأندلس الجلود في صنع (تجليد) الكتب والمصاحف^(٤)، إذ كان من شأن التجليد أن يحفظ الكتاب ويصونه من التلف لمدة طويلة، ويضفي عليه جمالاً ومهولة في الاستعمال والنقل^(٥). ولذا كان الأندلسيون يعتبرون غناية خاصة بهذه الصناعة حتى أنها بلغت العلية في الجودة والانتقال، وكانت مدونة (ملقة) تكثر المدن براعة وإتقاناً في صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب تجليداً نفيساً على وجه الخصوص، وقد بذل الهواة من جامعي الكتب كما بذل الأمراء المسلمون جهداً رائعاً كانت نتيجته تكمين المكتبات العامة، وتجميع المتوصل لتتسوقها، وإدخال تجلود كتبها، مما أسهم بنصيب ملحوظ في هذا التطور الذي لا نظير له في فن تجليد الكتب في العصور الوسطى^(٦).

==

يشير لهذا المصدر فيما بعد: يحيى بن عمر، أحكام السوق ابن عديم، في القضاء والقضاء، ص ١٦٠، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، كتاب الفسلفة، المدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن بشكوال، الفسلفة ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٧٩.

^(١) يقول أهل الأندلس " إنكاف الفخرف خاصة. قال أبو بكر: وكل صانع عند العرب إنكاف لظفر. الفريدي، لمس العرب، ص ١٢٤٧ ابن هشام القمني، المنجل، ص ٢، ص ٢٣٩

^(٢) لأن هذه الخفاف تصدر أصواتاً مبررة، تلت انتباه الناس ويقتلي تشظهم عن أعمالهم، يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ٩٤.

^(٣) ابن منظور، لسان العرب، ص ١٠، ص ٣٥٠.

^(٤) ابن مطروح السراطلي، روضة الصالحين، ص ٤٢، ١١٤.

^(٥) ابن القاضي، أبو القاسم لمد بن مسد الشكفي، (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م)، ديل وبلغت الأحوال المسمى ذرة العجل في أسماء الرجال، ج ١، ١٢، تحقيق: محمد الأحدي، دار التراث والمكتبة المتينة، ١٩٧٠، ص ٢٦٤-٢٦٥، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن القاضي، ذرة العجل، انظر: الفريدي، نصح الطيب، ص ٦٨-٦٩.

^(٦) كريم عجيل، الحياة العلمية في مدونة بالتشية الإسلامية (٩٢-٩٤هـ / ٧١١-٧١٠م)، ط ١، مؤسسة قرساق، بيروت، ١٩٧٦، ص ٢٧٤، يشير له فيما بعد: كريم عجيل، الحياة العلمية.

^(٧) كريم عجيل، الحياة العلمية، ص ٢٧٤.

وكانت مكتبة القصر في قرطبة في عهد الحكم المستنصر تضم أشهر المجلدات في الأندلس التي كانوا يعملون في القصر باستمرار ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد، وعلامة ورسمون أيقونوا الكتب التي كان يسحبها القضاة بالرخاريف الجديدة^(١). ولعل أبلغ ما يصور الرقي الذي وصلت إليه هذه الصناعة (صناعة التصدير) في المغرب والأندلس هو ما عمله الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨ م/ ١١٢٩-١١٨٩ م) في نظية المصحف العثماني، وكان قد وصله هدية من أهل قرطبة، فاعتقل لفولة بمرآش لمتقالاً عظيماً، وصنع له أغشبة محلاة بالسنن الأخضر والذهب والفضة، ومرصعة بالياقوت الأحمر والأصفر والأخضر، ولواح الحجارة الكريمة^(٢). وقد قال الوزير الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل (ت ٤٥٨١ م/ ١١٨٦ م) في رسالته الطويلة التي وصف فيها هذا العمل ما يلي: 'وتلكوا في استكمال أحفظته، وبالغوا في استعادة أصولته، فحشروا له الصنائع المتكئين والمهرة المتقنين، ممن كان بحضرتهم الطية، أو سائر بلادهم القريبة والقريبة، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصوائين والنظارين والحلّاتين والفتائين والمرصعين والحجارين والزواقين والرسامين والمجذّبين وعرفاء البنايين، ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذاق في صناعة، إلا لحضر للعمل فيه والاشتغال بمطلى من مهنية...'^(٣).

وقد وصف بعض الأندلسيين كتاباً في الموضوع^(٤) (صناعة التصدير) نكل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس، وبخاصة في عهد الموحدين. ومن ذلك كتاب

(١) خوان ريبيرا، المكتبات وحرارة الكتب في إشباهة الإسلامية، ترجمة: جمال محمر، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤، ج ١، ص ٥٨، ١٩٥٩ م، ص ٨٦-٨٧، يشير لهذا المرجع فيما بعد.

خوان ريبيرا، المكتبات وحرارة الكتب، كريم عجيل، مجلة الطيبة، ص ٢٧٤.

(٢) ابن صاحب السلاسل في الإلهام، ٢٤٩-١٣٥٠ الإشباهة، كتاب الفيسر، ص ١٢ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص ١١٢٩ مقري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٦١٢ عز القيس موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢٢٩.

(٣) الإشباهة، كتاب الفيسر، ص ١٢ مقري، فتح الطوب، مج ١، ص ١٦١٢-١٦١١، مؤلف مجهول، علاقة الموحدين، ص ٤١٥-٤١٦.

(٤) مثل كتاب نيل العربي، وكتاب الفيسر في صناعة التصدير الذي ذكره الإشباهة في اسم مؤلفه: الفخر: الإشباهة، كتاب الفيسر، ص ٧، ٤٠.

القيصر في صناعة التفسير جبر بن إبراهيم الإشبيلي* المتوفى سنة (١٢٢٩هـ/ ١٢٣١م). ويتناول هذا الكتاب بالتفصيل صناعة تفسير الكتب والمصالح، فيبحث عن أسماء الآلات المتعلقة في هذه الصناعة^(١)، وعن الأغربة والأصباغ وكيفية تحضيرها^(٢)، وعن كيفية تخريم الكتب والمصالح^(٣)، وتقويتها^(٤) وتساويتها^(٥) وحكها^(٦) وتطيلها^(٧)، ويصل الكلام في كيفية تركيب الجلد^(٨) وزركشته وزخرفته^(٩)، وفي عمل القربة المصالح^(١٠)، وينتكم عن كيفية إصلاح الأسفار البالية^(١١)، وطرد الأرضة عن الكتب بتخيرها بأصعاء الهدد وريشة^(١٢).

ومن أشهر مراكز المصنوعات الجلدية في الأندلس، مدينة وشقة^(١٣) (Huesca) ومراسطة^(١٤)، وأبله^(١٥)، وجبلى^(١٦) (Jaen)، وبجالة^(١٧) (Pechina)، وغلطلة^(١٨)

(١) من الآلات المتعلقة في صناعة تفسير الكتب نذكر ما يلي: القفراس، القندة، المرم، حبر المس، الإبر، الأتلى (الحرر الأقرية)، المذك (ذلك البطاني)، السكين لتسوية، الحديد القش كالمصقلة والمشط، والمجرب (تقطع الذهب) ومجربة بالقش عليها، القنت، المسطرة المسابك وحبر القزاني الذي يصرّب به في التسوية. انظر: الإشبيلي، كتاب التفسير، ص ١٠-١٢.

(٢) يتعد الفراء من الفناء، والفرك، والفق الأحر. الإشبيلي، كتاب التفسير، ص ١٢-١٣، ٢٨-٢٩.

(٣) الإشبيلي، كتاب التفسير، ص ١٤-١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥-١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨-٢٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٧.

(٩) كانت الكتب تزركش وتزخرف بالأنكال الهندسية، وذلك باستخدام ختم مروج أو مسندس أو منس لو

دائرة. المصدر نفسه، ص ٢٩-٣٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(١٣) الطري، ترصيع الأخبار، ص ٦٥.

(١٤) ابن مطروح قرطبي، روضة المحاسن، ص ٤٢، ١١٤-١١٥.

(١٥) ليلوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٠ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٥٥ فيلوي، تلخيص الآثار،

ص ١٣٥.

(١٦) ابن بيلم، الفخري، ق ١، مج ١، ص ٨٠٥.

وبسطة^(٦٦) (Baza)، وأندوش^(٦٧) (Andarax)، وشريش^(٦٨) (Jerezuela)، وإشبيلية^(٦٩) وبلنسية^(٧٠) (Valencia) وقرطبة، ومالقة. وهذه الأخيرة اشتهرت بعمل المصنوعات الجلدية، كالأحذية والحزم والمنورات^(٧١) ولذا وصفها ابن الخطيب بقوله: إنها «معدن صنائع الجلد المنتخب»^(٧٢) وهذا يدل على براعة أهلها وإتقانهم لهذه الصناعة. وفي قرطبة ازدهرت صناعة الجلود وديباختها، وتميزت بصناعة الأحذية حلصية، ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى فرنسا وانجلترا إذ أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلود اسم الجلد القرطبي (Cordavan)^(٧٣)، وأطلق الفرنسيون على صنائع الأحذية اسم "Cordonnier" أي قرطبي^(٧٤). وفي تلك الدلالة وصحبة على أثر الحضارة الأندلسية في الحضارات المجاورة، وإشارة جلية إلى جودة المصنوعات الجلدية الأندلسية وتميزها.

—

(٦٦) ابن بشكوال، الفسحة، في ١، ص ١١٨، عر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٠.

(٦٧) ابن الخطيب، الإحصاء، مج ١، ص ١١٤٣ مؤلف مجهول، نهاية العصر، ص ١٤٤ عر الدين موسى، النشاط، ص ٢٣١.

(٦٨) ابن سعد، المغرب في حلي الشرب، ج ٢، ص ٧٩.

(٦٩) ابن القاضي، نزهة المجال، ج ١، ص ١٣٠.

(٧٠) ابن الخطيب، تكملة الكناسة في من لقيناه بالأندلس من شعراء الفسحة القائمة، تحقيق: إسماعيل صليو، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣، ص ٧٠-٧١، يشير لهذا المصدر فيما بعد ابن الخطيب، تكملة الكناسة.

(٧١) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص ١١٢ عر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٠.

(٧٢) الأردى، جمال الدين أبو الحسن علي بن عمار (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)، بدائع الفوائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣١٢، يشير لهذا المصدر فيما بعد: الأردى، بدائع الفوائد.

(٧٣) التتشيدي، صبح الأعشى، مج ٥، ص ٢١٢، رواية: (بئر فضل لله العمري في سلك الأوصال).

(٧٤) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص ١٥٩، ابن الخطيب، ربيعة الكتاب، مج ٦، ص ٢٥٦.

(٧٥) سعيد عثوري، المدينة الإسلامية، ص ١١٨٢، على: نهاية الأندلس، ١٤٤٧: بروغفال، حضارة العرب، ص ١١٢٨ وبيتر، الحضارة العربية، ص ١١٨٨، Imamuddin, The Economic History of Spain P.193

(٧٦) وبيتر، الحضارة العربية، ص ١١٨٨، بروغفال، حضارة العرب، ص ١٢٨.

٥. التجارة وأعمال الخشب

حظيت صناعة التجارة وأعمال الخشب بمكانة مهمة في المجتمع الأندلسي. وقد ساعد على ذلك وفرة الأخشاب في مناطق الأندلس المختلفة، ووجود الأيدي العاملة الماهرة، وازدهار الحركة العمرانية وبخاصة عمارة المساجد والقصور وما كلفت تتطلبه من منابر ومقصورات خشبية، وسقوف وشبابيك ولوالب وكثالث.

وقد كلفت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية في الأندلس ابتكاه من قسرين اربع الهجري/ العاشر الميلادي على الأقل على درجة كبيرة من الإتقان والرفيعة^(١). ويستدل على ذلك من خلال بعض الشواهد التاريخية التي وصلتنا، فالخليفة عبد الرحمن الناصر مثلاً أمر بصناعة منبر للمسجد مدينة قرطبة (Alzahra)، "مصنع في نهاية من الحصن ووضع في مكانة منه"^(٢). كما أمر الخليفة الحكم المستنصر بصناعة منبر للمسجد الجامع في قرطبة، "مصنع من أكرام الخشب"^(٣). وقد وصفه المؤرخون وصفاً رائعاً، يدل على دقة الصنع وإتقان في العمل، وقد اتخذ من خشب الأبنوس واليفس وعود الجوز^(٤)، وذكر ابن غالب (ألف في ١٠٦٠ هـ / ١٦٦٠ م) أنه مؤلف من خشب الصندل الأحمر والأصفر، والأبنوس والعود الرطب والمرجان، وأوصفه وحشواته من فضة قمينة المنيلة، "ارتفاعه سبع درجات سبعة أربعة ثلثين ونصف شبر، والذراعان الممتدان على جانبيه من أعلى الأبراج إلى أسفلها من أبنوس، طول كل ذراع منهما ثمانية عشر شبراً"^(٥). وقد صنع هذا المنبر من أكرام خشب الأبنوس والصندل والبنج والبنم والشوحط وهو مركب من ست وثلاثين ألف قطعة متصلة، سموت بمسامير الذهب والفضة، ورصعت بنفيس الأحجار الكريمة^(٦). أما مقصورة الجامع فقد أقيمت

^(١) كولان، الأندلس، ص ١٧٧.

^(٢) المقرئ، زعفران قرطبة، ج ٢، ص ٢٦٦.

^(٣) المقرئ، نفع الطوب، مج ٦، ص ٥٥١.

^(٤) الأندلسي، زعفران قرطبة، ج ٢، ص ١٥٧٧. كوك، ابن الوردي، خريطة المجلد، ص ١٢١. المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٥.

^(٥) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٩. عبد العزيز سالم، خريطة حضارة الحضارة، ج ٢، ص ١٤٦.

^(٦) المقرئ، نفع الطوب، مج ٦، ص ٥٥١-٥٥٢. لوريد من الفضل، ص وصف منبر المسجد الجامع في قرطبة، انظر ابن الوردي، خريطة المجلد، ص ٢١-٢٢. المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٥. قصبي، رحلة لوز، ص ٢١-٢٢. الأندلسي، محمد بن علي السوسي، ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م، قنور

حول المحراب في زيادة الحكم المستمر، وكان لها ثلاثة أبواب بدوعة الصنعة عجوبة
النقش^(١)، وكان بلها الرئيسي من الذهب المضروب، وعضفتاه من عود الأبوس^(٢).
وحظيت صماعة المنبر والمقصورات المشيئة بشهرة كبيرة في عهد الموحدين،
فذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتبية بمرآكش "مديراً عظيماً كل
قد صنع بالأندلس في غاية الإتقان، قطعاه عود وصنل لأحمر وأصفر، وصنفته من
الذهب والفضة^(٣) وعمل للجامع مقصورة من النضب تتألف من ستة أضلاع، وتبلغ
لكثر من ألف رجل. وكان المهتمس الأندلسي الحاج يعوش الملقب قد تولى صنعها،
وركبها على حركات هندسية، بحيث تتحرك تلقائياً، متى دخل الطليعة الجامع، فتخرج
أضلاعها بطريقة آلية، لا يسمع لها حس ولا يرى تغييرها، ويخرج من داخلها المنبر
الذي جعل فيها مستوراً. وكان باب المنبر يفتح من تلقاه متى سعد إليه الخطيب^(٤).
وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنبر قد صنع في مدينة قرطبة، وبشكل على ذلك من نقش
كتابي، نقرأ فيه. أنه صنع "بمدينة قرطبة حرسها الله^(٥)". وفي ذلك دلالة واضحة على

—

قضية في أخبار السلالة الإدريسية، طبع بمعرفة وزارة الإعلام والثقافة، ص ١١٧، يشير لهذا المصدر أيضاً
بعد الإدريسي، القدر السنية، مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٢٦-١٢٧، عبد العزيز
سلم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٤٦، علي الجارم، قصة العرب في إشباه، ص ١٢١.

(١) المقري، تلح الطيب، ص ١٠٦، روية: (إن يشكوك).

(٢) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٧، عبد العزيز سلم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) مؤلف مجهول، القل الموشية، ص ١٤٤، يذكر بعض أن هذا المنبر صنعه الأمير المرابطي علي بن
يوسف بن تاشفين، وبشكل على ذلك من نقش كتابي في نهايته الجملة التالية: "لهم أم الأمير علي بن
يوسف بن تاشفين ومن بعده ولي عهده" مما يحدد تقريباً بين سنتي ١١٣٩، ١٤٢٠م. (٥٢٨، ٥٢٩هـ)، وقد
ورد على فتحية نكر السنة التي تم فروعها من قبل المنبر في نقش الأسس به، لكنه طمس كما طمس
اسم الأمير بأيدي الموحدين، وجاء في هذا نقش الأسس أن المنبر قد صنع في قرطبة لهذا الجامع العظيم
أو جامع مرآكش الذي شيده الأمير علي ملاحقاً لقصوره. انظر: مورينو، مقبول جوهري، الفن الإسلامي في
إشباه، ترجمة: لطفي عبد الجبيل والسيد محمود عبد العزيز سلم، مراجعة جمال محرو، الهيئة المصرية
للعلم للكتاب، ١٩٧٧، ص ٢٥٠. ويشير لهذا المرجع أيضاً بعد: مورينو، الفن الإسلامي في إشباه، ص ٢٥٠.
رملة، عائلات الموحدين، ٤١٣-٤١٥، كولان، الأندلس، ص ١٧٨.

(٤) مؤلف مجهول، القل الموشية، ص ١٤٤-١٤٥، عز الدين موسى، نشاط الاقتصاديين، ص ١٢٣، لموسى
رملة، عائلات الموحدين، ص ١٤٢، عبد العزيز سلم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٤٧.

(٥) عبد العزيز سلم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص ١٤٢، انظر: مورينو، الفن الإسلامي في إشباه، ص ٢٥٠.

تميز قرطبة وتفردها بهذه الصناعة، التي اشتهرت بها منذ القرن الرابع الهجري /
العشر الميلادي^(١).

كما عمل الخليفة الموحد يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٦-
١١٨٤م)، مبراً للمسجد الجامع الذي أقامه في مدينة إشبيلية، فبلغ المئوية في الجودة
والإتقان. وصنع هذا المنبر من أكرام الخشب، وكان منقوشاً مرصعاً محكمًا بأنواع الصنعة
والحكمة، ورمع بالفضة، وكل مجرعاً بالمعاج والأبنوس، يتلأأ كالجمهر، وعليه
صقلح من الذهب والفضة، وهناك أشكال من الذهب الإبريز، يتللق نوراً ولصنعت إبره
مفسورة من أحسن الخشب^(٢).

وتقدم مسلمو الأندلس تقدماً كبيراً في مجال التجارة وأعمال الخشب، فبيع
التجارون في صناعة أثاث البيت والأثاث المنزلية المتنوعة، وغير ذلك من الأدوات
المستخدمة في حياة الإنسان، والتي تعد من ضروريات الصرمان البشري^(٣). فكان
التجارون يصنعون الخزائن والصدائيق والأقفال والمفاتيح والسلاسل^(٤) والكراسي،
والطاولات، والمشاجب التي تعلق عليها الثياب، والمسامير الحديدية التي تطلق
عليها اسم الشمر (جمع شمر)^(٥) وكانوا يصنعون الأسرة من خشب الخيزران وقد
انتجوا أنواعاً رائعة للخلفاء خاصة كانت تعرف باسم "مسرة الخلافة"^(٦) وكان
التجارون يصنعون الأكواب والطراف المقابض^(٧) وبعض أدوات المطبخ، كالمغارف
والملاعق، والمهناوس، والأثواح التي تمد عليها أطعمة الحبز، وكانت هذه الأدوات تتخذ
من خشب البلوط أو البطم أو الدردار أو البقس أو العناب^(٨). وكانوا يصنعون بعض

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الملائكة، ج ٢، ص ١٤٦-١٤٨ أبو رميلة، علاقات الموحدين،
ص ٤١٢.

(٢) ابن صاحب الصلاة، ص بالإسبانية، ص ٢٨٧-٢٨٨ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص ٤١٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٩٢٧-٩٢٨.

(٤) ابن خلدون، في القضاء والحكمة، ص ٥٩، ٢٦.

(٥) ابن هشام القاسمي، المدخل، ص ٢٠٦، ص ١٧١، Imamuddin, The Economic History Of Spain.

P190

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٠٩.

(٧) ابن خلدون، في القضاء والحكمة، ص ١٢٦، ابن رشد، قانوني، ج ٢، ص ٨٩٧-٨٩٨.

البلوط أو البطم أو الدردار أو البقس أو العناب.^(١) وكانوا يصنعون بعض الأثاث الفرارية كالمنزى والمحرثات الخشبية،^(٢) وبعض أدوات العمل والتمسج، كالنول والتمسج والمعدن والمعرول والمكدة أو (المقصرة)، وهي خشبة التي يستخدمها القصار.^(٣) ويرع القهارون في صناعة قوالب الأجر والقرنيد^(٤) والشبليك والسقوف والأبواب الخشبية، وأمثال ذلك من المصوغات التي تدخل في صلب البناء وتكون جزءاً منه^(٥)، وما يذكر أنه كان يصل في بناء مدينة قرهءاء في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ما كنا نجار تولوا صناعة ما تحتاجه المصانع والمجاش والقصور والمساجد من أثاث وسقوف وأبواب وشبليك خشبية.^(٦) وذكر الإدريسي (ت. ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) أن سقف وأثاث وأبواب المسجد الجامع في قرطبة قد أخذت جميعها من خشب الصوبر المارطوشي.^(٧) وكانت أبواب المجاش والقصور تتخذ من خشب السرو،^(٨) وترعوف بالخشب المنقوش والفرص.^(٩) وكانت قطع الخشب تسعر بالمساجير أو تدخل نهاياتها ببعضها بطريقة لينة^(١٠) تدل على دقة الصنعة، وتمكن النجار الأندلسي من حرفته.

ومن بين المصوغات الخشبية المتميزة، التي تكل على تطوّر هذه الصناعة وتقمها في الأندلس، وبخاصة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ما

^(١) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نشر ليرويو لوبيز ميروندا، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٩، ١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م، ص ٨٤-٨٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، كتاب الطبخ.

^(٢) ابن هشام القسبي، المختل، مج ٧، ٣٦٢، ٣٦٣، هاجد، الوضع الزراعي في الأندلس، ص ٩٤-٩٢.

^(٣) ابن هشام القسبي، المختل، مج ٢، ص ١٢٠، ١٨٣، ٢٥٤، ٢٠٤، ٣١٨، ٣٢٤.

^(٤) ابن جردون، في القضاء والصحة، ص ٣٤-٣٥.

^(٥) نظرو. الصوري، سفرة جريدة الأندلس، ص ١٥٣-١٥٨، المقرئ، فتح الطيب، مج ١، ص ٥١٥-٥٥٢.

^(٦) ابن غلب، فرحة الأندلس، ص ٣٠١-٣٠٢. رواية. (ابن حيان) المقرئ، فتح الطوب، مج ١، ص ٥٦٤. رواية (ابن القرمي) المقرئ، زهر قرين، ج ٢، ص ٢٦٥.

^(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٥.

^(٨) مكنلي، الإكسير في فمكة الأسير، ص ٣٦.

^(٩) ابن غلب، فرحة الأندلس، ص ٣٠١.

^(١٠) ابن جردون، في القضاء والصحة، ص ٥٩.

صنعه الموحنون للمصحف القماني، ذلك أنهم اتخذوا له محملاً وكرسياً من الخشب* غريب الصنعة، يدع الشكل والصيغة.. منشىً كله بضروب من القتر صوغ، وغنن من القنقش البديع، في قطع من الأبنوس والخشب الرفيع، وصنعوا لذلك الكرسي تلويناً مكعب الشكل، له بابان بدنيان يفتحان بمفتاح ومنى ما فتح خرج الكرسي من تلقاء نفسه يرجوع لبدنيين إلى موضعهما، وقد رتبت هذه الحركات على حركة المفتاح، فإذا ما أدير عكس الجهة أتي أدير إليها أولاً، فتفتح الباب ولأخذ الكرسي والمحمل في التحول، فإذا علا كل إلى مكانه ينطلق الباب تلقائياً^(١).

واستخدم الخشب في صناعة لعب الأطفال، كالقوارق والكمادين وما يشبهها. وفي صناعة توليدت القصور^(٢)، وحلالي القتل^(٣)، وغريبل الحنطة المتخذة من خشب الحلاء^(٤)، وفي صناعة القيقب (نوع من الأحذية)^(٥)، أو في الخشب المخروطة^(٦). وهذه الأخيرة يعرف صانعها بالمخراط وحرفته المخراطة، ومن المصعد لى تنكر لى حوانيت المخراطين كانت منتشرة في أسواق قرطبة^(٧) في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(٨)، وفي حصن غرطاسة^(٩) في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وقامت في بعض المدن الأندلسية صناعات خشبية متخصصة، فاشتهرت مرسية (Murcia) بصناعة الأسرة المربعة^(١٠) وطرطوشة (Tonosa) بالآلات والظروف^(١١)،

^(١) القماني، فتح الطيب، مج ١، ص ٦١٣ - ٦١٤ روية (ابن طاهر) عن ابن موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٥.

^(٢) ابن رشد، غنوي، ج ٢، ص ١٩٤٠ عن ابن موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢١.

^(٣) ابن حنون، في القصد والقيمة، ص ٤٨.

^(٤) الأتيلي، المتع في القلعة، ص ٦٧-٦٨.

^(٥) ابن حنون، في القصد والقيمة، ص ١٣٥ السطلي، في أدب القيمة، ص ٦١.

^(٦) ابن هشام القسبي، قدخل، مج ٢، ص ١٦٧.

^(٧) المراكشي، قبل والكملة، ص ٥، ق ١، ص ٣٦١.

^(٨) ابن حنون، المقبول، ج ٥، ص ١٤٢.

^(٩) الأندلسي، نزعة المشتق، ج ٥، ص ٥٦٩.

^(١٠) القماني، فتح الطيب، مج ١، ص ١٠٢. روية (ابن سويد).

^(١١) القرويني، أثر البلاد، ص ٥٤٥.

وبطاليس يلمن قرب لورقة بأصل فنجانة^(١)، وغرنطة بمراوح الحلقاء، وشوش بمرابيلها^(٢)، وملقة (Malaga) بأطباق الخوص^(٣)، وقبيرة أو بالأفلام الحشبية^(٤)، وحص غشلة بمساعة لواني الخشب المخروطة، كقصاع والمخاي والأطباق، وكل ينتج منها ما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب^(٥).

واشتهر الأندلسيون وبخاصة أهل إشبيلية بصناعة بعض الآلات الموسيقية من الخشب، فصنعوا أصحافاً متنوعة منها، كالصبال والكريج، والعود والروطة، والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقنار والقزلامي والكثفيرة والقنورة (وهما مزماران أحدهما غليظ الصوت والآخر رقيقه) والبيق والدف والقوال واليرا ولجو شرون وديبسة الموفن وحماقي البربر^(٦)، إضافة للمهر والطنبور والقرطبة^(٧). وكانت هذه الآلات أكثر ما تصنع في إشبيلية، ومنها تجلب إلى بلاد المغرب^(٨). ومما يدل على شهرة إشبيلية بهذه الصناعة أنها تميزت من بين بلدان الأندلس بإقبال أهلها على الطرب، وفي ذلك يقول ابن رشد (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) مقارناً بين قرطبة وإشبيلية: «إذا مات

(١) ابن خلدون، القرناني، جنة قرصاء، ج ٢، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) القشتالي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢. رواية: (ابن السكيت).

(٤) ابن خلدون، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م)، فلكند القليل، ومجلس الأهل، ط ١، تحقيق حسن يوسف خريوش، مكتبة الفن، لوزان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩، ص ١٩٢. سنن لهذا المصدر فيما بعد ابن خلدون، فلكند القليل: الأسطى، خريدة القصر، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٥) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٩. ابن فضل الله المصري، سلك الأئمة، ج ٢، ص ١٣٦. المصري، صف جزيرة الأندلس، ص ١٦٥.

(٦) القشتالي، فلكند الأندلس وأهلها، ص ١٥٢. مغري، فتح الطوب، ج ٢، ص ١٢١٢. حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ص ٢٢٦.

(٧) القشتالي، أبو عبد الله محمد (ت حوالي ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)، كتاب التنبؤات من قسطنطين أصل الأندلس، تحقيق: إسماعيل عيسى، دار الثقافة، بيروت. ابن أبي عمير (ت ١٠٦-١١١)، سنن لهذا المصدر فيما بعد القشتالي، كتاب التنبؤات، ص ٢٢٦. نشاط الاقتصادي، ص ٢٢٦.

(٨) القشتالي، فلكند الأندلس وأهلها، ص ١٥٢. مغري، فتح الطوب، ج ٢، ص ٢١٢.

علم بإثباته فأريد بيع كتبه حصلت إلى فرطية حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بفرطية فأريد بيع آلاته حصلت إلى إثباتية»^(١).

ومما يصور براعة أهل الأندلس في صناعة الآلات الموسيقية، أن أبا علي محمد ابن الحمزة الغرناطي اشتهر به أنه كان يصعد للشعراء، فيقطع الحود بيده، ويصنع منه عوداً للغناء، ويُنظم الشعر ويلحنه، ويغني به^(٢).

^(١) الفاري، نفع الطوب، مج ١، ص ١٧١؛ إحصاء جيلس، أعيان الغناء والمغنى في الأندلس، ١٢٨هـ — ٥٣٩ هـ/ مجلة الأبحاث، تصدر عن الجامعة الأمريكية في بيروت، المجلد ١٦، ج ١، آذار، ١٩٦٣م، ص ١٧، يشير له فيما بعد: إحصاء جيلس، أعيان الغناء والمغنى.

^(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٢٠، الفري، نفع الطوب، مج ٢، ص ١١٤ و ص إحصاء الغناء والمغنى في الأندلس، انظر: مقال الدكتور إحصاء جيلس السابق لفتكر.

الفصل الثاني

الصناعات المعدنية والكيمياوية

الذهب والفضة من أهم المعادن التي استُخِذت في إسبانيا على نطاق واسع منذ العصور القديمة. وكانت المصنوعات الذهبية والفضية معروفة ومستخدمة فيها قبيل الفتح الإسلامي^(١)، إذ عثر المسلمون بعد الفتح على كميات وفيرة من منتجات الصاغة في المدن المفتوحة^(٢)، فقد وجدوا في مدينة طليطلة (Toledo) مثلاً مقلد ومبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدر، وأصناف الحجارة النفيسة، كما وجدوا من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة أشياء كثيرة^(٣). وكانت تحقّق المسلمين من الذهب والفضة كثيرة^(٤). الأمر الذي يدل على تقدم صناعة الصاغة وازدهارها في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.

ووجد المسلمون في مدينة طليطلة المقلدة المعروفة بمقلدة سليمان بن دلود عليها السلام^(٥). وكانت هذه المقلدة مصنوعة من الذهب ومرصعة بالدر والياقوت والزمرد والرمز، وأصناف الحجارة الكريمة^(٦). وكان طارق ابن زياد قد عثر عليها وأحضرها إلى مدينة قرطبة، وعندما وقع الخلاف بينه وبين القائد موسى بن نصير أرسل إحدى أرجلها لأمر بدبره في نفسه^(٧)، فلما سأله موسى عنها قال: هكذا وجدتها، فصدقته

(١) Imenuddin . The Economic History Of Spain. P220-221

(٢) نظر ابن القوطية، تاريخ فتوح الأندلس، ص ١٤٦-١٤٧ ابن القتيبي، صلة السمع، ص ١٥٥-١٥٦، الرواية: (نقل عن المختصر القليبي الأثوري).

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥ ص ٥٥٦-٥٥٧، نظر كذلك: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، مع، ج ٢، ص ١٢٩ ابن الوردي، خريدة السعدي، ص ٢٦-٢٧.

(٤) ابن القتيبي، صلة السمع، ص ١٥٦ الرواية: (نقل عن المختصر القليبي الأثوري).

(٥) ابن كزديوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٠ ابن القتيبي، صلة السمع، ص ١٥٦-١٥٧، قزوي، آثار قبلا، ص ١٥١٧ ابن الوردي، خريدة السعدي، ص ٢٧.

(٦) لم يذكر طارق أن يثبت الخليفة بعد عونه المشرق أنه صاحب الفضل الأول في فتح الأندلس. فقد ذكر ابن كزديوس أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة، "استعصر موسى بن نصير وسأله عن المقلدة وليس رجلاً قتال له هكذا وجدتها حيث أخذتها، فأخرج له طارق الرجل من عنده وقال بل أنا أخذتها هي وجميع ما أتى به غير اليسير" ابن كزديوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٠-٥١.

موسى، ولما الصاعقة بأن يصنعوا لها رجلا من الذهب^(١). مما يدل على أن المسلمين استعملوا في بداية الفتح بمحترفي هذه الصناعة من أهل البلاد المفتوحة. ولما بعد الفتح والاستقرار في الأندلس فقد أخص المسلمون استعمال ثروات البلاد الطبيعية، فاستقافوا من خبرة سكان البلاد في هذا المجال، واستقدموا الأيدي العاملة من المشرق الإسلامي، واستخرجوا كميات وفيرة من معادن الذهب والفضة من بولصبي الأندلس المختلفة، واستخدموها في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الأئنة والحلي ولقطت تقنية الجميلة، حسبما سيأتي تفصيله.

لقد اهتم الصاعقة الأندلسيون بصناعة أئنة الذهب والفضة، حتى شاع استعمالها بين فئات المجتمع الأندلسي في القرن الثاني الهجري/ القرن الميلادي، وكان روياب^(٢) الذي دخل الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أول من نصح الأندلسيين باستخدام الأئنة المصنوعة من "قجاج الرقيق" بدلا من الأئنة الذهبية والفضية^(٣).

وكان الصاعقة الأندلسيون في عهد الإمارة يتخذون في صناعة الحلي على أشكال متعددة ومتنوعة لتتناسب الأنواق المختلفة، فبرعوا في صناعة الأساور والأقراط والحلقات والخلخاليل والدمالج، والنجال، والسلاسل والقفود^(٤) والحللات^(٥) وهي حلي تصاغ على هيئة البقللا^(٦) ويطلق عليها في الأندلس اسم الصغرة^(٧). وكانت جواربي الأمراء يترين بمنتجات الصاعقة الثمينة، فينكر مثلا أن جارية لهشام بن عبد الرحمن

(١) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الطغاة، ص ١٩٠-١٥٠ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٨-١٩.

(٢) روياب هو رئيس القسطنطيني الذي بنى قلعة بربرياب، مولى الخليفة المسمدي المسملي. وروياب لقب عاب عليه ببلادة لسوء لونه، مع إصباحة لسانه وحداثة شملته، شبه بطلان لود غرد عظامه، وكل شيئا لاسحاق الموسلي - قصي المشهور ببداق - وقدم الأندلس مهلبا إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط وتوفي سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٧م). انظر: ابن خزيمة، المطرب، ص ١١٢٧ القري نوح الطيب، معج ٢، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٣) القري، نوح الطيب، معج ١، ص ١٢٨. رواية: ابن حبان، برواسل، الشرق الإسلامي، ص ٢٢.

(٤) ابن خزيمة، القسطنطيني، معج ٥، ص ٢٥٢ ٢٥٣. ١٤٦٠ ابن هشام القسطنطيني، المعجل، معج ٢، ص ١٤٢، ٢٨٦، ٣٦٠، ٣٢٨ مورو، الفن الإسلامي، ص ١٠٢ ١٠٢. القوي، ملحق من المجتمع الأندلسي، ص ١١٧١.

عبد العزيز سالم، قرطبة، حاضرة الثقافة، ج ٢، ص ١٤٤-١٤٥.

(٥) ابن هشام القسطنطيني، المعجل، معج ٢، ص ٢٨٢. القوي، ملحق من المجتمع الأندلسي، ص ١١٧١.

الذليل (١٧٢- ١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦ م)، كانت تستلك عقدا قيمته ثلاثة آلاف دينار^(١)، وإن الأمير عبد الرحمن الأوسط قد أهدى لجاريته طروب خديجا قيمتها مائة ألف دينار^(٢)، كما أهدى لجارية من محبوباته عبد جوهر قدر قيمته بمائة ألف دينار^(٣). وقد بلغت صناعة الصياغة أوج عظمتها وازدهارها في عصر الخلافة الأموية، إذ استخدم الأتلمسيون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الأثاث والأثنية والتمتع والتمثيل الجميلة، ومن لزوع الأمثلة التي تشير إلى ذلك، ما روي أنه الموزخون عن محتويات مسجد قرطبة الجامع، ومن منشآت مدينة قرطبة التي أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر.

أما المسجد الجامع، فقد كانت قباب مقصورة مذهبة، وبهاها الرئيسي مصنوعة من ذهب مضروب وأوصاله من فضة وكذلك جدران المحراب، وما يليه قد أجري فيه لذهب على الصيغ^(٤). وكانت في البيت الواقع شمال المحراب عدد وطسوت ذهب وفضة وحسك، وكلها لوغيد الثمن^(٥) بينما كل في الجامع حاصل كبير مائى من أئمة فذهب والفضة لأجل وفرد^(٦). أما الثريات، فكل منها في المقصورة ثلاثة مصنوعة من الفضة المحضنة^(٧)، وكما كانت في المسجد الجامع ثريا عظيمة يبلغ قطرها خمسين شبرا، وتحتوى على ألف كلس وأربعة وثلاثين كلها موشاة بالذهب^(٨). أما المنبر، فكلفت أوصاله وحشواته مصنوعة من الفضة المثينة المنيلة^(٩) وهو مركب من ستة وثلاثين

(١) Imamuddin .The Economic History Of Spain. P.221

(٢) عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٤.

(٣) ابن الأثير، حلة السواد، ج٩، ص١١٦.

(٤) فيكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٢ ابن شالب، فرحة الأندلس، ص٢٩٧، ١٢٩٩ القري، نفع الطيب، ص١٠٠، ص٥٤٧، رواية. (صاحب كتاب مجموع المفق).

(٥) الإبريسي، فرحة المشتاق، ج٥، ص١٥٧٧ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٥.

(٦) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص١٢١ عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٦.

(٧) فيكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٢ ابن شالب، فرحة الأندلس، ص٢٩٨ القري، نفع الطيب، ص١٠٠، ص٥٥٢، ص٥٤٧.

(٨) القري، نفع الطيب، ص١٠٠، ص١٥٥٢ مؤلف مجهول، وصف جنود قرطبة الإسلامية، ص١٧٧.

(٩) ابن شالب، فرحة الأندلس، ص٢٩٨.

كف قطعة منفصلة، سمرت بمسامير الذهب والفضة.^(١) ولما تقايح صومعة المسجد الجامع صمومعة من الذهب والفضة الخالصة^(٢)، وقد ذكر صاحب كتاب 'مجموع المفترق' أن ارتفاع الصومعة اليوم - وهي من بيلان عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ثلاثة وسبعون دراعاً إلى أعلى القبة المفتوحة التي يستدير بها المؤذن، وفي رأس هذه القبة تقايح ذهب وفضة، ودور كل قفحة ثلاثة أشرار ونصف، فالتنان من التقايح ذهب إريز، وواحدة فضة، وتحت كل واحدة منها ووقها مومنة قد هتست بأبدع صنعة، ورمانة ذهب صغيرة على رأس الرج^(٣).

وفيما يتعلق بمنشآت مدينة الزهراء، فقد أبنتى الخليفة الناصر في أحد قصورها مجلساً يقال له (مجلس القلق)^(٤) وسمى (بمصر الخليفة)^(٥). كانت جدرانها مصمومة من الذهب والرخام والزجاج، وكل له قراميد من الذهب والفضة، وكان له في كل جانب ثمانية أبواب من العاج والأبنوس مرسعة بالذهب وأصناف الجواهر^(٦).

كما أنشأ في الزهراء داراً لصناعة الحلبي القزينة^(٧)، رغبة منه في زيادة الإنتاج، لتنطية الطلب المتزايد على المصوغات الذهبية والفضية، وبخاصة بعد توسع أعمال البناء والعمران، وميل الأندلسيين إلى حياة الرخاء والترف^(٨). وكل للخليفة الناصر في مدينة الزهراء أنشأ عشر ألفاً من الخدم كانوا يتزليون بمناطق الذهب والسيوف

(١) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٥٥٢ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٦
١٧٧

(٢) القفري، جغرافية الأندلس، ص ١١٠٤ الإبرسي، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٩ ابن عسدي، قبلى المغرب، ج ٢، ص ٢٢٨ ابن الطيب، أصال الأعلام، ص ١٣٨ العمري، صف جريدة الأندلس، ص ١٥٦-١٥٨.

(٣) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٤٨-٥٤٩ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٧٨
(٤) القفري، الجغرافية، ص ٨٧.

(٥) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٢٧ روية: (ابن حبل).

(٦) القفري، الجغرافية، ص ١٨٧ القفري، نزعة المشتاق، ص ١١٦ روية: (ابن القزيني) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٢٧ روية: (ابن حبل).

(٧) ابن خلدون، المعر، مج ٤، ق ٢، ص ٣١٢ القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٢٨ روية: (ابن خلدون).

(٨) القفري، جغرافية الأندلس، ص ١٠٣-١٠٤ القفري، الجغرافية، ص ١٨٧ ابن عسدي، فرحة الألف، ص ٢٩٨-٢٩٩ ابن حناري، البيان، المغرب، ج ٢، ص ٢٣١-٢٣٢ عبد القوي، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.

المحلة^(١). مما يدل على مهارة الصناع الأتليسين وإتقانهم لصنعهم، وعلى الإنتاج المستمر لدار الصناعة في كل من قرطبة ولقزراء.

واشتهرت دار الصناعة بقرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل مختلفة الأشكال من الذهب والفضة الخالصة، على هيئة حيوانات وطيور كانت توضع حول القبرك والأحواض، تمنح المياه من أفواهها، ومما يذكر أن عبد الرحمن القصير أمر بصناعة اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس العالي في دار الصناعة بقرطبة، لكي تنصب حول الحوض الرخامي الذي جلبه أحمد اليوناني وبيع الأسقف من القسطنطينية. وكان القصير، قد أمر بوضعه في بيت العلم في المجلس الشرقي من قصر لقزراء المعروف (بالمؤنس)^(٢)، وذكر بعض المؤرخين أنه 'جعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس العالي، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه صورة غزال، إلى جانبه صورة تمساح، وأماما يقابله شهاب وعقاب، وفي المجنبتين حمامة، وشاهين وطيور وسجلجة، وديك، واثني عشر لم يحصرني لسمه الآن، وكل هذا من ذهب مرصع بالجور النفيس، ويخرج المياه من أفواهها'^(٣).

ونذكر من بشكوال أن خلفاء بني أمية أجروا إلى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص لإدائها من جبل قرطبة إلى أبنية القصر وساحاته 'صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والفضة المصنوعة إلى البحيرات القليلة والبرك البديعة والصهاريج الغربية في أحواض الرحام الرومية المنقوشة العجيبة'^(٤). كما أجرى الخليفة القصير الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر القناعورة غربي قرطبة على الصفا المعقودة إلى بركة عظيمة نصب عليها 'أسد عظيم الصورة، يدع الصنعة شديد قروعة لم يشاهد نوعي منه ولا يهوى منه فيما صور الملوك في غالب القصور، مطلي بذهب إبريز، وعناء جوهرة ثمان لهما وميض شديد. بجور هذا الماء إلى عجر هذا الأمد فمجسه

^(١) القويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦، روية (بن الرقيق).

^(٢) ابن حناري، الديار المغرب، ج ٢، ص ١٢٣، ابن الصلوبي، أعيان الأعلام، ص ١٢٨، القري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٧، روية (بن حناري) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٠، ١٢٨.

^(٣) القري، أذهار القريش، ج ٢، ص ٢٧٦.

^(٤) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٨. روية (بن بشكوال).

في تلك البركة من فيه، فيبهر الناظر بصره وروعة منظره وتجلية صبه، فتسقى من مجابه جنات هذا القصر على سعتها.. ويمد النهر الأعظم بما فضل منه، فكشفت هذه لقطة وبركتها والتمثال الذهب الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في شوارع الدهر لهد مساهلتها واختلاف ممالكها وفخامة بنوتها^(١).

وكان الصاغة الأندلسيون في عصر الخلافة يصنعون من الذهب والفضة أنواعا متحدة من الأسلحة وأثاث القتال. وكانت هذه الأدوات تزدان بصور الحيوانات والطيور، وترحرف بالفنوش والكتابات، ولذا كانت تعد من الهدايا الثمينة التي يقدمها الخلفاء لكبار رجالات الدولة. فقد أهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي عمارة سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) من عرقب السلاح أربعة بنود^(٢) * بند أول فيه صورة عتاف مختلف الألوان، رأسه فضة، مذهب الفخ، له عيال حمراوان، في وسط جبهته فص لخصر. وبند ثان فيه صورة لبد مزوق أيضا، رأسه فضة له عيال سمائيات، وبند ثالث مطلق كبير أبيص مكتوب بتكديب في جوانبه اثلاث كتاب عريض، وفيها سبعين، وهلالان مذهب مزوقان، وأربعة قرون للضرب جاموسية مجزعة الأطراف. ولكل واحدة منها أربع حلق فضة، للمعلق حلية أحدها فضة مذهبة ملونة بلور أبيص، وحلية الثانية فضة بصور، وحلية الثالثة فضة منقشة مشمعة، وحلية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة، وستة من الطبول المذهبة الكاملة الآية^(٣).

ومما يصور تطور صناعة الصياغة وازدهارها في الأندلس في عصر الخلافة أن المنصور بن أبي عامر في أول أمره صعد إلى استمالة السيدة صبيح البشكنسية روجة الحكم المستنصر * فصاح لها فصرا من فضة وقت ولايته للوكيلة والخزينة، عمل فيه مد، وانطلق فيه مالا جسيما فجاء بهما لم تر العين أعجب منه^(٤). كما لورد المقرري رواية لطيفة تكل على براعة الصاغة الأندلسيين، ومهارتهم في تشكيل وصياغة المصنوعات الذهبية والفضية، فتذكر أن المنصور بن أبي عامر لما قدم عليه رسول ملك الروم (القسطنطينية) أنطلع على أعمال المسلمين وقوتهم، أمر أن يهرس في بركة

(١) المقرري، أواخر الرياض، ج ٢، ص ١٣٦، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٨.

(٢) البند: العلم الكبير، وهو كل علم من الأعلام وجمعه بنود. ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ٩٧.

(٣) ابن جبار، المقابس، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٤) المقرري، نوح الطوب، مج ٣، ص ١٨٨، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١١٢.

صورة منها مفردة عن صلاتها، متميزة من شكلها، تكاد تقود البصر عن التقى إلى ما فوقها. قد فصل هذا الإزار عما قوله كتاب نقش عريض التقدير، محرم محفور، دائر بالمجلس الجليل من داخله.. وفوق هذا الكتاب الفاصل في هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز، وأرض هذه البحار منحوة من لورق الذهب الإبريز^(١). ووصف ابن حيان تماثيل الأسود المنتصبة على بحيرتي القصر فقال: "ولهما قدار بحيرتان قد تصدت على أركفتها صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز أحكم صياغة تتحول لتأملها كالحة الوجوه فاخرة الشدوق، ينساب من ألوانها نحو البهيمتين الماء هونا كرشوش القطر أو سحابة اللجين. وقد وضع في قعر كل بحيرة منهما حوص رخام يسمى المنبح، محفور من رفيع المرمر. ويحصر ملامها في شجرتي فضة عاليتي الأصول، غريبتى الشكل، محكمتي الصنعة، قد غرزت كل شجرة ملامها، وسط كل منبح يلقى صناعة"^(٢).

ولاشتهرت إشبيلية بصناعة الصياغة في عهد دولة بلبي عباد (٤١٤-٤٨٤هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١م)^(٣) وكل الصاغة يتفنون في صياغة وتشكيل تماثيل الذهب والفضة على هيئة الحيوانات لاستخدامها في تزيين القرب وساحات القصور. وكل في قصر المعتمد بن عباد (٤٦١-٤٨٤هـ/ ١٠٦٨-١٠٩١م) قبل من فضة على شاطئ بركة يقطف الماء.

وكل في قصر تماثيل حير، من جملتها جمل مزصع بالذهب والفضة^(٤). وقد أمر المعتمد يوما بأن يصاغ له غزال وهلال من الذهب، "فصيفا فجاء ورهبما سبعمائة مثقال"، فأهدى الغزال للسودة ابنة مجاهد العامري^(٥)، والهلال لابنه الرشيد، وقال في ذلك:

(١) ابن بطي، الفخيرة ق ٤، مج ١، ص ١٣٢-١٣٣، يصف عباد، تاريخ الأئمة الأندلس، ص ٤٣-٤٤

(٢) ابن بطي، الفخيرة ق ٤، مج ١، ص ١٣٣-١٣٤، يصف عباد، تاريخ الأئمة الأندلس، ص ٤٤

(٣) القري، تلح الطبيب، مج ٤، ص ٢٩٧، رواية: (ابن سويد).

(٤) الأودي، يدق البقاء، ص ٢٧٢، برواية: (ابن بطي).

(٥) أبو القيس الموفق مجاهد بن يوسف بن علي القفري (٤٠٨-٤٣٧هـ/ ١٠١٧-١٠٤٠م) وهو صاحب دانية وجزر القنطرة: موروقة وموروقة وباسة المرثاني، المعجب، ص ٧٢، ٧٤.

بعثنا بالفرزى إلى الفرزى ولتشمس الميرة بالسهل^(١).

ومن الجدير بالذكر أن فخر الدولة بن المعتمد قد اعترف صناعة الصياغة^(٢). وقد أورد النويري رواية طريفة بين فيها سبب اختراع لهذه الحرفة، فنذكر أن فخر الدولة مر يوما في بعض شوارع إشبيلية، فرأى امرأة جميلة، فتعلق قلبه بها فشاوره اليهودي ومرضى من ذلك. "فتصل حبره بألمه سال عن المرأة فقيل إنها ابنة خباز فلما الوريس لى ينفذ إلى أبيها ويخطبها منه"..... فلما وصل إليه وخطبها، قال الخباز للوريس: "كسنة صنة؟" فقال الوريس: "كس المعتمد يطلب منه صنعة وهو سطل الأندلس"، فقال له: "لما طلق بى زوجتها إلا ممن له صناعة يستر حاله وحالها به لى يحتاج إليها"، فأعظم الوريس المعتمد فقال: "هذا رجل عاقل"، فلما بحضور الصناعة إلى القصر، وعلم فخر الدولة الصياغة وحقق فيها^(٣). فلما استولى المرابطون على الأندلس، وجرى لبني عباد ما جرى، أخذ فخر الدولة يعمل بالأجرة في حوانيت الصاغة، فمر به يوما معتمد بن قلابنة شاعر أبيه وهو ينفخ القمع بقصبة الصانع، فقال في ذلك^(٤).

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| مشككتا فيه يا فخر لعلا عظمت | والرزة بعظم فومس قدره عظما |
| وطولت من ناهت لدهر مخنقة | ضالت عليك وكم طوقنا نصا |
| وحاد كونك في تكن قارعة | من بعد ما كنت في قصر حكى إرما |
| صرغت في آلة الصواغ فمكة | لم تتر إلا لندى والسيف والقلم |
| يا صائغا كنت الطوا تصاغ له | حيا وكان عليه قطي منتظما |
| ما حطك لدهر لما حط من شرف | ولا تخيف من أمالكه ككرما |

^(١) الأثرى، يدافع البديعة، ص ١١٤. رواية: (ابن بسام).

^(٢) ابن بسام، التذكرة، ق ٧، مج ١، ص ١٧٩ الأصبهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ١١٧ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٣٨ المرئشي، المعجب، ١٦٠.

^(٣) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ٦٦٨.

^(٤) ابن بسام، التذكرة، ق ٧، مج ١، ص ٧٩-٨٠ الأصبهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ١١٧ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٣٨ المرئشي، المعجب، ١٦٠ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦٨ المقرئ، فتح الطيب، مج ١، ص ٩٧-٩٨.

وتدل هذه الواقعة على أن المجتمع الإسلامي الأندلسي كل ينظر إلى الحرثيين والصناع نظرة تقدير واحترام، ويرى في الحرفة أمناً من الفقر.

ومن مظاهر الفخر في عهد الطوائف، ما ينكر عن قصور دولة بني ربري ملوك غرناطة (٤٠٣-٤٨٤هـ / ١٠١٢-١٠٩١ م) حيث كانت تزخر بفاخر الأثاث وأكفرت الزينة من الحلي والمجوهرات، ومقايير كبيرة من المصوغات الذهبية والفضية. ومثل ذلك، أنه لما نزل الأمير عبد الله بن بلقين^(١) عن أمواله ليوسف بن تاشفين، حاول أن يستوفي لنفسه ما ينتفع به، فاحتفظ بسقط ذهب فيه " عشرة عقود من أنص الجواهر، وذهباً مبلغه مئة عشر ألف دينار مرابطية، وحوادث^(٢)، وحاولت أمه أن تسكت على نحو خمسة عشر عقداً ومقايير من الذهب، إلا أن المرابطين حالوا دون ذلك كله^(٣). ومن جملة ما وجد لديه سبعة فيها أربعة مئة جوهرة ندرت كل جوهرة بمئة دينار، ومن أنواع الجواهر واليورقوت والرمرد ما لا تحصى قيمته، ومن فائز القيلاب وأنية الذهب والفضة ما لا يعرف له قيمة^(٤).

كما يذكر في هذا الصدد، قصر المعسكر بالله لأحمد بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ / ١٠٤٦-١٠٨١ م) أمير سرقسطة، وهو قصر المسمى " بقصر السرور "، وكان أروع ما فيه بهوء العظيم الذي زينت جدرانه بالفتوش والنفخ الذهبية البديعة، والذي كل يسمى لذلك "بمجلس الذهب"^(٥).

ويبدو أن صناعة الصياغة لم تحظ باهتمام في أوائل عهد المرابطين، نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، حيث تشتمل المرابطون في أسر توحيد البلاد

(١) هو عبد الله بن بلقين بن يحيى بن حبيب بن ملكش بن ربري بن ملوك الصنهاجي، آخر ملوك بني ربري بخرابطة، (٤٦٦-٤٨٣هـ / ١٠٧٣-١٠٩٠ م) تفرغ الصنهاجي، عبد الله بن بلقين (ت بعد ٤٨٤هـ / ١٠٩٠ م) مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك زيري بخرابطة، القسما، بكتاب القليل "، طبع في بروكسل، دار المعارف: مصر، ١٩٥٥ م، ص ١٥٤-١٥٥. يشير لهذا المصدر فيما بعد: الصنهاجي، كتاب القليل.

(٢) الصنهاجي، كتاب القليل، ص ١٥٥-١٥٦ إصنا على، تاريخ الأندلس، ص ٤١

(٣) إصنا على، تاريخ الأندلس، ص ٤١

(٤) الصنهاجي، كتاب القليل، ص ٢٠٩-٢١٠ قنوري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ٢٨٦-٢٨٧ إصنا على، تاريخ الأندلس، ص ٤٢.

(٥) محمد طلي، نهاية الأندلس، ص ٥١٢.

الأثنية تحت رايته، فبنوا قصري جدهم لتصفية دول الطوائف، ووقفوا في وجه الخطر الإسباني المائل في شمال الأندلس، وبخاصة بعد سقوط طليطلة في أيدي الفصاري الإسبان (سنة ١٤٧٨هـ / ١٠٨٥م). الأمر الذي أدى تضلل كمية الإنتاج من معادن الذهب والفضة، ولم تعد الكميات المستخرجة من الأراضي الأثنية تكفي لتلبية احتياجات هذه الصناعة، ولذا استورد المرابطون الذهب من بلاد السودان^(١). والتحصرت أصلاً الصناعة على صناعة الحلبي لزيينة النساء. وكان الصناع يعملون لسلب متنوعة من العشب والكتلوس تملأ بخلط المصوغات الذهبية بمعادن الفضة والحلبي والفضة^(٢). كما تقتصر استعمال الذهب والفضة في عهد المرابطين على ضرب النذير والدرهم^(٣) ويؤكد ذلك أن المستعملين من هود^(٤) صاحب مرسطة لما أهدى أيوسف ابن تاشفين أربعة عشر ربعا من أنية الفضة المطرزة باسم جده المقدر بن هود، أمر يوسف بصريها أن يربط مرسطية، ورفقها في طبقات المرابطين ليلة عيد الأضحى من سنة (١١٠٢م/ ١١٩٦هـ)^(٥).

لما الموحدون، فقد استخدموا الذهب والفضة في تزيين النسيج والكتب والأواني الحجرية، فضلا عن اتخاذ الحلبي وتطعيم المصنوعات الخشبية^(٦)، ومثل ذلك، أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتبية بمركنش منبرا عظيما كان قد صنع بالأندلس، وكانت صفائح من الذهب والفضة^(٧)، كما كلى منبر المسجد الجامع الذي أقامه يوسف بن عبد المؤمن في مدينة إشبيلية مرصعا بصفيح من الذهب والفضة،

^(١) ابن تاشفين، المعجب، ص ١٢٦٢ عن ابن موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٢.

^(٢) ابن رشد، الفلوي، ص ١٠٩٥-١٠٩٦.

^(٣) ابن تاشفين، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٢.

^(٤) هو أحمد بن محمد بن سليمان بن هود الجندبي، الملقب بالسنين، أحد ملوك الطوائف، تولى مرسطة خلال فترة توليته بين سنة (١٠٩٢-١٠٩٥هـ / ١٠٨٥-١٠٨٩م) في حكم غرور فولا والطاعة أيوسف بن تاشفين ولذا لم يجره انظر. ابن الخطيب، أصال الأعلام، ص ١٧٢-١٧٤.

^(٥) ابن الأثير، الحلة السراة، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩ ابن عثري، البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٢ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٤.

^(٦) ابن تاشفين، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٩، ٢٢٤، ٢٥٤.

^(٧) مؤلف مجهول، الحلق الموشية، ص ١٤٤.

ولشكل في عمله من الذهب الإبريز^(٢٦). ومما يدل على نظم صناعة الصباغة في الفترة الموحية أن تقايح صومعة جامع إشبيلية الأربع قد موته بسبعة آلاف متقل يعويية كبار وقيل: "بمئة ألف دينار ذهباً"^(٢٧).

لما في عهد دولة بني الأحمر ملوك غرناطة، فقد كان الصباغة يصنعون من الذهب الخالص قلائد والدمالج والشنوف والخلخل، وغير ذلك من أصناف الحلي التي كانت تترين بها نساء الطبقة المومرة. وكفوا يصنعون من الفضة كثيراً من الآلات وأصناف الحلي التي كانت تترين بها نساء الطبقة المتوسطة والفقيرة^(٢٨). ويرع للصباغة في ترصيع بعض الحلي الذهبية بنعس الأحجار الكريمة كالقزقوت والزمرد والزبرجد، وهذه كانت تترين بها الأميرات ونساء الطبقة القرابية في المجتمع الأندلسي، إذ كلى هؤلاء، "ممن ترتفع طبقتهم المستندة إلى ظل دولة، أو لأسبلة معروفة موفرة"^(٢٩).

وكل استعمال الحلي شتعا على نطق واسع بين نساء الأندلس، وبخاصة بين نساء غرناطة. فلوقي "بلى من القنان في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصنعات، وفتنوس بالذهبيات والديبلجات، والتملج في أشكال الحلي، إلى غاية نسل الله لى بعض عنهن فيها عين الدهر ويكثف الخشب، ولا يخطها من هبيل الإبتلاء والفتنة"^(٣٠).

ب- النحاس والحجر والبرونز

لما صناعات النحاس والحجر والبرونز، فقد ازدهرت في الأندلس في القرون الرابع الهجري/ العشر الميلادي. ومما ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه

^(٢٦) ابن صليح، الصلوات من بالإملاء، من ٢٨٧-٢٨٨.

^(٢٧) ابن صليح، الصلوات من بالإملاء، من ٢٩٢-١٢٩٣ ابن أبي روج، الألبس المطرب، من ١٢٢٩ ح ٥٥٥ موسى، فتشيط الاقتصادي، من ٢٩٩.

^(٢٨) ابن الخطيب، الإحاطة، من ١١٤٤ ابن الخطيب، القصة الجديرة، من ١٤٠ مصد شبلقة، يوسف الأول، من ٢٠٤.

^(٢٩) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، من ١١٤٤ ابن الخطيب، القصة الجديرة، من ١٤٠ مصد شبلقة، يوسف الأول، من ٢٠٤، ١٩٨، ٢٠٤.

^(٣٠) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، من ١١٤٥ ابن الخطيب، القصة الجديرة، من ١٤١ مصد شبلقة، يوسف الأول، من ٢٠٤.

الصناعة كالحلص والصبر والتصدير والكبريت والنفوتيا التي تستعمل في صبح التحلص في أنحاء مختلفة من الأراضي الأنكليزية، ومهارة الصناع في استخراجها وتخليصها من الشوائب العالقة بها، ويراعهم في مزج المواد المعدنية بعضها ببعض لإنتاج مواد جديدة يمكن استعمالها في أغراض مختلفة، ومثال ذلك مادة البرونز الناتجة عن خلط التحلص بالتصدير.

وتمتاز هذه المادة بصلابتها وسهولة تشكيلها، وقد استخضعها الأنكليزيون في صناعة القناديل، والمصافيح، والشمعدانات، والثريات، والمهفرس، والمباخر، والمجمر، والقصاع، ونقبة الماء^(١)، إضافة إلى صناعة تماثيل برونزية على هيئة حيوانات وطيور، كانت توضع حول البرك والأحواض، تنج المواد من أفرانها^(٢). وهناك أمثلة كثيرة من نماذج هذه الصناعة ما تزال ماثلة للعين في بعض المتاحف الأوروبية نذكر منها: وعاء مدينة الزهراء المحفوظ في متحف الآثار الأهلي بقرطبة، وهو عبارة عن وعاء أو غزال مجرد من قرنية، ويبلغ ارتفاعه نحو ٤٠ سم، ويقوم على قاعدة مستديرة الشكل مجوفة من الداخل، يتصل بها عند وسطها أنبوب من الرصاص يمد القاعدة بكماء، فتصعد في الأرجل ثم في الجسم المعرج، إلى أن تصل إلى الراس وتطلق بقوة من فيه. ويرد في هذا الوعاء برخلاف محزورة من دوائر أو حلقات متصلة، بداخل كل منها ورقة للنبات^(٣). كذلك عثر في قرطبة على تماثيل لوعاء آخر من البرونز المذهب، محفوظ اليوم في متحف الآثار بمدريد، يبلغ ارتفاعه ٣٢ سم، قد صناع فرساه وإحدى أذنيه، ويرد في هذا الوعاء برخرفة من دوائر بين سيقان متوجة على نحو أكثر تقفنا وتنوعا من وعاء الزهراء، وكالي الماء يتخلله من فتيرة في وسط بطنه، إذ أن أرجله صماء^(٤). كما عثر بالرحبة أحد مغارل قرطبة على (١٣) نقشة من البرونز والتحليص الأصفر أهمها منحرة يبلغ ارتفاعها (١٦) سم وقطرها (٥ ، ٩) سم، ومعمرة مستديرة

(١) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، من ٣٨٦-٤٠٠ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٦-١٣٧، كولان، الأندلس، ص ١٨٧-١٨٣.

(٢) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٠ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٨.

(٣) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٩.

(٤) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٠ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٤٠.

الشكل يزدلى بزخارف من التوريق والكتابات وصور تمثل غزاليين متقابلين بينهما شجرة، ومهرس (هاور) من السيرونز لمطوئي الشكل يزدلى بزخارف بارزة مطروقة^(١). وعثر في مونسون دي كامبوس (Monzon de Campos) على مهرس كبير مرود بحلقتين ومثلثات بارزة على شكل مثلثين مشتقة من مثل ما وتزيه زخارف محفورة ونقوش كتابية من عصر الخلافة^(٢).

ولستخدم الأندلسيون النحاس والفضة في صناعة الأواني والأواني المنزلية، فكان النحاسيون (يعرف واحداهم بالمصار) يصنعون القنور والمقالي^(٣) والأكادح والأسطل^(٤) والأنية والمصاييق^(٥) والسكاكين والأقفال المذهبة، وغير ذلك من آلات الحروس والجندي^(٦)، حيث كانت المصنوعات النحاسية تعد من متاع النساء بالنسبة إلى جهاز الأندلس، ومن متاع الرجال بالنسبة إلى جهاز الحضر^(٧). كما استخدموا النحاس والفضة في صناعة صمغ ومصابيح الأبواب للمسجد الجامع في قرطبة " عثرون بها مصفحة بصمغ النحاس وكوكب النحاس، وفي كل باب حلقتان في نهاية الإقفال^(٨)، وفي روية أخرى لى عدد أبواب الكهلا والفسار ولحد وعثرون بالفسا، كلها ملبسة بالنحاس الأصفر بأعرب صنعة^(٩). وأما مدينة الزهراء فكانت مصابيح أبوابها التي تزيد على خمسة عشر ألف باب، (ملبسة بالحديد والنحاس المموه)^(١٠).

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة المملكة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٩٩.

(٣) ابن عديم، في القضاء والحسبة، ص ٤٥.

(٤) قريدي، لحن العرب، ص ١٧٥، ابن هشام القاضي، المغنل، ص ٢، ص ١٣٠.

(٥) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٦) الشافري، تلح الطيب، ص ١، ص ٢٠١.

(٧) الفوشسي، المعول العرب، ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩. روية: (ابن رشد).

(٨) الأندلسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٦-٥٧٧؛ ابن قوردي، غريدة المعجب، ص ١٧٢ الصوري، صفحة

جريدة الأندلس، ص ١٥٥.

(٩) الشافري، تلح الطيب، ص ١، ص ٥٥٠. روية: (ابن سجد نقل عن ابن بشكوال).

(١٠) الشافري، لؤلؤة الفرائض، ج ٢، ص ٢٦٨. روية: (ابن حبان)؛ علي الجارم، قصة العرب فسي إسبانيا، ص ١٢٢.

وقد استخدم النحاس والفضة في صناعة الطبول^(١) والفرويات، ومما يذكر أن مسجد قرطبة الجامع، كان يشتمل على (٢٨٠) ثريا من اللاطون (الفضة)، يبلغ عدد كؤوسها سبعة آلاف ولربعمائة وخمسة وعشرين كؤما، وقيل: عشرة آلاف وثمانمائة وخمسة كؤوس، وربة مشكي فرصاص للكؤوس المذكورة عشر أرباع لقطار لو نحوها^(٢). وكان عدد ثريات الجامع التي تخرج فيها المصليح يدخل القاعات خاصة (سوى ما كان منها على الأبواب) (٢٢٤) ثريا، جموعها من لاطون مختلفة الصنع، منها أربع ثريات كبار مطقة في القباط الأوسط، أكبرها الثريا الضخمة المطقة في القبلة التي فيها المصالح حول المقصورة، وكانت تحمل وحدها قنا وأربعة وخمسين كؤما^(٣). كما ذكر صاحب كتاب "نقى الأثر" أن في جامع قرطبة تقورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح، وفيه أنباء غريبة، من الصنائع العجيبة، يجوز عن وصفها قواصفور، قبل أنكم عمله في سبع سنين^(٤).

ومن أشهر المدن الأندلسية التي اهتمت بصناعة آلات الفضر والنحاس في قرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مدينة قرطبة^(٥) والقمرية^(٦). بينما اهتمت في هذه الصناعة كل من مالقة^(٧) ووشتة^(٨) (Huesca) ومرسية^(٩) في القرن السادس

(١) ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٦.

(٢) ابن عذاري، فيل الفطوب، ج ٢، ص ٢٧٧، القري، نصح الطيب، معج ١، ص ٥١٩، روية: (ب) فرسي، أ. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٤٠، كيب، مدينة المسلمين في إسبانيا، ص ٦٥.

(٣) القري، نصح الطيب، معج ١، ص ٥٥١، روية: (ب) سعد نقلا عن ابن بشكوال.

(٤) القري، نصح الطيب، معج ١، ص ٥٢٠.

(٥) موريو، في الإسلام في إسبانيا، ص ١٤٠١، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٦-١٣٨.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٢، القسيري، فروض المسافر، ص ١٥٢٨، القري، نصح الطيب، معج ١، ص ٦٦٣.

(٧) حر الدين موسى، نشاط الاقتصادي، ٢٥٠.

(٨) قزويني، الجهرية، ص ٨٢.

(٩) القري، نصح الطيب، معج ١، ص ٢٠١، روية: (ب) سعد.

لهجري/ الثاني عشر الميلادي، واشتهرت الأخيرة بصناعة آلات الصفر والحديد من السككين والأقفال المذهبة، ومنها كانت تصدر إلى بلاد إفريقية وغيرها^(١). وفي هذه الفترة انتشرت الأنثوس بصناعة النحاس الأصفر، وقد أثبت العثماني (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) بجودة هذه الصناعة، ومهارة الصناع الأنثوسيين ذلكوا لـ " النحاس صنفان، فالعظمي الأحمر ليس فيه اختلاف، ولما المصنوع الأصفر فإنه يختلف بحسب صناعه والأماكن التي عمل بها وأصلتها ورخصتها"^(٢).

٣. صناعة النجارة وأعمال الحديد

كانت الحدادة من الصناعات الأنثوسية المتميزة، لكونها من الصناعات الضرورية في العصر العثماني^(٣)، وكان الحديد من أكثر المعادن انتشاراً في الأراضي الأنثوسية. وقد عني الأنثوسيون به عناية خاصة. وقد برع الحدادون في صناعة بعض الآلات والأدوات الزراعية، كالمحاريب والمعمول^(٤) والمنطقش والمبقر^(٥) والموقير^(٦) والمناشير والعرييل^(٧)، وسكك الحراثة^(٨)، وصالح قنوب^(٩). وفي صناعة بعض الأدوات المعدنية، كالخزق والأكسوب والصديق، والأقفال والأثقال لو (المصائب التي تنصب عليها قنور الطلمح)^(١٠). كما برع الحدادون في صناعة المسامير

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٠، عن الدين موسى، تشاط الاقتصادي، ص ٢٥٠.

(٢) العثماني، الإشارة إلى مجلس التجارة، ص ٢٧-٢٨.

(٣) قطر: ابن خلدون، السيرة، ج ٢، ص ٩٢٢-٩٢٥.

" المعول والمنطقش من المواد الضرورية لحرق الأرض وشربتها وإزالة الأعشاب الصلبة من الحقول المزروعة، هائلة، فوضع الزراعي في الأنثوس، ص ٩٤.

" المنطقش: أداة من الحديد كانت تستعمل تركيب الإكسار، هائلة، فوضع الزراعي في الأنثوس، ص ٩٥.

" المعول: فللحراثة لها رائحة ولها دغيق تكو به المعولة في سبيل، ج ٢، ص ١٠٠، ص ١٠٠.

" العرييل: من آلات تقليم الحراش، وهو غير العرييل المستعمل لتقليم الحبوب. وهذا العرييل عبارة عن ميزان صغير بلا فلك، وهو أثقل حلاً في اليد من المنجل. هائلة، فوضع الزراعي في الأنثوس، ص ٩٥.

(٤) القويدي، لحن المولود، ص ٩٧، ١١٣٦، ابن هشام القمني، المدخل، مج ٢، ص ١٦٦، ٢٩٢، ليس بعسل، قفلاحة، ص ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١١٣٩، هائلة، فوضع الزراعي في الأنثوس، ص ٩٤-٩٥.

(٥) ابن خلدون، في قضاء والحياة، ص ١٥٩، العثماني في أدب الحياة، ص ٧٠.

(٦) ابن خلدون، في قضاء والحياة، ص ٣٦، ١٥٩، ابن هشام القمني، المدخل، مج ٢، ص ٢٦٠.

من أوزان وأحجام مختلفة ومتنوعة، وفي صناعة الأيواب المفتوح التي كانت تستخدم لحماية وتحصين أسوار المدن^(١)، حيث كان لمدينة قرطبة سبعة أيواب من الحديد^(٢)، ولقرطوشة أربعة أيواب، مليئة بالحديد^(٣)، وكان بالزهراء خمسة عشر ألف سلب جميعها مليئة بالحديد والنحاس المموه^(٤).

وكان الحدادون يستعملون في صناعتهم بعض الأدوات التي تساعدهم في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب. ومن أهم هذه الأدوات " فكير " وهو قرص الذي يوضع فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حلقات، يستعمل لإزالة القلح ولتقاعها، كسي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله لينا يسهل طرقه وإعطائه الشكل المطلوب^(٥). والكلايب (جمع كلاب) وهي الآلة التي يمسك بها الحداد عن الإهلال والصرب^(٦).

وقد استخدم الحديد في صناعة مراسي السفن^(٧)، واختصت بهذه الصناعة جزيرة شلطي (Saltis) و^(٨)، كما استخدم في صناعة الإبر والمبار أو (مسلات الحديد)، وقد أطلق الأندلسيون على محترف هذه الصناعة اسم الإبلر^(٩). وفي صناعة السككين، وكان يعرف صانع السككين ويأمنها باسم السكال^(١٠). كما استخدم في صناعة الأكبال

(١) ابن عديم، في القصاء والسيرة، ص ٤٣، ٤٦؛ الخطيب، في أدب الصحة، ص ٧٢، ٦٥، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٥. Imaruddin The Economic History of Spain. P230.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٨.

(٣) الحميري، صلة جزيرة الأندلس، ص ٣٩١.

(٤) المنقري، زاهر قرطاس، ج ٢، ص ٢٦٨، رواية (ابن حوقل).

(٥) ابن الأثير، المستدرك، ص ١٢٨؛ ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١٥-١٦.

(٦) قزويني، لسان العرب، ص ١٢٢٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٥٧؛ جوهري، المعجم، ج ٧، ص ٥٥٧.

(٧) قزويني، لسان العرب، ص ١٦٤.

(٨) ابن هشام القرطبي، المعجم، ج ٢، ص ١٧١، ٢٥٩.

(٩) الأثيري، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ١٥٤٢؛ نظر كاك: ابن فضل الله القاري، مسلك الأعلام، ص ٢٤٤.

(١٠) ابن هشام القرطبي، المعجم، ج ٢، ص ١١٢.

(١١) قزويني، لسان العرب، ص ١٠١؛ ابن هشام القرطبي، المعجم، ج ٢، ص ٢٢٩.

والمولدين^(١)، وفي صناعة أنواع عديدة من الأسلحة كالسيوف والرماح والسدوع والبيضات^(٢) حسبما سيأتي تفصيله في الصفحات القادمة.

هذا، وقد تميزت بعض المدن الأنتلسية بصناعة الآلات والعدد الحديدية، فاشتهرت مرسية وملقة بصناعة آلات الحديد من مكائين ومقصات وما شابه بذلك^(٣). وتفردت إشبيلية بصناعة القولا^(٤)، ولخصت كل من المرية^(٥) ووشفة^(٦) وقرطبة^(٧) بصناعة "صنوف آلات الحديد". وكانت قرطبة مركزاً مهماً لصناعة الآلات والأدوات الحديدية خاصة ما يتعلق منها بأعمال البناء^(٨).

د. صناعة الأصباغ

استعاد مسلمو الأندلس من تفوقهم في الكيمياء في ميدان الصناعة، فبحر عوا في تركيب الأصباغ المختلفة الألوان، مستفيدين في ذلك من وفرة النباتات التي تحصل في صناعتها^(٩)، كالقوة والبنم والقنوج والزعفران والعصر، ونشر الرمال، فاستخلصوا منها اللون الأحمر والأزرق السماوي والأصفر الذهبي، وعرفوا الألوان الأولية والمركبة من لون محلي وكستنائي وصحي وقرمزي وأسود وأبيض وأخضر وجوري (وهو مركب الأخضر والأسود)^(١٠) الأمر الذي لكسب ملابسهم الألوان الزاهية الفلغرة.

^(١) ابن عيون، في القضاء والقضاء، ص ٣٩-٤٠.

^(٢) الجسري، سيرة جزيرة الأندلس، ص ٥٥.

^(٣) المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ٢٠١، رواية: (ابن سعد)؛ القشتلي، صبح الأندلس، ج ٥، ص ٢١٢ رواية: (سلك الأصباغ)؛ عز الدين موسى، فتايل الاقتصادي، ص ٢٥٠.

^(٤) المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ٢٠٢، رواية: (ابن سعد).

^(٥) الإبريسي، فرحة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٢، الجسري، فروض المعطار، ص ١٥٢٨، المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٦٢.

^(٦) القزويني، المعرف، ص ٨٢.

^(٧) القزويني، معيار، ترتيب المدارك، ج ٢، ص ١١١٩، ابن عذاري، إقبال المغرب، ج ٢، ص ٨٢.

^(٨) عبد القادر بن سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج ٢، ص ١٢٥.

^(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩.

^(١٠) ابن رشد، غلوي، ج ٢، ص ٩١٩-٩٢٠، ٩٢٢-٩٢٤، ابن عيون، في القضاء والقضاء، ص ١٥٠، القشتلي، في أدب الصبغة، ص ١٦٢، جمال محرر، السجدة الإسلامية، ص ١١٤٥، مورينو، فلس الإسلام، ص ١٤١٤، عز الدين موسى، فتايل الاقتصادي، ص ٢٢٦.

ومن مواد الصباغ غير الثابتة: القرمز^(١) وكان يوجد بكثرة في نواحي إشبيلية^(٢) (Sevilla) ولبلبة^(٣) (Liebla) وشذونة (Sedona) وبالنسوية^(٤) (Valencia) وجبيرة^(٥) وغرطلة^(٦) (Granada) وحسن شنش^(٧). وكان الصباغون^(٨) يجمعونه عن شجر القلوط ويستطعمون منه اللون الأحمر^(٩)، ولتعمل بعضهم لرماد لتبييض غزل الصوف^(١٠).

وكانت المصنّغ تقام في العادة خارج أسوار المدن ويقرب من مجاري الأودية والأنهار^(١١)، نقاديا للروائح الكريهة من جهة، وتسهلا لعناية الصباغة التي تعتمد على الأماس على المياه من جهة أخرى. وكان الصباغون يخصصون لرقابة المحتسب المباشرة، فكان يحرص عليهم أن لا يشربوا القلوب المصبوغة المبلولة على الطرقات^(١٢)، وأن يصبغوا المنسوجات المصنوعة من القطن والكتان باللون السحابي، لأن الأول الأخرى لا تثبت عليها^(١٣). وكانت لسائر الصباغ تنقلوت يتنقلون فوقها، وهي: (كسوتان) ويصعب من سملي أو ثمر بمقلان، والأخضر ثلاث كسي بمقلان، والكسوة لمبعة وعشرون دينا^(١٤). وكان الصباغون يتنقلون في صناعتهم ويتنقلونها، ومما يدل^(١٥) القرمز صبغ لرمي لمر يقال له من صشارة نود يكون في أجملها، فارسي محرب، وبذل له حيون تصبغ به القلوب فلا يكاد يصل لونه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٢٩٤.

^(١) القرمز، ناصح الأخبار، ص ١٩٦، القكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، القفري، نفع الطب، مج ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

^(٢) القكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، ابن الفباط، صلة السعد، ص ١٤٥، رولان، (القكري)، القفري، نفع الطب، مج ١، ص ١٤١.

^(٣) القكري، جغرافية الأندلس، ص ١٢٧، القفري، نفع الطب، مج ١، ص ١٤١، رولان، (القكري).

^(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٠٥.

^(٥) ابن الخطيب، الصحة البادية، ص ٢٢.

^(٦) من أصل المزية، القفري، نفع الطب، مج ١، ص ١٦٤.

^(٧) الصباغون، يعرف ولدهم بالصباغ، وهو محالج الصبغ، وحرافته الصباغة، ابن منظور، لسان العرب، مج ٨، ص ٤٣٧.

^(٨) ذكر القفري أن القرمز نوع من الأمان التي تنزل من السماء طرى شجر القلوط فيجمعها الناس ويصبغون به، انظر: القفري، نفع الطب، مج ١، ص ٢٠١.

^(٩) يحيى بن عمر، أمكلم السوق، ص ١٢٤-١٢٥.

^(١٠) ابن عيون، في القضاء والحكمة، ص ١٤٩، القفري، نفع الطب، مج ١، ص ١٧٨، رولان، (ابن سعيد).

^(١١) ابن عبد البر، في أدب الصحة والمحتسب، ص ١١١.

^(١٢) القفري، في أدب الصحة، ص ٦٣.

أربعة وعشرون ذراعاً^(١). وكان الصباغون يتقنون في صناعتهم ويتقنونها، ومما يدل على ذلك أن القوطيين قد كانوا يلحظون الملائم البالية من القطن والكتان فوصفوها بها ويصنعونها ويصنعون منها المحاشي^(٢) والبرويل ويبيعونها كالجديدة^(٣).

ومن أهم المراكز الأنتنسية التي اشتهرت بصناعة الأصباغ في قسطنطينية في القرون الخامسة الهجرية/ الحادي عشر الميلادي قبله^(٤) وطليطلة التي اشتهرت بالصباغ السملوي القدي كنت تصدره إلى نواحي الأنتلس المختلفة^(٥). ولصنعت ماقبة^(٦) وإنسبيلية^(٧) بهذه الصناعة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ولما اشتهرت قرية تارحة في أعمال ماقبة بصناعة الأصباغ في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفيها كان يقام موسم سنوي لصباغة الحرير، فنكر ابن سعيد " أنه اجتاز مرة عليها مع والده أبي عمران موسى، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، وقد ضربوا في بطن الوادي بين مضطمة خيما، وبعضهم يشرب وبعضهم يعنى ويضطرب، وسأوا: بم يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا: طارزا، فقال ولدي: اسم طابق مسماء، ولفظ ولفظ مسماء، وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإني وجدت لسانا قتلانا قل: "

ثم قال أجز: بتارحة حيث الطراز السمنم. فقلت: أقم فوق نهر ثغره يتهمم. فقال: وسعدك نحو الهلقات فإنيها. فقلت: لما أبصرت من بهجة تترجم^(٨)

(١) ابن رشد، فتاوى، ج ٢، ص ٩٦٩-٩٧٠. من قسطنطينية، فتشباط الاقتصادي، ص ٢٢١ * القمصان، القبط الذي يكر على الأسرة خلسة، وفي: القمصان واللمحة كل ما تصطب به من ثوب أو برد أو كساء في حالة قيام أو غود أو احتياج، القزويني، لس القلوب، ص ٢٤٢.

" قسطنطينية، لكسبة غشلة ولحدا مشاة والجمع معاش، ويبدو أن كلمة مشاة كانت تدل على لباس غليظ كال لباس في الأنتلس من قبل عامة الشعب. انظر: دوري، المعجم الفصلي، ص ١١٨.

(٢) ابن رشد، فتاوى، ج ٢، ص ٩٦٣-٩٦٤. لسان جيلس، نوزل ابن رشد، مجلة الأبحاث، الجمعية الأمريكية في بيروت، ص ٣٣، ج ٢، ص ١٦٩، ص ١٦٢، ص ١٦٤، يشير لهذا الموضع فيما بعد: لسان جيلس، نوزل ابن رشد.

(٣) ابن رشد، مجلة السلسل، ص ١٤٥. رواية: (البكري) القزويني، انظر البلاد، ص ١٥٥٥. قسطنطينية، قوسس المعطاز، ص ٥٠٨.

(٤) البكري، جغرافية الأنتلس، ص ١٨٨. قسطنطينية، فتح الطيب، مج ١، ص ١٤٣.

(٥) شتلي، في أدب القصة، ص ٦٣.

(٦) ابن عديم، في القشاة والقصة، ص ٢٩، ٤٩. الأزد، يدق قبيلة، ص ٧٢-٧٤.

(٧) قسطنطينية، فتح الطيب، مج ١، ص ١٧٨. رواية: (ابن سعيد).

كانت الشعوب في العصور القديمة وفي أوروبا خلال معظم العصور الوسطى تستخدم البردي أو الرق (الجلد الرقيق) للكتابة، وهما مائتان باهظتا الثمن، إما لتدوينهما أو للمجهود الذي يبذل في سبيل تجهيزهما. أما العرب فقد استخدموا الورق منذ عصر مبكر، وتطورت صناعته لدرجة أنها قصت على استخدام البردي القديم، وقللت إلى درجة كبيرة من استخدام الرق للكتابة^(١).

ومن المعروف أن أهل الصين كانوا أول من عرف صناعة الورق في العالم، ثم نقله العرب المسلمون عنهم، فانتشرت صناعته في أقطار المشرق والمغرب الإسلامي. وكانت أول مدينة إسلامية يصنع فيها الورق، هي مدينة سمرقند التي فتحها المسلمون سنة (٧٨هـ / ٧٠٥م). ذلك أن هذه المدينة تعرضت في الفترات اللاحقة لهجمات القبايل القزقستانية وحملاتها الصينيين، الأمر الذي اضطر ريد بن صليح - حاكم سمرقند - من قبل الخليفة إلى إرسال حملة لتكبيها وإبصارها، فحققت هذه الحملة انتصارا عظيما عليها سنة (١٣٤هـ / ٧٥١م)، ووقع في أيدي المسلمين عدد من الأسرى الصينيين الذين برعوا في صناعة الكاغد أو (الورق)، وجرى بهم إلى مدينة سمرقند، حيث علموا أهلها هذه الصناعة، فازدهرت فيها ازدهارا كبيرا وصارت شهرتها الأقطار^(٢). وظلت سمرقند تمد الأقطار الإسلامية الأخرى بما تنتجه من صنوف الورق. ولكن الحال لم تدم طويلا، إذ لم تلبث أن انتقلت صناعة الورق إلى بعض البلدان الإسلامية الأخرى وفي طليعتها مدينة بغداد، حيث أنشأ الفضل بن يحيى البزركي (١٤٧-١٩٣هـ / ٧٦٥-٨٠٨م) أول مصنع للورق في بغداد سنة (١٧٨هـ / ٧٩٤م)، وذلك في عصر الخليفة

(١) خليل ربيع، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص ٨٠.

(٢) كوركيس عرفة، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، ص ٢٣، ج ٢، تموز ١٩٤٨م، ص ٤١٧-٤١٩، يشير له فيما بعد: كوركيس، الورق أو الكاغد: انظر كذلك: عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط ٢، وكالة المطبوعات: الكويت، دار الفهم بيروت لبنان، ١٩٧٩م، ص ٢٧-٣٨، يشير له فيما بعد: عبد الرحمن بدوي، دور العرب؛ أحمد شوقي القنجري، الطوم الإسلامية، ج ٢، ط ١، إنشاد: صلاح عبد الله جليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ١٩٨٥ ص ٨٨، يشير له فيما بعد: القنجري، الطوم الإسلامية؛ ستورونك، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص ٩٩.

هارون الرشيد^(١). وبعد أن انتعش نطاق صناعة الورق في العراق، انتقلت منه إلى بلاد الشام، فانتشرت معامل صنعت أنواعاً نفيسة منه في كل من طرابلس وطبرية، ودمشق وحلب، وحماة^(٢). ثم انتقلت إلى مصر، فانتشرت فيها المعامل التي أوجدت صنعة وولفرث كميلته، بحيث أخذ ورق الجدي والبردي المصري في الاحتفاء^(٣).

وانتقلت صناعة الورق في القرن الثالث الهجري/الفتح المولدي إلى مناطق الشمال الإفريقي، وازدهرت في كل من القيروان وتونس والمهدية. ومن القيروان انتقلت إلى الأندلس^(٤). ومن هذه الأخيرة انتقلت صناعته إلى غربي أوروبا، بمد لي كلن الأوروبيون يستخدمون ورق المصنوع من جلد الخراف والمجول للكتابة عليه^(٥). وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الورق عند العرب كانت تعتمد على القطن والكتان ومصابر نباتية أخرى، ومما لا شك فيه أن تنوع المواد الأولية للورق، أدى إلى ظهور جملة أنواع منه تختلف في سمكها ومتانتها وصلتها ولونها^(٦).

ويبدو أن صناعة الورق انتقلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(٧)، إذ يوجد لديها بعض الشواهد التاريخية التي تشير إلى ذلك، فهذا (إبراهيم بن سالم قننوسي) ويعرف بالورق، ممن درس بمدينة تونس والقيروان، وحقق صناعة الورق والورقة حتى تلقب بها، ثم قصد الأندلس واتصل بالأمير الحكم بن عبد الرحمن قننوس قبل تولية الخلافة فخصه لصناعة الورق، وقد عمل كثيراً منه لمكتبة الأسوة

^(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ١٩٦٢ كوركس، ورق لو الكاغد، ص ١٦٦-١٦٧ حشور، المدينة الإسلامية، ص ١٨٦، ريفر، الحضارة العربية، ص ١٨٥.

^(٢) كوركس، ورق لو الكاغد، ص ١٦٩-١٧١ قهدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٧-٢٤٨.

^(٣) كوركس، ورق لو الكاغد، ص ١٧١ قهدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٧.

^(٤) حسن حسني عبد الوهاب، ورققت عن الحضارة العربية بالقرن التاسع، في ٢، مكتبة المنار تونس، ١٩٦٦ م، ص ١٦١-١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩،

الأموية الحاكمة، ويذكر أن هناك قطعة من هذا الورق ما زالت محفوظة في جامع القرويين بمدينة فاس^(١).

وهذا "عالم بن عمرو بن هارون الكندي، ويعرف بلورق، من أهل صقلية، يكتفي: لها الفصل، خرج من صقلية إلى القيروان سنة خمس عشرة (٣١٥هـ / ٩٢٧م) فلم يزل به إلى أن خرج إلى الأندلس، فقدمها فيما أخبرني سنة ست وثلاثين (٣٢٦هـ / ٩٤٧)، واتصل بولي العهد الحكم بن عبد الرحمن (رحمه الله) فتوسع له في الورق، وصار من جملة الورق^(٢). ومن الشواهد التاريخية الأخرى التي تشير إلى احتمالية صنع الورق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ازدهار صناعة الوراقة وهي صناعة نسخ الكتب وصيقلها وتجليدها في الأندلس^(٣) وبأوغها درجة كبيرة من الجودة والإتقان^(٤). وكانت صناعة الوراقة تملز من قبل الرجال والنساء على حد سواء، وكان بالربض القرطبي من قرطبة مكة ومبعون لمرأة كلهن يكتسب المصاحف بالخط الكوفي^(٥)، مما يدل أيضاً على وفرة الورق في الأندلس ويصنف إلى ذلك انتشار المكتبات العامة والخاصة، وما كانت تحويه من الكتب، فذكر مثلاً أن مكتبة الحكم المستنصر كانت تحتوي على أربع مائة ألف مجلد، ولها فهرسها المشتتل على

^(١) عبد الوهاب، ورقاق عن المصارة النوبية، ص ١٦٢.

^(٢) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٢هـ / ١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، ج ٩، القدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سراج العرب، القاهرة، ١٩٦٦م. ص ٢٩٩. يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس.

^(٣) لمزيد من المعلومات عن صناعة الوراقة في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ١٧، ٢٩٩، ج ٢: ص ١٣٤، ١٣٥، ١٩٦، ١٢٠٠. ابن بسام، المغيرة، ج ١، ص ١، ج ١: ص ١١٥-١١٦، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٧م)، كتاب الصلاة، ج ١، القدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م. ص ٥، ٢٠٩، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن بشكوال، كتاب الصلاة، ابن الأثير، أبو عبد الله محمد، (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلاة، ج ١، علي بنشر: عرت المطاوع المصري، مطبعة السبعة مصر، ١٩٥٦. ص ١٩٢، يشير لهذا المصدر فيما بعد: ابن الأثير، التكملة: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٩٦١-٩٦٢، فقري، فتح الطب، ص ٢، ص ١١١. خويلد ربيز، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص ٧٧، ٩٥.

^(٤) المقدسي، أسس التنظيم، ص ١٢٣٩، P 218، Imaruddin, The Economic Of History Spain.

^(٥) المراكشي، المعجب، ص ١٢٧٢، خويلد ربيز، المكتبات وهواة الكتب (١) ص ١٩٤، بروفنسي، الشرق الإسلامي، ص ٣٦.

عناوين الكتب وأسماء المؤلفين مكون من أربعة وأربعين سجلا كل سجل منها يشتمل على خمسين ورقة^(٢١) كما كانت مكتبة عبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) تحوي عددا كبيرا من الكتب، وكان يصل فيها باستمرار ستة ورقيين، ينسخون الكتب، وينقلون على ذلك أجرا ثابتا، ومما يذكر أن الكتب التي كانت تحويها هذه المكتبة بيعت في قرطبة بعد وفاة ابن فطيس " فلجتم فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم^(٢٢) .

ومما سبق ذكره يهم أن مادة الورق كانت وفيرة في الأسواق الأندلسية، بحيث شاع استعمال الورق للكتابة بين الخاصة والعامة، ولم يقتصر استعماله على فئة معينة من الناس، ومما يؤكد ذلك أنه ما زال يوجد في مكتبة الإسكوريال مخطوطات مكتوبة بالعربية والإسبانية على أوراق مصنوعة من قطن تعود إلى بدايات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٢٣) .

وبعض ورقة الورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، توصل الأندلسيون إلى اختراع الطباعة، إذ ألف أحدهم كتابا في هذا المجال إلا أنه لم يصل إلينا^(٢٤)، ولكن أشارت بعض المصادر إلى أن بدر^(٢٥) وصوف الأمير عبد الله، أعقبه الأمير وصرفه في الخطط الثريفة، ثم ولاء الخليفة عبد الرحمن الناصر النوروة والحجابة والقادة والحول والبرد، وكان " ينفرد بالولايات فكتب سجلات في داره ثم يبحثها للطبع فتطبع وتخرج إليه، فتبعت في الفصل وينظرون على يديه^(٢٦) . وبذلك يكون الأندلسيون قد عرفوا الطباعة قبل منظره المشهور غوتنبرغ الألماني بأربع مائة سنة،^(٢٧) خوليان ريبيرا، المكتبات وهاه الكتب (١)، ص ٨٧-٨٨ . بروغسل، الشرق الإسلامي، ص ٢٩.

^(٢٨) ابن شكرا، كتاب الصلة، ج ١، ص ٣٠٩-٣١٠، ابن فرحون الملقبي، (ت ٧٩٩هـ / ١٢٩٩م)، قديماج المذهب في معرفة أحوال علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمد، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت) ص ١٧٨، مشار لهذا المصدر فيما بعد . ابن فرحون الملقبي، قديماج المذهب.

^(٢٩) Inamuddin . The Economic History of Spain , P218

^(٣٠) يذكر محمد كرد علي أن مؤلف هذا الكتاب هو : أبو بكر القسي الأندلسي . انظر : محمد كرد علي، الإسلام والمضارة العربية، ج ١، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٢٥، مشار لهذا المرجع فيما بعد . محمد كرد علي، الإسلام والمضارة.

^(٣١) هو بدر بن أحمد الملقبي وصوف الأمير عبد الله وقد مجت الإثارة إليه . ومن قريب: أن تصفه المصادر بالمعنى، ويكون له ربح تلك الأثر مما عبد الرحمن وعبد الله انظر : ابن الأثير، الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣.

^(٣٢) ابن الأثير، الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣.

الأندلسيون قد عرفوا الطبع قبل مخترعه المشهور غوتنبرغ الألماني بأل مائة سنة، ولكن بغیر الحروف المنضدة^(١).

ويذكر البعض أن مدينة شاطبة (Jativa) اشتهرت بصناعة الورق منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(٢)، ومن ثم انتقلت هذه الصناعة إلى مدينة طليطلة (Toledo) في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي^(٣). أما في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد اشتهرت صناعة الورق في كل من غرناطة (Granada)، وبليسية (Valencia)، وشاطبة، وقد حظيت شاطبة بشهرة واسعة في هذا المجال^(٤) إذ كان "يحل بها من الكاغد مالا يوجد له نظير بمصرور الأرض، ويعم المشرق والمغرب"^(٥). وكلفت شاطبة تصدير ورقها إلى معظم بلدان أوروبا الغربية وبأسعار معقولة، مما ساعد على انتقال صناعة الورق في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إلى ممالك إسبانيا المسيحية وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا^(٦).

(١) اختراع غوتنبرغ للطباعة في حوالي سنة ١٤٤٤م/ ١٤٠٠م. انظر طه حسين بك: أراء حر، على بشرة: قسم الخدمات العامة للجامعة الأمريكية بالقاهرة، المطبعة المصرية، [د.ت.]. ص ٦٦، ٦٧، سيشار له فيما بعد: طه حسين بك، أراء حر، عبد الله بن الحسن الجوزي، تقدم العرب في العلوم والصناعات وأنداد بهم لأوروبا، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦١ م، ص ٢١٧، سيشار له فيما بعد: الجوزي، تقدم العرب في العلوم والصناعات، حمود، تاريخ الأندلس السياسي، ص ١٣١٦ ورسالة الحضارة العربية، ص ١٨٦ ستقوود كتب المسلمين في تاريخ الحضارة، ص ١٠٠، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) عبد الرحمن بنوي، نور العرب، ص ٣٨.

(٣) عبد الرحمن بنوي، نور العرب، ص ١٣٨ محمد عبد الله خليل، نهضة الأندلس، ص ٤٤٧.

(٤) عبد الرحمن بنوي، نور العرب، ص ١٣٨ محمد خليل، نهضة الأندلس، ص ٤٤٧ الحادي الخامسة الاقتصادية، ص ١٣٤٨ حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٢-٢٢٤ الجوزي، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ٢١٠.

(٥) الأندلسي، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٦ انظر: المعري، فتح الطوب، مج ١، ص ١١٦٦ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٦) مجلة بشارة، التجارة في المغرب الإسلامي، ص ١٥٠ الجوزي، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ٢١٠ Imasuddin, The Economic History Of Spain, P 219-220.

ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الإسبانية أن الورق الأندلسي كان يصنع من قطن والقطن والقنب، وكذلك من ألياف نبتة الشهدنج^(١). ومن الجدير ذكره أن الأندلسيين نجحوا في إنتاج المرابطين في صناعة الورق الملون^(٢)، ومن ثم تقدمت هذه الصناعة وتطورت خلال العصر الموحد، حتى أنها بلغت القبة في الجودة والإتقان، فقد روى المقرئ أن أحد المعاربة كتب إلى الملك الكامل ابن الصالح الأيوبي (٦١٥ هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م) رقعة في ورقة بيضاء إن قرئت في صوم السراج كانت ضحية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً سوداً^(٣).

وقد نوه المقرئ بالورق المنصوري^(٤) في بلاد الأندلس. وكان لهذا الورق شهرة بعيدة في كثير من الأنظار الإسلامية حتى أنه صار يصنع في جملة أماكن من بينها العراق ومصر والأندلس، وذلك من باب التقليد والاقبال^(٥). واستمرت الأندلس بصناعة الورق خلال عهد الدولة النصرية. وكان الورق الإسلامي خلال هذه الفترة لا يستعمل إلا في جزيرة الأندلس ومدينة فاس، بينما بقية بلاد المغرب الإسلامي كانت تستعمل الورق الرومي^(٦).

أما عن كيفية صناعة الورق في الأندلس، فقد زودنا المكناسي (ت ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م) ببيان مهم جداً، يوضح الطريقة التقليدية لهذه الصناعة، حيث شاهدها في مدينة شغبوية (Segovia) الإسبانية. ورغم أن المصدر متأخر قليلاً إلا أنه يمكننا الاستفادة منه، وبخاصة إذا ما عرفنا أن الإسبان قد نقلوا صناعة الورق عن مسلمي الأندلس.

(١) الجبدي، الحياة الاقتصادية، ص ١٢٤٨ الجبدي، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص ١٢١ سكاوونيك، المخطوط في تاريخ الحضارة، ص ١٩٩ محمد عبد الله طلس، نهاية الأندلس، ص ١٤١٧ Imamuddin, The Economic History of Spain, P. 220

(٢) السعدي، في أدب الطب، ج ١، ص ١٤٥ حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢١.

(٣) المقرئ، فتح الطب، ج ٤، ص ٣٢٥-٣٢٧ حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٤.

(٤) الورق المنصوري: ذكر السعدي في كتابه الأشرف صريحاً عن الورق، سماه "كشاد المنصوري" قال: ومن عرف بالقشادي: "هو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحمن القشادي، من أهل سمرقند وإليه ينسب. كشاد المنصوري المشهور ببلاد خراسان، توفي سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣١م بسمرقند" انظر كوركيس، الورق أو كشاد، ص ٤٢٣.

(٥) كوركيس، الورق أو كشاد، ص ٤٢٣.

(٦) فونشويي، المعيار المغربي، ص ٦، ص ٨٥.

وفي ذلك يقول المتكلمي:

وَدُّ أُرُونَا بِشَقِيْبِيَّةِ الدَّرِّ لَتِي يَمْنَعُ بِهَا الْكَاعِيدُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى وِلْدِي
شَقِيْبِيَّةٍ، وَأَخَذُوا مِنْهُ سَالِقِيَّةً كَبِيرَةً لِبَتَوَاتِهَا الدَّرِّ الْمَذْكُورَةَ وَالْآلَاتِ لَتِي يَخْدُمُ بِهَا
الْكَاعِيدُ كُلُّهَا بِحَرَكَةِ الْمَاءِ. وَكَيْفِيَّةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ مِنْ خُرْقِ الْكَتَّانِ الْمَتَلَتَّاسِي شَيْئاً
كَثِيراً يَجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِنْ سَقَرِ الْبِلَادِ، وَدُّ أُرُونَا مِنْ ذَلِكَ مَخْلُوقَ كَثِيرَةً مَمْلُوءَةً مِنْهُ،
وَيُخْرِجُونَ مِنْهُ شَيْئاً قَشَوَاناً إِلَى نَسَاءٍ عَجَازٍ يَمِيرُونَ مِنْهُ الْجَرْدَ وَالْوَسْطَ وَالرَّدِيءَ، وَعِنْدَهُمْ
صَهْرِيحٌ مِنْ خَشَبٍ كَبِيرٍ تَصُبُّ فِيهِ أَقْلِيْبُ الْمَاءِ يَرْسُلُونَهَا وَقْتُ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا وَيَسْكُرُ بِهَا
بَعْدَ، فَيَجْطَلُونَ فِي الصَّهْرِيحِ الْمَذْكُورِ الْخُرْقَ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ بَعْدَ تَمْيِيزِهِ، وَيَطْلُقُونَ عَلَيْهِ
الْمَاءَ حَتَّى يَمْتَلِئَ الصَّهْرِيحُ، وَيَصِلُونَ الْخُرْقَ الْمَذْكُورَ مِنَ الْأَرَاخِ حَتَّى يَنْطَلِقَ بِهَا كَمَا
يَنْبَغِي، وَيَحْرَجُونَهَا مِنَ الصَّهْرِيحِ وَيَجْطَلُونَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَرَّ لَكُمْ بِبَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ،
وَيَتَرَكُونَهَا لِيَأْمَأَ إِلَى أَنْ تَتَلَتَّاسِيَ وَتَتَنَنَّ رَاقِئَتُهَا وَتَمُتَّ، وَيَقْطَعُونَهَا بَعْدَ ذَلِكَ لِرِبْأٍ لِرِبْأٍ،
وَلَهُمْ مَوْضِعٌ فِيهِ جِصٌّ مُسْتَعْمَلٌ، فِي طُولِ نَحْوِ ثَلَاثِينَ شَبْرًا وَعِشْرِينَ نَحْوَ الْخَمْسَةِ
قَشَبَرًا، وَدُّ نَصَبُوا عَلَيْهِ قَوَائِمَ الْخَشَبِ فِي رُؤُوسِهَا جَدَائِدَ مِثْلِ الْمَذِي لَهَا حَرَكَاتٍ بِالْمَاءِ
تَسْرِبُ فِي الْجِصِّ الْمَذْكُورِ، فَيَجْطَلُونَ الْخُرْقَ الْمَمْزُوقَةَ مِنْهَا، وَتُرْسَلُ حَرَكَاتُ الْمَاءِ عَلَى
قَطْعِ الْخَشَبِ وَتَسْرِبُ فِي الْجِصِّ عَلَى الْخُرْقِ إِلَى أَنْ تَصِيرَ مِثْلَ الْعَجِي، وَيَقْطَعُونَهَا إِلَى
مَوْضِعٍ آخَرَ فَيَعْمِدُونَهَا بِالْخَمْسَةِ إِلَى أَنْ تَصِيرَ خَدْمَةُ ذَلِكَ الْخَلِيَّةِ الْمَعْتَدَةِ، وَعِنْدَهُمْ صَهْرِيحٌ
آخَرَ يَمْلُؤُونَهُ مَاءً، وَيَجْطَلُونَ فِيهِ الْكَتَّانَ الْمَخْدُومَ، وَيَحْرَكُونَهُ بِأَصْصَةٍ، وَيَكْنِي الْمَعْمُ بِالْقَلْبِ
مِنْ الْمَلِكِ الْفَرِيقِ فَيَقْبِضُهُ فِي الْمَاءِ، فَيَرْفَعُهُ وَدُّ عُلُقَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الْأَبْيَضِ،
فَيَقْبِضُهُ مِنْ عِنْدِ الْمَعْمُ آخَرَ وَيَضَعُ الْقَلْبَ عَلَى حَصِيرَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْحَطَاءِ عَلَى قَدَرِ
قَلْبِ الْكَاعِيدِ، فَيَضَعُ الْقَلْبَ عَلَيْهَا وَدُّ عُلُقَ بِهَا مَا كَانَتْ بِهِ، وَهِيَ رَقَّةٌ، وَيَجْعَلُ فَوْقَهَا
حَصِيرَةً مِثْلَهَا، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا قَالِباً آخَرَ وَهَكَذَا حَتَّى يَجْعَلَ رُزْمَةً مِثْلَ نِصْفِ قَالِبَةٍ،
وَيَجْطَلُونَهَا تَحْتَ تَحْتَ^(١) وَيَدِيرُونَهَا عَلَيْهَا حَتَّى يَخْرُجَ جَمِيعُ مَا عُلُقَ بِهَا مِنَ الْمَاءِ، وَيَكْنِي
مَعْمُ آخَرَ وَيَخْرُجُ الرُّزْمَةُ مِنَ التَّخْتِ وَيَنْتَزِعُ الْحَصِيرَةَ الْعُلْيَا وَيَزِيلُ الْوَرَقَةَ لَتِي تَحْتَسِبُهَا
وَيَجْعَلُهَا عَلَى لَوْحٍ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَى أَنْ يَزِيلَ جَمِيعَ مَا بَنَى الرُّزْمَةَ مِنَ الْأَوْرَاقِ
وَيَجْعَلُهَا بِبَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَيَبْنِي بِهَا بَقِيَّةَ بَلِّ، فَيَضَعُهَا فِي خَرِيٍّ مَعْدٍ عِنْدَهُ لِذَلِكَ، وَقَدْ
أُحْلَانِي إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ مَمْلُوءاً مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخَذْنِي مَوْضِعاً آخَرَ فَوَجَدْتُهُ مَمْلُوءاً مِنْ

^(١) تَخْت: قَدْ تَسْمَعُ لَصَرِ الْوَرَقِ.

لطرف صغير من جلد البقر، ولفاق ورقائق الجلد، يطبخون من تلك شيئاً غليظاً وملاًء هو بمنزلة قتشا، فعين يطبخ يخرجون الماء من الطنجير ويصونه في جابية من الحجر، ويثقلون بالرملة من الكاغيد، وقد بيست وتلاصفت أوراقها، فوجطونها في ماء الجلد المذكور إلى أن يتخللها القل، ويجعلها تحت نخت، ويدبره عليها إلى أن يخرج جميع ما علق بها من الماء، ويخرجها من تحت النخت، ويرسل الأوراق واحدة بعد واحدة، بعد أن يرفع على كل منها وينشرهم على أحوال حتى ييبسوا^(١).

و. الزيوت والصابون

اشتهرت الأندلس بصناعة زيت الزيتون، وكان الزيت يستخلص بثلاث طرق وهي: العصر أو الطحن أو القلي^(٢). وكانت معاصر الزيت منتشرة في مناطق لوشة^(٣) (Lousa)، وبش^(٤) (Velez) وغرناطة^(٥)، ولش (Elche) وإشبيلية (Sevilla). وقد كلى في مدينة لش مائة وإحدى وعشرون معصرة بينما كلى في مدينة إشبيلية أكثر من ثلاثمائة معصرة^(٦). وكانت معاصر الزيت تدار إما بقوة الماء أو الحيوانات^(٧).

وتعتبر مدينة إشبيلية من أشهر المدن الأندلسية التي اهتمت في إنتاج الزيت. ويمتاز زيتها بالرفعة والجودة لدرجة أنه يبقى برافته وعذوبته أعواماً دون أن يتغير طعمه^(٨). ولذا كان يشكل تجارة رابحة لأهل إشبيلية، إذ اعترف بعض السكك التجارية

^(١) مكناسي، الإكسير في فكك الأسير، ص ١٢٦-١٢٧.

^(٢) أشارت كتب الفلاحة الأندلسية إلى بعض الطرق التي استخدمها الأندلسيون لعصر الزيتون واستخلاص الزيت منه، فمنهم من كل يبي بعضه على بعض بصبور المصفاك ولف عليه حبلًا ثم يكسه بقاد فخرج الزيت قلبي الصافي، ومنهم من كان يطحنه طحناً شديداً ثم يعصره فخرج زيت أفضل من الأول، ومنهم من كل يطحنه ويلقي عليه الماء الساخن ثم يرميه في إناء لمدة ثلاثين يوماً فخرج الزيت الصافي، وهو من أجود أنواع الزيت. انظر: ابن حجاج الإشبيلي، السمع في الفلاحة، ص ٥١-١٥٥ أبو خير الأندلسي، الفلاحة، ص ٥٨-١٥٩ حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٩.

^(٣) ابن الصطوب، مشاهدات لسر الدين، ص ٩٤.

^(٤) فرنشيسي، البحار المغرب، ج ٢، ص ١٤٠.

^(٥) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة إحصائية، ص ١٤١.

^(٦) مكناسي، الإكسير في فكك الأسير، ص ٢٩-٤١، ١٥٨-١٥٩.

^(٧) Imanuddin, The Economic History Of Spain, P186.

^(٨) المعري، ترجم الأخبار، ص ١٩٥ ابن غلب، فرحة الألف، ص ٢٩٢.

الزيت^(١)، فكان القفص منه يصدر إلى سائر بلاد الأندلس وبلاد الروم والمغرب وإفريقية ومصر والإسكندرية، وقد يصدر بعضه إلى اليمن^(٢).

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بصناعة زيت الزيتون، مدينة شونر (Jodar) التابعة لجيان، وتعرف بخدير الزيت لكثرة زيوتها^(٣). ومدينة لورقة^(٤)، ونفت^(٥)، وقرة^(٦)، وتكمير^(٧)، وقمرية^(٨).

وبالإضافة لزيت الزيتون يرفع الأندلسيون في استحلاب الزيوت والأدهان من النباتات واليدور^(٩)، ومن جعلها زيت الجلجان والكتلى والجور والشيورج (زيت السمسم)، ودهن اللوز والبطم والقطن والسوس ودهن نوى المشمش^(١٠) والبنفسج والبلونج^(١١). وكانت هذه الأدهان والزيوت تستعمل بكثرة من قبل الحطارين والصيادين^(١٢).

وكانت الزيوت تستعمل في تحضير أطباق الطعام الشهيرة، فضلاً عن استخدامها كمادة للاختراة، وعلى سبيل المثال تذكر أن مسجد قرطبة الجامع في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان يستهلك من زيت سنوباً مائة وخمسة وخمسين

^(١) الأندلسي، رامة الشنق، ج ٥، ص ١٥٤١ الشنقي، لسان الأندلس وأطباها، ص ١٥١ ابن قوردي، خريدة المعجب، ص ١٢١ قصيري، فروض المططر، ص ١٥٩ قفري، تلح القلوب، مع ١، ص ١٥٨. مع ٢، ص ٢١٢.

^(٢) قفري، الجعظية، ص ٨٩.

^(٣) قصيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧.

^(٤) قرطبي، القباب الأندلسية، ص ٥٢.

^(٥) ابن سيدة، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٣٧٤.

^(٦) ابن علقم، فرحة الأندلس، ص ٢٨٧.

^(٧) قفري، ترصيع الألبان، ص ٤-٥.

^(٨) Imazrudifan, The Economic History of Spain, P186.

^(٩) كل هذه النباتات واليدور معلوم خاصة بها حتى لا تنطلي زيت الزيتون انظر المستطفي، في أدب القصبة، ص ٦٨.

^(١٠) المستطفي، في أدب القصبة، ص ١١٢ ابن عبد القوي، في أدب القصبة، ص ١٠٥.

^(١١) قرطبي، ترويض قرطبة، ص ٧٥، ٦١.

^(١٢) المستطفي، في أدب القصبة، ص ٤١-٤٢.

قطاراً^(١)، منها في شهر رمضان خمسة وسبعون قطاراً، ومن هذه ثلاثون قطاراً في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان^(٢) ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اقتصت بصناعة زيت الزيتون، مدينة شونر (Jodar) التابعة لجيان، وتعرف بخير الزيت لكثرة زيوتها^(٣). ومدينة لورقة^(٤)، ولقنت^(٥)، وغبرة^(٦)، وتُدمير^(٧)، وللمرية^(٨).

وبالإضافة لريت الزيتون يرفع الأندلسيون في استعمالهم الزيتون والأدهان من قنبلات والبنور^(٩)، ومن جملة زيت الجبلان والكلان والجوز والشيرج (زيت السمسم)، ودهن اللوز والبطم والقطن والسمن ودهن سوي المشمش^(١٠) والبنفسج والبلونج^(١١). وكانت هذه الأدهان والزيوت تستعمل بكثرة من قبل العطارين والصيقل^(١٢).

والريت من المواد الأساسية التي تدخل في صناعة الصابون، كما كانت تستعمل في تحضير بعض المواد الأخرى، كمادة القطران التي كانت تستخرج من شجر الحرعر^(١٣). ويطلق على صانع الصابون وبالقعة في الأندلس لقب الصابوني^(١٤) ورغم

(١) القطار فولد = أربع أرباع، والربع = ٢٥ رطلًا، والرطل = ١٦ لوزة. وبذلك في قبل القطار ١٠٠٠ رطل أي ما يعادل ١٦٠٠ لوزة. انظر: السطلي، في أدب الصبغة، ص ١٣، ٢٧-٢٨.

(٢) ابن شبيب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٨-٢٩٩، ابن حذاري، فيل المغرب، ج ٢، ص ٢٧٧، القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٤٩.

(٣) الصديري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧.

(٤) قرطاجي، القلمس الأثوري، ص ٥٢.

(٥) ابن سبيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٦) ابن شبيب، فرحة الأنفس، ص ٢٨٢.

(٧) القفري، ترصيع الأعيان، ص ٥٤.

(٨) Ibrahimmuddin . The Economic History of Spain. P186

(٩) كان لهذه القنبلات والبنور معاصر خاصة بها حتى لا تتداخل بريت الزيتون. انظر: السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٨.

(١٠) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٤٢، ابن حيد، الفروغ، في أدب الصبغة، ص ١٠٥.

(١١) القوطاني، تقويم قرطبة، ص ٧٥، ٩٦.

(١٢) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٤١-٤٢.

(١٣) ابن هشام القسبي، المختل، مج ٢، ص ١٩٤.

(١٤) انظر ابن سبيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٢٦٨، ابن الصليب، أصول الأعلام، ص ١٥٠، القفري، نفع الطيب، مج ٢، ص ٦٠٩.

قلة المعلومات الواردة عن هذه الصناعة، إلا أنه يفهم من بعض الإشارات أنها كانت من بين الصناعات الأندلسية الرائدة، حيث كان الأندلسيون يحتلون عناية فائقة بنظافة ما يلبسون وما يفرشون،^(١) وهم من لا يكون عنده إلا ما يوفيه يومه فبطونه صاماً وبيتاً صلباً يضل به ثيله^(٢). ومن هذه الإشارة يفهم أن مادة الصابون كانت متوافرة في أسواق المدن الأندلسية، ومن بينها أسواق مدينة قرطبة التي انتشرت بها دكاكين صناعة الصابون^(٣).

كما يجب أن نأخذ بالاعتبار ظاهرة انتشار الحملات العامة في المدن الأندلسية وما تستهلكه من مادة الصابون، وخاصة إذا ما علمنا أن عدد الحملات قد وصل إلى (١٢٠٠) حمام في مدينة قرطبة وحدها، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(٤).

٣. الخزف

اشتهرت الصناعات الخزفية^(٥) في الأندلس منذ وقت مبكر، فوجدت في مالقة (Malaga) وبلنسية (Valencia) وطليطلة (Toledo) وقلمة أيوب (Calatayub) ومرسية (Murcia) وبرشلونة (Barcelona)^(٦). وامتازت المصوغات الخزفية بتنوعها من حيث الشكل وطرق الخزفة وأصناف الصناعة، إذ تكثر هذه الصناعة بالمنتجات الخزفية الإيرانية والعراقية والبيزنطية والقوطية^(٧).

وبلغت الصناعة الخزفية منذ مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي درجة كبيرة من الإقلاق والركي. فخرج الخزافيون في إنتاج أنواع عديدة من الأواني والأواني

(١) المقري، فتح الطبيب، مج ١، ص ٢٢٣.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص ٩٨٢.

(٣) المقري، فتح الطبيب، مج ١، ص ٣٩.

(٤) الحرف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً، ولحمته خرفه، ويقال لمعشرف هذه الصناعة الحرفاء والفخار. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٩، ص ١٦٧ زحمة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة لاس، ص ١٢٢.

(٥) Williams, The Arts And Crafts of Older Spain, ILP, 118-119.

(٦) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٩-٣٧٠ كولان، الأندلس، ص ١٧٩ Imamsaddin, The Economic History of Spain, P 233.

الفخارية لتلبية لمتطلبات الناس وروحياتهم. ومن جملة تلك: القصور والجدران والقلاع
والقصاع والأبريق والكؤوس والأطباق والصحون والقولير والقناديل والمصباح^(١).
وتدل البقايا الخرفية من آثار الزهراء (Alzahra) وإيبرة (Elvira) وقرطبة (Cordoba)
على وجود ثلاثة أنواع من الحرف في عصر الخلافة، وهي: الخزف الشعبي، والخزف
المرجج، والخزف المذهب^(٢).

أما "الحرف الشعبي"، الذي شاع استعماله بين عامة الناس، فنقسم إلى نوعين:
الأول، مجرد من الزخرفة، واثنى يردل برحارف ساذجة مدونة بالقول مختلفة على
سطح الأنية مباشرة، تمثل في معظم الأحيان رسوماً هندسية من دوائر ومعينات^(٣). وأما
الحرف المرجج، فقد عثر على كميات كبيرة منه مختلفة الأشكال والألوان، وكل من
جملتها جدران مخروطية، وقصور ذات أربعة مقلص مزخرفة، ولأبريق مختلفة الأشكال،
وقل، وقصاع، وقناديل، ومصباح، وكؤوس مخروطية، وطاسات مطلية بالقول الأصغر
والأخضر، وجدران وأطباق تحمل زخرفة مطلية بالقول الأبيض على الطمسي الأحمر،
وتزدان برخارف تمثل دوائر ومعينات ونقط وسهقان نباتية، وأطباق وصحون مردفة
برسوم حيوانية وأدمية، وكتابات كوفية حصة الزخرفة، وقد جرت العادة أن تزدان
الأطباق المرججة بالقول الأصغر بزخارف من لون أسود^(٤).

أما الخزف المذهب المسمى "بالحرف ذي البريق المعنسي"، فقد ازدهرت
صناعته في المشرق الإسلامي خلال قرون ثلاث الهجري/ العاشر الميلادي^(٥). ثم
انتقلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث اكتشفت قطع من
هذا النوع في مدينة الزهراء، وكبرها قطعة يظهر فيها رأس حصان، وهناك "قطع
أخرى عليها كتابات وليست بذات أهمية كبيرة. ولكن تفوق ما استورد من قطع أخرى
عثر عليها في الزهراء وبيشتر ومدينة سالم، وتحفظ عن تلك إلى حد يخطأ نوق بأنّها
صنعت في إسبانيا نفسها من طينة ذات لون شديد الصعرة محتم في غير نقاء، مع

(١) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٢٧٠-٢٧٢.

(٢) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٢٧٠، ٢٧٢، ١٢٨٢ عهد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،

ج ٢، ١٢٩-١٥٠.

(٣) عهد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨٢ عتقور المدينة الإسلامية، ص ١٨٨-١٨٩.

وجود ضرب جديد من الكتابة الكوفية^(١). وإذا كانت المعلومات المبثورة عنها تعوزنا فالمعروف أنه كان يعمل في الأندلس في القرن الرابع الهجري/المعشر الميلادي الفارون مشاركة، وفي مدينة طابطة سجل من ذلك العصر وتضمن إشارة إلى أن لقصاص المذهبة كانت من الصناعات المحمية فيها^(٢).

ولقد دهرت الصناعات الخزفية في الأندلس في عهد المرابطين. وكانت أهم مراكز إنتاجها في ملقة^(٣) والعمرية^(٤) (Almeria) ومجريط (Maga) . وهذه الأخيرة اشتهرت بصناعة البرام (القدور)، التي تمتاز بقوتها ومقاومتها وخاصيتها في حفظ الطعام، فكانت تستعمل على النار عشرين سنة لا تتكسر، وما طبع فيها لا يكاد يتغير في حر الهواء وبردها^(٥). وبرع الفخارون في صناعة الأنية والقلل والقدور والقداح الوضوء^(٦). وعرف المرابطون صناعة الألوان العزجة المزججة والمذهبة. وقد أشار المصطفى إلى صناعة الخزف المرجح ذلك أن كل سنة لأعمال ترقب طيبة حمارية مدروسة مغرولة، كانت تنتج مائتي ألف ثمانية وترجع بربع ونصف من الزجاج وتطبخ بأربعة أعمال حطب^(٧) وكانت ملقة من أشهر مراكز إنتاج الفخار المذهب في العصر المرابطي^(٨).

وسميت الأندلس في أيام الموحدتين بإنتاج الخزف المزجج، الذي اشتهرت صناعاته في كل من مرسية والعمرية وملقة^(٩). كما اشتهرت صناعة الأواني الخزفية المذهبة في قلعة أيوب، ومنها كانت تصدر إلى كل الجهات^(١٠).

^(١) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٨٢.

^(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٢.

^(٣) ابن سعيد، المغرب في ظل المغرب، ج ١، ص ٣٢٤. روليف: (المجاري في السبب).

^(٤) حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٣.

^(٥) الحسيري، الفروض المصطفى، ص ٥٢٢.

^(٦) الخطي، في أدب الصبية، ص ٦٧، ٧٦ في عيون، في القضاء والصبية، ص ٤٢.

^(٧) الخطي، في أدب الصبية، ص ٧١.

^(٨) ابن سعيد، المغرب في ظل المغرب، ج ١، ص ٣٢٤. روليف: (المجاري في السبب).

^(٩) الحسيري، تلح الطيب، ص ١٠٢. روليف: (ابن سعيد).

^(١٠) الأبريسي، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥. الحسيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٣. مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٨٢.

وكان يصنع في الأندلس نوع من الخزف المخصص المعروف في المشرق بالفينيساء، ونوع آخر يستخدم لتعليق القبيوت يعرف بـ"الزنجي" وهو يشبه المخصص، وله ألوان عجيبة، ويمكن أن يحل محل أرخم الملون الذي يستعمله أهل المشرق في زخرفة بيوتهم^(١). وكانت إشبيلية (Sevilla) أهم مركز لصناعة الفايو في الأندلس، إذ حافظت على هذه الصناعة من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي^(٢).

ولتشتهرت مملكة غرناطة النصرية بقطاع الخزف منذ القرن ثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. ولتحصت بهذه الصناعة مدينة مالقة والمريّة وبرجة (Borja) وأندرة^(٣) (AneQuera) وأندراش (Andrax). وكانت منتجات أندراش خاصة، تمتاز بالجودة العالية نظراً لجودة تربتها^(٤). ومن المحتمل أن مدينة غرناطة كانت مركزاً مهماً لهذه الصناعة أيضاً، فأحد أبوابها كان يسمى "باب القفارين" كما أن أحد أبوابها يعرف بـ"بعض القفارين"، وكانت تقع شمال شرق غرناطة فربة يقال لها قرية القفار^(٥). وتجدر الإشارة إلى أن مدينة مالقة بصناعة الفايو المذهب المتميز.

وقد حظيت هذه الصناعة بشهرة واسعة في الداخل والخارج، ولذا كانت تشكل تجارة رابحة لأهل الأندلس، وكان الفايو منها يصدر إلى الأقطار البعيدة^(٦) في القرن ثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد أشار ابن بطوطة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) الذي زار

^(١) شعري، فتح الطبيب، مج ١، ص ٢٠٦. روية: (في نسخة) أبو القيس موسى، النشاط الاقتصادي.

ص ٢٥٤. Williams. The Arts and Crafts of Older Spain, II, P. 136-137.

^(٢) Williams. The Arts and Crafts of Older Spain, II, P. 138.

^(٣) محمد شباقة، يوسف الأول، ص ١٩٢-١٩٣، حطالة، ملاح حسنية، ١٩٦.

^(٤) القشتاني، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١٤. روية: (مسلك الأمل) حطالة، ملاح حسنية، ص ١٩٦.

^(٥) ابن الخطيب، الإحطالة، مج ١، ص ١٢٧-١٢٨، ٢٠٠-٢٠١ القشتاني، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢٠٧. روية: (مسلك الأمل) وثائق عربية غرناطية، ص ١٢-١٣١ مؤلف مجهول، نودة العصر،

ص ١١٨. Williams. The Arts And Crafts of Older Spain, II, P. 119.

^(٦) ابن الخطيب، ربحة الكتب، مج ٧، ص ٢٠٦. ابن الخطيب، مشاهدات لسف القيس، ص ٥٩. القشتاني،

صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١٢.

الأندلس في أواسط هذا القرن إلى القلح الملقب قاتلاً: "ويعملقة يصنع الفضل المذهب المجيب، ويجلب منها إلى قلصى البلاد".^(١)

وانتقلت صناعة الخزف إلى مدينة بلنسية الإسبانية في أواخر قرون قشام الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكلفت مدينة منيس (Manises) الواقعة بالقرب من بلنسية هي مركز إنتاج الحرف المذهب المسمى "بالخزف ذي الوريق المعنسي"، الذي سنر من بلنسية إلى البلاد الأوروبية في ذلك القرن وقرون ثقافية، فكل من أنلر الحضارة الأندلسية أنها عمت لوروا فن استخدام الحرف وتجعل القبلي به^(٢). وبذلك انتقلت صناعة الحرف إلى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وغيرها من بلدان الأوروبية^(٣). وما زالت هذه الصناعة قلعة حتى اليوم في بعض المدن الإسبانية ولا سيما في إشبيلية ومالقة، وما زالت المناطق الإسبانية تحوي كثيراً من الأواني الخزفية في الأندلسية البديعة الصنع والخزف^(٤).

ج. الزجاج

كانت صناعة الزجاج معروفة في إسبانيا منذ العصور القديمة. ورغم ذلك لم يكن استعمال الأواني الزجاجية شائعاً في الأندلس في القرن قشاني وبديعة ققرر قشام الهجري/ قشام والقصع الميلادي، إذ من المعروف أن زربل الذي دخل الأندلس في أوئل القرن قشام الهجري/ قشام الميلادي كان أول من نصح الأندلسيين باستعمال أنية "الزجاج الرفيع" بدلاً^(٥) من أنية الذهب والفضة. الأمر الذي أدى إلى نمو وتطور هذه الصناعة في الأندلس إبان العهد الإسلامي.

وقد نشطت صناعة الزجاج في القرن قشام الهجري/ قشام الميلادي، ومعا ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لها في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية،

^(١) ابن بطوطة، نحة قطار، ص ١٦٧، صفري، فتح طليب، مج ١، ص ١٥٢. رواية: (ابن بطوطة).

^(٢) فرج، فصل طباء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٣٠٩.

^(٣) مورينو، فن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٣٨٥. عثور بالمدينة الإسلامية، ص ١٨٩، ١٩٠. ريسلر الحضارة العربية، ص ١٧٠.

^(٤) محمد حنن، نهاية الأندلس، ص ٤٤٧.

^(٥) صفري، فتح طليب، مج ٢، ص ١٢٢، ١٢٨. رواية: (ابن حنن). ديوفيل، فتوق الإسلامي، ص ٢٢.

حيث برع الأندلسيون في صناعة الزجاج من الحجارة والبلور الصخري^(١). وكان لبسو قلم عيسى بن فرنس^(٢) هو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة^(٣). وازدهرت صناعة الزجاج في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فبرع الزجاجيون في صناعة الأواني والكتب الزجاجية، ومن أمثلة ذلك الجرار والطلست والقاني والأبريق والقوير ولجانر القطنج، التي اشتهرت صناعتها في مدينة قرطبة^(٤). وهناك بعض الأمثلة من نماذج هذه الصناعة ما تزال محفوظة إلى اليوم في بعض المتاحف الإسبانية، وهي تعود في تاريخها إلى عصر الخلافة، وتدل على تنوع في أساليب الزخرفة وطرق الصناعة، فهي عبارة عن زجاج كروي من الزجاج المنصوخ، وأخرى في الزهراء كثرية الشكل ونسوطية، وتتميز إحدى القوير التي بجبيرة وهي لصحية اللون، وكذلك القرحة الطويلة لأحدى قوير مدينة الزهراء، بهما يحملان في الجزء العلوي زخرفة من دوائر، وفي الجزء السفلي أوصاف دوائر في مجموعات صنعت بطريقة القواب^(٥) كما أمدتنا مدينة الزهراء "بمجموعة من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة القواب، وهي وإن كانت تتشبه مع طريقة غنية كانت شائعة في لوقل العهد الإسلامي بمصر، إلا أنها ظلت بالأندلس على ما يظهر مع اتجاه زخرفي يفوق ما في مصر، وتتخطف في تلك الأسلوب القرطبي، وهي طلست، غير حلوة ولكن تتخذ في حالات نادرة لوناً ذهبياً أو أزرق مع زخرفة هندسية بطريقة القواب^(٦).

^(١) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٩.

^(٢) هو عيسى بن فرنس الفكري حكم الأندلس، وهو مولد بني أمية، الذي اشتهر في عصر الحكم الفريسي، وكان فيلسوفاً حليفاً وشاعراً مثقفاً، مع علم التجيم، وهو أول من فك الموسيقى، وصنع الآلة المعروفة بالمسقة يعرف الأوقات على غير رسم وتل وتل في تطوير جشقه، وكما نسمه بالريش وظل في حجر مسقة بعدة ثم سقط وتوفي في سنة (٢٧٤هـ / ٨٨٧م)، انظر: ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٢٢٢، القري، نبع طبوب، مج ٢، ص ٣٧٤.

^(٣) ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٢٢٢، رواية: (ابن حبان) القري، نبع طبوب، مج ٢، ص ١٢٧٤، مصدر كرك حلي، الإسلام والحضارة، ٢٢٥.

^(٤) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤٠٩-٤١١، عبد القدير سالم، قرطبة حضارة الخلافة، ج ٧، ص ١١٤٩، رسالة، الحضارة العربية، ص ١٨٩.

Williams. The Arts And Crafts of Older Spain, P.232

^(٥) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٤١٠.

^(٦) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

ولستخدم الأتليسيون الزجاج والبلور لتزيين مجلس قصور ولبهاتها، فجدول مجلس القنصل العمومي "بفصر الخلافة" (أحد قصور الزهراء) صنعت من الذهب والزجاج القليل الصافي، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انصرفت على حدباء من الماخ والأنبوس، وقامت على أصداء من الخرام والزجاج الملون والبلور الصافي^(١). وفي هذا القصد بشر إلى قصر العائون بن ذي القنون صاحب طليطلة^(٢) في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وذلك "لأنه لقيه إلى قنابة، ولحق عليه أموالاً طائلة، ووضع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير حكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها، ويتصل بصفه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يعثر من الجري، والعائون فاعد به لا يمس من الماء شيء ولا يصله، وتوفد فيه الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب"^(٣). وكان في ذلك قصر مجلس يقال له "العكرم" فيه بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز^(٤). وكان فيه مجلس آخر يقال له "مجلس القنطليب"، قد وضعت فيه أواني الزجاج، وغيثات (قائلي) البلور المعفور، وقوارير الماء المحكمة الصنعة، هرفقة القينة، التي كانت تستخدم لحفظ أنواع العطور المتخذة من السمك والعنبر ورشح قبان وماء ورد^(٥).

هذا، وتعمرت بعض المدن الأتليسية بصناعة الأواني والألوان الزجاجية المتنوعة، مثل: إشبيلية وبلنسية في عصر ملوك الطوائف^(٦)، ومالقة^(٧) والمرية^(٨) في عصر المرابطين. وفي هذا الأخير، كان الزجاجون يصنعون القوارير والأنية وصنوج قمولزين^(٩). وكانوا يحرسون على ترك المصنوعات الزجاجية في القوارير القنبريد المعقدة

(١) قرطبي، الجمل القبة، ص ١٨٧؛ القفري، نوح القنطليب، ص ١، من ٥٢٦-٥٢٧ رولية: (إبر حبل).

(٢) القوطوشي، سراج الملوك، ص ٤٥.

(٣) القفري، نوح القنطليب، ص ١، من ٥٢٨-٥٢٩: أرسلان، القل القنطليب، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) ابن بسلام، القنطليب، ص ١، من ١٣٢-١٣٣ رولية: (إبر حبل).

(٥) ابن بسلام، القنطليب، ص ١، من ١٣٢ رولية: (إبر حبل).

(٦) الأزد، بديع القنطليب، ص ١٨٠؛ القفري، نوح القنطليب، ص ١، من ٢٧١، Williams, The Arts and Crafts of Older Spain, II, P. 233

(٧) ابن سعد، المغرب في حل المغرب، ص ١، من ٢٧٤ رولية: (المجاري في السهب).

(٨) القفري، نوح القنطليب، ص ١، من ١٦٦٣؛ حلي، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ٢٥٥

(٩) ابن عبدون، في القساء والحكمة، ص ٤٠، ١٤٣ ابن هشام القنطليب، المختار، ص ٢، من ٢٥٢، ٢٨٩.

لهذا الغرض، مدة (٢٤) ساعة حتى تكتمب القوة والمنفعة^(١). أما في عصر الموحدين، فقد اشتهرت صناعة الزجاج في كل من مرسية وملقة والقريصة^(٢). وكل الموحدين يستخدمون الزجاج لتزيين منشآتهم العمرانية وخاصة المساجد^(٣).

^(١) الخطي، في آداب الصبغة، ص ٦٧.

^(٢) المقرئ، نفاخ الطيوب، ص ١، ص ٢٠٢. رواية: (ابن سعيد) عز القوس موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٤.

^(٣) في صلب الصلابة، ابن بالإسكندرية، ص ٣٩٢.

الفصل الثالث

الصناعات الغذائية

أ. ملحن الحبوب

كانت صناعة ملحن الحبوب من الصناعات المزدهرة في الأندلس، وكند مساعد على ذلك وفرة المادة الأولية اللازمة، إذ انتشر زراعة الحبوب في مختلف المناطق الأندلسية كما ذكرنا لغاً، بالإضافة إلى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في الحياة اليومية. وكانت الحبوب تملحن بواسطة الأرحاء التي عوار بقوة الماء أو الحيوانات أو الرياح، وإلى كانت الأرحاء المائية هي الأكثر استعمالاً في الأندلس، بسبب وفرة مياه الأنهار والبحون^(١)، حتى أن الأرحاء الطليخنة كانت تنحذ على أبواب المنازل في كل من جبال^(٢) غرناطة^(٣) وباجة^(٤) وحصن بلوية من أصال وشقة^(٥).

وجرت عادة الأندلسيين على إقامة الأرحاء بالقرب من الجسور والمحدود والأرصعة الواقعة على منخلف الأنهار والبحون كما كان عليه الحال في المنكب^(٦)، وفريش^(٧)، وإستجة^(٨)، وقبرة^(٩)، وللمرية^(١٠)، وتطيلة^(١١)، وودي لش^(١٢) وطلبيرة^(١٣).

(١) انظر: الفري، الجغرافية، ص ٨٠، ٩٧-٩٨ القوي، فتح الطب، مج ١، ص ١٢٩، ١٣٠-١٣١، ٢٢٦.

(٢) ذكر القسبي أن في جبال إشتي عشر حينا ثلاث عليها أرحية تقوم بالأندلس. انظر: القسبي، لصص التقسيم، ص ١٢٣١ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧١.

(٣) كل سور غرناطة وما وراءه يشغل على أكثر من (١٢٠) رحي كما ذكر ابن الصطوب. انظر: يافوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١١٩٥ ابن سجاد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١١٠٢ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١١٧٧ ابن الصطوب، الإحاطة، مج ١، ص ١١٣٩ ابن الصطوب، قلعة البنية، ص ١٢٥ القشتندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٧١.

(٥) القوي، ترصيع الأخبار، ص ٥٩.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٦٤ ابن فضل الله العمري، مسلك الأبحار، مع، ج ٢، ص ٣٥.

(٧) ابن خلدون، فرحة الأندلس، ص ٢٩٠.

(٨) القوي، تاريخ المغرب الإسلامي، ١٠٣.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(١١) انظر قرطبي إلى موقع أرحاء تطيلة بقوله: "وحد باب تطيلة القنطرة المتصلة على نهر يسره وتحت أبواب القنطرة الأرحاء التي تنملحها مياه النهر أبداً انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٦٩.

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢، صفي، رحلة الوزيرو، ص ١٥.

(Talavera)، وقونكة^(١٢) (Cuenca)، وبنقة^(١٣) (Baena)، وصنخية^(١٤) وويذ^(١٥)،
(Hueie)، وشلب^(١٦) وعلفقة^(١٧) وبلون^(١٨) ووادي بجلقة^(١٩) (Guadpechina)، وقرطبة^(٢٠)
التي اشتهرت بكثرة أرحقتها، حيث كان على واديهما أكثر من خمسة آلاف حجر^(٢١)
مخصصة لطحن الألواف.

والمكثر أهل الأندلس طريقة طحن الألواف بواسطة الأرحاء المتحركة، وتلك
بتجليس هذه الأرحاء في القوارب بحيث يكون بيت الرحي دليلاً للقارب والدولاب يدور
خارجه في الماء، وبهذا يسهل الانتقال بها من موضع إلى آخر^(٢٢) لتقديم الخدمة للعلماء
وهم في مواقعهم. وكانت هذه الطريقة متبعة في كل من مرسية وسرقطسة^(٢٣)
وطرطوشة^(٢٤).

^(٢٥) طليبر، مدينة قديمة أثرية تقع على نهر الفلم، ولها طيه أرحاء كثيرة، ولها عمل واسع ومرفأها
كبيرة، وبينها وبين طليطلة سبعون ميلاً. قطر: المصري، قروض القمطر، ص ٣٩٥.

^(٢٦) ابن صاحب الفلك، الفن بالإسبانية، ص ٤١٩.

^(٢٧) لوبقة، من أصل قرطبة، تقع شرقي نهر على بعد ستة أميال، وهي على ريو من الأرض طيبة قريبة
كثيرة المياه السليمة، ولها على نهر مربعة أرحاء كثيرة. المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٥٩.

^(٢٨) المدينة، مدينة قديمة من أصل ثبوتية، تطرد المياه داخلها من عين نزل تطل على جنوبها الأرحاء،
المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٠.

^(٢٩) بلدة مدينة بالأندلس، وهي على واد يقرب القيس. المصري، قروض القمطر، ص ٦٠٧.

^(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

^(٣١) القسطنطيني، في أدب الصحراء، ص ٦٢.

^(٣٢) نهر بلون، يقع على بعد ميل من مدينة جبل وهو نهر كبير طيه أرحاء كثيرة. الإبريسي، نزهة المشتاق،
ج ٥، ص ١٥٦٨ المصري، قروض القمطر، ١٨٣.

^(٣٣) لودي بجلقة يقع على بعد أربعة أميال من مدينة المريجة الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٢.

^(٣٤) ألتع قرطبة على نهر فودي الكبير، وهو نهر كبير طيه أرحاء كثيرة، مثل أرحاء القرطبة وأرحاء ملصع
التي تقع بين إشبيلية وقرطبة. قطر: ابن حوقل، المتكسب في ألبان بلاد الأندلس، ص ١٥٨ الإبريسي، نزهة
المشتاق، ج ٥، ص ٥٧٥، ١٥٧٩ ابن فضل الله المصري، مسلك الأيسار، مخ، ج ٢، ص ٣٨.

^(٣٥) القشتدي، فستال الأندلس وأطرها، ص ١٥٥: القري، فتح الطوب، مخ ٢، ص ٢١٧.

^(٣٦) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٢٨٥ القزويني، آثار البلاد، ص ١٥١٥ ابن فضل الله المصري، مسلك
الأيسار، مخ، ج ٢، ص ٢٣.

^(٣٧) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٢٨٥ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٢.

^(٣٨) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥.

وكانت الأرحاء الهوائية قليلة الاستعمال إذ لم تشر المصادر الأتينية إلا إلى ما كان موجوداً منها في طركونة^(١)، ومدينة جبل طارق (Gibraltar) التي أمر بإنشائها أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وذلك سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)^(٢). وفي هذه المدينة الأخيرة صنع الحاج يعقوب المهندس^(٣) "رحى تطحن الأتوات بالريح"، ولكنها سرعان ما تعطلت لعدم الاهتمام بها^(٤).

لما الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات فكثيراً ما كانت تستخدم لتلبية حاجة الجسد أثناء الحملات العسكرية، حيث ذكر ابن الخطيب أنه كان مع الحاجب المنصور بن أبي عمر^(٥) في صقلية سنة (٣٨٢ هـ / ١٠٠١) مدة رأس: "تصل لأرحاء الطحن الموزعة بجهات صخرة لطحن الأتوات". وقد وصفنا نحن وصف كيفية بناء الأرحاء الأتينية ومقابس أحجارها وأخشابها ومادة دواليبها وسدها وما يتصل ببيت الرحى من اصطبل للدواب ويرج، وذلك في نازلة وردت على ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) من جبل، ومما جاء في وصف بيت الرحى: أن حجم كل حجر من أحجارها "شبر وثلاث، وسعته أربعة لشبر ونصف بالشبر الأوسط، وتكون دواليبها من البلوط بأصدة الحديد، وغلب وحلق وصنوج وغوات، ومنصب البيت أربعة من الأكواح، ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسلسل والأوتاد، ويخرج ملاء في ساقية الرحى (ويكون) في جوف بيت الرحى اصطبل للدواب سعته مثل بيت الرحى متصل بالبيت طوله أربعة أكواح

(١) ذكر الحميري أن من القرب بطركونة أرحاء نصبها الأول تطحن عند هبوب هبوب وشكى بسكرها، انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦، هولندا: فوضع الزراري في الأندلس، ص ١٩٦.

(٢) ابن سلع، الصلاة، ابن بالألمنة، ص ٨٥-٨٦ مؤلف مجهول، مقال الموشة، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) هو: الحاج يعقوب الملقب، الذي بعد من أجمع وتشير المهندس الذين تلقى منهم على عهد الموحدين، وقد كانوا ينجحون إليه في كل المشاريع المهمة، فهو الذي قام سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) بعملية ترميم قعاء لمتي البحيرة الملحية، وترصيده إلى دحل إشبيلية من قلعة جابر، انظر: ابن سلع، الصلاة، السور بالألمنة، ص ٨٥.

(٤) ابن سلع، الصلاة، السور بالألمنة، ص ٨٨ مؤلف مجهول، مقال الموشة، ص ١٥٥.

(٥) كان المنصور بن أبي عمر قد أرسل إلى منطقة فتنر الأعلى ملقي روج من أزواج المظلم التي تدار بقوة الحيوانات وذلك قبل خروجه إلى قشتالة في صقلية سنة (٣٩٢ هـ). ابن المقلوب، أصقال الأصنام، ص ١٠٠-١٠٦، رولف: (ابن حبان).

ورفاعة ثلاثة أرواح بالطقية^(١). غلط الحفظ شيران بالشمر الأوسط، وأسنه بالبحر والطين، وغلاؤه وعطاء بيت الرحي بالقرميد، ويشكون البرج المتصل ببريت الرحي المنكورة من ناحية الغرب بالحبس^(٢).

وكل الأندلسيون يطلقون على ختم الرحي اسم المكلس أو المقاسم، وأحياناً الطحل^(٣)، كما تشير كتب الحصة الأندلسية التي أسهمت في الحديث عن أساليب العيش والتكليس التي كان يمارسها أصحاب هذه الحرفة^(٤).

٥. صناعة السكر

ازدهرت صناعة السكر (الطبررد) في الأندلس بفضل العرب المسلمين الذين أدخلوا إليها زراعة قصب السكر بعد الفتح^(٥)، وقد نمت هذه الصناعة وتطورت في ظل الحكم الإسلامي.

وفهم من بعض الروايات التاريخية^(٦) أن محصول قصب السكر كان كبيراً في القرنين الرابع والخامس للهجريين/ المئتين والحادي عشر الميلادي، وأن من أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه إبيزة^(٧) وغرناطة^(٨)، والمريجة^(٩)، وإشبيلية^(١٠)، وملقية^(١١) (Malga).

^(١) الطاقية هي حبة الذئد معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة أشرار. انظر: ابن أبي أصيبعة، حيون الألبان، ص ٥٢٩.

^(٢) ابن رشد، فنون ابن رشد، ج ٢، ص ١٢٠٢-١٢٠٦ لصالح جيل، نوترل ابن رشد، ص ٢٢.

^(٣) قزويني، لسان العرب، ص ١٧٠، ابن عديم، في القضاء والحصة، ص ١٥٢ ابن هشام القاسمي، المتكلس، مج ٢، ص ١٨٠.

^(٤) السطفي، في ثواب الحصة، ص ٢٠-١٣٠ ابن عديم، في القضاء والحصة، ص ٥٣.

^(٥) حمود، تاريخ الأندلس الإسلامي، ص ١٢١٧ حر الدين فراج، فصل طعنا المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي (دع) ص ١٥-٦٦، سوشل لهذا المراجع فيما بعد، فراج، فصل طعنا المسلمين.

^(٦) تشار: قزويني، تقويم قرطبة، ص ٣٧، ٦١.

^(٧) ابن علقم، فرحة الأندلس، ص ١٢٨٣ قزويني، ذكر البلاد، ص ٥٠٢.

^(٨) غرناطة، هي قدم مدن إبيزة، تقع على بعد ستة أميال من مدينة إبيزة، ابن الخراط، المختصر القلبي، الألو، ص ١٧١ الحموري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٤ القلبي، رحلة الإقصائية، ص ١٢٤٥ شاعر مصطفى، الأندلس، ص ١٣٧.

^(٩) قزويني، ترصيع الأخبار، ٨٥.

والمنكب^(٦) وجولقة^(٧) (Gutliena) وشجلة^(٨). ونلاحظ أن إنتاج السكر قد قل في القرون السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إذ كانت مدينة المنكب هي منطقة الإنتاج الرئيسية في الأندلس^(٩). وبقيت هذه المدينة تعمل مكان المصدرة في إنتاج السكر وتصنعه خلال عهد الدولة النصرية (دولة بني الأحمر ٦٣٥-٨٩٧هـ / ١٢٣٧-١٤٩٢م)^(١٠).

واستمر إنتاج السكر في الأندلس حتى سقوط الحكم الإسلامي هناك سنة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) لدرجة أن الإبلان سمحوا لعدد من المورسكين أو العرب المتصرين العاملين بزراعة قصب السكر بالبقاء في إسبانيا، لكنهم رفضوا، وترتب على رحيلهم تضائل كمية إنتاجه^(١١).

ويجدر بنا أن نذكر أن السكر في القرون الوسطى كان يباع عند الصيدلة والمصالح العقارية^(١٢)، وكانت مراكز صناعته تعرف بالمعاصر والمطابخ والمساكن^(١٣). وكانت هذه المعاصر تشتمل على ما يلي: (١٤).

١. قنجر المائي: إذ كانت المعاصر تدار بقوة الماء التي تزودها المواني بها.
٢. قاعة الآلات (موضع المعاصر والآلات المحق).

١١ أندري، ترصيع الأخبار، ص ١٩٦، ابن خلد، فرحة الأندلس، ١٢٩٢ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٥.

١٢ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٥.

١٣ ابن الخطيب، مشاهدات أسرار القدر، ص ١٨٠، القنطري، صبح الأضي، ج ٥، ص ٢١١.

١٤ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٥.

١٥ شجلة: قرية قريبة من البحر من أصل رية يقرت المصري، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٦١ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٥.

١٦ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٤٠.

١٧ ابن الخطيب، ربيعة القنابل، ص ٢، ص ١٢٨٨ القنطري، صبح الأضي، ج ٥، ص ١٢١١ فورتويس، معاصر المغرب، ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩.

١٨ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٢٤٥.

١٩ بول برني، قصب السكر في المغرب القديم، مجلة البحث العلمي، ص ١، ج ١، جامعة محمد الخامس، الرباط ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، ص ٢٨. يشير لهذا المرحل فيما بعد: بول برني، قصب السكر.

٢٠ قسدي، الحياة الاقتصادية، ص ٥٤٦.

٢١ بول برني، قصب السكر، ص ٢٥-٢٦.

٣. قاعة معالجة السكر : وفيها توجد الأفران والمولد والجفن والأوتى، وبعد معالجة السكر يوضع في قوالب خاصة حيث يكون جاهزاً للاستهلاك^(١).

ج. صناعة الخمر

كانت الخمر في الأندلس تصنع من ثمار التين والعنب وأصناف الفاكهة الأخرى^(٢) وذلك رغم تحريمها في الإسلام، وقد وردت بعض الإشارات التي تؤكد أن بعض الأندلسيين كانوا يشربون الخمر ويتاعونها في أسواقهم^(٣) وشملت بعض الأماكن التي كانت تقام تجمعات لشربها^(٤) وذكرت أن بعضاً من القضاء^(٥) والأمراء الأمويين كانوا يشربونها في مجالس الحناء والطرب^(٦) هذا بالإضافة إلى تضيئ شعراء بمجالس الشراب ولوصف الخمر^(٧).

وبذلك في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠) جهوداً جادة لمنع صناعة الخمر ومكافحة شاربها، إذ أن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) قرر قطع الخمر من الأندلس، وأصدر لوامره بإزالتها، وشدد في استئصال شجرة العنب ولكنه عدل عن رايه عندما عرف أن الخمرة تصنع ليساً من

(١) هاجنة، فوضع قزراحي في الأندلس، ص ١٩٩.

(٢) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)، جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأيوبي، ج ١، ط ٢، دار الكتاب العربي - مكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٣، ص ٤٣. يشير لهذا المصدر فيما بعد: الحميدي، جدوة المقتبس؛ فطر، قنويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٨. فقري، تلح الطيب، مج ٢، ص ٢١٤ (إرواية القنطاري).

(٣) القاضي النعماني، المجالس والمسابقات، ص ١١٦، ١١٢، الحميدي، جدوة المقتبس، ص ٤٣-٤٥.

(٤) كما هو الحال في قرية منية نصر التي تقع شرقي قرطبة، حيث فيها موضع يتجمع فيه القبيدون ويتجمعه الفطراء فلا يكف يطار منهم، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٨، حطاطة، ملتحح حصارية، ص ١٩١. (٥) الأزد، بتاريخ الحديث، ص ٩٧-٩٨.

(٦) القاضي النعماني، المجالس والمسابقات، ص ١١٢، فقري، تلح الطيب، مج ٢، ص ١٢٥.

(٧) ككافي، كتاب تشبيهات، ص ٨٨-٩٧.

التي ومصادر نهائية أخرى^(١) كما أصدر الحلب المنصور أوامره بمنع شرب الخمر،
وشدد بلى لا يفتي شيء منه إلى الحضرة، لو يكون عند أحد^(٢).

أما في عهد ملوك الطوائف، فكان الخمر أكثر شيوعاً في الأسواق الأندلسية،
لدرجة أن الضرائب كانت تفرض على باعها^(٣) وكل الملوك والأمراء يشربون الخمر
في مجالسهم وبلحات قصورهم^(٤) وازدهرت صناعة الخمر في عهد المرابطين والفاطميين
شربها بين بعض أمراءهم وبين كثير من العامة، حتى أن ابن عبدون اقترح على
المحتسب أحد السلاح من الثياب قبل أن يشربوا في الأعراس^(٥) ولم يبدل الدولة
الموحدية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفككت الثورة الموحدية. ومنع الموحدون
الخمر في دور الثورة، ولكن في طور الدولة أطوا العرب المصروع من العطب ولذا فإن
الكثير من الناس كفوا بصنع الخمر في منازلهم وبخاصة الفلاحين منهم^(٦).

ومن المراكز المشهورة التي اقتصت في تصنيع الخمر مدينة باعة من أصقال
إبيرة^(٧) في قرون الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومدينة ملقة^(٨) ومرسية^(٩)
ولقد انتشرت^(١٠) في بلاد المغرب والجزيرة^(١١) في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ العاشر
والعاشر، جنوة المقيس، ق^(١٢)، من ١٤٢٢ قنوي، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٨، قنوي، تلح
الطيب، مج ٣، ص ٢١١؛ رولان (القسطنطيني).

^(٦) ويندو أن المنصور قد منع في ذلك، إذ أنه قال يوماً لابي جعفر ابن القزالي (لحد الأطباء): أريد أن تجمع
مواقع القرباق الكثير وتركه لأمثال أمراء وجمع حواريه وأمره الخمر الذي يمنع به لوبة القرباق، وأمر
المنصور بذلك، فقال له: تنظري من كل ناحية، وانظري هل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لتكلم القرباق،
فتنظري له جعفر من كل أحد ولم يجد شيئاً منه فقال المنصور: والله ما كل قصدي يتركب القرباق في هذا
الوقت إلا لأشرب هل بني من الخمر شيء عند أحد لم لا. فنظر: أين أبي لسيمة، عيون الأبناء، ص ٥٣٦
^(٧) ابن حزم، رسائل، ج ٣، ص ١١٦٧، أين أبي لسيمة، عيون الأبناء، ص ١٤٩٥، ابن الخطيب، الإحاطة،
مج ٧، ص ١٢٢، ١٢٤.

^(٨) الأزد، بدائع فضله، ص ١٠٧-١٠٨، ١٢٥، ٢٦٠. (رواية ابن بسلام) عن قنوين موسى، فتشلت
الاقتصادي، ص ٢٤١.

^(٩) ابن حزم، في القضاء والقصة، ص ١٥٤، عن قنوين موسى، فتشلت الاقتصادي، ص ٢٤١.

^(١٠) عن قنوين موسى، فتشلت الاقتصادي، ص ٢٤١-٢٤٢.

^(١١) ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٥٤. رولان (القزويني).

^(١٢) القسطنطيني، فضائل الأندلس وأطرافها، ص ١٥٧، ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٣٢٤، المغربي،
تلح الطيب، مج ٣، ص ٢١٩.

^(١٣) انتصت مرسية بتصنيع الخمر من التي والزياب، ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٢٧٤،
عن قنوين موسى، فتشلت الاقتصادي، ص ٢٤٢.

ولفتت^(١)، ولورقة^(٢) ولبسيلة^(٣) في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ القادي والثاني عشر الميلاديين، كما اختصت غرناطة في إنتاج الحمر في ظل دولة بني الأحمر^(٤). ويذكر أن غرناطة تتميز باعتمادها الكبير على فصل القصير الذي كل يقام عند جني محصول الحطب وعصره وفي هذا الفصل يترك أهل غرناطة دورهم نائنين معهم ما يلزمهم من الأثاث والمتاع هم وعائلاتهم ومعهم من الأسلحة ما يردون به العدو^(٥).

٥. الطباخة

تعتبر الطباخة من الحرف المعروفة عند الأندلسيين^(٦). وكل الطباخين الأندلسيين مشهوراً بملكوالاته المتقنة، حيث كانت الأطعمة تقدم حسب نظام جديد أدخله ربيع (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م) إلى الأندلس. فكانت تقدم أصناف الحساء أولاً فالأطعمة المطبوخة بالحموم والطيور، فالملكوالات المتمثلة بالحل والمرى، فطبق الحلوى وبين كل صنف من هذه الأصناف تقدم أنواع الفزاند والعجائن^(٧) ومختلف أطباق الكسكو^(٨).

(١) ابن سيدة المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) قصيري، سلة جزيرة الأندلس، ص ١٧٦.

(٣) حر الدين موسى، فننشط الاقتصادي، ص ٧٤٢.

(٤) ابن الخطيب، النعمة البديرة، ص ٤٠، انظر: فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٢.

(٥) إسمان جاسر، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٤٨.

(٦) قسطنطين، في أدب الصبغة، ص ١٣٥، ابن عبد الزؤوف، في أدب الصبغة، ص ٩٦.

(٧) بروغفال، الشرق الإسلامي، ص ١٢٣، لوسي بولفس، الطباخين الأندلسيين من فنون الحساء (القرن ٥-٧هـ / ١١-١٣م) مجلة دراسات أندلسية، ج ١٦، تونس ١٩٩١م، ص ٥٦٦-٥٦٧، وسنظر لهذا المرجع فيما بعد.

بعد، بولفس، الطباخين الأندلسيين.

(٨) الكسكو وهي "نواع منها فسقى ويحرقه جميع الناس، ومنها فترقي، ومنها نوع يصنع بفتات حسيو

الفرمك، وذلك أن يؤخذ فتات ويحك بالكف في القصعة، ويجعل في قدره المقرب، فإذا خرج بخارها فسرل

في قصعة وحك بالنفس أو يعنى يرقق اللحم السد له " انظر - مؤلف مجهول، كتاب الطباخين، ص ١٨٠-١٨١.

وكل زريب هو أول من سن في الأنتلس أكل بقلة الهوليون معروفة بالإسراج^(١) ولكل تقاليا^(٢) وقول المعروف بقول الزريبي^(٣).

وكلت المطابخ العامة منتشرة في الأسواق الأندلسية، لتقديم خدمة قطعان وفشارب لأصحاب الحرف والصناعات ولعامة الناس،^(٤) وتعد فرطبة من المدن المشهورة في هذا المجال، إذ تخصص أهلها في "المطاعم والمشارب"،^(٥) ووجدت في أسواقها أماكن خاصة للطباخين.^(٦) وذكر صاحب كتاب الطبخ أنه كان يطبخ خارج باب قصر في فرطبة في كل يوم خمسة ألفزة^(٧) من الحمص، وذلك في عهد الطوبعة عبد الرحمن الناصر وخلفه الحكم المستنصر^(٨).

واتسرت المحتسب في المطابخ العامة أن تكون مجهزة مسطحة للتمكن من غسلها في كل الأوقات وعلى الطباخين مراعاة شروط النظافة العامة، كتطويف أيدائهم

^(١) كانت بقلة الهوليون، تطبخ في العادة مع اللحم وقد أشار صاحب كتاب الطبخ إلى طريقة تحضيرها في الفطر مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٤٤-١٤٥ ابن دحية، المطرب، ص ١٦٧ الفري، نفع الطوب، مج ٣، ص ١٢٧.

^(٢) تقاليا، هذا صاحب كتاب الطبخ من سائط الأطباء، وهي أنواع تقاليا البيضاء وتحضيرها من لحم الضأن الذي يسمون في قطع صغار، ويضاف إليها ملح وقليل وكثير، يابس ويسير من ماء، وسفرة من الزيت الحار وماء، وتجعل على نار لينة، وتحرر، ويحلى فيها بقليل ولوز مقشر، ومنها تقاليا ميوضة باللوز، ولغري مقلية، مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٨٥-٨٧ الفري، نفع الطوب، مج ٢، ص ١٢٨-١٢٩.

^(٣) ابن هشام للفسي، المنفل، مج ٢، ص ١٢٦ ابن دحية، المطرب، ص ١٦٧ الفري، نفع الطوب، مج ٢، ص ١٢٨.

^(٤) اعتمد بعض الطباخين في تحضير قوائم في المناسبات العامة وفي حفلات الأعراس، وكفوا يتقاسمون أجرة مطبوخ من صاحب الحرس، انظر: ابن عينون، في القضاء والقصة، ص ٥٢.

^(٥) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧ ابن فضل الله القسري، سلك الأيسر، مج ٢، ص ٣٧.

^(٦) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسن الأندلسي (ت بعد ٢٧٧هـ/ ٨٨٧م)، طبقات الأطباء والعلماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م، ص ١١٢-١١٣، سوشلر لهذا المصدر فيما بعد. ابن جلجل، طبقات الأطباء.

^(٧) الفيزر. كان الفيزر في فرطبة يتسع لـ ٤٤ مداً من الحمص الذي (يصلح) أي أنه كان يكفل ٤٤ ليرة، فلفر بنشر، شكيل والأوزن، ص ٦٨.

^(٨) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٨١.

وملابسهم، وتنظيف الأواني والتدوير المستمرة في الطبخ وتنظيف اللحوم وسائر المأكولات قبل طبخها، وتنظيفها "بمعدل نظيف"^(٢).

لما الأدوات المستعملة للطبخ فكانت تتألف من: الصحائف والقصور والمقاي والمصافي^(٣) والمهازس (جمع مهزس ويقال له الهلزون)^(٤)، والمغارف والملاصق المتخذة من الخشب الصلب، والأغواح الخشبية وعليها تقطع اللحوم وتعد أطعمة الحبز^(٥) والآلة التي يصنع بها المركس، وهذه تتخذ من الزجاج الأبيض أو من الفخار المرجح أو من الخشب الصلب، وآلة الأمخاخ المتخذة من الزجاج، والطولجين المتخذة من الفخار، والآنية المصنوعة الفخارون (وهي شكل كلس كبير واسع الفم والعمره صيق)^(٦)، والمحموس وهي الآلة التي يحرك بها الشراب، والمسطحة وهذه تتخذ من الحديد وتتمثل لنق اللحم^(٧).

كانت الأطعمة الأندلسية متنوعة تنوعاً فرسه تغاير الأجناس البشرية المتنوعة والمجموعات الدينية المختلفة، فكل له عاداته في الأكل ومحرماته وطرقه في الطبخ^(٨)، ومن أنواع الأطعمة التي كانت تطهى وتباع في الأسواق المركس^(٩) والأجرش^(١٠)

^(١) المخطوطي، في أدب قصبة، ص ٣٥-٣٧ مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٧٨-٧٩.

^(٢) ابن عبد البر، في أدب قصبة، ص ٩٦-٩٧ ابن هشام القسبي، المفضل، مج ٢، ص ١٧١، ١٧٧.

^(٣) كبريس كان يشتد من حجر فراخام الأبيض أو من عود يكون من الخشب الصلب مثل خشب القلوط أو البطم أو الزيتون أو التردف أو القيس أو العناب، وكل يستعمل لنق اللحم وقشور والفكريرة فرطية والمسل والقنص وغيرها من الأحياق والبقول، ولحق الفولقة مثل القنص والسرجل والرمال، والقلم والقنص والقشور والخشخاش الذي يصنع للكتف، وللمعدة الخبز - انظر: ابن هشام القسبي، المفضل، مج ٢، ص ١٧١، مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٨١.

^(٤) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٨٤.

^(٥) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢٧، ٢٧، ٨٥، ٩٠، ٢٠٢-٢٠٣.

^(٦) ابن هشام القسبي، المفضل، مج ٢، ص ١٧٥، ٢٢٢.

^(٧) يونس، لطبخ الأندلسي، ص ٦٧.

^(٨) المركس - نوع من اللحم المذقوق يصدر من لحم الصنبل بحيث يحرك في قصبة بشيء من الزيت ويسير من المري والقنص وقلل وكزبرة بابسة وسجل وقرقة، ثم يضاف إليه اللحم ويحرك الجميع حتى يستريح، ويحشى به المصروى بواسطة آلة خاصة معدة لذلك ثم يقطع قطعاً صغيراً وكثيراً، ويلقى بزيوت عذب، فسجلاً نصج وأمر صنعت له مرققة من خل وزيوت، ويستعمل سلقاً - انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢١، ٢٤.

وقبلاجة والإسليخ والهرائس والمجبلات والحدود المشوية والمظرة^(١) وكل لهذه الأنواع من الأطعمة طباحون، هم السليجون^(٢) والهرائسون^(٣) والثولالون^(٤) والقلادون^(٥).

وكان أهل الأندلس يصنعون المربي من السفرجل والتفاح والتوت والرمضان والجوز والقرع والزنجيل والثفال والأترج والجزر والقمح والحب^(٦) كما كانوا يصنعون قشرخ والأثرية من قوت والكشوى والتفاح والحب والرمضان والقمح الهندي والقسط والحصرم، والصندل، والمصطكى^(٧) والقمح والجزر والريحان والبنفسج والأترج والبلوط^(٨) ونظراً لما للأثرية من فوائد علاجية، كان الصيادلة يختصون بتصنيعها^(٩).

^(١) الإعرش: نوع آخر من اللحم المدقوق يصنع من لحم الضأن يحمى بحرق يشبه من المربي والقلد والربط والمدقوق والفلفل والزعفران والكمون والكزبرة ويصف إليه شحم السليخ واللحم المدقوق مدقوق ومغسول ويهرس من الليمون، ويصنع منه قرص على قدر كحك أو أصغر، وتقلي بروت كبير حتى تحمر ثم تصبغ لها مرقة بصل وبرت وزم، ويترك قسم منها دون مرقة، فهي طيبة والليانة. انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢٢.

^(٢) السليطي، في أدب الصبية، ص ٢٦، ٢٧، ٢٩، ابن عبد البروف، في أدب الصبية، ص ٩٧-٩٨، ١٠٩.

^(٣) السفايح: محترق ائداد الإسليخ " وهو من السفايح المعروفة التي تتخذ من السفيق والزيت، وتباع في حوايت خاصة منذ الصباح الباكر، انظر: عبد القادر زملعة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

^(٤) الهرائس: محترق ائداد " الهريسة"، ويقال حرست قشره أحمره حرساً إذا لظفته نكاً، فإن كثر منه اللحم فثقت حرس، فلما الهريس فالحم الهروس قيل لي يطبخ، فإذا طبخ فهو الهريسة. ابن هشام الحميري، المعجل، مج ٢، ص ٢٢٤.

^(٥) السليطي، في أدب الصبية، ص ١١٠، ابن عبد البروف، في أدب الصبية، ص ٩٧-٩٨، ١٠٦، ابن عجلون، في النساء والصبية، ص ٤٥.

^(٦) القرطبي، تزيين قرطبة، ص ٢٧، ٧٧، ٨٩، ١١٩، السليطي، في أدب الصبية، ص ١٤٤، مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢٥٥-٢٥٦.

^(٧) المصطكى: هي صمغة معروفة تجلب من جزائر الركنية وشجرها من أصناف الحشرو وقد يوجد بالمغرب الأقصى متعلماً بالحشرو. انظر: ابن هشام، مواد الطوب، ص ٨٥.

^(٨) القرطبي، تزيين قرطبة، ص ٢٧، ٢٥، ٨٩، ١٠٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، السليطي، في أدب الصبية، ص ١٦٦، مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢٢٥-٢٤٨.

^(٩) السليطي، في أدب الصبية، ص ٢٦٨.

وكان الأندلسيون يصنعون أصنافاً متعددة من الحلوى مثل: الكحك والمصنفت^(٢١) والمبريس والزلابية^(٢٢) والمجبنت، وهي نوع من الصلنق تصنع من العجيس وتحشى بالجين وتقلي بالزيت، ثم يرش عليها السكر والقرقة المسحوق. ومن الناس من يكتسها بالعسل أو بشراب الورد،^(٢٣) ولما كلى مجبنت شريش (Jeresh) تماثل وجودتها ومذاقها الطيب، فقد قالوا في أشغالهم: "من نحل شريش ولم يكتل بها للمجبنت فهو محروم"^(٢٤).
وكانوا يستعملون المجبنت في بعض المناسبات كحفلات الأعراس والختان والقرء التي كان يخرج إليها الأسفدة مع طلبتهم^(٢٥) أما في الأعياد والمناسبات العامة فكثروا يصنعون تماثيل مختلفة من الحلوى مثل "مدقن بدير" التي كانت تصنع في عهد القيروان، وهي عبارة عن مدقن مصفوفة ذات أسوار، ومما جاء في وصفها أنها كانت "تنشأ وتصنع فيها أشكال من العجيس مزينة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها، ثم يغم الجسيم من قرعرات، ويطبخ في القور، ويجمع إليه أصناف الفولكه، ويحتل كل إنسان في انتخابها وتجهيزها صدقتها، ويتباهى في الإنفاق فيها على قدر وسعة واعتناء بذلك، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصناف إجمالاً للسرور عليهم وتوسيعاً في الترفه لأحوالهم، وتشييراً بخصب علمهم، وتغليلاً لبسط الرزق فيه لهم، فلهجوا ويتمكن جذلهم، ويتقاعرون بمقائرها بينهم، وتتمادي لديهم لولمأ بحسب كثرتها وقلتها، ثم يلقون عليها كلاً وتفكها بما معها من أصناف الطارف الفولكه"^(٢٦).

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٢٢) ابن هشام القاسي، السننل، مج ٢، ص ٢٦٨.

(٢٣) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٩٩-١٢٠٠ قرجاني، أبو يحيى عبد الله (ت ٩٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)، أشغال العرب في الأندلس، ق ١، ترجمة: محمد بن شريفة، مطبعة محمد السادس، باريس، ١٩٧٥ م، ص ٢٣٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: قرجاني، أشغال العرب، القري، نصح طليب، مج ١، ص ١٨٤.

(٢٤) قرجاني، أشغال العرب، ق ١، ص ١٢٢١ القري، نصح طليب، مج ١، ص ١٨٤.

(٢٥) ابن سجد، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)، المختصر القح المطب في التزييع المطب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠ م، ص ١٥٦. موشر لهذا المصدر همساً بعد: ابن سجد، المختصر القح: قرجاني، أشغال العرب، ق ١، ص ٢٢٥.

(٢٦) رواية: (إلى حد ملك البركنشي في كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، انظر: قرجاني، أشغال العرب، ق ١، ص ٢٢٨-٢٢٩).

لما "انصبت" - وهي نوع آخر من المدائن فقد روي في لمقال أهل الأندلس بها: "...لأن النعبة ببعض بلاد الأندلس جبرها الله ولعنها يبلغ ثمنها سبعين ديناراً لو يزيد على السبعين بما فيها من قنطير السكر... وأنواع الفولكه، ومن عرابر القنبر وأعدال الزبيب واثنين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وخروب دوت القشور من الجوز والقسطا والصنوبر والبلوط إلى نصب السكر، ورائح الأرنج والبنارج والليم...^(١).

وكل المطبخ الأندلسي مشهوراً بأصناف مأكولاته المتنوعة، وهو وحده شاهد من شواهد الحضارة الحية التي عرفتها شبة الجزيرة الأندلسية في العهد الإسلامي. وقد صنف بعض الأندلسيين كتاباً في الموضوع تدل على تميز هذا المطبخ وتقدمه بفنون المأكولات والمشروبات، ومن ذلك كتاب فضالة الحوان في طبابت الطعام والأولى لابي رزين التبهيجي^(٢). وكتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين^(٣)، وهذا الكتاب الأخير يتناول صفة ألوان الطعام وطرق الطبخ ووسائله وكيفية تقديمه وأوانه^(٤) يتحدث عن صفة ألوان من اللحم المنقوق مثل المراكس والبلناق والأعرش^(٥)، ولحم المطهو والمشوي، فيصنف الكلام عن شواء الدجاج ولحم الضأن والبقرا^(٦) والطيور^(٧)، ويتكلم عن الأطعمة التي تقوم أساساً على الدقيق مثل أنواع الخبز والمعجن والكسكو والمجببات والصلائف والسكريات والبهريش والقدوش والخبير وأنواع الحلوى^(٨). ويتحدث عن الأطعمة المتخذة من الأسماك وألوان الحوت^(٩)، والأطعمة المصنوعة من البانتجان^(١٠). ويتحدث عن أصناف الشراب والأكرية والمعاجين

(١) قرطبي، لمقال المغرب، ق، ص ٢٣٩.

(٢) قونديري، ملتح من المجتمع الأندلسي، ص ١١٨٤، يونس، الطبخ، ص ٥٦٥.

(٣) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٥، ٨٥.

(٤) مؤلف مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢١-٢٢، ٥٥، ٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩، ٣٢، ٥٦-٦٠، ١٢٥-١٣١.

(٦) مثل الصام، البمام، قرطير، الحول، الأور. انظر المصدر نفسه، ص ٤٣، ٥١، ٦٩، ٧٠-٧٤، ٨٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٥، ٧٧، ١٧٩-١٨٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٧٢-١٧٨.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٩٤-١٩٧.

ويذكر فوائدها العلاجية^(١)، ويشير في معرض حديثه إلى أسماء بعض المدن الأندلسية التي اشتهرت بصناعة الطليخ مثل قرطبة وإشبيلية وشريش وطليطلة ولبلبة^(٢).
 واهتم الأندلسيون بصناعة الصل^(٣)، ومشتقات الحطب^(٤)، وحفظ الحبوب والفواكه لسهولة الاستفادة منها في أوقات لا تكون غرسه متوافره بشكل طراز^(٥)، وتعتبر مرقسطة^(٦) وغرناطة^(٧) من أشهر المناطق التي اشتهرت بهذه الصناعة، وتبدو أهمية هذه الصناعة من إشارة كتب الفلاحة الأندلسية إلى أساليب تحفيف الفواكه وطرق حفظها^(٨). ولعترف بعض الأندلسيون الجزارة، وهي من الحرف التي كانت مسجلة في المجتمع الأندلسي^(٩)، وعليها كانت تقوم بعض الحرف والصناعات الأخرى كحرفة (الكركش والملاخ والستار والطناخ ودهب الجلود والحداد والزرزور^(١٠) والبلاج والسرّاج^(١١)، والقرن والرقاق^(١٢) والرقائق^(١٣) والموثق^(١٤) وبلغ الأخصاف والخفّاف

^(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٥-٢٥٥.

^(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٦، ٢٦٦، ١٨٨، ٢٠٠-٢٠١، ٢٠٩.

^(٣) كل الصل يصنع من صل شط ونسب السكر ومن أشهر مناطق إنتاجه وتوريده: إشبيلية، باجة، إشبونة لشبونة لبلة ولورية، نظرا: القري، ترصيع الأخبار، ص ١٩٦ ابن عبد القزوف، في أدب الصب، ص ١٠٥ ابن علق، فرحة الأندلس، ٢٩١-٢٩٢ قزويني، آثار البلاد، ص ٢٩٧، ١٥٥٥ ابن سعد، المغرب في حل المغرب، ج ١، ص ٢٣٩، ١٤١١ أبو الفداء، تواريخ البلاد، ص ١١٦ ابن الخطيب، مشاهدات لسفري، ص ١٨٦ القزويني، تلخيص الآثار، ص ١١٦.

^(٤) من أشهر مراكز هذه الصناعة: طليطلة، القرية، قلعة رباح والفس. نظرا: ابن عبدون، في القصائد والصب، ص ١٤٢ ابن عبد القزوف، في أدب الصب، ص ١٠٥ الإفريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٢ ابن البركاذبة، المختصر للبلاد الأندلسية، ص ١٤١ ابن علق، فرحة الأندلس، ص ٢٨٩، ٢٩٢. القصيري، صفة جريد الأندلس، ص ٢١، ١٣٧، ١٤٥.

^(٥) قرطبي، الجغرافية، ص ١٨١ ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٤٣ ابن الخطيب، للمصنعة القبرية، ص ٤٠ القرطبي، فتح الطب، مج ١، ص ١٩٧ حقلية، ملاحح حسارية، ص ١٩١.

^(٦) قرطبي، الجغرافية، ص ١٨١ القرطبي، فتح الطب، مج ١، ص ١٩٧.

^(٧) ابن الخطيب، القصة القبرية، ص ٤٠.

^(٨) ابن حجاج الإشبيلي، المصنع، ص ١٦، ٢٢-٢٨، ٤٨-٥٢ أبو خير الأندلسي، الفلاحة، ص ٥١-٥٣.

^(٩) ابن عبدون، في القصائد والصب، ص ١٥٥ ابن عبد القزوف، في أدب الصب، ص ١٩٢ ابن سعد، المغرب في حل المغرب، ج ٢، ص ٤٤٥.

^(١٠) قزويني: مشرف شريزوس القدم ويصنعها والجمع رولة. رملية، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٤.

^(١١) السراج: صانع السروج وبتقنها، رملية، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

بصناعة المعالجين^(١) والأشربة والعقاقير الطبية والأكحال والشباقات والكافور والمسك
والعنبر والزعفران^(٢).

(١) كانت الصمغين شائع من شجر الجوز والمزجل والجزر وفورد والبنسج والشمع والفلانج والكرابوا
والقنابل والمسك والقرصانة وغيره، وكل لها فوائد علاجية كثيرة، انظر مؤلف مجهول، الطيخ،
ص ٢٤٨-٢٥١.

(٢) الخطي، في أدب الصبغة، ص ٤٤-٤٧.

الفصل الرابع

الصناعات الرسمية

لما الصناعات الرسمية، فقد أفردت في الفصل الأخير من هذا -كتاب الثالث- مطرا لأهميتها، إذ أنها كانت تخضع لإشراف الدولة ورقبتها المباشرة، وقد أولاهما الأمراء والخلفاء جل اهتمامهم وعنايتهم، كونها كانت تشكل مصدرا من مصادر الأتانس الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة في بناء قواتها العسكرية والاقتصادية، كي تتمكن من مواجهة الأخطار المحيطة بها، فضلا عن أنها كانت تشكل مظهرا من مظاهر القوة والمنة التي ساهمت إلى حد كبير في إشاعة الرفاء والرخاء الاقتصادي بين أهل الأتانس الأمر الذي مكّنهم من السير قدما نحو التقدم والإزدهار.

١. صناعة السفن والأساطيل المرمية

كان الأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأتانس أول من اتخذ قوة بحرية لمواجهة الأخطار المحيطة بالأتانس من الفسراج، لا سيما خطر العباسيين، وأهل جرر البليار (منورقة، ميورقة، بايسة)، والقروجة، ولذا أمر بإنشاء دور الصناعة^(١) في مرسى طركوسة (Tarragone)، وطرطوشة (Tortosa)، وقرطاجنة (Cartagena)، والعمرية (Almeria)، وإشبيلية، لبناء قمر كسب والسفن الحربية، من أجل تدعيم البحرية الأتانية^(٢). وبالتتريج نمت هذه الصناعة وتطورت في الأتانس، بفضل وفرة المواد الأولية اللازمة لها كالخشب والحديد والنحاس والألياف النباتية والفزق والقطنان والكبريت والكتلى في مناطق الأتانس المختلفة^(٣) وبفضل اعتناء الأمراء الأمويين بها، وبخاصة الأمير الحكم بن هشام القرطبي^(٤) (١٨٠-

^(١) سمى العرب المصنّف التي كانت تبلى فيها القراقب البحرية بدور الصناعة، وربما قلوا الصناعة، ومشى كتبتهم على هذا الاصطلاح، فزى مورخينا بقولون: كانت الصناعة في صور رأس فلان دار الصناعة في تونس، أو كانت صمنة الأتانس بالعمرية وما أتبه تلك، فطور. شكيب، أرسلان، تاريخ عرقات العرب في فرنسا وسويسرا، وإيطاليا، وجرال البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت: ليلس (١٩٩٠)، ص ١٢٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: شكيب أرسلان، تاريخ عرقات العرب.

^(٢) شكيب أرسلان، تاريخ عرقات العرب، ص ١١٨-١١٩، ١٢٩.

^(٣) أحمد مختار القفاي، السود عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ج ٢، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٥٧-٥٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: تاريخ البحرية الإسلامية.

^(٤) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١١٦٠ عبد العزيز سالم، تاريخ مدونة ليرة، ص ٣٥.

٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) وخلفه الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط الذي أولى هذه الصناعة أهمية خاصة نتيجة للغارة التي شنها القورماني^(١) على شواطئ الأندلس العربية سنة (٢٢٩هـ / ٨٤٤م)^(٢)، إذ نهت هذه الغارة الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ضرورة الاهتمام بقوة البحرية من طريق إنشاء دور الصناعة لتزويد البلاد بأعداد وغيرة من السفن اللازمة لمواجهة الغارات البحرية العفلة * فلم يقتصرة دار صناعة بيشبيلية، وإنشاء المراكب، واستند برجال البحر من سواحل الأندلس فالحقهم ووسع عليهم فاستمد بالآلات والنفط^(٣).

ومما يدل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس في الأمير عبد الرحمن الأوسط جهر أسطولا من ثلاثمائة مركب فتح به جريوتي موروقة وموروقة سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٨م)^(٤)، وإنشأ دارا لصناعة الأسلحة اللازمة للسفن في مدينة غرmosة^(٥) (Carmona). كما واصل الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) الاهتمام ببناء السفن الحربية، إذ أنشأ عندا منها في دار الصناعة بقرطبة، وقد أشار إلى ذلك ابن عذري قائلا: "وفي سنة (٢٦٦هـ / ٨٧٩م) أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط القريطي المعروف بابن مغيث، وكان قد رفع إليه رافع أن جليفة من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهلها لا يمتنعون من جيش إلى غنهم من تلك القلعة. فلما كملت المراكب بالإنشاء قدم عبد الحميد بن مغيث عليها، فلما دخل البحر * تعرضت سفنه لعاصفة عاتية وتفرقت ولم

(١) القورماني: ويطلق عليهم في المصادر الإسلامية اسم السجوس الأرسانيين، لأنهم كانوا يشقون القوار في كل موضع يعبرون به، فحسبهم المسلمون موجسا لهذا السبب، والقورماني جنس أري قدم سكن شبه جزيرة إسبانيا ووجدته وما يعرفها منذ زمن مغرقة في القدم، وقد تعرضت سواحل الأندلس الغربية لهجمات القورماني لكثرتها من سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٤م. انظر: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٥٢.

(٢) ابن عذري، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١٢٢، المغربي، فتح الطيب، ج ١، ص ١٢٩، ١٣٠، ١٦٢.

(٣) ابن قوطبة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٨٨، تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١٦٠، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة فاس، ص ٣٥.

(٤) ابن حبان، المقتبس من أخبار أهل الأندلس، ص ١١٤٤، ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٤٩، ابن عذري، قبيل المغرب، ج ٢، ص ٨٩.

(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١٦٦، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة فاس، ص ٣٦.

يجتمع بعضها إلى بعض^(١)، وفي رواية أخرى أن الأمير محمد أنشأ في البحر مصنعة غراب^(٢)، وهي من المراكب البحرية، سميت بهذا الاسم لأن مقعدة هيكلا على شكل رأس الغراب^(٣).

وبلغت صناعة السفن البحرية والتجارية^(٤) شأوا عظيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ اعتمد الخلفاء الأمويون بإنشاء السفن والأساطيل لدعم البحرية الأندلسية من أجل مواجهة الأخطار الخارجية، المتمثلة بالخطر الفاطمي القاتل في جنوب الأندلس، وخطر الممالك المسيحية والفرجة وطلوندي في شمالها، وخطر النورمان في غربها^(٥)، ولذلك أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بإنشاء دور لصناعة السفن في كل من: طركونة^(٦) وطرطوشة التي تشتهر بصناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر الثابت بجبالها، ومنه كانت تنفذ الصواري والقرى^(٧)، ودانية (Denia)، وغيرها كانت تصنع السفن الكبار والمراكب الصغار^(٨) ولقت (Alicante) وكانت تنشأ بها المراكب السريعة والحراريق^(٩)، وبجدة^(١٠) (Pechina) والمنكب (Almundcar)^(١١) ومالقة^(١٢) (Malage)

^(١) ابن خلدون، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١١٠٤، قوروي، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٠٩.

^(٢) ابن الكثير، الانكفاء في أنوار الخلفاء، ص ٥٧.

^(٣) برويش التلي، سفن الإسلامية على حروف المعجم، ط ٢، دار المعارف، ١٩٧٩ م، ص ١٠٤، يشير لهذا المراجع فيما بعد، التلي، السفن الإسلامية.

^(٤) محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٦٩.

^(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، خطبة، ملاح حضارية، ص ١٩٥.

^(٦) عبد الحليم، تاريخ مدينة طركونة، ص ١٣٦، محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٦٩، خطبة، ملاح حضارية، ص ١٩٥.

^(٧) الإبريسي، روضة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٥، ابن خلدون، امتداد قبائل الأتراك، ص ١١٤٩، ابن فضل الله العمري، مسلك الألبان، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٢، العمري، فروض المظفر، ص ١٣٩، شبيب أرسلان، الطل المستنيرة، ج ٣، ص ١٠.

^(٨) الإبريسي، روضة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٧، ١٥٦٠، ابن فضل الله العمري، مسلك الألبان، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٢، العمري، فروض المظفر، ص ٢٢٢.

^(٩) الإبريسي، روضة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٥٧، ١٥٦٠، ابن فضل الله العمري، مسلك الألبان، ص ٢، ج ٢، ص ١٣٢، العمري، فروض المظفر، ص ٥١١.

^(١٠) ابن فضل الله، تكملة البحريين في بحلة الأندلس، مجلة الأبحاث، نشرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج ٥٠-١، سنة ٢٢، كانون الأول، ١٩٧٠، ص ٣-٨، يشير لهذا المراجع فيما بعد، إسحاق عيسى، تصف البحرية، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٦٧-١٦٨.

والجزيرة الخضراء^(٢) (Algeciras)، وقرطبة^(٣) (Cordoba)، والزهراء^(٤) (Alzahra)،
والقصر^(٥) (Alcazar)، وشلطوش^(٦) (Salhis) وشتورية العرب^(٧)، (Santa Mariade
Algarve) وشلب^(٨) (Silves)، وقصر أبي دفس^(٩) (Alcacer Dosal) ومورقة
ويجلسه من جرر قبيل^(١٠). وبهذا استطاع الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يشيخ
أسطولاً قوياً لمواجهة الأخطار الخارجية، وقد بلغ أسطول الأندلس في أيامه مئتي
مركب أو نحوها^(١١). وكان لهذا الأسطول الفضل الأكبر في الإستيلاء على طنجة ومليلة
سنة (٣١٤هـ / ٩٢٧م). وعلى سنة (٣١٨هـ / ٩٣١م)^(١٢). ووجه عبد الرحمن الناصر
الأسطول الأندلسي سنة (٣١٩هـ / ٩٣٢م) لغزو العدو المغربي، وكان يتألف من مائة
وعشرين قطعة بحرية، كان من بينها المركب الحملة والفتنة وغولوب الخدم^(١٣).
وفي سنة (٣٢٣هـ / ٩٣٤م) أرسل الأسطول لغزو بلاد القنطرة، وكانت عدة مركبه
لربيعين مركباً، عشرين حركات، فيها ألف ألف من الآلات البحرية، وعشرين ألفاً من الرجال
المفقلة وكان عدة ركابه من الجنود ألف رجل، ومن البحريين ألف^(١٤). وفي سنة
(٣٢٤هـ / ٩٣٥م) أغرأ الأسطول إلى العدو المغربي لنصرة موسى بن أبي العافية في

^(١) التفتتني، صبح الأشرى، ج ٥، ص ٢١١. رواية. (ابن فضل الله المصري).

^(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١١٧٥ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيروان، ص ٣٧.

^(٣) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٢٩ المصري، فروض السطار، ص ٢٢٢.

^(٤) ابن حبان، المحقق، ج ٥، ص ٤٧٥.

^(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١١٧٥، حافلة، ملاحح جسرية، ص ١١٩٥ هاجنة، أوصح قرطاسي
في الأندلس، ص ٢١٢.

^(٦) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥١٤ المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦١.

^(٧) المصري، فروض السطار، ص ١٢١٤ حافلة، ملاحح جسرية، ص ١٩٥.

^(٨) المصري، فروض السطار، ص ١٢١٧ تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١٧١.

^(٩) الإبريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥١٣ المصري، فروض السطار، ص ٢١٢.

^(١٠) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١١٧٥ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيروان، ص ٣٧.

^(١١) المصري، فروض السطار، ص ١١٦٦ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيروان، ص ١٣٦ محمد عبد الحليم،
العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإبانيا القشتالية، ص ٤٦٩.

^(١٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٩٩.

^(١٣) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١١٧٦ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيروان، ص ٣٧-٣٨.

^(١٤) ابن حبان، المحقق، ج ٥، ص ٣١٢-٣١٣.

^(١٥) ابن حبان، المحقق، ج ٥، ص ٣٦٦.

لرعين قطعة بحرية، تحمل من المفصلة ثلاثة آلاف رجل فيهم من الحشم خمسمائة،
ويمكن الأسطول من فتح مدينة مليلة ونكور وجرونة^(١). وفي سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م)
أرسل الخليفة الناصر حملة بحرية إلى بلاد الفرنجة بقيادة محمد بن رملص، وكان
الأسطول الأندلسي يتألف من ثلاثين مركبا حربية وسنة شوقي^(٢). وفي سنة
(٣٣٢هـ / ٩٤٤م) أرسل الأسطول بقيادة محمد بن رملص لغزو بني محمد في
المغرب. وكل هذا الأسطول يتألف من خمسة عشر مركبا حربية وشيئين وقتل^(٣).
وفي سبيل خدمة الأسطول وجه الخليفة عبد الرحمن الناصر اهتماما خاصا للمرية
فبنى حولها سوراً سنة (٣٤٣هـ / ٩٥٤م)، وأنشأ فيها داراً لصناعة السفن جطها فسمين.
فسما للمركب الحربية والآلة والعدة، وفسما للقوسارية أو (للمراكب قنجلية)^(٤).
وأصبحت المرية أهم موانئ الأندلس في القرن الرابع الهجري/ القلتر الميلادي، ولشهر
مراسيها وأعرها، وكان عليها العميق الصريح يضم معظم وحدات الأسطول
الأندلسي^(٥)، حيث كانت مرسى الأندلس ومجتمع مراكبها وأسطولها ودار صناعتها^(٦)،
وكانت دار الصناعة في المرية تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة لها، ولما يقوم
به الأسطول^(٧). وقد أشار بقوت الحموي إلى أهمية المرية كميناء تجاري فعال: "وكانت
هي وبجانبه باني الشرق منها يركب القنجل، وفيها تحصل مراكب القنجل، وفيها مرسى
للسفن والمراكب"^(٨).

وعمل الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) منذ توليه الخلافة على
تدعيم البحرية الأندلسية لمواجهة الغزو النورماني المتكرر على سواحل الأندلس، ففي
سنة (٣٥١هـ / ٩٦٢م) حاصر المجوس حصن القبطة من حصون المرية، فمضى
النورمان بالهزيمة، وعلى أثر ذلك أصدر الحكم المستنصر أوامره بإنشاء الأسطول

^(١) ابن حبار، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٨٢: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٧٨.

^(٢) الطبري، ترصيع الأشعار، ص ٨٩.

^(٣) الطبري، ترصيع الأشعار، ص ١٨٢: إصل حبار، فتح البحريين، ص ١٠.

^(٤) إصل حبار، فتح البحريين، ص ١٠.

^(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١١٧٩: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.

^(٦) القاضي القسلي، المساجد والمساريف، ص ١١٦٥: ابن سعد، سبط الأرض، ص ٧٤.

^(٧) ابن غالب، فرحة الأنس، ١٢٨٢: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧.

^(٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٩.

لغروهم، وبلغ عدد مراكبه "ستمائة جفن بين غزوي وغيره" (١٦). وفي أول رجب سنة (٣٥٥هـ / ٩٦٥م) وردت الأخبار بظهور أسطول لقنورمال في مياه قصر أبي دالمس، واضطرب الساحل الحربي للأندلس كله لذلك. وتأهب المسلمون لتلقي الغزاة عندما وصل هؤلاء إلى بسط لشبونة، ودارت بين الطرفين معركة استشهد فيها جماعة من المسلمين، وقتل جماعة من المشركين، وانتزك أسطول إشبيلية في معركة هاجم لقنورمال بواسط شلب وحطم عددا من سفنهم فلهزموا إثر ذلك خلسون (١٧). وبيشو لي من لقنورمال كفت تمتاز بمزايا خلسة كالسرعة في الحركة مما دعا الحكم المستنصر إلى إصدار الأمر بإنشاء أسطول في إشبيلية على هيئة مراكب لقنورمال، إذ كان يتوقع رجوعهم من جديد لسواحل العرب، وقد حدث ما توقعه الخطيئة، إذ هاجم لقنورمال سواحل الأندلس الغربية سنة (٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، وسنة (٣٦١هـ / ٩٧١م) (١٨). وامتد الحلب المنصور محمد بن أبي عامر في خلافة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٨م) ببناء السفن والمراكب العربية، ومما يذكر أن المنصور بن أبي عامر أنشأ أسطولا كبيرا في الموضع المعروف بقصر أبي دالمس من ساحل غرير الأندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وخرج به في صالفة سنة (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) لغزو شنت ياق (Santiago de Compostela) من مملكة جليقية (١٩). وقد قال ابن دراج القسطلي في وصف الأسطول الذي أنشأه ابن أبي عامر (٢٠):

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| تعمل منه البحر بحرًا من لقا | يزرع بها لؤلؤه وبهول |
| بكل مملات القسراع كأنها | وقد حملت لبد الحقائق غرل |
| إذ سابت شلو فرياح تخولت | خولا مدى فرسلان خيول |
| سحاب ترجبها فرياح لئن وقت | أطافت بأجساد النعام فرول |
| ظباء مسلم ما لهن مخلص | وروق حمام ما لهن هزيل |

(١٦) ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ٤٦-٤١.

(١٧) ابن حذاري، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١٢٥٦ تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢، عبد الحريو سالم، تاريخ مدينة القيروة، ص ٤٢.

(١٨) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ١٨٢، عبد الحريو سالم، تاريخ مدينة القيروة، ص ٤٢.

(١٩) ابن حذاري، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١٢٩٥ تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٨٨.

(٢٠) القفري، تلح الطيب، مع ١، ص ١٨٧، عبد الحريو سالم، تاريخ مدينة القيروة، ص ٤٨.

ويلاحظ مما سبق ذكره ازدهار صناعة السفن والأساطيل الحربية في الأندلس، وبخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ حظيت هذه الصناعة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، الأمر الذي أدى إلى تنوع قطع الأسطول الأندلسي وتعدد مهامه، فتنوعت في الحجم والنوع والوظيفة، وهذا ما سنشير إليه في الصفحات القادمة، وأدى ذلك إلى تطور قوة البحرية الأندلسية، فوصلت إلى لوج عظمتها وازدهارها، وحققَت الانتصار تلو الانتصار على المعركين. وفي ذلك دلالة واضحة على إقبال الأندلسيين لهذه الصناعة، وإثارة جولة إلى مدى التقدم والرفق الذي وصلت إليه.

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فقد تقدم ملوك الطوائف الأسطول الأندلسي المرتبط في مرسى بنسبة (Valencia)، ودنيّة، ومرسية (Murcia) والميرية، وإشبيلية فيما بينهم^(١). واهتم بنو عباد (٤١٤-٤٨٤هـ / ١٠٢٣-١٠٩١م) خاصة بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسي، فكان لهم أسطول تتوزع قطعه البحرية عند مصب نهر الفوي الكبير وفي مياه شلب، ويبدو أن ذوي صناعة إشبيلية، وشلب كلتا تنتجان أعدادا كبيرة من السفن في عصر بني عباد، ومما يؤكد ذلك أن الخشب بجبال شلب كان يحمل منها إلى سائر أنحاء إشبيلية لصناعة السفن^(٢).

ولعلَّت المرية مكانة مهمة في عصر ملوك الطوائف، نظرا لكثرة سفنها ونشاط دور صناعتها في الإنتاج، وخاصة في عهد المعتصم بن حماد (٤٤٤-٤٨٠هـ / ١٠٥٢-١٠٨٧م)، الذي حرص على إنشاء أسطول قوي يرتبط في المرية لمواجهة المعركين. وكان هذا الأسطول يتكف من عدد كبير من الجوارح والقلاك والأجافل^(٣). غير أن هذا الأسطول لم يلبث أن أحرقت معظم قطعه على يدي معز الدولة بن المعتصم عندما تغلب المرابطون على المعتد بن عباد^(٤).

^(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٨.

^(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ٢٠١-٢٠٢.

^(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٨-٤٩.

^(٤) ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١١٩٢ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٤٩.

وتشملت حركة بناء السفن الحربية والتجارية في عصر المرابطين الذين استفادوا من الخبرات السابقة في الصناعات البحرية والإنشاء^(١) واستثمروا دور الصناعة التي كانت قائمة في مراسي المدن الأندلسية، مثل طرطوشة وبنسبة، ودغية، ولقنت، والعمرية، وملاقة، وقلمس، وشلب، وقصر أبي دقس^(٢). واشتهرت العمرية بصناعة الأجنحة (نوع من السفن الحربية) التي لم يكن في بلاد الأندلس أعظم منها، وقد بلغت القمة^(٣).

ومما يدل على تقدم المرابطين وبراعتهم في صناعة السفن الحربية، أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) أصدر أمره سنة (٥٠٨هـ / ١١١٤م) بتحصين ثلاثمائة قطعة، فاستل أمره وانفذت هذه القطع جميعها من هناك إلى جريوتي بإسنة (Ibiza) وميورقة (Mallorca)، لصد الهجوم الذي شنه أهل بيزة وجنوة عليها^(٤).

واستفاد الموحدون من دور الإنشاء الأندلسية التي ورثوها عن المرابطين، فاهتموا ببناء السفن والأساطيل الحربية^(٥). ومما يذكر أن الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي "أمر في سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده، وعزم على غزو بلاد الروم في قبر والبحر، فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها في خلق المعمورة (المهديّة) ومرساها مئة وعشرون قطعة ومنها ببلاذ الأندلس ثمانون قطعة^(٦).

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيرونة، ص ١٥٠ حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٢

(٢) حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٢.

(٣) الفرعي، الجغرافيا، ص ١٠١.

(٤) ابن الكردبوس، الإنكفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٢ ١٢٣

(٥) حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٢.

" هو عبد المؤمن بن علي بن طوي الكومي، سجة إلى قبيلة كومي، وهي قبيلة صغيرة نزلة بساحل البحر من أصل تلمساني. وقد ولد بصيغة من أصل تلمساني تعرف بـ"الجزء"، وذلك في آخر سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، وتولى أمر الموحدين في المغرب والأندلس خلال الفترة الواقعة بين (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٢٩-١١٦٢م). المراكشي، المعجم، ص ١٩٤، ١٩٦-١٩٨.

(٦) ذكر ابن صاحب الفلك أن عبد المؤمن بن علي أمر بإنشاء مائتي قطعة بحرية فسي سواحل المغرب والأندلس، فأعد منها في مرسى المعمورة (١٢٠ قطعة)، وأعد باقي العدد في أرباب المدونة والأندلس فخطوا: ابن صاحب الفلك، قس بالإسنة، ص ١١٤٧ فن أبي رزق، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد ٧٤١هـ /

وكانت قطع الأسطول الأندلسي في عصر الموحدين ترتبط في مراسي المرسية، ومالقة، وجبل القنق، وبنيوية^(١). وبفضل هذا الأسطول تمكن الملك الناصر محمد بن يعقوب المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٨-١٢١٣م) من غزو جزيرة مورقة، واقتضاء على قوات عبد الله بن إسحق بن غفوية سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م). ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول كان يتألف من "ثلاثمئة جن: منها سبعون غرابا، وثلاثون طريدة، وخمسون مركبا كبيرا، وسائرهما قوارب متنوعة"^(٢).

وفي عهد الدولة المرينية، كانت المدن والأجلل الحربية تصنع في دور الإنشاء الأندلسية المعدة لهذا الغرض في كل من: الجزيرة الخضراء، وطريف^(٣) (Tarifa)، والمنكب^(٤).

لما في عهد الدولة النصرية (دولة بني الأحمر ملوك غرناطة)، فكانت المراكيب التجارية والمدن الحربية تصنع في المرسية، والمنكب، ومالقة^(٥). وقد قدم لنا ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) وصفا دقيقا لأسطول مملكة غرناطة المرتبط في ساحل الأندلس الجنوبي، فذكر أن "بالبلاد البحرية أسطول الحرايق المعروف في البحر قشاشي، يركبها الأتراك من الرماة والروساء المهرمة، فيفلقون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون في العشب، ويغرون على بلاد النصارى بالسلاح وما هو بقرية، فيأسرون أهلها نكروهم وإتقتهم، ويأتون بهم إلى بلاد المسلمين، فيوزون بهم ويحملونه إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدي ويبيع"^(٦).

٢٤٠م). الألبس المطرب، بروح القرمطس في الجبل ملوك المغرب وتاريخ مدينة لاس، دار المنصور للطباعة والوراعة، قرطبة، ١٩٧٧، ص ٦٠٩. سيقال لهذا المصدر فيما بعد: ابن أبي رزح الألبس المطرب.

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرسية، ص ٥١.

(٢) العمري، صلة جزيرة الأندلس، ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) طريف، جزيرة طريف، نسخة لطريف بن عبد الله مولى موسى بن نصير، ويكنى أبا رزح من الحواري، وهو أول من جاز إلى الأندلس من المسلمين فزل بها، سميت به. انظر: ابن هشام القاسي، الفصل، ص ٢٠٢، ص ٢٥٩.

(٤) ابن أبي رزح، الألبس المطرب، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٥) القشاشي، صبح الأضنى، ج ٥، ص ٢١٠، ٢١١، ٢١٢. رواية: (إلى فضل الله العمري) انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرسية، ص ١٥٢. تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٦) القشاشي، صبح الأضنى، ج ٥، ص ١٢٦٦. تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.

هذا واستمرت الأندلس في إنتاج السعن والأساطيل الحربية حتى سقوط غرناطة،
آخر مقل إسلامي في أيدي الفصاري الإسبان، سنة (٨٧٩هـ/١٤٩٢م)^(١).
ومن المفيد أن نشير هنا إلى أبرز أنواع السفن التي وتلّف منها الأسطول
الأندلسي، وأهم عددها وألّاها الحربية:

١. "الشواري"^(٢)، جمع شوي أو شونة، وهي أجناف حربية كبيرة مزودة بالبراج وقلاع
للدفاع والهجوم وألراجها ذات طبقات مربعة فلقطعة أطبا منها يقف فيها
الجنود المسلّحون بالقيس والسهم. وفي الطبقة السفلى الملاحون الذين يجتفون بحبو
من مائة مجداف، ويترأّح ما تحمله الشونة من المقلّة ما بين (١٥٠-٢٠٠)^(٣).
٢. "العراقلة"^(٤)، جمع حرقة، وهي مركب حربية كبيرة، كانت تزود بمكامل البارود
والعرائق والمجنّقات^(٥) لتقف فقط المشتعل على الأعداء. وكان الأندلسيون
يعملون الحرقة على هيئة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس^(٦).
٣. "القشاليمت"^(٧)، جمع شلتي، وهي مركب كبيرة مسطحة استعملت لحمل المقلّة
والسلاح، وتتلألأ أصمتها قشونة والعراقلة، وأصلها لسي اللاتينية

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة القيرونة، ص ٥٢.

(٢) قطر: ابن حبل، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٧٢ القروي، ترويض الأبطال، ص ٨١-٨٢ ابن سجد، المغرب في
حلي المغرب، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٣) عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٩٢م، ص ١٦١، ١٦٥-
١٦٦، سيشار لهذا المرجع فيما بعد، البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، النسخة، المس الإسلامية،
ص ٨٢-٨٤.

(٤) ابن حبل، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٦٦ الأندلسي، نزعة الشلتي، ج ٥، ص ٥٥٨ في فضل الله العمري،
سلك الأبرار، مخ، ج ٢، ص ١٢٢ القشاليمت، صبح الأضي، ج ٥، ص ٦٦٦.

(٥) مكامل البارود هي المدافع التي يرمي عنها بالقطر وحلّها تنوع، فبعض يرمي عنه بالسهم عظم تكو
تتوق العجر، وبعض يرمي عنه ببلّاق من حديد والعراقلة، جمع عراقلة، وهي آلة أصغر من المجنّقات
ترمي بالمجالة أو السهم الرمي البعيد، ويخبر فقط أو القارب، والمجنّقات آلة من خشب لها نعل
قائمة بلها سهم طويل، رأسه ثقل ومنته خفيف، وفيه تجعل كفة المجنّقات التي يوضع فيها العجر. انظر:
البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٦٦-١٦٧.

(٦) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٦٦-١٦٧ القشاليمت، المس الإسلامية، ص ٣٢-٣٦.

(Chelandium)، واستعملها العرب فقالوا: صندل، واستعملها القرونج لنقل البضائع والأمتعة.^(١)

٤. "الحريفة"^(٢)، جمع حريفة، نوع من الشواقي، لكنها أصغر منها، استلزلت برعنها وحفة حركتها واستخدمت في الأسطول الأتلمسي.^(٣)

٥. "الهورج"، جمع بازج، نوع من السفن الحربية التي تمتاز بضخامتها، وهي أكبر من الشواقي.^(٤)

٦. "المسطحات"، جمع مسطح، وهي من كبار السفن، استخدمت لنقل المقاتلة والسلاح.^(٥)

٧. "الفرغور"^(٦)، جمع فرغور، وهي مركب كبار بقطوع مربعة، تجري إلى أمامها وإلى خلفها^(٧)، وكانت تستخدم لحمل المواد التموينية والإمدادات العسكرية، واسمها بالإسبانية (كاراكاسا)^(٨).

٨. "الطراف"^(٩)، جمع طريدة، وقد أخذ الإسبان هذا الاسم فقالوا: Tarrido، وهي السفن التي تحمل الخيل، وأكثر ما يكون فيها أربعون فرسا، وكانت تفتح من الخلف حتى يسهل الصعود إليها والفرول منها^(١٠).

٩. "البطلمت"^(١١)، جمع بطمة، وهي سفينة عظيمة الحجم كثيرة القنوع، قد تصل عدد القنوع في الواحدة منها إلى أربعين كعما. وتخصص تلك السفن بنقل المواد التموينية

(١) ليرقولي، حصار العرب في الأندلس، ص ١١٦٩ القنولي، السفن الإسلامية، ص ٧٨-٨١.

(٢) القنولي، ترصيع الأختار، ص ٨١-٨٢.

(٣) خنلفة، ملاح حضارية، ص ١١٩٦ القنولي، السفن الإسلامية، ص ٢٧.

(٤) ليرقولي، حصار العرب في الأندلس، ص ١١٦٦.

(٥) إبراهيم طرخال، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، دراسة سيجل العرب، ١٩٦٦، ص ٦٩، يشير لهذا المرجع فيما بعد: طرخال، المسلمون في أوروبا، ليرقولي، حصار العرب في الأندلس، ص ١١٦٦ خنلفة، ملاح حضارية، ص ١٩٥.

(٦) القنولي، الجعرقة، ص ١٩٢ ابن سجاد، الجعرقة، ص ١٨٠.

(٧) القنولي، الجعرقة، ص ٩٢.

(٨) طرخال، المسلمون في أوروبا، ص ١٧٠ القنولي، السفن الإسلامية، ص ١٢٠-١٢١ خنلفة، ملاح حضارية، ص ١٩٥.

(٩) القنولي، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٩.

(١٠) ليرقولي، حصار العرب في الأندلس، ص ١١٦٩ خنلفة، ملاح حضارية، ص ١٩٥-١٩٦.

- والإمدادات والذخائر العسكرية. وكلفت القوامة منها تشمل على عدة طبقات، يشمل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بسلطتهم.^(١)
١٠. الأفرجة^(٢)، جمع غراب، وهي من المراكب الحربية شديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى في الغارة والغزو. وأطلق عليها اسم الغراب، لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب.^(٣)
١١. الجمالات^(٤)، جمع جملة، من ملحقات الأسطول الحربي، استخدمت لنقل مؤونة الجيش وأسلحته. وكلفت تستعمل في حمل الخيول كذلك.^(٥)
١٢. الغلايك والقورب، من أنواع الأسطول الأتليسي، وهي سفن صغيرة الحجم تتحرك بالمجاديف، وترافق السفن الكبيرة لحمل الأمتعة الحربية^(٦).
- لما عدد الأساطيل والآتيا، ومدتها الحربية، فكلفت تتكلف من الرماح والعصي والقرصان وفردق والحرز والمنجنيقات والحرارات^(٧) التي اشتهرت صناعتها في أنحاء مختلفة من الأتليسي.
- واستخدم الأتليسيون في حروبهم البحرية القوار اليونانية، وهي مزيج من الكوبريت وبعض الفرجات والأدمل في شكل سائل يطلقونه من أسطوانة نحاسية مستطيلة يشدونها في مقدم السفينة فيقفزون منها السائل مشتعلا، أو يطلقونه بشكل كرات مشتعلة، أو قطع من الكتان الملوئ بالقطر فيقع على السفن فيحرقها حرقا، ومن مميزات هذه القوار
-
- ^(١) البركشي، المسجب، ص ٢٨٠.
- ^(٢) البيلي، الباس الإسلامية، ص ١٤-١٥، مختلفة، ملحق حضارية، ص ١٦٦، طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ٦٩.
- ^(٣) ابن حبان، المسجب، ج ٥، ص ١٢٢٢، ابن الكردبوس، الاكفاء في الباس الفطاه، ص ٥٧، ١٢٢٢، ص صاحب الصلاة، الباس بالاسلمة، ص ١١٨١، الحميري، صفة جزيرة الأتليسي، ص ١٨٩.
- ^(٤) البيلي، الباس الإسلامية، ص ١٠٤-١٠٧، طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٦٩، مختلفة، ملحق حضارية، ص ١٩٦.
- ^(٥) ابن حبان، المسجب، ج ٥، ص ٢١٢.
- ^(٦) البيلي، الباس الإسلامية، ص ٤٠-٤١.
- ^(٧) البرققي، حضارة العرب في الأتليسي، ص ١٦٦، طرخان، المسلمون في أوروبا، ص ١٢٠، البيلي، الباس الإسلامية، ص ٥٩.
- ^(٨) البرققي، حضارة العرب في الأتليسي، ص ١٦٩.

لها تشغل في الماء والهواء^(١)، واستخدم الأندلسيون معدات حربية أخرى، مثل القنابل التي كانت تعلق فوق أبراج السور، وهي عبارة عن صندوق كبيرة مفتوحة أعلاها يصعد فيها الرجال قبل استقبال العدو، فيقيمون فيها للاستكشاف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، يرمون العدو بها وهم مستلقون في هذه الصناديق، ومعهم عدا الحجارة لحرار البسط وجرار القنور، وهي مسحوق ناعم مؤلف من الكلس والزيروخ يرمون بها الأعداء في مركبهم فتعسى أضرارهم بجوارها، وقد تلتصق فيها قنابلهم^(٢) وكفوا يرمون الأعداء بقنور الحيل والعقارب، ويقدر الصابون الأبيض كي يزلزو أقدامهم.

وكان الأندلسيون يحيطون مركبهم بالجلود أو القنود المبلولة بالماء والقاء أو الشب والقنار لحمايتها من القنط المستخدم من قبل العدو. وكفوا يجعلون في مقدمة سهم أداة كقلس يسمونها اللجام، وهي حديدة طويلة محددة الرأس وأسطها مجوف كبذل الرمح تجعل في أسطها خشبة كالقناة في مقدم المركب، يقال لها "الاسطلم" فيصور اللجام كأنه بذل رمح بارز في مقدم المركب، فيطعنون مركب العدو به فلا يلبث حتى ينفرق فينصب فيه الماء فيغرق^(٣).

ب- صناعة الأسلحة

برع الأندلسيون في صناعة أنواع عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية^(٤). وكانت الأسلحة الدفاعية تتألف من القنار والدروع والبيصات والسدق والتجانيب والسواعد والجواثين والمعاصر. وكانت الأسلحة الهجومية الخفيفة تتألف من: السيوف والرماح والحرب والقسي والسهام والمزاريق والطيرزونات (الفزوس) والمعاول. أما الأسلحة الهجومية الثقيلة التي كانت تستخدم في حصار المدن، فكانت تتألف من: المنجنيقات والمرايات والديليات.

(١) البرهوي، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٦٩-١٧٠، ختلاد، ملاحح حصارية، ص ١٦٦.

(٢) البرهوي، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧١-١٧٢.

(٤) عبد الواحد فتوح طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة السور، مج ١٧، ج ١، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٢١، وشيخار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الواحد، تنظيمات الجيش

وقد استخدم المسلمون " الدبابة " في بداية الفتح الإسلامي للأندلس، حين أمر القائد موسى بن نصير بعمل " دبابة " لقلب أسوار مدينة ملردة (Merida). وفي ذلك يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: وعمل موسى دبابة، " فلب المسلمون تحتها إلى برج من أبراجها، فنفقوا صخرة، فلما نزحوا صخرة فاضوا في دافله إلى الصماء التي يقال لها الثلاثة مائة بلعل أهل الأندلس، فثبت عليها معلولهم ووزومهم، فينزلون هم يصرون فيها إذا استفاق عليهم الطلوع، فاستشهد المسلمون تحت الدبابة، فسمي ذلك البرج ' برج الشهداء' ^(١) والدبابة: هيكل ضخمة من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبود من الجوانب لحماية الجود الذين يعملون تحتها، وكثت تتحرك على بكرات أو أسطوانات خشبية، فتدفع إلى الأمام حتى تلتصق بالأسوار ^(٢).

وستخدم الجيش الأندلس من أدوات القتال في عهد الإمارة: قصي، وكانت تتخذ من قرون الأبل والثيران البرية ^(٣) والجماب، وهي أوعية السهام التي تتخذ من الجلد ^(٤) والسيوف التي اخصص بصناعة الصيالة (جمع صول) ^(٥)، والمزلق وهي لرمح قصير ^(٦)، والمجنوقات، وهي من أسلحة الحصار الثقيلة، التي ترمى بواسطة الحجارة والأكامل آلة لها دغث قلقتل بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المجنوق التي يوضع فيها الحجر، يجذب حتى ترتفع أسلحه على أعاليه، ثم يرسل ليرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر أو القلظ منه لما يصيب شيئاً إلا عصف به عصفاً ^(٧) وقد ورد أن الأمير عبد الرحمن الدليل استخدم ستة وثلاثين منجنوقاً في إحدى حملاته العسكرية على مدينة سرقسطة ^(٨) (Zaragoza). كما استخدم الجيش الأندلسي دروع الفضة لوقاية أنفسهم من ضربات العدو. فذكر ابن الكردبوس أن جيش المسلمين انتهى في أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط إلى " مائة ألف فارس منهم

^(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٦-١٧، انظر كذلك شمري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٧٠.

^(٢) عبد الوليد، تنظيمات الجيش، ص ٢٢.

^(٣) قزطبي، تروم قرطبة، ص ١٠٥ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٥٩.

^(٤) ابن سودة المصممي، مج ٧، ص ٢، ص ٦٩.

^(٥) ابن سودة المصممي، مج ٢، ص ٢، ص ١٢٢ ابن سودة، المغرب في حل المغرب، ج ١، ص ٤٢.

^(٦) ابن منظور، لسان العرب، مج ١، ص ١٢٩ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٠.

^(٧) هيرفوت، حضارة العرب في الأندلس، ص ١٦٦-١٦٧.

^(٨) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١٥-١١٦ عبد الوليد، تنظيمات الجيش، ص ١٩.

انتهى في أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط إلى "مائة ألف فرس منهم عشرون ألفا بدروع الفضة"^(١).

وتعد قرطبة وطليطلة من أشهر مراكز صناعة السلاح في عهد الإمارة. وكانت طليطلة تنتج أنواعا عديدة من الأسلحة كسيفوف القولاية التي حظيت بشهرة واسعة، والدرع الحديدية والبيصت^(٢) أو (الخوذات) التي تستخدم لحماية الرأس، وتصنع في العادة من الحديد، وقد سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام^(٣) وكانت صناعة الأسلحة مزدهرة في طليطلة قبيل الفتح الإسلامي، ويبدو أنها توقفت بعد الفتح كنتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار التي صاحبت عملية الفتح، إذ إن من المعروف أن الأمير عبد الرحمن الأوسط هو الذي عمل على إحياء هذه الصناعة في طليطلة، فطورت وازدهرت من جديد، واستمرت فيها طوال العصر الإسلامي^(٤).

وحرص الأمويون في عصر الخلافة على تزويد الجيش الأندلسي بالمعدات والآلات الحربية اللازمة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطو الممالك المسيحية في الشمال^(٥). لذا حظيت صناعة الأسلحة باهتمام لائق، ورعايتهم الخاصة، فتقدمت تقدما كبيرا وبلغت ذروة في الجودة والكمية.

وقد أنشأ الخليفة عبد الرحمن "دارا لصناعة آلات السلاح للحرب" في مدينة قرطبة (Alzahra)^(٦). وكانت مصانع الأسلحة تنتج أنواعا مختلفة من السدد والآلات الحربية، كالرمح والأكروس والقيال والدرع والبيصت^(٧) والحراب والفرس القديمة

^(١) ابن كزديوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٥٧.

^(٢) Isaacuddin, The Economic History of Spain, P226, 229. ريسر، المصنوعات العربية، ص ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، مكتبة، مكتبة المسلمين في إسبانيا، ص ١١٢، شكيب أرسلان، مقال شخصية، ج ١، ص ٢١٠-٢١١.

^(٣) ابن سينا، المصنوع، مج ٢، ص ٢٠٢، ابن منظور، لسان العرب، مج ٧، ص ١٢١-١٢٥.

^(٤) Isaacuddin, The Economic History Of Spain, P229. عبد الرحمن ركي، صناعة سيف في الإسلام، ومشاهير الصناع في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٢٠، ١٩٧٩-١٩٨٠، ص ١١٨. سولر لهذا المرجع فيما بعد: عبد الرحمن ركي، صناعة السيف.

^(٥) خلافة، ملاحح حضارية، ص ١٩٥-١٩٦.

^(٦) ابن خلدون، المعبر، مج ٢، ق ٢، ص ٣٦٢.

^(٧) كفاي، التشبيهاة، ص ١٩٩-٢٠٠، ابن خلدون، قبيل المغرب، ج ٢، ص ١-١٥، ابن خلدون، أصل الأعلام، ص ١٠٠-١٠١، رواية: (ابن خلدون).

والمفضضة^(١)، وهي من الأسلحة الدفاعية التي يتوقى بها، وتصنع عادة من الحديد، ويقال لصانها القزلس^(٢)، والمخفر^(٣)، وهذه تصنع من صفائح أو رقائق حديدية وتطلى لرأس كله باستثناء العنق والأفم، ويلبس المقاتل تحتها كوفية تضم شعرة^(٤)، والدرق، وهي نوع من القزلس تتخذ من الجلود، وتستخدم لحماية الجسم من ضربات العدو ومسهلة^(٥)، ولتجفيفه، وهي قتي توضع على الخيل من حديد أو حديد، وفيل، ما جيل به فارس من سلاح وللة نقيه الجراح^(٦)، والنباهيس، وهي أصعدة ذات رؤوس حديدية مثورة ومضروسة^(٧) والمندبقات، والعرافات (جمع عرادة)، وهي آلة أصغر من المندبيق ترمى بواسطة الحجارة أو السهام أو قذور القسط^(٨)، والسيوف المموهة بالذهب والفضة^(٩) وأصعدة السيوف ومقاضها، وهذه تصنع من الفس الذي يتخذ من جلود الأسماك^(١٠) والجوش، وهي نوع من القزرد الذي يغطي به الصدر^(١١).

(١) ابن حيان، المكتسب في أخبار بلاد الأندلس، ص ٤٧، ١١٧-١١٨ ابن بسام، الأخبار، ق ٤، مج ١، ص ٨٥ ابن حباري، أخبار المغرب، ج ٢، ص ٢٩٨ ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ٨٧

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ١٢٦ ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١٠١ القزلي، تاج العروس، ج ١٥، ص ٤٧٧

(٣) المخفر، قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس، وقيل رود من القزح ينسج على قدر الرأس يابس تحت القنوس، ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ١٢٥ القزلي، تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٤٨

(٤) Williams. The Arts And Crafts of Older Spain, 1224-225

(٥) ابن حيان، المكتسب في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٤٨ ابن منظور، لسان العرب، مج ١٠، ص ١٩٥ ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١٠٣ القزلي، حياة الاقتصادية، ص ٣٤٩

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مج ٩، ص ١٣٠ ابن خلدون، القبر، مج ٤، ق ٢، ص ١٣٠ القزلي، فتح القليب، مج ١، ص ٣٥٨

(٧) القزلي، حياة الاقتصادية، ص ٣٤٩

(٨) ابن حيان، المكتسب، ج ٥، ص ٦١، ١٧١-١٧٢ ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ٢٨٨ القسيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٨-١٥٩ القزلي، حصار العرب في الأندلس، ص ١٦٦

(٩) ابن حيان، المكتسب في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٣٠-١٣١

(١٠) انضمت هذه الصناعة مدينة ملقة كما ذكرنا سابقاً: انظر، الاصطعري، مسالك المسالك، ص ١٤٢ القسيري، أصل القسيري، ص ١٢٣ ابن حيان، المكتسب في أخبار بلاد الأندلس، ص ١١٢ ابن منظور، لسان العرب، مج ١٣، ص ٦١٠

(١١) ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١٠٢، رواية: (ابن حيان) عبد الوليد، تنظيقت الفيل، ص ٢٢

ومما يصور تقدم وتطور صناعة السلاح في عصر الخلافة، الهدية التي قدمها ابن شهيد للطبيعة عبد الرحمن الفارسي سنة (٣٢٧هـ / ٩٣٨م). إذ أنها كانت تشمل على مائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة، وألف ترمس سلطانية، وثلاثمائة من التجاليف التي تستخدم في أيام البرور والموتكب^(١). والهدية التي أتم بها الخليفة الحكم المستنصر على حاجبه جعفر المصعبي يوم توليته الحجابة، وكانت تشمل على مائة مملوك إيراني مقلدين "السوف و الفرماع والدرق والقراس والقلائس الهندية، وثلاثمائة ونسب وعشرون درعا مختلفة الأجل، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة بوسمة هندية، وخمسون خوذة خشبية من بيضات الفريجة من غير الخشب (التي) يسمونها الطشطلنة، وثلاثمائة حربة إيرانية، ومائة ترمس سلطانية، وعشرة جوشن فضة مذهبة"^(٢).

ولازدهرت صناعة الأسلحة كثيرا في عهد الحجاب المنصور محمد ابن أبي عامر، حيث كانت المصانع تنتج في كل عام اثني عشر ألف ترمس عامرية لقصري الزهراء والزهراء^(٣) وذكر ابن الخطيب في رواية أخرى أن "دار القراس كانت تنتج من أصفاف القراس في كل سنة ثلاثة عشر ألف ترمس، ومن أصفاف قصي اثني عشر ألف قوس، منها مائة ألف قوس عربية تنتج في دار القراس بخرطبة، وكان القاسم على صناعها رجل يدعى أبا العباس الهمداني، ويلقب "بالمعلم الأكبر". وسنة ألف قوس تركية أي تصنع على نمط القوس التركي تنتج في دار القراس بمدينة الزهراء، وكان يتولى الإشراف على صناعها رجل صقلبي يدعى "طلحة الصقلبي"، وكانت تنتج من أصفاف النبال في كل شهر عشرين ألفا^(٤).

واشتهرت مدينة سالم (Medinaceli) بإنتاج المجانيق والقراس والسهم وغير ذلك من العدد والآلات الحربية وقد روت هذه المدينة الحجاب المنصور بسنة مجانيق،

(١) ابن خلدون، المعبر، مج ٤، ق ٢، ص ١٢٠٠ المغربي، فتح الطوب، مج ١، ص ١٢٨ المغربي، زاهر القراس، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٢) ابن خلدون، المعبر، مج ٤، ق ٢، ص ٣١٢-٣١٣. رواية: (ابن حبان) القسري، فتح الطوب، مج ١، ص ٢٨٢.

(٣) ابن حبان، القياس المغربي، ج ٢، ص ١٢٨٩ المغربي، فتح الطوب، مج ١، ص ٥٨٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠١. رواية: (ابن حبان) عبد الوالد، تنظيمات الجيش، ص ٢٢.

ومقتي ألف سهم وخمسة آلاف ترمس سلطاني، ومقتي زوج من لزواج المسلمين وآلات الحديد، وذلك حين خرج إلى قشتالة (Castilla) في صائفة سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠١م)^(١). وتجدر الإشارة هنا إلى بعض أنواع الأسلحة وألوات القتال التي استخدمها معه الحاجب المنصور في هذه الصائفة، فقد كان من جمعتها: صمالة ترمس عابري، وألف ترمس سلطاني، وألفي حربة إفريقية، وألفي وسم للزجم، إسافة إلى قزوين والنفط والقملران، والآلات المصنوعة، وتوابيت قنابل، والأخبية. وهذه الأخيرة كان يصنع منها في كل سنة ثلاثة آلاف خياء كمدة للجند^(٢).

ويضاف إلى ذلك الكثير من الأسلحة المحفوظة في "خزان السلاح"، والمعدة للتوزيع على رجاله قرطبة وغيرهم من حشود المتطوعين أيام القبرور والاحتفالات. فقد كان في مدينة الزاهرة (Azzahra) وحدها أربعة ألف ترمس، ومن أمدن "قنروع سبعة آلاف درع، ومن أصناف القنروع السوابغ والقنابل السابرية" خمسة آلاف درع، ومن الجوشن، سبعة قطع^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن جميع أنواع الأسلحة في عصر الخلافة كانت تحفظ في "خزان السلاح"^(٤) المعدة لهذا الغرض في حال خروجها من المصانع، وكما يتولى الإشراف عليها موظف رفيع المستوى يطلق عليه اسم "خازن الأسلحة"^(٥)، ولأهميته كان

(١) ابن القطيب، أصل الأعلام، ص ١٠١، رولية: (إبر حبان)؛ عبد الولد، تنظيمات الجيش، ص ٢٣.

(٢) ابن القطيب، أصل الأعلام، ص ١٠٠-١٠١، رولية: (إبر حبان).

* الجند، هي القنروع بأفهامها.

السافة: هي القنروع قولعة.

الخلافة، تأسست تحت القنروع من ثوب أو غيره، ربما كانت درعا صغيرا تحت القفا. ابن سديد، المصنوع، مج ٢، ص ٦٠، ص ٧٠-٧٠. السابري من القنابل، قرطبي، وكل وفق: سابري، والأصل فيه القنروع السابرية، منصوبة إلى سابور. ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ص ٣٤٢.

(٣) ابن القطيب، أصل الأعلام، ص ١٠٢، رولية: (إبر حبان)؛ عبد الولد، تنظيمات الجيش، ص ٢٢-٢٣.

(٤) ابن حبان، المقتبس في أمدن بلاد الأندلس، ص ١٤٧، ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٨١، ٩٧، ١٤٨٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٤٩٢، ابن القطيب، أصل الأعلام، ص ١٠٢.

(٥) ابن حبان، المقتبس في أمدن بلاد الأندلس، ص ١١٣، قتهلي القزنجي، نظم وإدارة بني أمية بالأندلس، ص ٣٩٨.

الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيينه وعزله،^(١) وعليه كانت تقع مسؤولية خزن السلاح وحفظه وتوزيعه على الجند عند الحاجة، ومثل ذلك أن الخليفة الحكم المستنصر "نفذ عهده إلى الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان يجمع رجاله قرطبة من أحداتها وغلبها المحصنين لحمل السلاح، ولتكتفب أسماؤهم على تطويقهم في أربابهم وإعطائهم قتراس والحرا ب من حرقن السلاح، فوشاهدوا يوم الموكب إلى الزهراء".^(٢)

ولم يظهر عبد الملك بن المنصور (٣٩٢-٣٩٩/١٠٠١-١٠٠٨م)، قد "عهد في غروته التي منح فيها حصص منقوص من ثغر برجلونة إلى الخزائن بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مفر على طيفقت الأجناد الدراعين".^(٣)

وكل من يعملون في عهد ملوك الطوائف يستعملون في حروبهم الفسي العفارة^(٤) وقتراس والنبال والفرعاف^(٥) وغير ذلك من أنواع الأسلحة التي اشتهرت صناعتها في كل من طليطلة^(٦) وغرناطة^(٧) وإشبيلية^(٨) والمرة^(٩)، ويبدو أن إنتاج الأندلس من الأسلحة في هذه الفترة حقق فائضا، فقد استورد يوسف بن تاشفين سنة (٤٧٤هـ / ١٠٨١) كميات كبيرة منها^(١٠).

^(١) استلاني سنة (٣٠١هـ / ٩١٣م) ولي عبد الرحمن القاصر كلا من عبد الملك بن سليمان الفولاني، وموسى بن سليمان الفولاني خرفة سلاح، وفي سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م) ولي محمد بن يمان خطة سلاح، وعزل خلف بن يوب عنها وتولاها الطيب أبو عبد الملك الفقي في عهد القاصر والمستنصر، انظر: ابن حبان، المستنصر، ج ٥، ٨١، ٩٧، ١٤٨٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٩٢.

^(٢) ابن حبان، المستنصر في أخبار بلد الأندلس، ص ٤٧.

^(٣) ابن حناري، أخبار المغرب، ج ٢، ص ١٤، ابن الصلوب، أصل الأعلام، ص ٨٧، رواية: (ابن حناري) عهد قواد، تنظيمت الجيش، ص ٢٢-٢٣.

^(٤) نوع من الأقواس الكبيرة التي شاع استخدامها في المغرب الإسلامي، وتعتبر بيد مداما، وكانت تستخدم في منسجة الجو من قبل جنود غزوات البنية، مؤلف مجهول، الحال الموشية، ص ٧٦.

^(٥) الصنهلجي، القتيبي، ص ١٢٠.

^(٦) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج ٧، ص ٩.

^(٧) الصنهلجي، القتيبي، ص ١٢٠.

^(٨) عبد الرحمن ركي، صناعة السيف، ص ١١٨-١١٩.

^(٩) مؤلف مجهول، الحال الموشية، ص ٣٧-٣٨.

واهتم المرابطون بصناعة الأسلحة، بعد أن بسطوا سيطرتهم على الأراضي الأندلسية، فكثر الأمير يوسف بن تاشفين من عمل السهام والمطارد^{٣٢} والعرافات، وغير ذلك من الآلات الحربية^(١) واستخدم جيش المرابطين من أنواع السلاح القرق، والرمح الطوق، والمرتزق، والقراس^(٢) ولم يلف المرابطون في بدء أمرهم لبس الخوذات والدروع مثلما كان الأندلسيون يفعلون، لكن حروبهم مع القصارى الإسباني اضطررتهم لاتخاذها والإكثار منها خاصة في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي^(٣) ومما يذكر في هذا الصدد أن مدينة وشقة (Huesca) تشتهر بعمل الدروع والبيضات قرشقة^(٤)، وأن الأمير تاشفين بن علي (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م)، لمر بصرى السهام وعمل القراس والدروع والبيضات والسيوف في مدينة غرناطة سنة (٥٢٣هـ / ١١٢٨م)^(٥).

لما في عهد الموحدين، قد اهتم أهل الأندلس بإنتاج آلات الحرب من القراس والرمح والسروج والأكهم والدروع والعتار^(٦). وقد حرص الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٢٩-١١٦٢م) على استجلاب الفضل للجهاد، والاستكثر من أنواع السلاح والعدد، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يصرى له كل يوم عشرة قنطير^(٧) وكلفت أدوات الحرب المستعملة في عصره تتمثل في السيوف، والرمح الطوق والدروع والبيضات والقراس والقسي والسهام^(٨) والقرق

^{٣٢} المطارد: نوع من فرماح القصور، ابن سينا المخصص، مج ١، ص ٦، ص ٣٢.

^(١) مؤلف مجهول، الحال الموشية، ص ٦٨.

^(٢) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، إت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، سراج الملوك، المكتبة العربية ومطبعها، ط ١، ١٩٢٥م، ص ١٧٥، ويشار لهذا المصدر فيما بعد: الطرطوشي، سراج الملوك، نظر كذلك القلق، أبو القاسم بن رسول (إت ٧٨٢هـ / ١٣٨١م)، تشيب القلعة في السيلة القلعة، تطويق، علي سبي التشار، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٨٤ ص ٢٩٥-٢٩٦، ويشار لهذا المصدر فيما بعد: القلق، تشيب القلعة.

^(٣) حر الدين موسى، التشابب الاقتصادي، ص ٢٥٢.

^(٤) قرعري، الجرافية، ص ١٨٢، حر الدين موسى، التشابب الاقتصادي، ص ٢٥٠.

^(٥) ابن الطوط، الإحطية، مج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨.

^(٦) القرعري، فتح الطوبى، مج ١، ص ٢٠٦، رواية: (ابن سينا).

^(٧) ابن أبي روج، الأئمة المطرود، ص ٢٠٦.

^(٨) ابن صلح الصلح إلى بالإحطية، ص ٤٣، ١٣٧، ٢٠٦، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦.

المنطقة^(١)، ثم صارت الموحدون يشتهرون بالنصارى قسما لزيقتهم وأسلحتهم، فكانوا يستوردون الأسلحة الأفرنجية من المناطق المجاورة لهم، لا سيما السيوف الحديدية بالجبلين، نسبة إلى مدينة برنيل (Bordeaux) الواقعة شمال مدينة برشالونة^(٢). وكثروا يعتمدون في حروبهم على الفرسان والدروع والرمح الطويلة الثقيلة، على عادة النصارى الذين يقاتلونهم^(٣)، ولكنهم لا يعرفون الدبابيس، ولا قسما العرب، بل يستعملون قسما الأفرنج للمحاصرات في البلاد، وهي تكون بيد الفرقة عند الاصطدام للحرب^(٤).

وتطورت صناعة الأسلحة تطورا كبيرا في عهد الموحدين، ومما يدل على ذلك استخدام الجيش الموحد للكرات الحديدية الملتببة في ذلك الحصار، والمجانيق الكبيرة التي يرمي الواحد منها مائة ربيع من الحديد^(٥). واستخدمهم المجانيق والسمك والسمامي والفؤوس والمعاول والفرقتى والجل والدروع والسيوف والرمح والبيضات والفراس والدق والقسي وذلك في الحملة العسكرية التي وجهها الملك الناصر محمد بن عقوب (٥٩٥-٦١١هـ / ١١٩٨-١٢١٤م) إلى جزيرة صقلية سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)^(٦). هذا، وقد كانت مرسية والمرية وملقية وإشبيلية من أشهر مراكز صناعة السلاح في العهد الموحد^(٧).

^(١) الفراري، الجغرافيا، ص ١١٨ حسب مؤنس، تاريخ الجغرافيا، ص ٢٤٤-٢٤٥.

^(٢) قال ابن سعيد: وفي شمالي برشالونة مدينة برنال التي تشب إليها السيوف الحديدية. انظر: ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٨١. ابن سعيد، بسط الأرض، ص ١١٤. ابن الجاهلي، أوضح المسالك، ص ٣٠ ب-١. الفراري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٠٢. روية: (ابن سعيد).

^(٣) ابن فضل الله العمري، سلك الأبحار، ص ٥٠ ج، ص ٥٢-٥٤. روية: (ابن سعيد). الفراري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٢٣. روية: (ابن سعيد).

^(٤) الفراري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٢٣. روية: (ابن سعيد).

^(٥) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٢.

^(٦) العمري، صلة جزيرة الأندلس، ص ١٨٨.

^(٧) الفراري، فتح الطيب، مج ١، ص ٢٠١-٢٠٢. روية: (ابن سعيد). ابن جردس ركي، صناعة السيوف، ص ١١٨. شكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص ١١٤. حكمة، ملحق حضارية، ص ١٩٧.

لما سلاطين بني نصر ملوك غرناطة، فقد استخدموا الأسلحة التقليدية المعروفة كالسيوف والخنجر والدروع والدرق والجواشن والبيضات والقسي والرماح، التي اشتهرت صانعها في كل من المرية وغرناطة^(١)، ولستخدموا في حروبهم "الأمدلس" وهي العصي الطويلة المثانة بحصى صغار ذات عرى في لؤسها، تدفع بالأأمل عند قذفها^(٢)، والأقواس القذافة أو "زجمات القبال" التي ترمي مجموعة سهل دفعة واحدة، وتعرف باسم الأقواس الأفريقية. وكان مشاة الجيش الأندلسي يتكيفون بصورة مستمرة على هذا السلاح لما يتطلبه من دقة في الرمية^(٣).

كما استخدم الجيش الأندلسي أنواعا عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، حيث خرج لفتح (حصن لشر) Lzanjar في عهد السلطان الثاني بالله محمد بن يوسف (٧٥٥-٧٦٠هـ / ١٣٥٤-١٣٥٨م). وفي ذلك يقول ابن الخطيب الذي رافق السلطان في هذه الحملة: "واستصحبنا أعجالا تحمل جواشيت السهلم، وآلات الهند، وماعون القتب من القبلات والمنائر الخشبية والقنوط والفرسة والدرق إلى الحصاصيد والسلام"^(٤) وغير ذلك مما كان ينتج في مصانع الأسلحة المنتشرة في مملكة غرناطة النصرية.

كما وقد تأثرت مملكة غرناطة بالنظم العربية للبلاد المسيحية المجاورة كقشتالة وأراجون^(٥)، وذلك بعد أن تمكن النصارى الإسبان من بسط سيطرتهم على معظم الأراضي الأندلسية، فالتح المسلمون يقتلونهم ويشتبهون بهم في ملابسهم وشاربهم ولسنتهم، لأن المطلوب كما يقول ابن خلدون "مولع أبدا بالافتداء بالمقاب في شماره وريه ونحلته وسائر أحواله وعقوده" كما هو الحال في الأندلس لهذا العهد مع أسم الجلائقة، فبذلك نجدهم يشتبهون بهم في ملابسهم وشاربهم والكثير من عوائدهم

^(١) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٥٣٤ غير عليم الغرناطي، جنة القرماء، ج ٢، ص ٢٢-٢٤ محمد شبلقة، يوسف الأول، ص ١٩٨ يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دولة حضارية، المؤسسة المصنوعة للدراسات والشر والتاريخ، ط ١، ١٩٨٢م. ص ٩٢-٩٣، ١٤٥، ويشير لهذا المرجع أيضا بعدد فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر.

^(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١١٤٧ ابن الخطيب، القصة الجذرية، ص ٣٩.

^(٣) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٩٣ حاتم، ملامح حضارية، ص ١٩٦-١٩٧.

^(٤) ابن الخطيب، رحلة القتاب، مج ١، ص ١٤٨، ١٤٩.

^(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسق الدين، ص ٤٢، ٤٤.

وأحراقهم^(١٦). وفي هذا الصدد يروي ابن الخطيب في وصف ملابس الجيش الأندلسي ولسلحته ما يلي:

(وجندهم منفل أندلسي ويريري، الأندلسي منه يقوده رئيس من القرابة (أي قرابة السلطان) أو أخطياء الدولة، وزيه في القندم شبيه بري جور تسهم وأمثالهم من الروم في إبداع الدروع وتطويق القرسه وجفاء البيضات، وتخذ عراصم الأسنة وبشاعة قرابيس السروج واستركاب حملة القرايات خافهم: كل منهم بسمة تخص سلاحه، وشهرة يعرف بها. ثم علوا الألى عن هذا لوي إلى الجوارش المحتصرة والبيضات المذهبة، والسروج العربية، والقباب للمطوية والأسل الطعنة^(١٧)).

ولستخدم مسلمو الأندلس القرايت والقطران والقنبرل والمجانيق للدفاع عن مدينة المرية حين هاجمها الفرجلوني صاحب أرغون (Aragon) سنة (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، فدافعهم المسلمون وطرحوا عليهم القرايت والقطران، وزموا بالفرار، حتى فر القنبرل عنها وتمكن المسلمون من كثير منهم^(١٨) وقد "كان لأهل البلد أي المرية منطبق واحد يرمون بها برا وبحرا بصعب الحاجة، فلما تكررت لحجر أصابها صنعوا ثلاثة مجانيق أخرى"^(١٩) وفي ذلك دلالة واضحة على تخصص أهل المرية في صناعة الأسلحة والمعدات الحربية، وبراعتهم في صناعة المجانيق خاصة، وإشارة جلية إلى استخدام الأسلحة النارية في الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

في هذه الفترة توصل المسلمون إلى اكتشاف خاصية جديدة للتفكك كمادة هائلة متفجرة إذا اختلطت بملاح البارود أو الشاشر، وحمى الحديد في درجة حرارة عالية. وهذا الاكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية.^(٢٠) وقد استخدم مسلمو الأندلس لمفاتيح القنبرل الإسباني، آلات تقذف القنبرل، والحجارة ويصحبها نوي مخوف كندوي

(١٦) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٦٧٠-٦٦١.

(١٧) القنبرل، جلود بحر بعضها إلى بعض تلبس على القروس خاصة، وقيل: هي جلود تلبس مثل الدروع، وقيل: جلود تمل منها الدروع * والأسل: اسم يجمع بين القنبرل والقرايات، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ١، ص ١٥، ٨٠٦.

(١٨) ابن الخطيب، المقدمة البحرية، ص ١٣٩ ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٤٩.

(١٩) ابن القتيبي، نزهة المجال، ج ١، ص ١٢٨، ١٤١.

(٢٠) القنبرل، الحياة الاقتصادية، ص ٣٥١.

فرع^(١)، وظهرت براعتهم في استعمال هذه الآلات في عدة مواقع؛ ففي شهر رجب سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٣م) حاصر سلطان غرناطة إسماعيل بن فرج (٧١٣ - ٧٢٥هـ — / ١٣١٢ - ١٣٢٤م) مدينة لشكر (Huescar) في جنوب الأندلس "ونشر الحروب عليها، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالقطر كرة حديد ضخمة، طلق البرج المنيع من معطه فتفتت وتطاير شررها فألقى الله الفرع في قلوبهم، وألقوا بأيديهم، ونزلوا قسرا على حكمه في الرابع والخمسين من شهر^(٢)". وفي وصف هذه الآلة العظمى يقول الشاعر أبو زكريا بن هذيل:

| | |
|--------------------------------|--|
| وظنوا بأن الفرع والصق في السما | فخلق بهم من دونه الصق وفرع |
| غرقب لشكل سما هرم من بها | مهندمة نئي قجبال فتهد. |
| ألا إنها الدنيا تريك عجبها | وما في أقوى منها فلا بد أن يبدو ^(٣) . |

ومما يذكر هنا أن المصادر الإسبانية المعاصرة في وصفها لأحداث هذه الحرب، أشارت إلى هذا السلاح الجديد. ففي حوليات ثوريثا الإسبانية، نجد العبارة التي تقول ما معناه: "وانتشرت الإشاعة أن ملك غرناطة يمتلك بملاك سلاحا جديدا مبيدا^(٤)."

كما استعملت مثل هذه الآلات في موقعة وادي لكه (Rio Guadalete) سنة (٧٤٠هـ / ١٣٢٩م)، وفي الدفاع عن الجزيرة الخضراء سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤١م) وذلك في عصر السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل (٧٢٣ - ٧٥٥هـ / ١٣٢٢ - ١٣٥٤م)^(٥) وفي الدفاع عن مدينة ملقة سنة (٨٩٢هـ / ١٤٨٦م)^(٦) ويبدو من وصف

(١) محمد علي، نهاية الأندلس، ص ٢١٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٢٨٥، ٢٩٨؛ ابن الخطيب، الصفحة القدرية، ص ١٨٥، ٧٨؛ القلي، الحراك الاقتصادية، ص ٢٥١.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٢٩٨؛ ابن الخطيب، الصفحة القدرية، ص ٨٥.

(٤) القلي، الحراك الاقتصادية، ص ٢٥٢.

(٥) محمد علي، نهاية الأندلس، ص ٢١٢.

(٦) مؤلف مجهول، نزهة العصور، ص ٩٢ - ٩٣.

هذه الآلات أنها كانت نوعاً من المدافع المتفجرة التي تسمى بالحديدس والحجارة وبعض المواد المتفجئة التي كانت فيما مضى صنادق الحرائق أو الانفجار الشرقية^(١).

وتطورت صناعة المدافع والأسلحة الذرية حتى أصبحت من الصناعات المتقدمة عند مسلمي الأندلس. فصنف أحد الأندلسيين كتاباً متخصصاً في الموضوع، وهو كتاب "لحر والرفعة والمدافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع"^(٢)، ومؤلف هذا الكتاب هو "إبراهيم بن أحمد بن غنم بن محمد بن زكريا الأندلسي" وهو من بقايا مسلمي الأندلس (الموريسكيين أو العرب المعتصرون) الذين أخذوا إسلامهم، وكان خبيراً بالمدفعية وصناعة البارود، وقد ورث هذا العلم أباً عن جد منذ عصور الأندلس.

وقد وصف المؤلف في هذا الكتاب كيفية صناعة المدافع والآلات الحربية الباروتية، وكيفية إدارتها واستعمالها وتسميرها، ووصف اثنين وثلاثين نوعاً من المدافع المختلفة الأحجام والصناعة والأغراض، ووصف أصحاب البارود، وأنواع الحجارة التي يستخدمونها، ووصف صناعة المدفع وطريقة ورته بميزان خاص للتأكد من دقة إصابته للهدف. ومن الجدير تذكراً أن هذا الكتاب مزود برسوم توضيحية ملونة لمختلف أنواع المدافع، ومختلف قطع التي تتركب منها^(٣).

^(١) يذكر صاحب كتاب "بداية القصر" أنه كل لصاحب قنطرة سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م. ألفاظ يرمي بها صغوراً من بحر، فقصده في الهواء وتناول على الموضع وهي تشتمل ذراتها تلك كل من ثقلت عليه وتعرفه. وقد استخدمها في حصار القيرونة وحسن مكلى وقنيطرة. انظر: مؤلف مجهول، "بداية القصر"، ص ٨٠-٨١، ١٨٦ محمد حنظل، نهاية الأندلس، ص ٢١٢.

^(٢) يوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة، إضافة إلى طبعة الفهرست رقم (٦١١)، ونسخة مصورة عنها في مكتبة الجامعة الأردنية، ميكروفيلم، رقم (٦١٩). وهذا الكتاب خارج نطاق دراستنا ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته.

^(٣) يرجع تاريخ هذا الكتاب إلى أول القرن (١٠هـ) وتوقال القرن (١١هـ) / ١٧٠٦م. وقد ألفه إبراهيم بن أحمد بلغة "الألمغوبو" الشيرازي، وهي لغة رومانية قشتالية تكلم بها عرف عربية، وقام بترجمته إلى العربية كتاب موريسكي يدعى تشهاب الميجري، أبا القاسم أحمد بن قاسم. وقد توفي في تونس حوالي سنة (١٠٥٠هـ / ١٦٦٠م). انظر: محمد حنظل، من تراث الأندلس الأندلسي الموريسكي، ص ١٠٠ و١٠١ و١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٠ و١١١ و١١٢ و١١٣ و١١٤ و١١٥ و١١٦ و١١٧ و١١٨ و١١٩ و١٢٠ و١٢١ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٢٨ و١٢٩ و١٣٠ و١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠.

السكة: هي الختم على النقود والدرهم المتعامل بها بين الناس بطلع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقوية، ويصرب بها على الدولار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يتميز عوار النقود من ذلك الجنس في خلوصه بالمسك مرة بعد أخرى، وبعد تغيير أثمان الدرهم والنقود بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عدداً، وإلى لم تقدر أثمانها يكون التعامل بها وزناً. ولفظ السكة كلى اسماً للطابع^(١)، وهي الحدود المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثمانها وهي النقوش المثلثة على النقود والدرهم، ثم نقل إلى القلم على ذلك، والنظر في استبعاد حاجته وشروطه، وهي الوظيفة، فصار علماً عليها في عرف الدول. وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الحاصل من المشغوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتكون في سلامتها العيش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة^(٢).

والسكة: محترف صناعة ضرب النقود، وحرفته السكة^(٣) أما صاحب السكة، فهو الذي يتولى مهمة الإشراف على دار السكة، ويكون من أهم واجباته الإشراف على صرب العملة، والنظر في العملة المتداولة بين الناس في معاملاتهم التجارية، وحمايتها مما يدخلها من الغش أو النقص^(٤).

وكانت العملة في المجتمعات الإسلامية تصرب على شكل مسكبر، ولتم الكتابة عليها في دولار متوازية، يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهلولا وتحميدا وصلاة على النبي وآله، وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة^(٥).

وقد تأثرت العملة قتي سكها المسلمون بعد توسع فتوحاتهم بمؤثرين قويين هما: الفارسي الساساني والبيزنطي، وكان أهم فرق بينهما أن النظام البيزنطي كسلي يسوده

(١) حلي، من تراث الأدب الأندلسي، ص ١١-١٨، القنبري، العلوم الإسلامية، ج ٢، ص ٥٠.

(٢) يعرف الطابع الذي تطبع به النقود والدرهم في الأندلس باسم الرسوم. انظر: في حاتم القسبي، السكك، مج ٢، ص ٢٠٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨٠٨-٨٠٩.

(٤) الحكم، فتوحات المشيخة، ص ١١٧، ١١٩، ١٣٤-١٣٥.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٤٧.

(٦) وذلك كما كل عليه الحال أيام الأمويين والعباسيين. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨٦٠.

مطبع المركزية الذي ميز الأميراطورية البيزنطية وريثة الصلابة الرومانية، مما جعل السكة تكاد تكون موحدة في جميع أنحاء إمبراطوريتهم. أما الأميراطورية القارسية فقد انتشرت فيها سكة مختلفة متعددة. ولما المسلمون فتحهم بعد استيلائهم فتحهم إلى شمالي إفريقيا وإسبانيا كانوا أقرب إلى الأحاد بالنظام البيزنطي في سكة نقودهم، وكانت العملة المضروبة في الشمال الإفريقي تحمل اسم إفريقية والمضروبة في إسبانيا تحمل اسم الأندلس^(١).

وكان المسلمون في بداية الفتح الإسلامي للأندلس "يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق"^(٢) فصلاً عن اتصال النقود المضروبة في إسبانيا قبل الفتح. وبعد تأثرت العملة التي سكها الفاتحون الأوائل بالعملة التي وجدها في البلاد من حيث الشكل والنقوش، فكان يكتب على العملة في بداية عصر الولاة حيث كانت الأندلس تابعة للخلافة المشرقية في هذا العصر. نصوص لاتينية إسلامية الطابع، وذلك في الفترة الواقعة ما بين سنة (٩٦-٨٩٧/٧١٤-٧١٥م) ثم أحدثت تظهر اللغة العربية إلى جانب اللغة الفلاتينية منذ سنة (٩٨هـ / ٧١٦م)، ولكن هذه المرحلة لم تدم كثيراً إذ سرعان ما اختفت اللاتينية وبقيت العربية بصفة نهائية اعتباراً من سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م)^(٣).

وفي عهد الإمارة استقلت الأندلس سلباً عن المشرق الإسلامي، إلا أنها من ناحية دينية بقيت تابعة للخلافة العباسية، إذ لم يجرؤ الأمراء الأمويون على التسمي بألقاب الخلافة، وفي هذا دليل واضح على أنهم ظلوا يحترمون الخلافة المشرقية ويخشونها، وقد ترك ذلك أثره على سكة نقودهم إذ أنهم لم يضربوا عملة ذهبية بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس^(٤). ويؤكد ذلك ابن الفقيه الهمداني (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) الذي أشار إلى العملة المتداولة بين الناس في عهد الإمارة، ذكراً لى للأندلسيين فلوساً "يتعاملون بها سكنى فلساً بدينهم ودراهم تسمى طينياً"^(٥) وقد كلى الأمير عبد

(١) خاتمة لويس، ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية بالأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ١، ج ٦-٦، ١٢٧٥هـ / ١٩٥٦م، ص ٢٤٢، يشير لهذا المراجع فيما بعد: لويس، ملاحظات حول سكة النقود.

(٢) السيوطي، تاريخ الخطباء، ص ٥٢٢.

(٣) رجب، عمالات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا القسرية، ص ١٢٨.

(٤) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٢٤.

(٥) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٨.

الرحمن الأوسط أول من انتقد داراً لسك النقود في مدينة قرطبة، وضرب الدراهم باسمه^(١). وكانت دار الضرب في موضع يقال له "باب الصلبيين"^(٢)، مما يشير إلى وجود دار السكة خارج القصر في العهد الأموي.

وكان لبعض الثوار الخارجيين على بني أمية في القرن الثالث الهجري/التمتع الميلادي دور سكة خلسة بهم، فديسم بن إسحاق^(٣) الخارج على الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) في مدينة لورقة (Lorca) من أصل تكوير "عشر على معادن الفضة بتكوير ضرب الدراهم على اسمه". واستمر على ذلك إلى أن غرأه الأمير عبد الله، فأعلن الولاء والطاعة وضرب الدراهم باسم الأمير^(٤).

ويبدو لي إنتاج دار السكة كل كثيراً في عصر الإمارة، إذ كانت تصدر نقوداً في كل سنة بصفة مستمرة منتظمة، ومما يدل على ذلك التواريخ المنقوشة على مجموعة من النقود المنتمية إلى هذا العصر والتي عثر عليها في منطقة إستيا (Estella) في مملكة نبرة (Navarra) شمال إسبانيا. الأمر الذي يدل على قيام تبادل تجاري في ذلك الوقت مع هذه الدولة، ويؤكد النقود قوي الذي كان للنقود الإسلامية على إسبانيا المسيحية في تلك الفترة، بل يمكن أن يؤكد أن الحياة الاقتصادية في المملكة القشتالية لإسبانيا لا سيما التجارية منها كانت تقوم على أسس هذه النقود، ومن المحتمل أنها كانت تصل إلى الشمال وتتمتع هناك بعد فترة قصيرة من ضربها في عاصمة الأندلس الإسلامية^(٥).

وكان عهد الخلافة الأموية، عهد الاستقلال السياسي والديني الكامل عن المشرق الإسلامي، إذ أعلن عبد الرحمن الناصر لدين الله قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة

(١) قل غزالي، أن عبد الرحمن الأوسط أنحت بقرطبة دار السكة، وضرب الدراهم باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها لرب. انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١١٦، السيوطي، تاريخ الطغاة، ص ٥٢٢.

(٢) الحمدي، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٨.

(٣) ديسم بن إسحاق: كان ديسم بن إسحاق من فرس من عصر بن حصور الطنزي بشر، ثم له ملك لورقة وظللت شوكتها، وكثر أتباعه وأعلن بالظلم، وحارب أهل الطاعة، تولى بمروسة سنة ٢٩٢ / ٩٠٥م. الحدي، ترصيع الأخبار، ص ١١.

(٤) الحدي، ترصيع الأخبار، ص ١١-١٢.

(٥) لويس، ملاحظات حول سكة نقود، ص ١٢٢٤ وجب العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا القشتالية، ص ٢٧٩.

(٣١٦هـ / ٩٢٨م)^(١)، وأمر بإشياء دار للسكة داخل مدينة قرطبة^(٢)، لضرب الفناخير والدرهم من خالص الذهب والفضة، وفي ذلك يقول ابن حبان: وفي سنة ٣١٦هـ أمر الناصر لدين الله بفتح دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب الفناخير من الفناخير والدرهم، فاتخذت هناك على رسمه، وولى خطتها أحمد بن محمد بن حنبل يوم الثلاثاء ثلاث عشرة بقية من شهر رمضان منها، فقام لضرب فيها من لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة^(٣). وكانت هذه الدار تصدر في كل سنة مائتي ألف دينار، وكان هذه مرتبطة بالرخاء والإزدهار الاقتصادي الذي بلجته الأندلس في تلك الفترة^(٤).

وقد حظيت دار السكة باهتمام خاص في عهد الخلافة، إذ نلاحظ أن اسم صاحب السكة كان يضرب على قطع النقد إلى جوار اسم الخليفة^(٥). وكان الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيين وعزل صاحب السكة^(٦)، الذي كان يُختار في العادة من بين العلقات المشهورة، ومن رجالات الدولة المغاربة للخليفة كالوراء والولاء والقضاة^(٧)، ومنهم في عهد الحليفة عبد فرحمن الناصر مثلاً: أحمد بن محمد بن موسى بن حنبل، الذي تولى السكة سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، ومحمد بن فطيس سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣م) وسعيد بن جساب سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣)، وعبد الله بن جساب سنة (٣٢٧هـ / ٩٢٨م) ثم تولاها سعيد بن جساب للمرة الثانية، واستمر فيها إلى أن عزلت الناصر سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م)^(٨). وفي هذه السنة تولى الإشراف على دار السكة فاسم بن خالد صاحب المعز الجيد المصروب به المثال إلى اليوم^(٩) وإليه تنسب "الدرهم القلمية"^(١٠) التي

^(١) ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ١٢٤١، لويس، ملاحظات حول سكة الفقد، ص ٢٤٢.

^(٢) قال أحمد بن محمد القرظي: فيها نقد الناصر لدين الله دار السكة لمولود، وقد كل الصرب للنقد مطلقاً قبله بدهر، فطاعت منظمة الناس ولتفتت غصائل دولته. انظر: ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٢.

^(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٤٣، وانظر: ابن عذاري، إنبال المغرب، ج ٢، ص ١٩٨.

^(٤) ابن حبان، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٤، القري، تتبع الطوب، مع ١، ص ١٢١، لويس، ملاحظات حول سكة الفقد، ص ٢٤١.

^(٥) ابن جليل، طبقات الأطباء، ص ١٠٨-١٠٩-١١٠، لويس، ملاحظات حول سكة الفقد، ص ٢٤٢.

^(٦) ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٢-٢٤٤، ١٧٠، ١٨٦، ابن عذاري، إنبال المغرب، ج ٢، ص ٢١٥.

^(٧) ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٤، ١٨٦، ابن حبان، المقتبس في أئمة بلاد الأندلس، ص ٤١، ١٧٢، ليس بسلم، الفخيرة، ق ٤، مع ١، ص ٦٢.

^(٨) ابن حبان، المقتبس، ج ٥، ص ٢٢٤، روية: (أحمد بن محمد القرظي).

^(٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

شاع استعمالها في البلاد، حتى أنه ورد نكحها في بعض نساخ مملكة ليوون (Leon) تحت اسم (Kazimi) أو (Cathumi)، مما يدل على رواجه قبي لإسبانيا المسيحية^(١)، ولثراء في الحياة الاقتصادية لذلك.

وكان الخليفة عبد الرحمن القاصر يكثر موضوع السكة بنفسه، ويشتد في عقاب كل من يحاول التلاعب بالعمل، ففي سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م)، "عزل القاصر لنفسه الله سعيد بن جسل عن خطتي الوزارة والسكة معاً، وسخط عليه وحبه مهقاً، لما اطلع عليه من شحه في السكة وعملها، وبدا له من فساد نقد المال، الذي صرب في منته^(٢)، وفي سنة (٣٣٦هـ / ٩٤٧م) عزل "عبد الله بن محمد عن السكة، وسخط عليه لتقصير ما كان فيه، ولمر بسجنه^(٣)."

وفي هذه السنة (٣٣٦هـ) نقلت دار السكة من قرطبة إلى مدينة الزهراء، بأمر الخليفة عبد الرحمن القاصر^(٤)، ولقدما عبد الرحمن بن يحيى الأصم^(٥)، حيث أطلق دار السكة بقرطبة، مما يؤكد طابع المركزية في سك النقود، وحرس الخليفة على إصدار عملة موحدة يتم التعامل بها في جميع أرجاء البلاد.

أما أشهر من تولى دار السكة في عهد الخليفة للحكم المستنصر، فهو وزيره جعفر بن عثمان المصطفي، الذي ينسب إليه "الدينار الجعفري" المشهور بالأندلس^(٦) كما تولى خطة السكة القاضي إنيثيلية وصاحب الموروث محمد بن أبي عامر الملقب بالحاحب

(١) دراهم قاسمية، منسوبة إلى حائل دار صربها وكانت فئة غاصة بكلل القرطبي، انظر: ابن حبان، السكس، ج ٥، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ في غلب: فرقة الأفس، ص ١٢٩٦ بقوت الحوي، موسم البلد، ج ٢، ص ١١٦١ في حذري: فيان المغرب، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) ابن كزيبوس، الإكتفاء في أخبار القضاة، ص ٥٩، غلب: رقم ١٢١ رجب، غلبات يسر الأندلس الإسلامية وإسبانيا القسرية، ص ٤٧٩.

(٣) ابن حبان، السكس، ج ٥، ص ٤٨٦.

(٤) ابن حذري، فيان المغرب، ج ٢، ص ٢١٥.

(٥) ابن حبان، السكس، ج ٥، ص ١٢٤٤ في حذري: فيان المغرب، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦) ابن حبان، السكس، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٧) ابن الصغار، الفرقان والسجلات، ص ١٩٢ في سجد: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ١٨٧. روليف: (ابن غلب).

المصور، وإليه تنسب التناوير العلمية^(١) وفي سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) تقلدها صاحب الشرطة العليا بجياني يحيى بن إدريس الذي قال عنه ابن حيان: "فه لم يستقل بأسر السكة ولا نهياً له ليعود فيها ولا ضرب ديناراً ولا درهماً إلى أن صرف عنها بأحمد بن حدير في صدر رمضان من هذه السنة^(٢)."

وقد تولى الخلافة بعد وفاة المستنصر ابنه هشام الميزيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م) فحجر عليه الحلب المنصور محمد بن أبي عامر، ولم يترك له سوى الخطبة أو الضرب باسمه للدينار والدرهم^(٣).

وكان نشاط النقدي في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، امتداداً لما كان في عصر الخلافة. وملاحظ أن النقود التي سكها بنو حمود ملوك مالقة (Malaga) في ذلك الوقت، كانت تشبه إلى حد كبير نقود الخلفاء الأمويين، إلا أنها تختلف عنها في أن هؤلاء كانوا يهشون بنقش اسم ولي العهد على قطعهم، ولعل ذلك كان محاولة لضمان الاستقرار السياسي في تلك الفترة التي تميزت بالاضطراب والصراع الداخلي المتواصل^(٤). وكان من مميزات عصر الطوائف أنه بالرغم من تفرق الدول الأندلسية، وكثرة الأمراء المعتمدين على سائر أجزائها فلم ينفذ كل واحد، وقد كانت معظم قطع النقود تضرب باسم الخليفة هشام الميزيد حتى بعد وفاته، وكل يصحب ذلك نقش اسم الأمير المعتمد على كل ناحية إلى جوار اسم الخليفة باعتباره حليفاً له^(٥).

وكانت النقود في عصر الطوائف تضرب من الذهب والفضة، ومثل ذلك النقود التي ضربها بنو جهوز ملوك قرطبة^(٦) وبنو عباد ملوك إشبيلية^(٧) وبسر ذلك بنصيب ملوك الطوائف المحتود من الغنى والثروة إذا ما قسناهم بحلفاء بني أمية، وكذلك بقلة استقلالهم الصناعية ودور سكهم يمكن ما كان في عهد الخلافة حين كانت دار سككة

^(١) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٤١ ابن مسلم، التاج، ج ١، ص ١٦٢، القزويني، المعجب، ص ١٢٨، المقرئ، فتح الطب، ج ٢، ص ٨٨.

^(٢) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ٧٢.

^(٣) ابن الكلبي، الإكفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٢.

^(٤) إدريس، ملاحظات حول سككة النقود، ص ٢٤٤.

^(٥) قصدر نفس، ص ٢٤٤.

^(٦) القزويني، المعجب المغرب، ج ٦، ص ١٦٢-١٦٤.

^(٧) ابن رشد، فتاوى، ج ١، ص ٥٢-٥٢٦.

قرطبة وحدها تقوم بطبع نقود الأندلس كلها، حيث تركزت جودة الصناعة ومهارة الصناع حينئذ في العاصمة^(١).

وقد بقي أثر النقود الإسلامية على حياة إسبانيا المسيحية في هذه القسرة رغم ازدياد قوتها المسيحية والعسكرية، وتطول تلك أن ملوك إسبانيا كانوا يتقاضون جريسة نقدية سنوية من ملوك الطوائف مغفل لكف عن قتالهم، الأمر الذي ساعد على انتشار العملة الإسلامية في مملوك إسبانيا المسيحية.^(٢)

ولما المرابطون ظم يسكوا نقوداً في الأندلس إلا بعد سنة (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م)، وكانوا يسكون نقودهم قبل ذلك في إفريقية^(٣). وكلفت العملة الرئيسية للدولة المرابطية هي الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد في الدولة. فقد ضرب يوسف بن تاشفين دنانير ذهبية مستورة الشكل، وكتب في أحد وجهيها العبارة التالية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحت ذلك "أمير المسلمين يوسف بن تاشفين"، وكتب في الدائرة الأيسرة للكرامة التالية: "ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين" وكتب على الوجه الآخر ما يفيد الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية الروحية وبصه: "الأمير عبد الله العباسي". وفي الدائرة تاربخ ضربه وموضع سكته^(٤). وكل أول من ضرب الدراهم المرابطية في الأندلس، نعم بن بلقين^(٥) صاحب مالقة، الذي قدم فروس الولاء والطاعة ليوسف بن تاشفين^(٦). وكان اسم ولي العهد ينقش على النقود المرابطية ابتداءً من أيام علي بن يوسف بن تاشفين^(٧).

(١) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤.

(٢) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٤-٢٤٥. وجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٤٧٩-٤٨٠.

(٣) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٤) ابن حذاري، قبيل المغرب، ج ٤، ص ١٤٦، في أبي وزع، الألبس المطرب، ص ١٣٦-١٣٨. انظر كذلك، حندي، عبد القدير، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦. ص ٣١٩، يشير لهذا المرجع فيما بعد: حندي، تاريخ المغرب والأندلس.

(٥) هو نعم بن بلقين بن حوس بن ملكس بن زيري بن منذ المرابطي صاحب مالقة وأبو عبد الله بن بلقين أمير غرناطة، انظر: الصنهاجي، كتاب القبائل، ص ١٦٢.

(٦) الصنهاجي، كتاب القبائل، ص ١٦٢.

(٧) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

ومن أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين: الدينار المشرقي (وهو مشوب بالفضة)، والدينار العبادي، (وهو مخلوط بالفضة)، والدينار المرابطي (وهو ذهب خالص). ومن أنواعها الدراهم الفضية (وهي فضة مشوبة بالإنحاس)، والدراهم الثمينة، والقرطوبت البوسعيدية، التي تنسب إلى يوسف بن تاشفين^(١)، وكانت تصدر من فضة^(٢). وقد كانت النقود المرابطية بوجه عام أكثر جودة في الصناعة من نقود عصر الطوائف، بسبب وحدة النولة وفوقها الموليسية، ونقص أوصاعها الاقتصادية^(٣).

وانشرت دور سك العملة في أنحاء مختلفة من الدولة المرابطية. فنسرب المرابطون العملة الذهبية والفضية في مدن إشبيلية (Sevilla)، والجزيرة الخضراء (Algeciras)، وغرناطة (Granada)، وقرطبة (Cordoba)، وملقة (Malga)، وشريش (Jerez)، وفونكة (Cuneca)، وبلنسية (Valencia)، وشلطة (Jativa)، ودنية (Denia)، والمرية (Almeria)، ومارتلة (Merptla) ومرقسطة (Zaragoza)، ومرسية (Murcia)^(٤)، ولذا كانت العملة المضروبة مختلفة ومتعددة.

وقد ظلت النقود المرابطية، لا سيما المضروبة في مرسية - منتشرة بشكل واسع بين المسيحيين، ومما يدل على ذلك عملة التي جرى مسحور اشتقاق على تسميتها بـ (Morabitions Lopinos) التي ظلوا يتعاملون بها خلال فترة طويلة من الزمن^(٥).

أما الموحدون، فقد سكوا نقوداً مربعة الشكل، وكل المهيدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في المغرب أول من ضرب الدرهم المربع، وكانت الدرهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مستديرة^(٦)، ويؤكد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله: "ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهيدي اتخا مكة الدرهم مربع الشكل، ولي يرمي في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملأ من أحد الجانبين تسليلاً

(١) ابن رشد، فخرى، ج ١، ص ٥٧-١٥٧٧ لصالح جلف، نزل ابن رشد، ص ١٢-١٣.

(٢) ابن الأثير، حلة السيرة، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩ ابن خلدون، فيول المغرب، ج ٤، ص ١٢٣ ابن الخطيب، أصل الأعلام، ص ١٧٤.

(٣) لويس، ملاحظات حول مكة للنقود، ص ٢٤٥.

(٤) حر الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٢٥٢، محمد تزيخ المغرب والأندلس، ص ٣٢٠.

(٥) لويس، ملاحظات حول مكة للنقود، ص ٢٤٥.

(٦) فحيم، قبولة المشبكة، ص ١١١.

وتصديداً، ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، فعل ذلك الموحدون، وكلفت سكهم على هذا الشكل لهذا العهد^(١).

وقد جرى خفاء الدولة الموحدية على سنة المهدي في ضرب النقود، فضربوا دراهم والديناري المربعة^(٢). وكل ينقش على العملة الموحدية عبارات دينية وسياسية، مثل ثورتهم الدينية مثل "الله ربنا ومحمد نبينا والمهدي إمامنا" و "لا قوة إلا بالله"^(٣) وقد بلغ الدينار الموحدى ضعف الدينار العباسي في الوزن، ولهذا عرف باسم (Doble) وهي عملة ذهبية عند النصارى. وضرب الموحدون في أيام أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٨م) نصف دينار موحدى بوزن دينار عباسياً. وكان الوزن القانوني للدينار قبل الموحدين (٣٥. ٢ جرام) فأصبح (٧٠. ٤ جراماً)^(٤).

وكلفت الدراهم بضرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، حيث كلفت "نرد من جميع الأقاليم مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها، إلى أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه البعويبة"^(٥)، بينما كان الدينار الموحدى يضرب بمدينة فاس والأندلس، حيث كان فيها دراهم أعدت لهذا الغرض، ثم نقلها للخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م) لدار أعماس في قسبة (قاعة) مدونة فاس حين بناها سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م)، ومنذ ذلك الوقت أصبح الدينار الموحدى يضرب في هذه الدار فقط^(٦).

ولما فعلت التي سبها سلاطين بنو نصر في مملكة غرناطة، فقد كانت من القسبة الخالصة والذهب الإبرير^(٧). وقد احتضنت الدراهم القصية بالتقليد الموحدى فيما يتصل ببيئتها، أي أنها كانت مربعة لا مستديرة فكان لهم درهم مربع الشكل من وزن المهدي فقام بدولة الموحدين^(٨).

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٠.

(٢) الحكم، الفتوح المشيكة، ص ١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١١ لوريس، ملاحظت حول سكة النقود، ص ٢٤٥.

(٤) الحكم، الفتوح المشيكة، ص ١١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١١ من الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٥٢.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٤٢ ابن الخطيب، السكة الجدية، ص ٤٠.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٦٤٣.

وكانت العملة المتداولة بين الناس في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، هي: الدينار، والدرهم، والقرطاط (وهو نصف درهم)، والربع (وهو نصف القرطاط)^(١). وقد قدم لنا ابن الخطيب المعاصر لهذه الفترة معلومات تفصيلية عن هذه العملة، يذكر أن وحدة الوزن بينها جميعاً هي (الأوقية)، والتي كانت تعادل في الوزن سبعين درهماً، في حين كان الدينار الواحد يساوي ثمن أوقية وخميس ثمن أوقية، وكانت الأوقية تساوي ستة مثاقير وثلاثي دينار^(٢).

ولنأخذ من الخطوب إلى الكتابات التي كانت تنقش على العملة، فلندرجهم كتب على أحد وجهيه عبارة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر شعار بني الأحمر ومكان الضرب (لا غالب إلا الله غرناطة)، والقرطاط كتب على وجهه الأول (الحمد لله رب العالمين) وعلى وجهه الثاني (وما تنصر إلا من عند الله). وكتب على الربع في شق (هدى الله هو الهدى) وفي الشق الآخر (العاقبة للمتوى). أما الدينار، فقد كتب على أحد وجهيه الآية الكريمة (قل اللهم مالك الملك بيدك الخير). وفي الدائرة قوله تعالى: (إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم). وكتب على الوجه الثاني اسم الأمير الذي ضربت في عهده العملة وهو (الأمير عبد الله بن يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحجاج، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر، أيد الله أمره)، ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء (لا غالب إلا الله).

أما الدينار الذي ضرب في عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر، فقد كتب على وجهه الأول قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحوا" ويستدير به شعار بني الأحمر (لا غالب إلا الله)، وعلى الوجه الثاني (الأمير عبد الله العلي بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر، أيد الله أمره) وفي الدائرة ضرب (بمدينة غرناطة حرسها الله)^(٣) والعملة المتداولة في الأندلس في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، تعرفنا عليها من خلال كتاب (وشقق

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٣-٢٤٤ ومن الجدير بالذكر أن الأمير محمد تولى الحكم في سنة ٧٩٣-

٧٩٧هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٤م.

عربية غرناطية^(١) كذاي زودنا بمعلومات قيمة عنها، إذ يرد في هذه الوثائق ذكر الدينار الفضي الصوري^(٢)، والدينار الذهبي العربي الجديد من سكة السلطان أبي عبد الله الصغير^(٣)، والدينار العربي السعدي (أي من ضرب السلطان سعد)^(٤)، والدينار الذهب من السكة القبلية المطبوعة^(٥)، والسكة الجديدة الطيبة^(٦). كما يجدر ذكر التناخير الفضية الغالبية (نسبة إلى السلطان ألعاب بالله)^(٧)، والريالات القضائية التي شاع استعمالها في غرناطة خلال هذه الفترة^(٨).

ويصحح من الوثائق أن بعض العملات الفضية التي سكها سلاطين بني نصر قد أعطيت قيمة عملة ذهبية معينة، واحتفظت بالتقليد الموحد فيما يتصل بهولتها، أي أنها مربعة لا مدورة كما كانت الدبلة (dobla) وهي عملة ذهبية^(٩). وهذه البيضة المربعة هي التي حورت علماء القمبات إذ أنهم لم يكونوا يتصورون أن هذه النوريات الفضية أو الفضية الموهمة بالذهب أو الفحشية كانت تتداول بين الناس بقيمة العملة الذهبية، وطواها أنها عملات مزيفة سكك لتحل محل العملة الذهبية عن طريق الخس^(١٠).

^(١) وثائق عربية غرناطية من القرون التاسع الهجري/الفلس عشر الميلادي، تحقيق، لويس ميكوندي لوبيلا، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م. ينشر لهذا المصدر فيما بعد: وثائق عربية غرناطية.

^(٢) انظر: وثيقة رقم (٨٧)، المؤرخة بـ (٢٩ صفر ٨٩٩هـ/ ٧ ديسمبر ١٤٩٣م)، ووثيقة رقم (٩٢)، المؤرخة بـ (١١ جمادى الثانية ٩١٠هـ/ ١٤٩٥م)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٤٤/١٣٧.

^(٣) انظر: وثيقة رقم (١١٩)، المؤرخة بـ (٢٨ جمادى الأولى ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٨، ٤٠. وأبو عبد الله الصغير هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سعد الذي شهد تسليم غرناطة للملك كاثوليكي فرديناند وأريلا سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، انظر: مؤلف مجهول، نداء العصر، ص ١١٦-١٣٢.

^(٤) وثائق عربية غرناطية، ص ١٨. والسلطان سعد هو سعد بن علي بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة، كل كتاب بأسر المسلمين المستعصى بالله في ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)، مؤلف مجهول، نداء العصر، ص ٨٧.

^(٥) وثائق عربية غرناطية، ص ١٣٨.

^(٦) وثائق عربية غرناطية، ص ١٤٤-١٤٥.

^(٧) انظر: وثيقة رقم (٨٧) و (٩٢)، وثائق عربية غرناطية، ص ١٨، ١٣٧، ١٤٤.

^(٨) وثائق عربية غرناطية، ص ١٨.

^(٩) وثائق عربية غرناطية، ص ١٦-١٧، وثيقة يوسف الأول، ص ٢٠٢.

ويثبت من الوثائق أن الدينار الذهبي كان يساوي سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير الفضية^(٢١)، ويساوي (٧٥) درهماً فضياً، كما أن دينار فضة كل يساوي (١٠) دراهم فضية^(٢٢).

٢. العام

سرع الأندلسيون في الصناعات الفنية الدقيقة، كصناعة التحف العاجية، التي كانت تستخدم لحفظ الحلي والطور الساقية، وكانت هذه التحف مقصورة على الطب التي تنبئ الصديق الصغيرة. وأشكالها إما أسطوانية مع غطاء مقبب، وإما مستطيلة مع غطاء مسطح، أو على شكل هرم بقلع^(٢٣).

ولقد وصلت إليها من هذه التحف أمثلة كثيرة تكشف بأشكالها وزخارفها عن جمالها ودقة صنعها. ومعظم هذه التحف تحمل موضوعاً تاريخية، تتضمن أسماء من صنعت لهم وتاريخ صنعها، وأسماء الصناع الذين تولوا صنعها، وفي بعض الأحيان اسم المالك الذي صنعت فيه، الأمر الذي يزيد من أهميتها ويجعلها بحق من أصناف المصادر التي نعتمد على دراسة هذا الفن الصناعي وتطوره^(٢٤).

وقد بدأت صناعة العاج في الأندلس ببداية فتوسع الحثافي في المغرب الأقصى، عندما اعتك الأندلسيون بسكنى المنطق الداخلية في المغرب، وكانت تجارة العاج من التجات الرائجة التي يشتغل بها الفانيون والمعاربة ما بين شقة والسودان في الجنوب، وبلاد المغرب في الشمال^(٢٥). وقد استوردت الأندلس كميات كبيرة من العاج،

^(٢١) قطر: وثيقة رقم (٥٤)، المؤرخة بعام ١٤٨٥م.

^(٢٢) قطر: وثيقة رقم (٦٥)، المؤرخة بـ (٢٧ جمادى الأولى ٨٩٦م / ٧ أبريل ١٤٩١م)، وشاطئ عربية عربية.

^(٢٣) محمد عبد العزيز مروج، (صناعات من الفن الإسلامي في الأندلس: التحف المصنوعة من العاج) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٧، ج ٢، ديسمبر ١٩٥٥م. ص ١-٣، حشاش لهذا المرجع فيما بعد: مروج، صناعات من الفن الإسلامي: قطر كتلك: مروج، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٣٥٥ عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج ٢، ص ١١٣٧ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٦٣.

^(٢٤) مروج، صناعات من الفن الإسلامي، ص ١١ عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٢.

^(٢٥) عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٢.

مما وفر المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة، فالتهمت قرطبة (Cordoba) والزهراء (Alzahra) بإنتاج المصنوعات الجلدية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(١).

ويبدو أن دار الصناعة في قرطبة قد بدأت في الإنتاج منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ومما يشير إلى ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أهدى لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) نماذج من القفص الجلدية كل من بينها "حقّ عاج أبيض فيه عود بخور مطري بحبر، وحقّ عاج آخر بأوصال فضية لفضاً داخله قذح عراقي مملوء غالية مرتفعة، وحقّ عاج ثالث بأوصال فضية مبسوطة الأعالي فيه بحور الملوك، وحقّ عاج رابع لأوصال فضة لفضاً فيه ديرة للصيف تستعملها الملوك، وغشاء ديباج فيه مشط عاج كبير سلطاني لتسريح اللحية"^(٢) كما استخدم العاج في تزيين قصور مدينة الزهراء التي أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، إذ كل يوجد في كل جانب من جوانب المجلس المسمى (بقصر الخلافة) في الزهراء تماثيل أبواب قد اتخذت على حذايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب^(٣).

ومن أهم نماذج هذه الصناعة صندوق يتكون من لوحين مستطيلين من العاج ترتبطهما ببعضهما من ناحية واحدة مقلتان تساعد على فتح هذين اللوحين أو قفلهما كليهما ككتاب. وفي كل منهما تجويفات عميقة كانت في الغالب مملوءة لوصع الحلي والمطور وغير ذلك من أدوات الزينة. وكان هذا الصندوق مخصصاً للخليفة عبد الرحمن الناصر، وهو الآن محفوظ في المتحف الأعلي للأثار بمدينة برغش (Burgos)^(٤).

وزدهرت صناعة القفص الجلدية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وبسبب على ذلك من خلال بعض النماذج الجلدية التي ما تزال ماثلة للعيان في عدد من المتاحف الأوروبية، ومن جملة ذلك: غلبة لأسطوانة الشكل ذات غطاء مقبب، وهي محفوظة اليوم

^(١) مروج، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٥-٦ عبد العزيز سالم، قرطبة حضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٣٢ رحلات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٧

Imamuddin . The Economic History of Spain, P244

^(٢) ابن حبان، المقتدر، ج ٥، ص ٣٥٧.

^(٣) الكندي، نوح الطوبى، مج ١، ص ٥٢٧، رواية: (ابن حبان).

^(٤) مروج، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٤-٦، Imamuddin . The Economic History of Spain, P247.

في المتحف الأطلي للكثير بمدينة مدريد، وتزدان بزخارف نبقية جميلة بينها رسوم طيور وحیوانات متقابلة. وقد صنعت بمدينة الزهراء، بأمر الحكم المستنصر، السيدة لم عبد الرحمن^(١) على يدي (دري الصغير) الفتى الصقلي في سنة (٣٥٣هـ / ٩٦٤م)^(٢).
وذلك نموذج آخر صيغ بمدينة الزهراء سنة (٣٥٥هـ / ٩٦٥م) على يدي الصانع (حلف)، وهو عبارة عن صندوق مستطيل الشكل، يردن بزخارف نبقية جميلة، محفوظ الآن في كنيسة أبوشية فينتورو بنيرة (Navarra)^(٣). ونجد في أسفل غطائه المصطح النص العربي الأتي مكتوباً بالخط الكوفي: "بسم الله بركة من الله ويمن مسعدة وسرور ونسعة لأحب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة خمس وخمسين وثلاث مائة عمل خلف"^(٤).

وفي متحف الفنون الزخرفية بباريس (Musée Des Arts Decoratifs) صندوق مستطيل مصطح الغطاء يردن بزخارف نبقية وهندسية، وقد صنع سنة (٣٥٥هـ / ٩٦٥م) في عهد الخليفة الحكم المستنصر^(٥). وفي متحف فيكتوريا وألبرت بلندن عتبة أسطوانية صغيرة الحجم، تزدن بزخارف منقطعة، تمثل في تقطيعها أشكالاً هندسية مختلفة يتخللها زخارف نبقية، وقد صنعت بأمر الحكم المستنصر على يدي (دري الصغير)^(٦).

وفي متحف اللوفر بباريس عتبة أسطوانية لشكل ذات غطاء مقبب، تمتاز برسموم تمثل مجالس الأتس والشراب، ومنظر الصيد والطعام، وتزدن بزخارف نبقية جميلة تتخللها صور طيور وحیوانات، وصور أدمية. وقد صنعت هذه التحفة للمعيرة لیس

^(١) السيدة لم عبد الرحمن، هي عتبة أو روجة الخليفة الحكم المستنصر، وتسميها الكتب العربية "صبيح"، أما الكتب الأجنبية فتطلق عليها (Aurore)، وعبد الرحمن هو والدها الأول من الحكم، وقد توفي وهو طفل. ولجبت صبيح بدء من هذا القطعة وقد هشام حرروني، صفحات من الفن الإسلامي، ص ٤.

^(٢) لمرروني، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٤؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٣؛ مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٥.

^(٣) لمرروني، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٥؛ مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٣٥؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٣.

^(٤) لمرروني، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٥؛ في تاريخ وحداثة الإسلام في الأندلس، ص ١٧.

^(٥) لمرروني، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٤.

^(٦) المخرج نفسه، ص ١١-١٠.

الحليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٨م)^(١)، وضمدل على تلك من نقش كنفي في أسفل القطاء العقيب، ونقرأ فيه: "بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمعيرة ابن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلاث مئة^(٢)".

وبعد وفاة الحكم المستنصر توقف النشاط الفني في صناعة العاج إلى أن كثرت لهم الحروب عبد الملك بن المنصور (٣٩٩-٤٠٦هـ / ١٠٠٨-١٠١٠م) فأحيا هذه الصناعة إذ ظهرت قطعان رائعة يرجع تاريخها إلى سنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)^(٣) وأولى هاتين القطعتين صندوق مستطيل له غطاء على هيئة هرم ناقص، وزدلى بزخارف وصور آدمية وحيوانية، تمثل مناظر لحياة البلاط في قرطبة، ومناظر صيد ومبارزات^(٤). وكلى عبد الملك بن المنصور قد "أمر بصله على يدي الفني الكبير مسير بن محمد العمري مملوكه سنة خمس وتسعين وثلاث مئة^(٥)"، وهو محفوظ اليوم في مكتبة بلدية بلبونة بإسبانيا^(٦).

والقطعة الأخرى محفوظة في مكتبة براج (Braga)، وتتوزع فيها عقود حنوة فخرس قتي تضم أشجاراً كثيفة الأوراق تتناثر بين أوراقها الصافية، ورجلين صغيرين ينز على هرواً منها، هذا إلى جانب حيوانات أخرى في دوائر صغيرة^(٧).

ولا شك في أن خراب قرطبة والزهراء في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أثر اشتعل الفتنة في الأندلس، قد أدى إلى توقف دار الصناعة في كل منهما عن الإنتاج، فالتك محترقاً صناعة العاج للعمل في أماكن أخرى، كـ

^(١) مورو، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٩، مورو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٦.

^(٢) مورو، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٠٠-٩٩.

^(٣) مورو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٣٧؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٦٥.

^(٤) مورو، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١١١-١٠٠، مورو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حضارة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٣-١٢٤.

^(٥) مورو، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١١.

^(٦) مورو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٣٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حضارة الخلافة، ج ٢، ص ١٢٤.

^(٧) مورو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٧.

من بينها مدينة فونكة (Cuenca) إحدى مدن مملكة طليطلة في عصر الطوائف^(١). وكان ملوك بني زيان في طليطلة (٤٠٠-٤٧٨هـ / ١٠٠٩-١٠٨٥م)، هم الذين أُنشئوا مصنعاً للعاج في فونكة تحت إشراف رجل يدعى محمد بن زيان وقد وقّع باسمه سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) على صندوق عاجي، محفوظ إلى الآن في دير سيلوس (Silos) بإسبانيا^(٢).

ومن نماذج هذه الصناعة التي اقتصت بها مدينة فونكة في عصر ملوك الطوائف، صندوق مستطيل الشكل له غطاء على هيئة هرم ناقص، سردلي بزخارف محفورة تمثل حيوانات متقابلة بينهما شجرة الحياة وفروع نباتية جميلة. وقد صنعه عبد الرحمن بن زيان في مدينة فونكة سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م)^(٣)، بأمر 'الحاجب حسان الدولة أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذي المجدين بن الظاهر ذي قريش بن أبي محمد بن ذي النون أعزه الله'^(٤). هذا، وقد انتقلت صناعة العاج إلى إسبانيا المسيحية بعد سقوط طليطلة في أيدي الألمان سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)^(٥).

ويبدو أن بعض محترفي هذه الصناعة قد هاجروا إلى مدينة غرناطة واستقروا فيها، الأمر الذي ساعد على نمو وتطور صناعة العاج في ظل دولة بني الأحمر. إذ استخدم العاج في صناعة الصناديق الصغيرة وعلب العطور وأحجار الفسطرنج، كما استخدم في تزيين مقابض وأعمدة السيوف وطبعت السقوف والصناديق وحشوات الأبواب والعمائر الخشبية بزخارف من العاج تمثل التيجان والآلات الموسيقية ورسوم الطيور وسائر الحيوانات^(٦). وقد ذكر ابن فضل الله العمري أن منبر المسجد الجامع في غرناطة مصنوع من العاج والأبنوس^(٧).

(١) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٥٥، ١٣٦٨ عدد الفريز سلم، حضرة الفخالة في قرطبة، ج ٢، ص ١١٣٤ عدد الفريز سلم، في تاريخ وحضرة الإسلام في الأندلس، ص ٢٦٥.

(٢) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٨.

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١١٢ مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٦٨.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص ١٤.

(٥) مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ١٤٦٩ يوفاضل، حضرة العرب في إسبانيا، ص ١٢٧.

(٦) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١١٤٧ محمد شبلقة، يوسف الأول، ص ١١٩٩ شلكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص ١١٥.

(٧) قنصلندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٩ رواية: [مسلك الأعمش].

كان للأمرء والخلفاء في تصورهم معلل خاصة تعرف به (دور الطراز)، تختص في تطويع " ثوابهم المدة ليلهم من الحرير أو القبايح أو الأبريسم " وتعني كلمة طراز في الأصل " التطوير " ثم صارت تعني النسيج المعطى بسطور من الكتانة، وكانت الكتانة تنسج على حافة القماش وتحتوي اسم الخليفة أو (الأمير) ونقبه وبعض عبارات الدعاء. وكانت الكتانة تحاك من حيوط الذهب، أو من حيوط ذات ألوان زاهية تحاك في العادة لون قثوب. وبذلك تصبح هذه " قثياب الملوكية مطعمة " بذلك الطراز قصد التنوية بلايسها من المطلق فمن دونه، أو التنوية بمن يختصه المطلق بملبوسه إذا قصد تشريعه بذلك أو ولائته لوظيفة من وظف دواته^(١).

وكانت دار الطراز مطهراً من مظاهر الملك والمطلق، وكان المشرف عليها يسمى " صاحب الطراز "، ومن اختصاصه النظر في أمور الصباغ والألوان والحاكمة والإشراف على الصناعات وتوزيع الأجور عليهم، ولذا كان الخلفاء يقدرون هذه الوظيفة الخواص من دولتهم وثقت موالهم^(٢).

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من أنشأ دار الطراز بالأندلس^(٣)، وإلى أكد غيره إلى هذه الدار من بنيان الأمير عبد الرحمن الداخل الذي أنشأ داراً لصناعة البرود الأميرية عربي عصر قرطبة عرفت (بدار القرد أو الدار البردية)^(٤)، ثم تطورت وقسمت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٥).

وتقدمت صناعة الطراز كثيراً في القرن الرابع الهجري/المئشر الميلادي، إذ أصبحت دور الطراز تنسج ما يحتاج إليه الخليفة من " قطع والقسي وملابس الحرم وغير ذلك "، وقد تنوعت دور الطراز وتعددت في الأندلس، وتخصص كل منها بسوع

* الأبريسم: ضرب من القز وقيل هو ثياب الحرير. انظر: ابن سينا، المخصص، مج ١، ص ١٩٩.

(١) ابن خلون، المقدمة، ج ٢، ص ١٨١٦، القوي، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٠٦.

(٢) ابن خلون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٦-٨١٧.

(٣) ابن عذري، قبول المغرب، ج ٢، ص ١٩١، عبد العزيز سالم، قرطبة، حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٤) ابن جبار، المقابس في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٦٦، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٥) ابن المقلوب، أصل الأعلام، ص ١٢٠، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦.

(٦) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ٢١٦.

خاص من الطراز، وكلفت متوجلتها تصدّر إلى مصر وغيرها^(١) ويقول ابن الخطيب مطلقاً على دور الطراز: "ولو تتبعنا صناعاتهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم وبنائهم به المشرق من يصلحهم ومقدار جرائقهم ونقلتهم لضاق عنه الكتاب^(٢)، ويفهم من هذا النص أن المسموعات الأندلسية المتنوعة التي تصنع في دور الطراز كانت تضاهي ما يصنع في المشرق الإسلامي من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات ولكنها مع الأسف نعت عاجزين أمام صمت ابن الخطيب عن تتبع هذه الصناعة بقصد الاختصار، وهذه مشكلة تواجه الباحثين في الفولحي الاقتصادية.

وتجدر الإشارة إلى اهتمام خلفاء بني أمية بصناعة الطراز، إذ أنهم كانوا يصدرون الأوامر إلى فولاة في شهر ليل من كل سنة لجمع غلة الحرير وإرسالها إلى معمل الطراز الموزعة في مناطق الأندلس المختلفة^(٣) مما يدل على اعتناهم ورعايتهم لهذه الصناعة.

وكان صاحب الطراز في عهد بني أمية مسؤولاً عن معمل الطراز حيث كانت تتمتع ثياب الخلفاء والأمراء وأعيان الدولة من القبايح والحرير المصنوع المرقوم بلذهب المحترف الأولي^(٤)، وكلفت هذه الثياب إضافة إلى رسم الخليفة أو الأمير تشتمل أحياناً على ليلات الشعر، ومن ذلك أن ولادة بنت المصطفى^(٥) كتبت بلذهب على طرازها الألبس:

لُبا واذا أصلح للمعالي ولعشي مشييتي ولقبي نهباً

وكتبت على الطراز الألبس:

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٥.

(٢) عبد العزيز سالم، قرطبة الخلافة، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) القرطبي، ترويض قرطبة، ص ٩١.

(٤) ابن خلدون، المعبر، مج ٤، ق ٢، ص ١٣٠٠ القنصلي القرطبي، نظم وإبرة بني أمية بالأندلس من "خلائف المقتدر لايز حول"، مجلة المناظر، ع ٢٩، ص ١١، ١٩٨٤، ص ٢٨٥، يشير له فيما بعد: القرطبي، نظم وإبرة بني أمية.

(٥) ولادة بنت المستنفي بالله، أمير المؤمنين، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن القنصلي بن عبد الرحمن بن محمد المروقي، من بني أمية بالأندلس، وهي أمية شاعرة كتبت تضافات الشعر والوسيل الأبياء انظر ابن نحية، المطرب، ص ٧-٨.

ولم يكن عثقي من صحن خدي وأعطى قبلي من يشتويها^(٢٨).

وكانت وظيفة صاحب الطراز تسد في كثير من الأحيان إلى الصفقة - القتيلى المعروفين بالطقاء الأكاير^(٢٩) وتذكر على سبيل المثال القتي خلف الكبير الذي تولى الطراز في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٣٠)، والقتي فتق المعروف بالنظمي الذي تولى البرد والطرز في عهد الخليفة الحكم المستنصر^(٣١).

وكانت أهم مراكز دور الطراز في العهد الأموي موزعة في مناطق: قرطبة^(٣٢)، وبجاية^(٣٣)، وفنقة^(٣٤) (Finana)، وبسطة^(٣٥)، ومالقة^(٣٦)، والمريجة^(٣٧)، ومرسية^(٣٨)، وكلى ليعتد الحارثيين على بني أمية في القرن ثلث الهجري/ التاسع الميلادي، طرز حاصلة بهم، فكان لإبراهيم بن حجاج^(٣٩) حكم إشبيلية طرز بطرز بها على اسمه تشبها بالملوك، وذلك لإصفاء سعة الشريعة على حكمه^(٤٠).

^(٢٨) القنري، نوح الطيب، مج ٤، ص ٢٠٥.

^(٢٩) القنري، نوح الطيب، مج ١، ص ٢٨٧؛ وولية (إن حول) الفرجي، نظم وإدارة بني أمية، ص ٢٨٥.

^(٣٠) تولى خلف الكبير الطراز سنة (٢١٢هـ / ٩٢٥م) في حذري، القتي المغرب، ج ٢، ص ١٩١.

^(٣١) إن حول، القتيبي في أخبار بلاد الأندلس، ص ٦٦، ١١٧ إن حذري، القتي المغرب، ج ٢، ص ٢٥٩.

^(٣٢) إن حذري، القتي المغرب، ج ٢، ص ١٩١؛ عبد العزيز مسلم، حاضرة الفلقة في قرطبة، ج ٢، ص ١٥٥.

^(٣٣) القنري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٨.

^(٣٤) القنري: قرية بالقرب من وادي قر، القنري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٢.

^(٣٥) إن حذري، فرقة الأندلس، ص ٢٨٤.

^(٣٦) Willams . The Arts and Crafts . III, P4-5.

^(٣٧) الإبريسي، أزمنة المشرق، ج ٥، ص ٥٦٢.

^(٣٨) إن حذري، فرقة الأندلس، ص ٢٨٥.

^(٣٩) هو إبراهيم بن حجاج بن صير القنري، ملك إشبيلية وقرطبة، إذ استقل بها من بني أمية وأقام دولة

في حجاج المشهورة توفي عام (٢٨٨هـ / ٩٠٠م). انظر إن حذري، أصل الأعلام، ص ٣٤-٣٥.

^(٤٠) إن حول، القتيبي في تاريخ رجال الأندلس، ق ٢، ص ١١-١٢ إن حذري، القتي المغرب، ج ٢، ص ١٢٧-١٢٨؛ وولية (إن حول).

وكانت منتجات دار الطراز مما يهذي به الخفاء والأمراء، ومن جملة ذلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لمحمد بن خزر أمير زنكية سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م)^(١)، وهدية لموسى بن أبي العافية، واشتملت على خمسة وعشرين قطعة من الطرز، ومائة ثوب من ثياب الخز المختلفة لأكسوة رجلاه، وعشرة شفاق من الشفاق الطرزية المصبوغة، وقرائن ديباج لرضية قوشية مطرزة، ومختلجان مفضضين مختميين، بطائهما، خز طرازي أرجواني^(٢). كما أهدى الوزير أحمد بن شهيد إلى الخليفة الناصر ثلاثين شقة من الحرير المختم المعروف بالذهب المختلف الألوان والمصانع^(٣). وكان الخليفة الحكم المستنصر يهذي شيوخ القبائل البربرية من فخر الكسوة المصنوعة في دار الطراز^(٤).

كما كان المنصور بن أبي عامر يهذي ملوك إسبانيا المسيحية، ومن ضمن بلاؤه من المسلمين في الحروب والغزوات بفاخر أنواع المنسوجات المصنوعة في دار الطراز، وقد ورع في غزوته إلى ثلثت ياقوب (Santiagode Compstella) سنة (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) * ثلثين ومائتين وخمسة وثمانين شقة من صفوف الخز الطرازي، ولعدي وعشرين كساء من صوف البحر، وكسوتين عشرين، ولحد عشر مقلطونا، وحسن عشر مزيشات، ومبعة قمط ديباج^(٥).

وكانت دور الطراز منتشرة في مناطق الأندلس المختلفة فسي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي^(٦)، نتيجة للتفكك الذي جرى بين ملوك الطوائف، إذ

(١) أهدى الخليفة الناصر لمحمد بن خزر، عشر قطع مختلفة الأجناس مما شتمل لأكسوته الخاصة من عقيق الفخر العبيدي، وغريبه وبنده في الثكوب والصلعة. وكانت مطرزة بلسم محمد بن خزر كما تضمنت الهدية خمسين قطعة من قطع ثياب الرفعة المختلفة الأجناس. انظر: ابن حبار، المقتبس، ج ٥، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) ابن حبار، المقتبس، ج ٥، ص ٢٥١-٢٨٩-٢٩٠، ١٤٢٦. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) شعري، نوح الطيب، مج ١، ٣٥٧: رويات (ابن خلدون).

(٤) ومن ذلك خمسون جبة من قبايا المصنع السلون، وخمسون جبة من الخز الطرازي السلون، ومائة جبة من المطارف المصنوعة السلونية، وذلك في سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢م). انظر: ابن حبار، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٠٨، ١٥١.

(٥) ابن عذاري، إنبال المغرب، ج ٢، ص ١٢٩٧. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٥.

(٦) ابن سالم، المغيرة، ق ١، ٤، مج ١، ص ٥١، ١٢٠-١٢١.

بذل كل واحد منهم كسارى جهده لإحاطة نضه بهالة من الأبهة والفخامة تشبهاً بما كل يفعله خلفاء قرطبة. وترتب على ذلك أن تقدمت الفنون والصناعات تقدماً لم تشهد البلاد من قبل، وأخذت كل حاضرة تنقل غيرا في هذا المعسكر، ونالت الحرية في رسم الطوائف نصيباً كبيراً من هذا التقدم، بفضل تشجيع ملوكها، فتقدمت فيها الصناعات وبحلصة صناعة النسيج، التي بلغت أوج ازدهارها في عهد المرابطين^(١).

وفي أوائل عهد الموحدين سقطت وطبعة صاحب الطراز من وظائف الدولة، بسبب تورع الموحدين عن ارتداء الملابس العالية الثمن المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب^(٢). ولكن هذه الأمر لم يستمر طويلاً، بل أخذ الموحدون يقتدون الأندلسيين في ارتداء هذا النوع من الملابس ففتشت في أول أمر دولتهم دور الطراز لصناعة المنسوجات الحريرية والندياج المطرز^(٣)، وكثرت مراكزها موزعة في مناطق مرسية وبلسية وغرناطة ومالقة والمرية^(٤). ويبدو أن الناس قد أسرفوا في ارتداء الملابس الحريرية في عهد الموحدين، مما اضطر الخليفة المنصور^(٥) إلى إصدار أمر في سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) يقضي بقطع لباس العالي من الحرير والاجتراء منه بالرسوم الصغير، ومنع النساء من الطراز الجليل، وأمر بالاكفاء منه بالسلاج القليل، وأمر بإخراج ما كان في المخازن من صروب ثياب الحرير والندياج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بلثمان لم تعرف ولم تكتفى^(٦).

ولعللت صناعة الطراز مكلفة خاصة في عهد دولة بني الأحمر، واعتدت لساء غرناطة بهذا الفن اهتماماً بالغاً، ففردت غرناطة بصناعة المنسوجات الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبية والفضية، ولتتوزع بنقش الصور الملونة عليها، كما كل هناك نمودج

^(١) الإبرسي، نرجة المشتاق، ج ٥، ١٥٦٢، أبو الفضل، تاريخ مدينة سيدي، ص ٢٠٨-٢٠٩.

^(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٨١٧.

^(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ١٨١٧، أبو ربيعة، علاقة الموحدين بالملك الناصر، ص ٣٩٩-٣٤٠، كوكاي، الأندلس، ص ١٨٢.

^(٤) أبو ربيعة، علاقة الموحدين بالملك الناصر، ص ٣٤٠.

^(٥) الخليفة المنصور، هو يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٨م) ابن الخليفة، أصل الأندلس، ص ٣٦٩.

^(٦) أبو ربيعة، علاقة الموحدين بالملك الناصر، ص ٣٤٠.

دو تصميم خاص معطرز بتلك الخطوط الثمينة، إضافة إلى الصور الملونة. وقد استمرت هذه الصناعة في الأندلس حتى أواخر الحكم الإسلامي^(١).

و. الزخام

واشتهرت الأندلس بإنتاج الزخام المتحد الألوان، كالخمري، والمجرع والأبيض والأحمر^(٢). وكانت أهم مراكز إنتاجه في عهد دولة بني أمية منتشرة في أنحاء مختلفة من الأندلس، وبخاصة في ملحة قرطبة التي اشتهرت بإنتاج الزخام الأبيض الفاصع اللون والخمري^(٣). وفي قرية ناشرة من أعمال قرية، التي تميزت بعمل الأعمدة الزخامية^(٤).

وفي مدينة باجة (Priego) من أعمال غرناطة، حيث كانت مركزاً مهماً لإنتاج الزخام الغريب الموشى بالحمرة والسفرة وغير ذلك من الزخام الحساك والمجرع^(٥). وفي طركونة (Tarragona) التي اقتصت بإنتاج الزخام الأبيض والأسود^(٦). كما اشتهرت رية (Rayyo) بإنتاج الزخام المجرع^(٧)، وقرية (Almeria) بالزخام الأبيض^(٨)، وسبانية من أعمال بيرة بإنتاج الزخام الأبيض الملكي الفاصع اللون^(٩). وتتميزت قسطنطية وهي حاضرة بيرة وفحصها بعمل الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقات من الزخام الأبيض اللين^(١٠) إذ يمتاز بسهولة عمله وتنشكيله.

^(١) محمد شبله، يوسف الأول، ص ١٩١.

^(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١١٦٧ القشتدي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٢٢٧ مختلفة، ملاح حصريته، ص ١٩٤.

^(٣) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٢٠١. روية: (القرزي).

^(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠١، روية: (القرزي).

^(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠١ روية (القرزي) مختلفة، ملاح حصريته، ص ١٩٤.

^(٦) القسيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٦ القفري، زاهر القريش، ج ٢، ص ٢٠١.

^(٧) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٢٧. روية: (أبي حيان) القفري، زاهر القريش، ج ٢، ص ٢٧٠.

^(٨) القفري، نفع الطيب، مج ١، ص ٥٢٧. روية: (أبي حيان).

^(٩) شيخ القريوة، نسخة الدهر، ص ٢٤٢.

^(١٠) أبي غلب، فرحة الألف، ص ٢٨٢. روية: (القرزي).

وقد ساعدت وفرة الرخام على استعماله بكثرة في أعمال البناء. ولذا اهتم الرعايون بعمل السور والأكعدة والأبواب التي تستعمل في كسوة الجدران والأرضيات والسقوف، واهتموا بعمل الأحواض وأماكن الوضوء. وقد استعملت مثل هذه المنتجات لتزيين المنشآت المعمارية^(١)، وبخاصة المساجد والقصور التي بليت في عصر الخلافة، كمسجد قرطبة الجامع، ومنشآت مدينة الزهراء.

أما المسجد، فقد كان فيه من أكعدة الرخام ألف ومائتان وثلاثة وتسعون صوداً^(٢). وكانت أرضية المحراب مفرشة بالرخام الأبيض، وجدرانها مكنوة بشقاية ألواح من الرخام، وسطه مكنو برخامه بيضاء منقورة بالحديد على صفة المعشاة قد أحكمت وأزيلت في موضعها بكتف صمعه^(٣). وكان على رأس المحراب حصة رخام قطعة واحدة مشوكة محورة منقورة بالذهب والفضة وسائر الألوان^(٤)، وكل للجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصمعة الزائفة الشكل والمثل، وكل يستدير بها صحن من قسي دائرة على حد الرخام الحسن^(٥)، وكل ههنا من أكعدة الرخام نحو مائتين وخمسين صوداً، وكانت عدة ألواح الرخام التي تكتسب جدرانها أربعة وخمسين لوحاً^(٦).

ونكر ابن يشكول (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، أن الحكم المستنصر أقام أربع ميضات في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي، "وقد أجرى في جميعها الماء في قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة إلى أن أصبت ماءها في أحواض رخام لا ينقطع جريانها الليل والنهار، وأجرى فصل هذا الماء الحذب إلى سفليات أخذها على أبواب هذا المسجد بجهته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية، أجراها إلى هناك إلى ثلاث أبواب

(١) انظر: الحري، تصحيح الأبيار، ١٠-١١، قهري، الجغرافية، ص ١٨٢، القزويني، آثار البلاد، ص ١٥٩، ابن عديم القرائط، جنة الرضا، ص ٢، ص ٢٥، ٢٦، عبد العزيز سلم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) وفي رواية أخرى (١٢٧٧) صوداً، انظر: ابن شاذلي، فرحة الأندلس، ص ١٢٩٨، القري، نسج الطب، ص ١، ص ٥٤٧، رواية: صاحب كتاب "مجموع المستشرق".

(٣) ابن شاذلي، فرحة الأندلس، ص ٢٩٧.

(٤) الإبريسي، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٧، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥١.

(٥) الإبريسي، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٨، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٦.

(٦) ابن شاذلي، فرحة الأندلس، ص ٢٩٧-٢٩٨.

من حياض الرخام استقطعها بمقطع الممتد بسبع جيل قرطبة بالماء الكثير، ولقاء
الرخامون هناك، واحتفوا أجوافها بمنافيرهم في المدة الطويلة حتى استوت في صورها
البدية لأعين الناس، فحفظ ذلك من تكلها، وأمكن من إدخالها إلى أماكن يسبها بالكثاف
المسجد الجامع، فتهياً حمل الواحد منها فوق عجلة من ضخام خشب البوط على تلك
موتقة بالجديد المتكف محفوفة بوثق الحبال قرن لجرها سبعون ذبابة من أشد الدواب،
وسهلت قداسها للطرق والمسلك، وسهل الله تعالى حملها ولحده بعد أخرى على هذه
الصفة في مدة اثني عشر يوماً، فصبحت في الأقباء المعقودة لها^(١) ومن ذلك يستدل
على صلابة هذه الأحواص، وعلى براعة محترفي هذه الصناعة ومدى إتقانهم
لصنعتهم.

أما مدينة الزهراء التي تسمى بنونها في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، من
أول سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، فقد ازدادت مشقتها وقصورها بأصناف الرخام الملون، إذ
أن الحليمة الناصر شجع الصناع على جلب الرخام إلى هذه المدينة، فكان يصلهم على
كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير^(٢)، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على
قطعها ونقلها ومزودة حملها^(٣)، فجلبوا إليها الرخام من طركونة، والرخام الأبيض من
المربة، والمجرع من ربة، والوردي والأخضر من قرطاجة وإريقية وتونس
والقسطنطينية وكل الأسماء الذين يجلونه هم: عبد الله بن يونس، وحسن القرطبي وعلي
بن جعفر الإسكندراني^(٤).

هذا، وقد كُتبت سورتي الرخام في مباني مدينة الزهراء، فبلغ عددها أربعة آلاف
وثلاثمائة وثلاث عشرة سارية، منها ألف وثلاث عشرة أصصرت من إريقية، ومئة

^(١) القفري، نصح الطيب، مج ١، ص ١٥٥٥ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ٢، ص ١٥٢.

^(٢) ذكر ابن عذاري في رويته لفرى أن الناصر كل يصلهم على كل رخامة ثلاثة دنانير، وعلى كل سفارية
ثمانية دنانير، فنظر: ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ١٣٢.

^(٣) القفري، نصح الطيب، مج ١، ص ٥٢٧ رويته: (ابن حوق).

^(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢١ ابن الطيب، أصال الأعلام، ص ١٣٨ القفري، نصح الطيب،
مج ١، ص ١٥٢٧ القفري، أذهار القريش، ٢٧٠.

ولربيعون من القسطنطينية، وسافر ذلك من رخام الأندلس^(١). كما استخدم الرخام في تزيين مسجدها الجامع، حيث فرش سطحه المكشوف بالرخام الخزري^(٢).
 واستخدم الرخام بكثرة في عهد ملوك الطوائف، إذ أنهم تنافسوا في تشييد وبناء القصور، وحرصوا على تزيينها بكل مظاهر الروعة والجمال، فزادت مجالسها ولهاؤها بالأحواض والسواري والأقواس الرخسية. فقد كان في قصر الملوك بن ذي النون في طليطلة، بحيرتان، " وقد وضع في ثغر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمى المنبح، محفور من رفيع المرمر، كبير الحجم، غريب الشكل، بدیع نقش؛ قد أُرزت في جنباته صور حيول وأطيار وأشجار"^(٣) وكانت مجالس "بستان الصمانحية" في مدينة ألمرية، مفروشة كلها بالرخام الأبيض^(٤). وكان قصر مملكة بني عبد الله في إشبيلية، مفروشاً كله بالرخام الأبيض، وكل فيه من سوري الرخام مائة ولوح^(٥).
 وتجدد الإشارة هنا إلى أشهر المراكز الأندلسية التي اقتصت بإنتاج الرخام في قرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلادي، وهي: قرطبة^(٦) وغرناطة^(٧) وفريش وألمرية، وهذه الأخيرة تميزت بإنتاج الرخام الصقول الملوكي^(٨)، واشتهرت فريش بأجود أنواع الرخام الأبيض، الذي يمتاز بصقله وشدة صلابته^(٩).

(١) ابن عساري، قبل المغرب، ج ٦، ص ١٢٢١ القري، أرخان قرطبة، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) القري، أرخان قرطبة، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٣) ابن بطوطة، المحرى، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) بني عبد الله في عهد المستنصر بن صلاح (٤٤٤هـ — ١٠٥٧/١٠٨٧م) القري، ترجمه الأندلس، ص ٨٤-٨٥.

(٥) القسطنطينية، الإمبراطور، ص ٣٤-٣٥.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ٧١٥.

(٨) القسطنطينية، الإمبراطور، ص ١٥٨ القري، فتح الطوب، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٩) ابن عساري، فرحة الأندلس، ص ١٢٩ الإبرسي، ترجمة الشناق، ج ٥، ص ١٥٧٤ ابن فضل الله المصري، مسلك الإبرسي، ج ٢، ص ٢٧.

الباب الثالث

الحالة الاجتماعية للعاملين

في الحرف والصناعات

الفصل الأول

شرايح المجتمع الأندلسي الحرفية

لم تكن الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وإنما كانت تمارس من جميع الفئات، من العرب والبربر وأهل البلاد الأصليين والموالي والصقلية واليهود وموالي اليهود، حتى أن المرأة الأندلسية مارست بعض الحرف والصناعات ولقنتها. ومنعز عن فيما لكل من هذه الفئات، ولطبيعة الحرف والصناعات التي مارستها:

أ. العرب

كان العرب أبعد قناس عن الحرف والصناعات، والسبب في ذلك كما ذكر ابن خلدون أنهم أعرق في البدو، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها^(١).

ولذا سار عرب الأندلس في بداية أمرهم على هذا النهج، فلم يهتموا بالحرف والصناعات وتركوها لغيرهم من فئات المجتمع الأندلسي، وأنشغلوا أنفسهم بشؤون الحكم والإدارة والجيش، ومن ثم عمل البعض منهم بالحرف التي تحظى بمكانة اجتماعية رفيعة، كالورارة والكتابة عند الملوك، وولاية الأقاليم، والإشراف على الأسواق (ولاية الصبة)، وتدريس العلوم والفورقة، ونسخ الكتب، وتعليم الصبيان في الكتاتيب، وإمامة المساجد وصيانتها وإصلاحها، وقبض أجره الخواص الموقوفة عليها^(٢).

وعندما اضطر العرب في المجتمع الأندلسي مارسوا مختلف أنواع الصناعات والحرف^(٣)، فقد احترفوا التجار^(٤)، والنباهة^(٥)، والفخارة^(٦)، والخياطة^(٧)، والحدادة^(٨).

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص ١٢٢٩ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٥٩.

(٢) مؤلف مجهول، كتاب ذكر بعض مشاهير أهل طلي في القديم أو "بيوتات أهل الكرى"، تحقيق محمد القادر رمانة، مجلة البحث العلمي، وسهرها المركز العلمي للبحث العلمي، طرابط، ج٣، ص ٥٤، ص ٢٠١، ١٩٦٤-١٩٦٥، ص ٥٥، مؤثر لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، بيوتات أهل الكرى، Shatzmiller, Maya, Professions and Ethnic Origin of Urban Labourers in Muslim Spain: Evidence From a Moroccan source، مجلة أورق وسهرها المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ج٦-٥، ١٩٨٢-١٩٨٣، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) قمبرلي، تقييرون في أحكام النسيب، ص ١٨٣ المكتبة، الإكسبر، ص ١١١.

(٤) ابن بشكوق، كتاب الصلة، ق٢، ص ١٢٥٤ ابن الأثير، المقاصد، ص ١٨٨، المقري، تلح الطيب، ج٢، ص ٥٨.

وعملوا في صناعة الدباج^(١)، والقنار^(٢)، وتفسير (تجويد) الكتب والمصاحف^(٣).
ولتنتظروا بالزراعة والهيئة، ومارسوا صناعة سبك الشمع وعزل الكتان ونسج الحرير
وبيعه كمادة خام. كما اشتهروا ببيع الأقمشة والمنسوجات، وبيع المعطورات والحصار
والعراك والخير ومشتقات الحليب^(٤).

ب. الحبوب

لما ألبير، فكل أهل القرى والأرياف منهم يحترفون الفلاحة وتربية المواشي
والنحل والدواجن. ولذا اشتهروا بإنتاج الصوف كمادة خام والحمل ومشتقات
الحليب. كما احترفوا صناعة عصر الزيتون وطحن الحبوب، واستخراج الملح، وعملوا
في قطع الأخشاب وإعداد القمح ولما أهل الحاضرة من ألبير، فقد اشتهروا بالعمل
بصناعة السلال والأطباق والبرازع* (المكس) والحبال والقشطوب لكنهم أرضيات
البيوت^(١). ومارسوا صناعات أخرى مختلفة، فكل منهم: خرازون، وبلازيون، وسفلازيون،

-

^(١) ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ١٦٢ قصبي، بغية المتكلمين، ص ١٤٩١ ابن الخطيب،
الإحاطة، ج ٣، ص ٦٨.

^(٢) المرانقي، قيل والتمكة، ص ٥، ق ١، ص ١٣٢٣ ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣٥، ٩١

^(٣) ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ١٨٦ المرانقي، قيل والتمكة، ص ٥، ق ١، ص ١٣٠٦ ابن
الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ١٢٢٩ القفري، نفع الطيب، مج ٢، ص ٢١٢

^(٤) ابن بشكول، كتاب الفسلة، ق ٢، ص ١٤٩٤ ابن القزويني، ذرة الجبال، ج ١، ص ١٢٠.

^(٥) ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ق ٢، ص ٣٧.

^(٦) القزويني، حاض، ترتيب المذرك، ج ٢، ص ١٧٢٦ ابن سبويه، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٦٦

^(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ١٢٤ البيهقي، بغية قرعائه، ج ١، ص ١٤٦-١٤٥ ابن القزويني، ذرة
الجبال، ج ١، ص ١٦٤-١٦٥.

^(٨) مؤلف مجهول، بورتات فلس الكبرى، ص ٥٥

.Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of Urban.P15)

* البرازع، أي المكس التي تستعمل للكتن تحت الحوافل، واللمطة عامية مغربية، مؤلف مجهول، بورتات
فلس الكبرى، ص ٥٥.

^(٩) مؤلف مجهول، بورتات فلس الكبرى، ص ٥٥

.Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of Urban.P 151-153

وَقَبَلُونَ^١ وَيَصِلُونَ طَيِّرًا، وَيَلْبِثُونَ لِلْجَبْرِ وَالْجَبَسِ، وَيَحْمَلُونَ يَسْلُونَ لِمَا الْأَمْسُوقِ، وَيَتَمَرُونَ بِنَقْلِ السِّلَعِ وَالْبَصَالَعِ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى^(٢).

ج. أهل البلاد الأصليون

لما أهل البلاد الأصليون من الإسبان الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح، وكثروا من سكنى قريّة وأهل الجبال، فقد اختلفوا العمل في زراعة الحدائق والبساتين، وفي تربية المواشي، وإنتاج الصل. وصلوا أيضاً في قطع الأخشاب وإنتاج الفحم. ولما سكن المناطق الساحلية منهم، فقد اشتهروا بصناعة السفن والمعدات اللازمة لها. وعملوا بعضهم حرفة صيد الأسماك، فكان يصيد السمك يجلبون الحوت والسردين من الساحل إلى المناطق الداخلية^(٣)، حيث كان يباع في أسواق المدن الأندلسية^(٤).

د. الموالى

وقام الموالى بمختلف الحرف والصناعات المساندة في المجتمع الأندلسي، فكانوا يحترمون الدباغة والحبلة والنجارة والحدادة والفخارة والخراطة وبيع العمل المضرورة والحراطة؛ ويقصد بها صناعة لؤقي الخشب المخرّطة^(٥). وكثروا يعملون بصناعة الصابون^(٦)، وصناعة المنسوجات والأقمشة، وصناعة الأسلحة والمعدات الحربية، والسروج، والأدوات المنحنية، وطحن الحبوب^(٧).

^١ قَبَلٌ هو صانع القباب المشيئة المستعملة عادة في العمليات زراعية، أسماء الحرف المعروفة في مدينة قرطبة، ص ١٢٣.

^(٢) مؤلف مجهول، بورتات قرطبة الكبرى، ص ٨٤-٨٥-٨٦، Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of Urban. P 153-154.

^(٣) مؤلف مجهول، بورتات قرطبة الكبرى، ص ٥٦.

Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of urban. P 154

^(٤) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، أحوال الأندلس، ١٠٠٤ الهجري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٥ المقري، نفع الطيب، مج ١، ص ١٦٨.

^(٥) مؤلف مجهول، بورتات قرطبة الكبرى، ص ٥٦.

^(٦) القاضي عياشي، ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٦٨٧.

^(٧) مؤلف مجهول، بورتات قرطبة الكبرى، ص ٥٦.

Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of urban. P154

واحترفوا كذلك العمل بالحجارة والجزارة وحفر القبور وحمل الموتى وتسمير البهائم وعلاج المرضى، وصيلة المساجد وحراسة الأسواق والفنادق. وكان من بينهم حمالون يتكفون السلع والبضائع بين المدن الأنتيسية^(١).

د. الصقالبة

لما الصقالبة، فالمقصود بهم في المصادر العربية، "سكان البلاد المختلفة من بلادها العظمى، فتي استتكت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأندلسي. على أن كلمة صقلب (Esclave) فرنسية قديمة، ومعناها عبد أو رقيق: وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرماني دلبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب إسبانيا، ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فاستلحقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من لمة لمة مسيحية، واستخدموهم في قصر الخليفة^(٢). وقد جاء أغلب الصقالبة إلى الأندلس أطفالاً. وربوا فيها تربية إسلامية، ودرّبوا على أعمال القصر، وهم ولى كقوا رقيقاً، إلا أنهم لم يستحموا في الحرف المعتمدة، بل تطور الأمر إلى استخدامهم في الحرس والحشية والجيش. واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي، فصار منهم الأدباء وقشراء وأصحاب المكاتب الكبيرة^(٣). واحترف بعضهم صناعة الأدوية والتفكير الطبية، فقد كان في قصر الحليفة الحكم المستنصر إثنا عشر صديقاً من الصقالبة يعملون في صناعة المعاجين والأشربة^(٤).

^(١) مؤلف مجهول، "بوتات إلى القري، ص ٥٦.

^(٢) Shatzmeller, Professions and Ethnic origins of urban, P. 151.

^(٣) بعد مختار الجاهلي، الصقالبة في إسبانيا، لحة من أصلهم وتسلّهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٢م، ص ٨-٩، ويشار لهذا المرجع فيما بعد، الجاهلي، الصقالبة في إسبانيا.

^(٤) الجاهلي، الصقالبة في إسبانيا، ص ٦١.

^(٥) ابن جليل، طبقات الأطباء، ص ١١٦-١١٧ في أبي أصيبعة، حيون الأطباء، ص ٤٨٧.

وقد تولّى كثيرون منهم مناصب إدارية رفيعة المستوى منها الإشراف على مصانع ومخازن الأسلحة^(١) وعلى معامل الطرز، حيث كُفّت تسج ثياب الأمراء والخلفاء وأجلى الدولة من الدجاج والحديد المصنّج المرقوم بالذهب المختلف الألوان^(٢). ومن بين الصغافرة الذين تولّوا مهمة الإشراف على معامل الطرز في عصر الخلافة: "فلقى القتي الكبير الصغافري"^(٣)، و "روى القتي" و "خلف القتي الكبير"^(٤).

٥. اليهود

وكان اليهود الذين دخلوا الإسلام يحترفون الحياكة والبلابة^(٥) والخرازة وبيع وإصلاح قيعل المحروقة، وخياطة ثياب الملف، وصناعة الأقمشة والمسوجات، وسج القلائس (القبعات) وتبطينها وصنعها وتصفيها. وعمل بعضهم وسطاء تجاريين وسامرة أي دلالين في الأسواق يتوسطون في قايوع التجارية^(٦).

ولما اليهود من أهل القمة، فقد عملوا في بداية أمرهم بالحرف (المهنة)، كالصباغة واللباعة والصبارة والمولدة، وكل أكثرهم حمالين وخياطين وكياين^(٧) وقد ازدهرت هذه الطائفة أي اليهود فيما بعد وعلت منزلتها في المجتمع الأندلسي، ففقدوا مناصب رفيعة في الدولة، كالكتابة عند الملوك، وقوزورة. وتولى الكثير منهم الشؤون المالية والإدارية^(٨). ومارسوا الطب والترجمة^(٩) واشتغلوا بالتجارة والصيرفة

(١) القهاسي، القرامبي، نظم وإدارة لمياء، ص ٣٩٨.

(٢) ابن خلدون، المعر، مج ٤، ص ١٣٠. القهاسي، القرامبي، نظم وإدارة بني لمياء، ص ٣٨٥.

(٣) ابن حنبل، المقتدر في القيل أهل الأندلس، ص ٦٦، ١١٧.

(٤) ابن حنبل، القيل المغرب، ج ٤، ص ١٤٨، ١٩١.

(٥) البلابة: حرفة كُفّت من عقيمت التجارة وهي حرفة صنع الصفاق المشية لألوان المساجد والمعاليست والمبزل وغيرها. وكل يطلق على محترف هذه الصناعة اسم البلاب. جد القطار لمياء، أسماء الحرف المعروفة في مهنة قاس، ص ١٠٤.

(٦) مؤلف مجهول، بيرتلت فلس القوي، ص ٥٦.

(٧) Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of urban, P.451.

(٨) الحكيم، الدولة المشيكة، ص ١١٥-١١٦.

(٩) القهاسي، كتاب القهار، ص ٣١-٣٧ ابن حنبل، القيل المغرب، ج ٤، ص ٢٦٤-٢٦٦. ابن الصغافري، الإحاطة، مج ١، ص ٤٤٢-٤٤٧.

والصباغة^(٢٢). ويشير أحد الأمثال الأندلسية إلى أن معظم الصباغة كانوا من اليهود، وإذا تعلّطى مسلم هذه الحرفة انظره للناس وازدروه^(٢٣).

٣- موالى اليهود

ولما موالى اليهود، فقد اضرخوا العمل بالصباغة وصناعة الخبز والزيت والصابون، وصناعة الحلوى، ومسلج الحياكة، وآلات الصفر، وأتوات المطبخ، وتفسير الكتب، وسك النقود، كما اضمحلوا في خدمة الحملات، وحفر الأبار، ومعالجة المعادن، وتزيق الخشب، وقطع الرخام، وزحرفة البيوت بـ "الزايح"^(٢٤) وهو نوع من الصوف المتعدد الألوان^(٢٥). وعملوا ببيع السمك والصوف والكتان والأنوية والآلات الموسيقية. وبرعوا في صناعة القلائد والقنود المرجقية^(٢٦) وفي تحضير أنواع الأطعمة والمأكولات تشبه، كالكراث والعجائن واللحوم المشوية والمقوية، حيث ظهر من بينهم الطبّاخون والسفّاجون والشوّالون والقنّازون المهرة^(٢٧).

٤- المرأة الأندلسية

ومرست المرأة الأندلسية حرفاً متنوعة، إذ نجد الطبّاخة والحبّازة والرقّاصة^(٢٨) واللبّانة^(٢٩)، والطبيبة، والحجّامة، والمرافقة، والدالّة، والمناظرة، والمناجحة، والمغنية،

^(٢٢) ابن سبيد، المغرب في ظلّ المغرب، ج ٢، ص ١٢٣، حرفات، خريطة في ظلّ بني الأحمر، ص ١١٧-١١٨، أحمد فكري، خريطة في العصر الإسلامي، ص ٢٤٦.

^(٢٣) قزجالي، أسنن القوام، ق ١، ص ٢١٥، الحكم، فتوح المشيخة، ص ١١٦، أحمد فكري، خريطة لسيّ العصر الإسلامي، ص ٢٤٦.

^(٢٤) قزجالي، أسنن القوام، ق ١، ص ٢١٦.

^(٢٥) مؤلف مجهول، بيوتات فلس القبري، ص ١٥٦، Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of urban.P 154.

^(٢٦) فكري، نبع الطب، مج ١، ص ٢٠٢.

^(٢٧) مؤلف مجهول، بيوتات فلس القبري، ص ١٥٦، Shatzmiller, profession and Ethnic of urban.P155.

^(٢٨) مؤلف مجهول، بيوتات فلس القبري، ص ٥٦.

^(٢٩) ابن الخطر، الوفاق والمصالحات، ص ٥٦.

والكاظمة، والمعلمة، والمستخدمة، والصناع في الغزل والنسيج^(١). وعملت المرأة في صناعة الطراز^(٢) (الفترايز)، وصناعة غزل الصوف والقطن والكتان^(٣) فقد ذكر الفرغري في معرض حديثه عن منونة المروية أن "أهلها كلهم رجالاً ونساءً صنّاعاً بأنبيهم، وأكثر صناعة سائرهم الغزل الذي يفرّج الحرير في سومة"^(٤) هذا، وقد كانت في أسواق المدن الأنطولية أسكن خلسة للنساء يجتمعن فيها لبيع الغزل أو شرائه، ولم يكن يحاطهن في عملية البيع والشراء إلا الشيوخ الثقات المعروفون بأسبقتهن وفضلهم^(٥). ومن مظاهر اهتمام المرأة الأنطولية بصناعة الغزل والنسيج؛ اهتمامها الرائد بتحصين بطن دود الحرير ورعايته من شهر شباط الذي يوضع فيه البيض إلى شهر آذار، إذ يتولد فيه دود الحرير^(٦). ولا يخفى أن لدود الحرير دوراً فاعلاً في إنتاج مادة الحرير الخام التي تدخل في صناعة المنسوجات الحريرية.

ومن بين الحرف الأخرى التي مارسها المرأة الأنطولية:

القنّاعة (التوليد)، وتربية لولاد العقلائت الميسورة وإحصاعهم، وخدمة البيوت^(٧)، والرقص في الحفلات والأعراس^(٨)، وكتابة المصاحف. وهما ينطبق بسببه الحرفة الأخيرة، ذكر غير أبي القياص (١٥٩هـ / ١٠٦٦م) في تاريخه أنه كل "بلقرص

^(١) القنّاعة، هي المرأة التي تفتس بصناعة القطن ويصنع ابن سناء، الفخيرة، في ٣، ص ٢، من ١٦٦٧ في مسجد المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٤٠٩.

^(٢) ابن حرم، أبو محمد علي بن أحمد، (١٥٦هـ / ١٠٦٤م) طوق الصداة في الأمانة والألقاب، تحقيق، صلاح الدين القاسبي، دار الشؤون الثقافية العامة "الحلق عربية"، آذار القوسية للنشر، المشرق، بغداد، ص ٩٧، يشير له فيما بعد: ابن حرم، طوق الصداة.

^(٣) ابن عبدون، في القضاء والصبة، ص ٤٧.

^(٤) ابن عبدون، في القضاء والصبة، ص ١٥٥ ابن عبد الرؤوف، في أدب الصبة، ص ٨٧.

^(٥) الفرغري، الجعرانية، ص ١٠٢.

^(٦) ابن عبد الرؤوف، في أدب الصبة، ص ٨٧.

^(٧) قزطلي، تقديم قرطبة، ص ٤٩، ٦٢.

^(٨) ثود حوري، ملاحظ من المجتمع الأنطولي، ص ١١٧ لفترة عيسى، دور المرأة الأنطولية في الحياة العامة، ص ٧٢-٧٤.

^(٩) ابن عبدون، في القضاء والصبة، ص ٥١.

لشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالمط الكوفي، هذا ما في حاجة من توليها فكيف يجمع جهاتها^(١)؟

وقد وردت إشارات في بعض المصادر، تؤكد مزاوله المرأة الأندلسية لحرفة القلم^(٢). وتبين مسؤوليتها عن نسخ النساء، فقد ذكر ابن عدي، أنه يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء، في حكم من المحكومات، عند امرأة قابلة حرة إذ عرف القاضي فضلها، إلى أن تطلق، ويجعل لها القاضي أجره على ذلك من بيت مال المسلمين^(٣).

(١) فركاشي، المعجب، ص ٢٧٢.

(٢) انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٥٢٤.

(٣) ابن عدي، في النساء والصباء، ص ١٦٩، فقرة عيسى، دور المرأة الأندلسية في الحياة العلمية، ص ٧٤.

الفصل الثاني

الوضع الاجتماعي لأهل الحرف والصناعات

أ. التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها

انتسب كثير من الأشخاص إلى الحرف والصناعات التي كانوا يمارسونها، وقد ظهر مثل هذا الانتساب في المجتمع الأندلسي في القرن الثالث الهجري^(١)، قتلغ الميلاي، ولكنها كانت أوسع إنتشاراً في قرون أربع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ نجد في بعض كتب التراجم والأدب والتأريخ نقلاً على التسمي بالحرف والصناعات. فقد لُقّب الأديب أبو بكر محمد بن عيسى قناني بـ "ابن القنّانة نسبة إلى والدته التي كانت تعمل ببيع اللبن"، حتى غلب اسم القنن عليها، ونسب أولادها به إليها^(٢)، وكذلك لُقّب قنّانة المقرئ أحمد بن سهل (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) بـ "ابن الحداد"^(٣). ولُقّب قنّانة محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) بـ "ابن الطّر"^(٤)، ولُقّب القاضي القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بـ "ابن الصّفار"^(٥)، والصّابوني كان لُقّب عبد الله بن محمد المعروف بابن يركّة (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م)، إذ كان له في مدينة قرطبة "دكان يصنع فيها حنمته صابون ومنه عيشه"^(٦)، و"قنّاج" لُقّب عبيد الله بن أيوب الذي كان يتعلّم عمل القدياج في مدينة قرطبة^(٧)، و"ابن البناء" لُقّب الكاتب أبي بكر محمد بن أحمد الإشبيلي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، و"ابن الصّغار"^(٨) لُقّب أبي المطرف عبد الرحمن ابن بشر إذ كان أبوه حصاراً^(٩)، و"قنّار" لُقّب الألوّه البسطي إذ "قنه كل حرّاً ببسطة"^(١٠) وبنت قنّاني "لقب لمهجة القرطبية إذ كان أبوها يبيع اللبن في مدينة قرطبة"^(١١)، وكان أحمد بن عبد قواي الرعني

^(١) ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ١٠، ١١، ق ٢، ص ١٨٥.

^(٢) وهو من أهل قرون الخامس الهجري/ العاشر الميلادي كان مصمماً قنّانة بن عبد الله بن مسلم، القنّانة، ق ٣، ص ٢، ص ١٦٦، نظر كذلك ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١٠٩.

^(٣) التميمي، بغية القنّانة، ص ٢١٦.

^(٤) ابن بشكوك، كتاب الصلة، ق ٢، ص ٤٨٤.

^(٥) من أهل قرون أربع الهجري، ابن الصّلوب، أصال الأعلام، ص ٥٥.

^(٦) القنّاني، حلي، ترتيب الحرف، ج ٢، ص ٩٨٢.

^(٧) وهو من أهل قرون أربع الهجري، ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ق ٢، ص ٣٧.

^(٨) ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ١٢٥٤، ابن سعد، القنّانة، ص ١١٨.

^(٩) ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٣٩، روية: (المجاري في التسمي).

^(١٠) ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ١٤٢، روية: (المجاري في التسمي).

(ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) وعرف بـ "العواد" صنعة لينة للكتب الصالح،^(١) وكان لفتيه أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون الأنصاري (ت ٤١٢هـ / ١٠٢٢م) يلقب "بالمفتاح" نسبة إلى صنعة^(٢)، وكل علي بن يحيى بن عمرويل الكوفي (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) المعروف بـ "ابن القفاز" يحمل مع أبيه في صناعة القفاز^(٣). وكان علي بن محمد بن حوصم القرعوني (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) يلقب بـ "ابن القفاز" نسبة إلى صنعة أبيه، الذي حرص على تعليم ابنه صناعة القفاز^(٤)، وهذا يدل على أن الحرف والصناعات كانت تنتقل بالورقة من الآباء إلى الأبناء، وبذلك تنتسب الأبناء إلى حرف آبائهم، إذ التصق كثير من هذه الحرف بأسماء بعض العائلات الأنسية. وفي نظرة استعرضية غير مستقصية للتسميات بالحرف والصناعات لاحظ أكثر من نسبة لأشخاص عرفوا بصناعاتهم وحرفهم كما تكشف عنه كتب القزلباش والألب والخاروج مثل الرجساج^(٥)، والقفاش^(٦)، والصوفا^(٧)، والمروك^(٨)، والسيرز^(٩)، والمروك^(١٠)، والمروك^(١١)، وقشون^(١٢)، والحول^(١٣)، والطرز^(١٤)، والقفل^(١٥)، والفعلم^(١٦).

^(١) ابن القفاز، الإحاطة، مج ١، ص ٢٠٠-٢٠١.

^(٢) الكوفي حواش، ترتيب المصادر، ج ٣، ص ٧٢٦.

^(٣) القزلباش، القيل والقائلة، ص ٥٠، ق ١، ص ٤٢٠-٤٢١.

^(٤) القزلباش، القيل والقائلة، ص ٥٠، ق ١، ص ٣٢٣.

^(٥) القزلباش، القيل والقائلة، ص ٥٠، ق ١، ص ٣٢٣.

^(٦) ابن بشكوال، كتاب الصلاة، ق ٢، ص ٣٦٧.

^(٧) ابن القزويني، تاريخ علماء الأنس، ق ٢، ص ٥٥.

^(٨) ابن قزويني، أبو جعفر أحمد (ت ٢٠٨هـ / ١٢٠٨م)، كتاب صلاة الصلاة، وهو يدل للصلاة المشكوبة في ترتيب أملاء الأنس، مكتبة خزانة بيروت، لبنان، (تت)، ص ١٨٤، يشير لهذا المصدر فيما بعد، ليس قزويني، كتاب صلاة الصلاة.

^(٩) ابن القزويني، تاريخ علماء الأنس، ق ١، ص ١٠٨.

^(١٠) ابن بشكوال، كتاب الصلاة، ق ١، ص ١٨.

^(١١) ابن الأثير، التكملة لكتاب الصلاة، ج ٢، ص ٥٠٢.

^(١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٥.

^(١٣) ابن القزويني، تاريخ علماء الأنس، ق ١، ص ٦٢.

^(١٤) ابن القفاز، الإحاطة، مج ٢، ص ٤١.

^(١٥) المصدر نفسه، مج ٢، ص ٢٤١.

^(١٦) ابن القفاز، نزهة المجال، ج ١، ص ١٢٢.

وَقَشَّرَ^(١)، وَخَشَبَ^(٢)، وَالسَّكَ^(٣)، وَرَقَمَ^(٤) وَكَدَ بِتَسْبِ إِلَى حَرْفَةِ
لِيهِ، كَابِ لَفَزَزَ^(٥)، وَلِىَ الْحَكَّ^(٦) وَلِىَ الْجِبَلَ^(٧)، وَلِىَ قَبَاغَ^(٨)، وَلِىَ الزَّرْدَ^(٩)،
وَلِىَ الْحَدَا^(١٠)، وَلِىَ الصَّنَعَ^(١١)، وَلِىَ الصَّبَاغَ^(١٢)، وَلِىَ قَنَقَلَتِ^(١٣)، وَلِىَ الْقَبْلَبَ^(١٤)،
وَلِىَ قَفَرَقَ^(١٥)، وَلِىَ الْكَتَنِي^(١٦) وَلِىَ الْحَبَرَ^(١٧) وَلِىَ قَزَيْتَ^(١٨)، وَلِىَ قَمَلَاخَ^(١٩)،
وَلِىَ الطَحَنَ^(٢٠)، وَلِىَ الْقَزَارِي^(٢١)، وَلِىَ الْقَلَّ^(٢٢)، وَلِىَ قَشَوَكَتِ^(٢٣)، وَلِىَ
قَزَرَسَ^(٢٤)، وَلِىَ الْقَزَاةَ^(٢٥)، وَلِىَ طَوَرَزَ^(٢٦).

(١) فى سجد، المغرب فى حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) فى الططوب، الإحاطة، مج ١، ص ١٧٧.

(٣) القاري، نفع الطوب، مج ٦، ص ٢٥٧.

(٤) فى سجد، المغرب فى حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٥) فى القزصى، تلويح علماء الألفى، ق ١، ص ١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٩) فى حيل، المقبر من قباء أهل الألفى، ص ١٨٦.

(١٠) فى بشكوى، كتاب الصلاة، ق ٢، ص ٥٠٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٥٥٣.

(١٢) الضبي، بغية المشتى، ص ٢١٦.

(١٣) فى الألفى، التكملة لكتاب الصلاة، ج ١، ص ٤٢٦.

(١٤) فى القريز، كتاب صلاة الصلاة، ٢٠٦.

(١٥) فى القريز، كتاب صلاة الصلاة، ٢٠٦.

(١٦) فى سجد، المغرب فى حلى المغرب، ج ١، ص ٢١١.

(١٧) فى الألفى، التكملة لكتاب الصلاة، ج ١، ص ٤٠٠.

(١٨) فى الططوب، الإحاطة، مج ١، ص ٢٠٤.

(١٩) فى الططوب، أصل الأعلام، ص ٥٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٢٢) فى القريز، صلاة الصلاة، ص ٢٠٦.

(٢٣) فى الألفى، المشتى، ص ٨٢.

(٢٤) فى سجد، المغرب فى حلى المغرب، ج ١، ص ٩٥.

(٢٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٢.

ويلاحظ مما تقدم أن هذه النُخب تمثل المجتمع الأتليسي بصورة مختلفة وفئاته المتعددة، إذ لم تقتصر الألقاب المنتسقة بالحرف والصناعات على شريحة معينة من شرائح المجتمع بل كُتبت لتشمل شرائح مختلفة، من بينها شريحة العلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين والأثباء، والتي تغطي بمكانة رفيعة في المجتمع الأتليسي، الأمر الذي يدل على احترام المجتمع للعاملين في الحرف والصناعات.

ج. التعصب للحرفة والاعتزاز بها

ويلاحظ أن الإلتساب للحرف والصناعات بلغ حد التعصبية للحرفة والاعتزاز بها؛ فقد حرص الأتليسيون على التمسك بصناعة الآباء ولو كُتبت حقيرة، فقالوا في أمثالهم: (صنعة والدك، ولو كان حشاشاً)، وقد يكون فيه ما يعبر عن نظرهم إلى المهنة وعدم اعتبارها^(١). وقد أشيروا إلى ما يكون من عدوة بين المشتركين في صعبة واحدة، فقالوا: (صاحب صنعتك عدوك، ولو كان أخوك)^(٢)، وهذا يدل على غرس روح التنافس بين أصحاب الصنعة الواحدة.

ومن مظاهر تمسك أهل الحرف وتوهم كوحدة في وجه المحتشب^(٣)، ومن ذلك: متعصب نيه على سوء عمل الحرفيين فتكلموا عليه بعد ذلك وأرأوا إخراجهم من سوقهم، ومنعه من التصرف فيه، وأظهروا عداً بأداء لهم، وإسراؤ بهم، وتسلطه عليهم، وأنه أهل أن يخرج من السوق^(٤). ومن مظاهر ذلك نجد أن أصحاب الحرفة الواحدة كانوا يدخلون السوق لأحدهم يبيع فيه يوماً أو يومين إذا كان محتجباً أو أراد أن يتزوج^(٥). وهذا يدل على القتال بين الحرفيين وشعورهم بالإرتباط الوثيق مع بعضهم.

ومما يؤكد تمسك أبناء الحرفة الواحدة، وتعصبهم لحرفهم واعتزازهم بها، أن أبا بكر يحيى بن محمد المعروف بـ"بالجزر المرصطي" كل يتعلطي العمل بالجريرة في

(١) ابن القليسي، درة المجال، ج ٢، ص ٥٠.

(٢) الأرجلي، أمثال العرب، ق ١، ص ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ق ١، ص ٢٤٨.

(٤) الجرسلي، في الصبغة، ص ١٢٥.

(٥) قليسي، خطة الصبغة، ص ١٢٢، رواية: (ابن سهل الأسدي).

(٦) يحيى بن عمر، أمثال السوق، ص ٧١-٧٢.

مدينة سرعطة، ثم تلقت نفسه يقول الشعر فبرع فيه وصدرت له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزرائهم، ثم ترك الأدب والشعر وعد إلى ممارسة مهنته، فأسر الحاجب ابن هود وريده لها الفصل بن حسدي الإسرائيلي^(١) لئلا يوجه على رجوعه إلى الجزيرة^(٢) فخطبته بليغات منها:

تركت الشعر من آلة الإصافية وعدت إلى التحرف بالقصافية
فأجابه الجزر بقصيدة تتكلم من واحد ومثنى بيتاً^(٣)، مدافعاً فيها عن القصافية:

تعييب علي مألوف القصافية ومن لم يدرك قدر ثنائه عليه
ولو أحكمت منها بعض فاس لما استبدلت منها بالحجابية
لعمرك لو نظرت إلي فيها وحولي من بني كلب عصابة
لهالك ما رليت وقلت هذا هزير صير الأوضام شابة^(٤).

والمتتبع للقصيدة يرى أن لها بكر الجزر يقتض في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساحر، فهو صف "مهنته أجل وصف، هي معرض المباهات، وكله يسطر ملحمة من ملحم القتال والبلد بأسلوب بلوغ، ولغة رشيقة"^(٥)، ويمدح جماعته وعصائته، وينعتهم بالفسلفة والنجابة، ويصل صناعتهم على الحجابة^(٦).

^(١) أبو الفصل، حسدي بن يوسف بن حسدي الإسرائيلي، لثم وعمل في بلاد القنطرة بس هود، (١٢٨-١٧٤هـ/ ١٠٨١-١٠٨٦م) سرعطة ابن مطروح السرقطي، روضة القلم، ص ١٥٦.

^(٢) ابن بسام، ذخيرة، ق ٢، مج ٢، ص ١٩٠٥ ابن مطروح السرقطي، روضة القلم، ص ١٢، ١٥٦ ابن سعد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٤٥.

^(٣) للإطلاع على القصيدة انظر: ابن مطروح السرقطي، روضة القلم، ص ١٥٦-١٦٣.

^(٤) ابن مطروح السرقطي، روضة القلم، ص ١٥٦.

^(٥) المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢.

^(٦) ابن مطروح السرقطي، روضة القلم، ص ١٦٤.

وفي محاضرة جرت بينه وبين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن البرجي^(٢) (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م)، على إثر خصومه وقعت بينهما، برى الجزر السرسطي ينكر مجلس القسيلة معتزاً بها على القرية، وينكر مثالب الفرقين، لأن أبا أبي الحسن البرجي كان فراء يتجر في القراء^(٣)، واتخذ الجزر من هذه الخصومة ذريعة للسخرية من الفرقين، واكتشف عن عوراتهم، وترصد معاليهم، وتولى ذلك في قصيدة ميمية، حيث بحثنا حديث العارف الكبير وهو ليس بعيد عن مهة الفرقين، فيذكر أساليب العن والفتليس التي يلجأون إليها، ويتهمم بالفتليس في إتياع قراء، وأنها ليست ذات جدوى في دفع غائلة البرد أو شدة الحر، وراحتها كربة لا تطلق. ويصل القول في أساليب بيعها وشراؤها، إذ تخرج إلى صروب محرمة تقوم على أسس الاستغلال يلجأ إليها القراءون^(٤). ويتجاور الأمر لدى الجزر هذا، حيث يجعل معظم ذوي المهن عالة عليه وتبعا له، إذ يقول: "هذه جعلنا الله سبباً لمعاش ألم كثيرة، وجعلكم مشاركين مع القباب والكلاب بافتلاككم إيلنا، ومطالب معاشكم عندما، فمن أقوى أساليب هذا الزرق، لأكثر هذا الحلق"^(٥) وينكر هنا أكثر من عسره في قصيدة من تسعة أبيات يقول فيها:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| لهمهم الكرائس والملاخ | إلهمهم القسطنطين والطنباخ |
| والصنع المسكوب والجلاد | ودبيع الجلود والحديد |
| فهمهم السروان والبلاني | ثم القتي المدعو بالسراج |
| ومهمهم السروان والزرقي | يلوهم الرقراق والقواق |
| وبائع الأحطاف والخفاف | وبعدهم الكتار والنفاف |
| ومهمهم القسطنطين والحارث | قيهم القربال والشنفال |
| وصانع الأوسل للعبدان | يبين مثالبات إلىسى مثالبسى |
| وصانع المصحف والنفاء | ثم بعثها القفه الفراء |
| ثم الكلاب الكثر والدياب | لامين في قسولي ولا لرتياب |

(٢) أبو الحسن علي بن البرجي نسبة إلى برجه من أصل سوسطية، وكان البرجي لهوا ولها، ورواية الحديث، يصدر للكواء بمدينة سوسطية، وتوفي بوادي لاش. المصدر نفسه، ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه، ١٧، ١٨، ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣، ١٠٦، ١١٧، ١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٢-١١٤.

ويقول للفراء كهللاه أقباعنا، حاشى من لم ننكره، فمن أقباعكم، يابغث القورى،
وانسبغت القرى^(١).

ج. أعداد العاملين في الحرف والصناعات

لا نرصدنا المصادر بمعلومات وافرة عن أعداد العاملين في الحرف والصناعات،
ولكن ما تزودنا به قد يربط شيئاً من غموض هذا الموضوع، فقد نُقِرَ عدد اثنين يعملون
يوميّاً في بناء مدينة الزهراء (٣٢٥-٣٥٠هـ / ٩٣٦-٩٦١م) بمشقة آلاف رجل^(٢)، كما
كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق القطعة كل يوم ألف نسمة، منهم ثلاثمائة
بناء، ومائتا نجار، وخمسمائة من الأجراء وسقّر أهل الصنائع^(٣)، وذكر النويري
(ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أنه كان يعمل يوميّاً في بناء الزهراء ألف رجل من الهندس^(٤)
وكان عند عمل القسيح والهيكل في مدينة قرطبة بقدر ثلاثة عشر ألفاً^(٥)، وكان عدد
العاملين في استخراج الفزنيق من حصى أبل يربد على ألف شخص^(٦).

ومما يدل على كثرة أعداد العاملين في الحرف والصناعات، وبخاصة في قسور
الربع الهجري / العاشر الميلادي، أن الطبعة عيد الرحمن القاصد قد لُومل نسي سنة
(٣٢٤هـ / ٩٣٥م) ' محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه، مع ثلاثين بناء
وعشرة من النجارين، وخمسة عشر من الحفارين، وستة من الجيارين المصنّين لعمل
قجور، وستة من الأشايرين لأشتر الخشب، ورجلين من الحدادين، ورجلين من
الحصانين، شخبروا من حذاق طبقتهم ' إلى المغرب لمساعدة خليفة موسى بن أبي
الغالية في إقامة بعض المنشآت الدفاعية^(٧).

(١) ابن مطروح السرخسي، روضة المجالس، ص ١١٤-١١٥.

(٢) القفري، نفع الطبيب، مج ١، ص ٥٦٦.

(٣) القفري، نفع الطبيب، مج ١، ص ٥٦٤. روية: (ابن القزويني) انظر كذلك القفري، أرسلت القريش، ج ٢، ص ٦٦٥.

(٤) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١١٦. روية: (ابن الفريق).

(٥) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٥٣، انظر مصطفى، الأندلس، ص ٦٦.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٨١ انظر كذلك: القصور، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠.

(٧) ابن حبل، المختار، ج ٥، ص ٣٨٧-٣٨٨ روية: (ابن حبل).

كما نستطيع أن نتبين أعداد الطبقة العاملة من عدد الأسواق والحوافيت التي كان يحمل الحرفيون فيها^(١)، فقد كانت الحوافيت منتشرة على نطاق واسع بين المدن الأندلسية، فحيثما سار المسافر " يجد الحوافيت في الطرقات والشمالي والأودية ورؤوس الجبال لبيع الحبز وفولكه والجبن والقمح والحب وغير ذلك من صروب الأطعمة^(٢)، وذكر أن عدد الحوافيت في مدينة قرطبة لوحدها بلغت (٨٠٤٥٥) حقوناً^(٣)، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومهما تكن المبالغة في هذه الأرقام، فإنها تدل على سعة الطبقة العاملة، وكثرة الصناعات في المجتمع الأندلسي.

د. أجور العاملين في الحرف والصناعات

لما معلوماتنا عن أجور العاملين في الحرف والصناعات فتكاد تكون نادرة، ومع ذلك تزودنا المصادر بمعلومات يمكن أن نستنتج منها أن أجرة العاملين في بناء مدينة قرطبة كانت تتراوح بين درهم ونصف ودرهمين وثلاثة دراهم في اليوم^(٤). وكانت أجرة الرخامين في عهد الحليفة الناصر تتراوح بين ثلاثة وثمانية وعشرة دنانير، وذلك عن كل رحامة أو سارية يجعلونها في مدينة قرطبة، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على قطعها ونقلها ومونة حملها^(٥). وكانت المسابير في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تسمح بالحجم مختلفة وأوزان متنوعة، فمثلاً مسبار ربع رطل كان يأكل " من القمح عدلاً واحداً فحماً، وأجرة الضرابين عليه والكبار ثلاثة دراهم، وأجرة المعلم على عمله درهماً^(٦) إما العاملون في إنتاج الخمر فكانت أجورهم متفاوتة، فالعجّان كل يتقاضى نصف درهم، والرفاد ثلاثة أثمانى قدرهم، والوقاف نصف درهم^(٧)

(١) القنطري، الأندلس في العصر العباسي، ص ٨٨.

(٢) القنطري، تلح الطوب، مج ١، ص ٢٢٦.

(٣) القنطري، تلح الطوب، مج ١، ص ٥٤١.

(٤) القنطري، تلح الطوب، مج ١، ص ٥٢٦.

(٥) ابن عذاري، القيل القزب، ج ٢، ص ١٢٢٦ القنطري، تلح الطوب، مج ١، ص ٥٢٧.

(٦) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٧١-٧٢.

(٧) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٢٨.

وكان كَيْفَ الحُلَّة يتقاضى ثمن درهم على القفيز الواحد^(١).

ويبدو مما تقدم أن وضع الصناع بصورة عامة لم يكن جيداً، إذ كانت أجورهم قليلة، ومساوهم المعوشي متدنياً، ويؤكد ذلك ابن حوقل (ت-٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، الذي أشار إلى الأسواق الأندلسية، ووضع العاملين بها، فقال: "وال سوق بها يصير إليه أهله إلا على الفلوة من المركوب، ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا أهل الصنائع والأرامل"^(٢).

هـ لباس أهل الحرف

ولما لبس أهل الحرف فتحول فئة المعلومات دون تقديم أية تفاصيل عنه وإنما وردت بعض الإشارات التي تؤكد أنه كان لكل عمل ثوب ولكل مهنة زي^(٣) خاص بها، وأن أهل الصناعات لم يكونوا يتميزون بلبس مختلف فحسب بل إن أهل الصلعة الواحدة قد يتميزون بلبس مختلف من منطقة إلى أخرى، فقد أشار ابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) إلى أن لباس ريفي قرطبة يختلف عن لباس ريفي إشبيلية^(٤).

^(١) كل القفيز يسوي سقير وملا، المقدسي، أصغر القشور، ص ٢٤٠، ابن عبدون، في القضاء والقضية، ص ٤١.

^(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ٩-١٠.

^(٣) ابن الصطوب، الإحاطة ص ٣ ص ٢٤.

^(٤) ابن صاحب الصلاة، لبس بالإمامة ص ١٦٧، ابن موسى، فتشلت الإقتصاد ص ٢١٦.

الفصل الثالث

علاقة الدولة بأصحاب الحرف والصناعات

أ. تنظيم الأسواق على أساس التخصص الحرفي.

اهتم الأنجليون منذ وقت مبكر بأهل الحرف والمهن، وحرصوا على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم^(١)، وقد اشتهرت مدن الأندلس في العصر الإسلامي بأزدهارها متاجرها وكثرة أسواقها المتخصصة^(٢). وكانت هذه الأسواق تقام بجوار المسجد الجامع، إذ يعتبر هذا المكان هو مركز الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية^(٣).

ولقد تميزت مدينة قرطبة في العصر الأموي بتعدد أسواقها وتخصصها، حيث نجد لأهل كل حرفة سوقا خاصة بهم، فهناك سوق للتقنيين والحصانين^(٤) والكتانيين^(٥)، وسوق للمشايخ والخرائطين^(٦) والصوافيين والمطربين والحرارين* والثقلين*^(٧) والبزازين، والصرافيين والخبازين وقفازيين^(٨)، والخبائطين^(٩) والسراريين^(١٠)، والحشائين والجزائريين والعتاريين^(١١).

^(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٩٦، ابن عذاري، قبول المغرب، ج ٤، ص ٥٧، ١٠٧.

^(٢) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٦١٧.

^(٣) ديمي بروفيسال، سلسلة معاصرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شبيوة، المنظمة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١، ص ٩٨، سوشل إيه فيما بعد: بروفيسال، سلسلة معاصرات: سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢١٩.

^(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١.

^(٥) قلصبي حوسن، ترتيب المدرك، ج ٣، ص ٤٦٤، روية: (قروي).

* فشاك: صاحب المنطق من فزون القتر وقفاش، سوق المشايخ شيوة، (سنة)، أسماء الحرف المعروفة في مدينة قرطبة، ص ١٢٧.

^(٦) ابن حويل، التقريب، ج ٥، ص ١٤٤.

* حرار: بائع خيوط الحرير في سوق الحرارين والحرار. أيضا بائع قلاب الحريرية في الطراز. وقسم الحرار، رمانة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة قرطبة، ص ١٠٨.

^(٧) ابن حويل، التقريب، ج ٥، ص ٣٨٣.

* وثقفة: قسم معروفة من قلاب السجبة المستطيلة وقجمع شقق وثق. وثقفة: جلس من قلاب. قرطبة، منظور، أسان القرب، ج ١، ص ١٨٤.

^(٨) ابن الخطار، فونطق والسجلات، ص ٩٢.

^(٩) ابن القزويني، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠٨.

^(١٠) ابن حويل، التقريب في أخبار بلاد الأندلس، ص ١٢٠٦، ابن عذاري، قبول المغرب، ج ٤، ص ٢٤٩.

^(١١) ابن عذاري، قبول المغرب، ج ٤، ص ٥٦-٥٧.

وكانت هنالك سوق للحديد^(١)، وسوق للتواب^(٢)، ووجدت في قرطبة سوق خاصة للعلم والشراب، إذ تخصص أهلها في المطاعم والمشرب^(٣).
 واهتم الخلفاء الأمويون بتنظيم الأسواق وترتيبها على أسس التخصص الحرفي. ففي سنة (٣٤٣هـ/٩٥٤م) أنشأ الخليفة عبد الرحمن قنصر داراً لصناعة السقي في مدينة المرية، وجعلها قسمين، قسماً للمركب الحربية والآلة والعدة، وقسماً للقيصرية. وفي هذا الأخير نظم حواري الصناع على أسس التخصص، فقد رتب كل صناعة معها حسب ما يشكل لها^(٤).

وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) كلف الخليفة للحكم المستنصر "مصلح الشرطة والسوق" أحمد بن نصر بنقل البرد التي يجري قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمى إلى دار الزوامل* التي بالمصارة طرف قرطبة وأمره بإقامة حواري للبراريين بدور البرد التي تم إعادتها لينصح بهم سوقهم وتتوسع صناعتهم^(٥). كما أمر بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقتها عن محرق الناس وإدخالهم فيها، وهذا الحواريات المتحفة لمرضاها المضيق لسيبها، كما يفتح الطريق ولا يضيق بالوردتين والصادرين نظراً منه لكافة المسلمين واهتبالاً بمصلحهم^(٦).

وفي سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) حبس الحكم المستنصر حواري السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين^(٧).
 وأقيمت الأسواق المتخصصة في المدن الأندلسية في عهدي المرابطون والموحدين، ويبدو أنها كانت أكثر تنظيماً من سابقتها، إذ كان من واجبات المحتسب في

^(١) القاضي عباس، ترتيب المدن، ج ٢، ص ٤١٩.

^(٢) ابن خلدون، ثلاثة الخزان، ج ٢، ص ٤٤٤.

^(٣) الأبريسي، روضة المشتاق، ج ٥، ص ١٥٧٥ في فضل الله العربي، سلك الأبحار، مع، ج ٢، ص ٣٧.

^(٤) الحزري، ترصيع الأبحار، ص ٨٦.

* فراس من تواب: الذي كلفه بقطع في سور من شاطئه القابلة ترمل في مئبها وجدها زمالاً، إذ ريشها لتتأمل طي ريشها بغيا وتشاطأ، ابن منظور، لسان العرب، مع ١١، ص ٢٠٩، والمقصود بدور فروامل فيما يبدو أنها دار للتواب المشيرة بسرعة العدو، وتكون خلسة بالسلطان وحاشيته.

^(٥) ابن حبان، المحتسب في أخبار بلد الأندلس، ص ٦٦.

^(٦) ابن حبان، المحتسب في أخبار بلد الأندلس، ص ٧٠-٧١.

^(٧) ابن حبان، المحتسب في أخبار بلد الأندلس، ص ٢٠٦، ابن حذري، قبيل المغرب، ج ٢، ص ٢٤٩.

هذه الفترة أن تتركب الصناعات، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع مطومة^(١). ولعل أفضل ما يمثل ذلك مدينتا إشبيلية ومالقة.

ففي مدينة إشبيلية وجدت أسواق متخصصة، كان من بينها سوق الزجاجيين، والفخاريين^(٢)، وجواريث الطبلحين والقلاتيين، والسعاليين، والهراسيين، والخبازين والحراريين^(٣)، وسوق القصارين واللبادين، والقرقرين، والعصباغين، والقرقرين، والحشائين^(٤)، وسوق المغالطين* والتجارين والصرفيين والكمادين* والصغار^(٥).

وكانت أغلب هذه الأسواق مقامة بجوار المسجد الجامع المعروف باسم 'جامع ابن عبدس' واستمرت على ذلك حتى عهد الأمير الموحد ذي أبي يوسف يفضوب المنصور (٥٨٠-٥٩٢هـ/١١٨٤-١١٩٥ م) الذي استحدث بناء المسجد الجامع في إشبيلية^(٦)، ثم أمر في سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥ م) بهدم الدنار والحواريث والغلوق التي كانت تحيط بساحة المسجد، كما أمر ببناء الأسواق والحواريث وإعادة ترتيبها وتنظيمها، فاستبقت على أحسن وجه، وجعل لها أربعة أبواب كبار تحيط بها من جوانبها الأربعة، فلما كمل بنائها بحواريثها، نقلت إليها أسواق العطاريين، والخبازين والحواليطين، وتزاحم الناس باعتبارهم في المزايدة في كراتها^(٧) وهذا يدل على أن أمراء الموحدين كانوا يعتنون بالأسواق، فيشيدونها على نعمة الدولة، ويوزعونها للتجار والصناع بالمزايدة.

(١) ابن خلدون، في القضاء والقصة، ص ٤٣.

(٢) المسجر نفسه، ص ٤٢.

(٣) المسجر نفسه، ص ٤٥، ٤٨، ٥٥.

(٤) المسجر نفسه، ص ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٠.

• انقطاع يظل على محترف اعداد محلات القرسل من سراج ولجام وركاب. وهناك سوق الفخاريين، ما زالت بها بقايا هذه الحرفة. ومما، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص ١١٥.

• والكند والكندة: نسيج القز والحرير صغلا، وبقاه قرد. وكند لونه إذا تغير، وكندة: تغير اللون. يقال كند القصار والقصار القرب إذا لم يلقه. وكند القصار القرب إذا لظف، وهو كند القرب. ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٥) ابن خلدون، في القضاء والقصة، ص ١٥، ٨٥.

(٦) ابن صاحب الصلابة، الفن بالإقامة، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلابة، الفن بالإقامة، ص ٣٩٦؛ سلم على ترويح وحاضرة الإسلام في الأندلس، ص ٢١٨.

لما مدينة ملاقة فقد روعي التخصص الحرفي في تنظيم أسواقها. فقد كان فيها أسواق كثيرة متخصصة في الرض والندبة^(١)، ومن جملة ذلك سوق الخبائطين، والقصارين والرفاقين والطرازين والقطنين والحصارين والقرافين^(٢) والقيادين والحدادين وفشارين والحناسين والفحاريين والراجاجيين^(٣) والخبازين، والطحافين^(٤) والمطارين والصيفلة^(٥). وكل في ملاقة سوق خاصة لصل الخوص من الأطباق وما في معناها^(٦)، وسوق متخصصة بعمل صنائع الجلد، وسوق مختصة بعمل صنائع الحديد، كالسكين والمقص ونحوهما^(٧). وفي أطراف مدينة ملاقة نجد أسواق الصباغين والندباغين والخبازين والجباصين^(٨) إذ كانت هذه الأسواق تقام في العادة خارج أسواق المدن نظرا لروائح الكريهة من جهة، ولاعتبار المكان القصيح من جهة أخرى.

ومن أسواق ملاقة المتخصصة، سوق العزل^(٩)، وسوق الجزارين وبساتني اللحم وأنواع المخلوقات^(١٠). وقد بلغ تنظيم الأسواق في مدينة ملاقة درجة كبيرة من الإتقان والرقى، حتى أن التخصص الحرفي يبدو بيسر لأصحاب الحرفة الواحدة، إذ نرى المتصعب يأمر بائعي اللحم بأن لا يبيع أحد منهم لحم ماعز وضأن في حاويات واحدة، ولا في حاويات بين حاويتين، وإنما جعل لكل نوع من ذلك حاويات تخصصه، وتعلم به متصلة عن غيرها، وأمر بتاتع لحم العز أن يفتح جلد عز ويطلق بأول الحاويات المعدة لبيع العز^(١١) ويحرص المتصعب من ذلك حماية المستهلك من غشهم وتكليسهم، كما نرى.

(١) المصري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٨.

(٢) السطري، في أدب الصبة، ص ٦٣-٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥، ٦٧، ٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩-٣٢، ٢٦، ٢٧-٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٦) القفندي، صبح الأعشى ج ٥، ص ٢١٦، روية: (إبراهيم).

(٧) القفندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢، روية: (مسك الأسرار).

(٨) السطري، في أدب الصبة، ص ٦٣-٦٤.

(٩) ابن الخليل، الإحاطة، مج ١، ص ٢٣٣.

(١٠) السطري، في أدب الصبة، ص ٢٧-٤٠.

(١١) السطري، في أدب الصبة، ص ٣٤.

ولستمر الاهتمام بمراعاة التخصص الحرفي في تنظيم أسواق المدن الأندلسية، ويبدو ذلك واضحا في عهد دولة بني الأحمر، إذ نجد أن مدينة غرناطة كغيرها من المدن الأندلسية الأخرى، تزخر بالأسواق المتخصصة، فكان بها لأهل كل حرفة محل خاص في السوق، من مثل حوqيت الصاغة وقرقرقن والحدادين^(١) والصلارين^(٢). ومحل صناع وتجار المواد الغذائية، من جزررقن ومسلكن وطباخين وشوافقن وقلانقن^(٣). وكان بها أيضا محل أهل الحرف الذين يصنعون الأتية والأدوات تحت أعين ميثاعبها، مثل تجار المصنوعات الحديدية، وتجار المصنوعات النحاسية وتجار طقموم الحبل، وتجار السروج^(٤)، إضافة إلى ما كان بها من حوqيت القفسارين^(٥) والذهبائين والطلوبين^(٦).

جـ. الأسواق الجامعة

وإلى جانب الأسواق المتخصصة، وجدت في المدن الأندلسية الأسواق جامعة لكل صناعة ومتجر^(٧) يباع فيها مختلف أنواع البضائع والسلع، ونجد مثل هذه الأسواق في مدينة طرطوشة^(٨)، ومالقة^(٩)، وجبلن^(١٠)، ولورقنة^(١١) وبسطة^(١٢) والجزيرة الخضراء^(١٣).

[١] المؤلف مجهول، نبداء العصر، ص ٤٤.

[٢] ابن القطيب، الإحاطة، مج ٢، ص ٢٨٦ القلتندي، صبح الأعشى، ج ٥، شعري، نفع الطوبى، ص ٢، ص ١٩٤.

[٣] بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٦٦.

[٤] المرجع نفسه، ص ٦٦.

[٥] ابن القطيب، الإحاطة، مج ١، ص ١٢٧، ١٢٧، ٢٠٠، ٢٠١، المؤلف مجهول، نبداء العصر، ص ١١٨.

[٦] القلتندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٠٢، روية "مسلك الأصول".

[٧] العموري، صفاء جزيرة الأندلس، ص ١٢٤، ١٦٢.

[٨] المصدر نفسه، ص ١٢٤.

[٩] المصدر نفسه، ص ١٢٨.

[١٠] العموري، فروض المظفر، ص ١٨٣.

[١١] العموري، صفاء جزيرة الأندلس، ص ١٧٢.

[١٢] العموري، نزعة المشتاق، ج ٥، ص ٥٦٨.

[١٣] العموري، فروض المظفر، ص ٢٢٢.

كما وجدت أسواق أسبوعية جامعة، عرف باسم لادي تعد فيه، ومثال ذلك سوق الثلاثاء في مدينة شوبر^(١) وسوق الخميس في مدينة قرمونة^(٢)، وسوق الخميس في مدينة خيرة^(٣) وسوق الخميس في غرنطة^(٤) ويبدو أن الدولة اهتمت بتنظيم هذه الأسواق الجمعة، حتى يتمكن التجار والصناع من بيع بضائعهم ومنتجاتهم وحتى يقوم المستهلك بشراء كل ما يحتاجه من هذه الأسواق، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الإنتاج، ويساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية في البلد.

وتميزت الأندلس بصورة عامة بكثرة أسواقها المنتشرة بين المدن لتزويد المسافرين بما يحتاجون إليه من ضروريات الأطعمة، فقد ذكر القزويني أن من بركة الأندلس أنه لا يمشي الإنسان عرسفين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والرطب في الحواقيت على طول سفره^(٥)، وذكر القزويني في رواية أخرى أن المسافر 'حيثما سار من الأقطار يجد الحواقيت في الفلوات والشعاري والأودية ورووس الجبال، لبيع الخبز والفاكهة واللحم والحبوت وغير ذلك'^(٦).

ويلاحظ مما تقدم اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها وترتيبها على أساس التخصص الحرفي، بهدف تسهيل عملية الرقابة والإشراف فيما يبدو، وربما كانت الدولة تهدف إلى إثارة روح التنافس بين أصحاب الحرفة الواحدة، حتى تضمن الجودة في الصناعة كما يبدو أن الحرفيين أنفسهم كانوا يحرصون على أن يتجمع أهل كل حرفة منهم في سوق خاصة بهم، لأن هذا يقوي الرابطة بينهم ويريد من تلمسكم وتعاوسهم وتكتلمهم.

(١) القسيري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٣) القسيري، القروض السطوح، ص ٤٥٢.

(٤) وثائق عربية غرنطية، ص ٣٤.

(٥) القزويني، الجغرافية، ص ٨٠.

(٦) القزويني، فتح الطوب، مج ١، ص ٢٢٦.

ج. التنظيمات الحرفية

كان الحرفيون في الأندلس يتجمعون في أحياء وأماكن خاصة بهم، تحمل أسماء صناعتهم، كرياض الفرقين وريص حوافيت الفريحتي، وباب الطلارين في قرطبة^(١)، وريص الفخارين، وباب التباغين، وباب الفخارين في غرناطة^(٢). وصا يؤكد تجمع أهل الحرف وتكثفهم في أحياء خاصة وجود بعض المساجد تحمل أسماء حرفهم وصناعاتهم مثل مسجد الصباغين، ومسجد التيقين^(٣)، ومسجد الفخارين^(٤) في إشبيلية، ومسجد الجرارين في سرقطة^(٥)، ومسجد الجرارين في الجزيرة الخضراء^(٦). ولأن دل هذا على شيء فإما يدل على مظهر من مظاهر التنظيمات الحرفية في الأندلس، حيث كل لأهل كل طائفة أو جماعة حرفية سوق خاصة بهم، كما كان لهم أحياء خاصة يتجمعون فيها.

ومن مظاهر تنظيمات الحرفيين أن أهل كل صناعة كانوا يتحدون يوم الجمعة منذرا بسمعهم التذكير إذا كبر الإمام وكان أهل الأسواق عامة، يرتبون منبرا يشعروهم بأداء الظهر والمصر في كل يوم وكانوا يجتمعوا له كل يوم جمعة شيئا يستعين به في معيشتهم، يجبرهم على ذلك القاضي والمحتسب^(٧).

لما المقصود بالتنظيم الحرفي، يرى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بأنه ممارسة نظامية، تقوم بتنظيم الحرفة وحفظ أسرارها وتثبيت أسعار عائلتها للمنتجات الصناعية والحفاظ على مستوى الصناعة البشرية^(٨). ويرى بروفسال أن أساسها عقد تأسيس يحدده العرف، ويسلم به الدافلون في الجماعة، ويقسمون على احترامه^(٩). وقد استعملت مصطلحات متنوعة للدلالة على التنظيمات الحرفية في المجتمع الأندلسي.

(١) ابن الخطيب، أصل الأعمال، ص ١٢، مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص ١٦٨.

(٢) القفندي، صبح الأعيان، ج ٥، ص ٢٠٧، رواية: (مسك الأبلر).

(٣) الفريحتي، دليل والتكلمة، ص ٥، ق ١، ص ٤٢، ٢٠٦.

(٤) ابن عيرون، في القضاء والقضاء، ص ٦٦.

(٥) ابن الأبلر، فتكملة لكتاب المسلك، ج ١، ص ٢٩٦.

(٦) ابن الأبلر، فتكملة لكتاب المسلك، ج ٢، ص ٨٧٩.

(٧) ابن عيرون، في القضاء والقضاء، ص ٢٢.

(٨) تشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ٦٩.

(٩) بروفسال، سلسلة محاضرات ص ١٨٩، تشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ٦٩.

فكان يشار لأهل الحرف بأهل الصنعة^(١) وأصحاب الصناعات^(٢) والحرف الصنعة^(٣) وأصحاب الصناعات والمهن^(٤) وأهل الصناعات والمهن^(٥) وأهل الحرف والصنعة^(٦) وأهل الصنعة والحرف^(٧).

كما كان يشار إليهم بالأصناف * فهذا السطلي يقول عن دبحي الجرور وبقي القمم وأنواع المطبوعات أنهم: "أصناف ولكل صنف منهم نوع يخصه وطريق يجري عليها"^(٨) وذكر ابن صاحب الصلاة أنه اجتمع في مدينة إشبيلية سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١ م) "من أصناف التجارين والتجارين والقطعة لأصناف البناء أعداد، من كل صنف صناع مهرة في كل فن من الأعمال أفراد للمشاركة في بناء "الجامع الكبير"^(٩).

كما اجتمع في مدينة شربش سنة (٦٨٤هـ/ ١١٨٨ م) "جميع أصناف الصنائع والتجارة، فأخبر من تفقد أسواقها أنه رأى فيها أصناف الصنائع بكل ما تلبس بصداسته ولحرف بحرفته"^(١٠). وكان يشار إليهم أيضاً بـ"الطوائف"^(١١) فقد ذكر أن الموحدين حين شرعوا في تجليد (تسوير) المصنف الضماني حضروا "له الصنائع المتقنين والمهرة المتقنين... فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ١٠٩، القفري، تلح الطيب، مج ٣، ص ١٥٢.

(٢) ابن حبان، المحقق في أخبار بلاد الأندلس، ص ٢٠، ٤٩.

(٣) السطلي، في أدب الصبيان، ص ٩.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسلك الألبار، مج ٥، ج ٥، ص ١٢.

(٥) ابن خلدون، المقدمات، ج ٢، ص ١٢.

(٦) السجدي، التيسير في أحكام التسوير، ص ١٥٥، المتكفي، الإكسير، ص ٨٣.

(٧) المتكفي، الإكسير، ص ١٦١.

* صنف، الصنف والصنف، فروع من فئته، والجوع أصناف وصنوف، والصنف طائفة من كل شيء، وكل ضرب من الانتهاء صنف على حد. ابن منظور، لسان العرب، مج ٩، ص ١٩٨-١٩٩.

(٨) السطلي، في أدب الصبيان، ص ٢٢.

(٩) ابن صاحب الصلاة، الفن بالإقامة، ص ٢٨٢-٢٨٤.

(١٠) ابن أبي زرع، الألباس المطربة، ص ٣٥٢.

(١١) يروى في نسخة من مخطوطات، ص ١٨٩، ساق، قرطبة حاضرة الخلافة، ص ١٢١.

والنظاميين والعلائين والنفائين والعرضيين والتجارين والقزوين والرسامين والمجلدين وعرفاء القبايل^(١٠).

وستدل من ذلك على أن أهل كل حرفة كانت تجمعهم طائفة واحدة مستقلة عن غيرها، لها أصولها ونظمها الخاصة بها. وقد جعل كل رأس كل طائفة منها رئيس من أهلها يسمى "الأمين"^(١١) فكان هناك أمين للطيارين^(١٢)، وأمين للجرارين^(١٣)، وأمين للوزنيين، وأمين لسوق الدواب^(١٤)، وأمين لسوق الفرل^(١٥)، وأمين لدار الطراز^(١٦). وقد أكد المحتسب على ضرورة أن يكون في كل صناعة أمين^(١٧).

ويشترط في الأمين أن يكون عارفا بصنعة خبيرا بالجد والبردي من حرفته مشهورا بالثقة والأمانة^(١٨). ولهذا كان ينتخب بقتراح يقدم للمحتسب، إذ جرت العادة أن يكون تعيينه من قبل القاضي أو المحتسب^(١٩). وكان من أهم واجباته أن يحل الخلافات التي تقوم بين أهل الحرف وعملاتهم وأن يبلغ المحتسب مطالب الجماعة فيما يخص تقدير تكاليف السلمة وتحديد ثمن بيعها^(٢٠)، كما كان يرجع إليه عند الاختلاف في أسعار من لمور الحرفة^(٢١)، وربما يقوم بدور المقدم لأهل صنعته، فيطعمهم طرقها ومسندها إذا تقتضت الضرورة ذلك^(٢٢) ومن واجباته منع الغش والتكليس بين أهل حرفته ومراقبة

^(١٠) المقري، فتح الطيب، مج ١، ص ٦١١. رواية أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طعلج.

^(١١) حسين مؤنس، فجر الأئمة، دراسة في تاريخ الأئمة من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، ط ٢، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٥م، ص ١٦١، يشير لهذا المرجع فيما بعد. مؤنس، فجر الأئمة.

^(١٢) ابن القطيب، أصل الأعلام، ص ١٣٤. ابن القطيب، الإسطلة، مج ٢، ص ١٢٨٧. المقري، فتح الطيب، مج ٢، ص ١٩٤.

^(١٣) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ١٤٤. ابن عبد الرؤوف، في أدب القصة، ص ٩٢.

^(١٤) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٣٩-٤٠، ٥٣.

^(١٥) ابن سعد، المغرب في علي المغرب، ج ١، ص ١٨٥.

^(١٦) ابن حبان، شمس في أمير بك الأئمة، ص ٩١-٩٢.

^(١٧) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٣.

^(١٨) السجستاني، تفسير في أحكام التفسير، ص ٥٥-٥٦.

^(١٩) بروكس، سلسلة محاضرات، ص ١٨٩. عن ابن موسى، الفسطاط الاقتصادي، ص ٢١٦.

^(٢٠) بروكس، سلسلة محاضرات، ص ١٨٩. فتوحي، الأسلاف في العصر العباسي، ص ١٦٩.

^(٢١) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٣.

^(٢٢) ابن عبد الرؤوف، في أدب القصة، ص ٩٢.

الثقة والجودة في الصناعة، فكل يحتفظ بتماذج من المصنوعات الجيدة يرجع إليها عند الضرورة، وكل لديه طابع خاص يختم به على المنتجات الصناعية بعد التأكد من دقة صنعها ومطابقتها للمقاييس والمواصفات المتعارف عليها بين الصناع^(١).

وإلى جانب الأمن نجد في التنظيم الحرفي في الأندلس رتبة "العريف" ويكون في العادة من الأستاذ المهرة في الصناعة^(٢)، ويختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصناع^(٣)، ويشترط فيه أن يكون قتيها عالما حرا، مشهورا بالثقة والأمانة والفكر، وأن يكون حادًا منقادًا لصنعتة عارفا بصيرا بأسرارها^(٤).

وقد كان لأهل كل صناعة عريف من صلاح أهلها^(٥)، بعينه القاضي أو المحتسب^(٦)، فكل هنالك عريف للخياطين^(٧)، وعريف للجوارير وبلعي اللحم، وعريف للمطابخ، وعريف للمطازير، وعريف للميدالية^(٨)، وعريف للبلافين^(٩)، وعريف للجوارير، وعريف للجوارير^(١٠).

وكل من أهم ونجابت العريف، مراقبة أهل حرفته وتفتد أحوالهم والبحث عن أفعالهم ومعرفة أسرارهم. كما كان يكشف عن أساليب غشهم ومكرهم وتكليسهم، ويبيهم على ذلك في قصر والطر^(١١). وكان يسأروهم بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم، ويحثهم على العناية بنظافة المنتج وأوقات الإنتاج، وعلى إتقان الصعة وجودة المصنوعات^(١٢). ومن اختصاصات العريف أيضا، أن يساعد المحتسب في تنظيم طرق العمل بين أهل الأصناف^(١٣)، ولأن يقوم بحل الخلافات التي تقع بين أهل صنعه، ويحكم

^(١) ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٩-٤٠، ٥١، ٥٢، ٥٨.

^(٢) مؤسس، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٤؛ الشهابي، الأصناف في القصر القلبي، ص ١٧٠.

^(٣) الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٩.

^(٤) ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٤، ١٥٨؛ الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥.

^(٥) ابن بسام، المحرر، ج ٢، ص ١٦٦؛ ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٤.

^(٦) ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٤؛ الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٢٢، ٢٣.

^(٧) ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٦؛ ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٦.

^(٨) الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

^(٩) ابن عديم، في القضاة والقضاة، ص ٢٥، ابن صاحب الفوائد، في الأندلس، ص ٨٦، ٢٧٦، ابن

خلدون، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٦، في القضاة والقضاة، ص ٢٦٦.

^(١٠) ابن صاحب الفوائد، في الأندلس، ص ٨٥، ٨٦.

^(١١) الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

^(١٢) الشهابي، في أدب الصبغة، ص ٢٢، ٢٣.

الأصناف^(٢١)، ولن يقوم بحل الخلافات التي تقع بين أهل صنعه، ويحكم بها دون إطلاعها إلى الحكم^(٢٢)، وكان للعرف دور في تثبيت العرف الذي يتبعه أهل الصناعة. ويؤكد ابن عسرون ذلك حين يقول: يجب للقاضي أن يجعل في كل صناعة رجلاً من أهلها، فقيهاً، عالماً، خبيراً، يصلح بين الناس إذا وقع بينهم الخلاف في شيء من أمورهم، ولا يبلعون إلى الحكم...، وذلك لأن يرجعوا إلى حكمه ورأيه؛ فهو أرفق وأسرّ لاكتشافهم^(٢٣).

ويلاحظ أن التنظيم الإداري للحرف والصناعات كان في غلبة الثقة والإتقان، وهما جانب ما كان يسمى بـ "الأمين" و "العرف" نجد في كل مهنة المعلم، والمعالج، والمدرّب، والمتعلم (الصبي)^(٢٤) وقد أوجبت الدولة جهازاً خاصاً للإشراف والرقابة على الأسواق، كان يطلق عليه اسم "الحصبة"، وكان يرأسه موظف خاص يدعى "صاحب الحصبة" أو "المحتسب" وكل عليه أن يبحث عن أساليب القبض و التفتيش التي كان يمارسها أهل الحرف والصناعات المختلفة، كما سنرى.

د. الإشراف والرقابة على الأسواق

خضعت الأسواق في المجتمع الإسلامي منذ وقت مبكر للإشراف والرقابة. فقد روي عن الرسول (ص) أنه "مر بعصرة طعام فدخل يده فيها فالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام، فقال: أصابعه السماء يا رسول الله، فلما جعلته فوق الطعام كسي براء الناس، من غش ليس منا"^(٢٥). كما نجد في أحاديثه ورواياه (ص) اهتماماً واهتماماً بالأسواق^(٢٦) وقد فوض أمر الإشراف على الأسواق إلى موظف خاص، فاستعمل سعيد بن

^(٢١) ابن عسرون، في القضاء والحصبة، ص ٣٥، فتاوي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٧٠.

^(٢٢) ابن عسرون، في القضاء والحصبة، ص ٢٤.

^(٢٣) ابن عسرون، في القضاء والحصبة، ص ١٢٤ عبد العزيز الدوري، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مسائل من مجلة كلية الآداب بغداد، ج ١، حزيران، ١٩٥٩ ص ١٢، سنن أبوداود المراجع فمما بحثه الدوري، نشوء الأصناف.

^(٢٤) القسطلي، في أدب الحصبة، ٢٤ - ١٢٦ ص الذين موسى، فنشأت الاقتصاد، ص ٢١٦.

^(٢٥) القسطلي، في أدب الحصبة، ص ٤ - ٥.

^(٢٦) القسطلي، في أدب الحصبة، ص ٣ - ١٤ ابن الأخوت محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩/١٣٢٨م) معالم القرية في أحكام الحصبة، عي بنقه وتصحيحه: ربيع أبو، مطبعة دار الفنون، بيروت، ١٩٣٧م، ص ٦٥، سنن أبوداود المحدث فيما بعد، ابن الأخوت معالم القرية، القسطلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٣٩.

مسعود بن العباس بعد الفتح، على سوق مكة، واستعمل عمر بن الخطاب على سوق المدينة. كما ذكر عن سمراء بنت ميهك الأسيدي أنها أدركت الرسول (ص) وكانت تمرر بالأسواق تلمر بالمعروف، وتتهى عن المنكر بسوط معها^(١). كذلك اهتم الحلفاء الراشدون بمراقبة الأسواق، إذ أنهم كانوا " يباثرونها بأنفسهم لعموم مصلحتها، وعطوهم ثواب الله عليها"^(٢). فقد بشر الخليفة عمر بن الخطاب، أمر الإشراف والرقابة على الأسواق، فكان يتخذها بنفسه، ويراقب الموزين والمكاييل، وذكر أنه عين للمهمة نصبا امرأة نصيرية تدعى الشعاء بنت عبد الله بن عبد شمس الطوية القرشوية، وكان يقدم هذه الصحابية الجلييلة في الرأي، ولعله ولاها مهمة خاصة بشؤون النساء^(٣). كما كان يعين موظفا خاصا للإشراف على السوق، فقد جعل المنقب بن يزيد عاملا على سوق المدينة، وكذلك عبد الله بن عتبة. وعين على السوق أيضا سليمان بن أبي حنيفة، وكان من فضلاء المهاجرين^(٤).

واستمر الإشراف على الأسواق في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إذ ذكر أن الحارث ابن عباس كان عاملا على السوق يشرف على القباع والمشتري فيه، ويرعى الموزين ويأخذ العشور^(٥)، أما الخليفة علي بن أبي طالب، فكان يشرف على مجربات البيع والشراء، ويحث الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان يحرص على مراقبة الموزين والمكاييل، فقد ذكر أنه كان يطوف بسوق الكوفة ويبيد الفرة ليرى في الأورق والمكاييل الصحيحة هي التي تستخدم^(٦).

واستمرت الرقابة على الأسواق طيلة العصر الأموي، حيث يرد ذكر عامل على سوق البصرة لزيد بن أبيه^(٧). وكان للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، اهتمام بالسوق، فقد كان يمر على قبائل يسأله عن السعر الذي يبيع به، ويطلب منه أن يزيـد

^(١) قتيبي، الأصف في عصر العباسي، ص ١٢٩، قلبي، خطة الصبة، ص ٩

^(٢) قتيبي، في آداب الصبة، ص ٢.

^(٣) قتيبي، الأصف في عصر العباسي، ص ١٢٠، قلبي، خطة الصبة، ص ١٠.

^(٤) قتيبي، الأصف في عصر العباسي، ١٤٠، قلبي، خطة الصبة، ص ١٠.

^(٥) قتيبي، الأصف في عصر العباسي، ص ١١٠، قلبي، خطة الصبة، ص ١٠.

^(٦) قلبي، خطة الصبة، ص ٦٠ - ٦١.

^(٧) تولى البصرة سنة ٦٤٥هـ/٦٥٥م. قنوري، نشوء الأصف والحرف، ص ١٩، قتيبي، الأصف في عصر العباسي، ص ١٤١.

في الورق، وكل قد عين ابن حرمة وهو مولى لعثمان بن عفان عملاً على سوق المدينة^(٢١). وتولى مهدي بن عبد الرحمن وإلياس بن معاوية على التعاقب وظيفة التعامل على السوق في وسط زمن ابن هبيرة^(٢٢) (١٢٩ هـ/٧٤٦-٧٤٩).

ومما تقدم يتضح لنا أن الرقابة على الأسواق وجدت منذ صدر الإسلام، واستمرت خلال العصر الأموي، وقد أطلق على الموظف الذي يشرف على الأسواق اسم "عامل على السوق"، وجعلت من مهامه: مراقبة الأوزان والمكاييل، وجبلة بعض الضرائب التي فرضت على الأسواق. ويبدو أن هذه الوظيفة كانت لقوة لوظيفة المشتب في المجتمع الإسلامي^(٢٣).

ولنبدأ أول إشارة صريحة إلى الحصة من زمن المصور العباسي، فقد كان عاصم ابن سليمان الأحوال محتسباً على المكاييل والأوزان في الكوفة، كما كان لسهلا الخليفة محتسب ببغداد، يدعى ثابراً ركبياً بن عبد الله، وذلك سنة (١٥٧ هـ/٧٧٣ م)^(٢٤).

أما في الأندلس، فقد كان يتولى أمر الرقابة والإشراف على الأسواق موظف خاص يدعى "مصلح السوق"^(٢٥) وكان يعرف بمصاحب الحصة، لأن أكثر بطرء إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة وتغذد مكاييل وميزان وشبهه^(٢٦). ولقد عرفت خطته باسم "ولاية السوق"^(٢٧) أو "الحكام السوق"^(٢٨)، ثم أصبح يقال لها "ولاية الحصة"^(٢٩)، وأحياناً خطة الإحتساب^(٣٠). ويبدو أن اسم الحصة لم يكن شائعاً في الأندلس قبل القرن

(٢١) قتيبي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤٦.

(٢٢) الدورى، نشوء الأصناف والعرف، ص ٦.

(٢٣) الدورى، نشوء الأصناف والعرف، ص ٦-١٧ قتيبي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١١١.

١٤٢

(٢٤) الدورى، نشوء الأصناف والعرف، ص ١٧ قتيبي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٣٤.

(٢٥) ابن جابر، المقنن من أخبار أهل الأندلس، ص ١٥٤٨ قوشريسي، المعيار المغرب ج ١٠، ص ١٧٧.

قلسي، خطة الحصة، ص ١٣٥، ١٣٧-١٣٨، رواية (ابن سهل).

(٢٦) قوشريسي، المعيار المغرب، ج ١٠، ص ٧٧، رواية (ابن سهل).

(٢٧) ابن جابر، المقنن، ج ٥، ص ١١٠٢ ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ١٢٠٨ ابن سعيد، المغرب في حلى

المغرب، ج ١، ص ٤٦.

(٢٨) ابن بشكوال، الصلة، ق ٧، ص ٥٢٢، ٥٥٧.

(٢٩) قلسي، خطة الحصة، ص ١٧.

(٣٠) قنبري، فتح القلوب، ج ١، ص ٧١٨، قلسي، خطة الحصة ص ١٧.

الملايين الهجري/الفاشي عشر الميلادي، ومما يؤكد ذلك أن ابن بشكوف (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م) عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن أحمد الرعيبي المعروف بابن المشاط (ت ٣٩٧ هـ/١٠٠٦ م)، يذكر أن الحليج المنصور "ولاه أحكام الصبة المدعوة عندنا بولاية السوق"^(١).

وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يتحلى بمصطلات وحصائص تميزه عن غيره حتى يستطيع التعامل بعمله على خير وجه، فلا بد أن يكون رجلاً، مسلماً، عبقراً، خيراً، ورعاً، غنياً، محسناً، فليماً، عالماً، فقيهاً في الدين، فاعلاً مع الحق، بريه القمع لا يميل ولا يرتشي، عاقل القصة، مطروم العدالة، عارفاً بجزئيات الأمور، وسيلسات الجمهور، ذا لسان وحلم وتيقظ وفهم ووقار، ولي يكون حازماً لا تلحده في الله لومة لائم^(٢). ويجب أن يكون عارفاً بأسناف الصداقات والمعاملش وحيل الباعة، إذ بذلك "يتوصل إلى معرفة الغش والفتن، ويميز بين التحقير والتثبيس"^(٣).

هذا، وقد أُنشئت حطة الصبة أو "ولاية السوق" في وقت مبكر من تاريخ الأتراك، ورغم أن المصادر الأتلية لم تشر إلى ذلك صراحة، فإنه يمكننا أن نستشف ذلك من خلال بعض الإشارات التي وصلتنا. فقد ذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨/٨٢١-٨٥٢ م)، كان أول من "میز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، وصير لوالها ثلاثين ديناراً في الشهر ولواله المدينة مائة دينار"^(٤). وهذا يدل على أن ولايتي السوق والشرطة، قد كانتا تستندان لشخص واحد في قرون الفتي الهجري/الفاشي الميلادي، واستمر الأمر على ذلك حتى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث فصل بين الوظيفتين وميز بينهما، فأصبح لكل وظيفة منهما مهمات وواجبات خاصة بها تميزها عن الأخرى.

وبعد أن فصل بين الوظيفتين استمر خلال القرون الثلاث الهجري/الفاشي الميلادي، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري/الفاشي الميلادي، إذ يرى الفيلسوف

(١) ابن بشكوف، الصلاة في ١، ص ٣٠٨.

(٢) ابن خلدون، في القضاء والقصة، ص ١٢٠، الفسطي، في أدب الصبة، ص ١٥ الجرساني، في الصبة، ص ١٢٠ الميلادي، تفسير في أحكام القصور، ص ٤٤.

(٣) الجرساني، في الصبة، ص ٤٤.

(٤) ابن خلدون، الفسطي، ص ١٢٨؛ ابن سعد، المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٤٦.

عبد الرحمن القاصر في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، يعزل موسى بن محمد بن حنبل عن ولاية المدينة، ويولي مكانه محمد بن عبد الله الحروي، حيث نقله من ولاية السوق إليها، وولي السوق مكانه أحمد بن حبيب بن بهلول^(١).

وبلاحظ اعتباراً من النصف الثاني من قرون الرابع الهجري/ العشر الميلادي، أن ولايتي الشرطة والسوق قد أصبحتا تجمعان في الغالب في يد ولي واحد بهدف تحقيق التكامل بين هذين الجهتين المشغولين على النظام والأمن، ولدينا أمثلة عديدة على ذلك. فهذا أحمد بن نصر من أهل قرطبة وولي أحكام الشرطة والسوق في عهد الحليفة الحكم المستنصر^(٢)، وهذا أبو العباس أحمد بن يونس الجدلي المعروف بالحراني، ولي خطتي الشرطة والسوق في زمن الحليفة هشام المؤيد^(٣). كما ولي محمد بن محمد إبراهيم القيسي (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٠م) أحكام الشرطة والسوق في مدينة قرطبة^(٤)، وولي قفصه عبد الرحمن بن محمد أحكام الشرطة والسوق في عهد أبي الوليد بن جمهور، ولم يزل متقلدا لهذه الوظيفة حتى وفاته سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م)^(٥). وكان ممن تولى أحكام الشرطة والسوق: حسن بن محمد بن تكتول القرطبي، يكنى أبا علي (ت ٤٥١هـ/١٠٥٩م)^(٦)، ومحمد بن مكي بن مختار القيسي، من أهل قرطبة يكنى أبا طالب (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م)^(٧)، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي الحرطلي، (ت ٥٩٨هـ/١٢٠٦م)^(٨).

وشهدت الحصة في الأندلس تطوراً وازدهاراً كبيراً، إذ لولس الأندلسيون فئة الحصة عالية كاملة، فكانت لهم في أوضاع الاحتساب قوانين بتكولوجيتها وبنكارسونتها، كما تتدارس أحكام لفقه، لأنها عندهم تدخل في جميع المتاعسات^(٩). ووصفت خطبة

^(١) ابن حبان، المحقق، ج ٥، ص ١٠٣.

^(٢) ابن القزويني، تاريخ طاه الأندلس، ص ٥٠.

^(٣) قلبي، خطبة الحصة، ص ٧٧.

^(٤) ابن بشكوف، فضلة، ج ٢، ص ٥٧٢.

^(٥) قلبي، خطبة الحصة، ص ٧٧.

^(٦) قلبي، خطبة الحصة، ص ٧٢.

^(٧) ابن بشكوف، فضلة، ج ٢، ص ٥٥٦.

^(٨) قلبي، خطبة الحصة، ص ٧٢.

^(٩) قفري، فتح الطبيب، ج ١، ص ٢٦٩.

الحسبة بأنها من أعظم المصلح الدينية، وهي بين خطة القضاء وخطة الشرطة^(٢). كما اعتبرت نوعاً من أنواع القضاء المتميز بدرجة ثابتة في القضاء، وعهد بولايتها إلى كبار القضاة من طبقة القضاة، وكان متواجداً وفقاً لرقباً معيناً من بيت المال^(٣).

وكانت الحسبة في عهد دولة بني أمية تدخل ضمن اختصاصات القضاء، ويؤكد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦ م) بقوله: وقد كلفت الحسبة في كثير من الدول الإسلامية مثل السجديين بمصر والمغرب، والأمويين بالأندلس دليلاً في عسوم ولائمة القضاة يولي فيها باختياره^(٤). وكان القاضي يتولى بنفسه عملية تعيين وعزل المحتسب، ولكن بعد الرجوع إلى صاحب الأمر (الخليفة أو السلطان) في الدولة فقد ذكر ابن عسرون إنه يجب للقاضي أن لا يقدم محتسباً إلا أن يعلم الرئيس بذلك لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يحمله أو يبرئه^(٥). وبهم من ذلك أن الحسبة هو الذي يمثل لك أمر تعيين وعزل المحتسب، وإما القاضي يسبب من يراه مناسباً لتولي هذا المنصب وهذا يدل على أهمية الحسبة في الأندلس، حيث تولت عملية خالصة، وأخرجت تحت اهتمامات القضاء لما تتطلبه من عدل وحسن تدبير، وحاصلة إذ ما عرفنا أن القضاء كانوا يرتبطون مباشرة بالولاية والحكم، وأن عملية تكليفهم بالقضاء تتطلب علماً وفقهاً ومعرفة في مختلف مجالات الحياة.

ومما يدل على أهمية الحسبة في الأندلس، ويؤكد ارتباطها الوثيق بالقضاء قول ابن عسرون: والاحتساب أئمة القضاء؛ فلذلك يجب أن يكون إلا من أئمة القضاة، وهو لسان القاضي وحاجبه وورثه وخليفته؛ وإن احتكر القاضي، فهو يحكم مكله فيما يليق به وبخطته. ويضرب له أجره من بيت المال يقوم به فيمنصفه القاضي؛ فمن ذلك أن بعضده، ويحميه، ويشده، ويقوم معه، ويمضي أحكامه وأفعاله، ولا يمكن عليه أسراً، ولا مسلمة، ويمنع عليه جهده، لأنه يكفي القاضي أموراً كثيرة مما عسى أن يكون نظرها للقاضي؛ فيكفيه القصب والشعب والامتنان مع علماة الناس وخسائهم والعتاة والجهال من

^(١) السجدي، التفسير في أحكام القضاة، ص ٤٢.

^(٢) ابن عسرون، في القضاء والقضية، ص ١٢٠، فقري، فتح الطيب، ص ٢٠٤، ٢١٨.

^(٣) ويتابع ابن خلدون فيقول: ثم لما انفردت وظيفة السلطان على الخلافة وصار نظره عاماً في أمور الدولة اندرجت في وظائف الملك وانفردت بالولاية. وأصبح يسمى المحتسب من حق الإدارة المدنية لا من حق القضاء، ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٧٤٦-٧٤٧، بروغيسال، سلسلة محاضرات، ص ٨٦.

^(٤) ابن عسرون، في القضاء والقضية، ص ٢٠.

ضروب الصناعات والعمال^(٢٠) كما نتصح لنا أهمية المحتسب من خلال الاختصاصات والعمال الموكولة إليه، إذ أنها شملت مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، والذي يهنا هنا هو الجانب الاقتصادي الذي يتعلق بالحرف والصناعات.

كأن على المحتسب أن يتقن الأسواق، ويراقب المكايل والموازين ويتأكد من دقتها^(٢١) ويبحث عن أساليب الفش والتليس التي كسب يمارسها أصحاب الحرف والصناعات المختلفة، ويراقب الطحّاتين لئلا يخلطوا القمح الطيب بالرديء^(٢٢)، ويراقب الحاصلين لئلا يعشوا يخلط الدقيق الطيب بالرديء، ويأمرهم بتغطية الدقيق بيس ليدبرهم حتى لا يتساقط منه ما يصد^(٢٣)، ويهاجم عن غيلة القمح في الأسواق والأماكن الصيفة لما فيه من الإضرار بالفساد^(٢٤)، وكان يلزم الحيازين بأن يتخذ كل واحد منهم طابعا ينقل فيه اسمه ويطبع على حيزه ليميز خبز كل واحد بطابعه وتقوم الحجة به على صاحبه^(٢٥)، ويطلبهم بأن يعلم طبع الحبر^(٢٦)، ويصل قصاري العجين كل يوم، وجرّد الأتواح ومسحها^(٢٧)، ويحثهم على عمل منافعهم، وعلى الإغتسال في كثير الأوقات وغسل رؤوسهم لا سيما في فصل الصيف، ويمنعهم من العمل قبل الفجر^(٢٨)، وينهاهم عن خلط البارود من الحيز بالحار وعن رش وجه الحيز قبل قطبج بالماء وبعد قطبج بالريث، ويأمرهم أن يفرقوا بين حيزة الرطلين وحيزة الرطل ونصف، وأن لا يعملوا خيرة من خبثتين، وكلّ المحتسب يلتفت لذلك الحبر لئلا يكون محفدا لو مردوفا لو مقلما، وكان يحثّ الحيز عليهم بالوزن^(٢٩) لأن الخبز عندهم مطروم الأوزن والأسعار، فقد ذكر المقرئ أن المحتسب كلّ يمشي بنفسه ركبا على الأسواق وأعرافه معه،

^(٢٠) ابن عبدون، في القضاء والقصة، ص ٢٠.

^(٢١) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ٢٧، ٢٥-١٤ ابن عبدون، في القضاء والقصة، ص ٢٩-١٤٢ الشفلي، في آداب القصة، ص ١١-١٢ ابن عبد فرزوف، في آداب القصة، ص ١٠٦-١٠٧.

^(٢٢) الشفلي، في آداب القصة، ص ٢٦.

^(٢٣) ابن عبد فرزوف، في آداب القصة، ص ٨٨.

^(٢٤) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ١٠٦-١٠٧ ابن عبد فرزوف، في آداب القصة، ص ٨٨.

^(٢٥) الشفلي، في آداب القصة، ص ٢٦.

^(٢٦) ابن عبد فرزوف، في آداب القصة، ص ٨٩.

^(٢٧) ابن عبدون، في القضاء والقصة، ص ٤٨.

^(٢٨) الشفلي، في آداب القصة، ص ٢٠.

^(٢٩) ابن عبد فرزوف، في آداب القصة، ص ٩٠.

وميراته الذي وزن به الخبز بيد أحد الأعوان، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من قدرهم رخيص على وزن معلوم، وكذلك الثمن^(١). ولذا نجد المحتسب يأمر باعاً الخبز أن يتخذوا موازين على رؤوسهم لو أن تكون معهم في حوائجهم ليختبروا بها الخبز بالوزن إذا وصلهم خبز وجده مطابقاً للوزن بأعوه، وإن كان ناقصاً تركوه لمن صله، ومن باعه منهم واكتشف أمره استحق العقوبة^(٢).

وكان على المحتسب أن يمنع الفرائين من حرق ما يحتطب من الأثاث والمواضع القفرة التي لا تؤمن من نجاستها وإسراها بالمطبوخ، ويهاجم عن كشف الحبر قبل إدخاله في القدر لئلا يسقط عليه ما يصدده، ويأمرهم بحفظه وتمهده بعد إدخاله في القدر وأن يميزوا بين خبر القمح وغيره وأن ينظفوا القالة التي يعنون بها، وأن يكتسوا القدر من الرمك والقرب، ويعرفوا الأحطاب الجبلية كلها^(٣).

وكان يشدد على الجرائين بأن يتولى الذبح من يوثق به ويطم فصله إلى وجد، وإلا جعل أمينا عليهم، ينف عليهم ويطمهم سنة قديم، ويأمرهم أن يفرقوا بين لحوم قمار والصل، وأن لا يخلطوا بين لحم البطون والرووس، وأن يقوموا بتنظيف حوائجهم وأوقافهم^(٤). ولما باعوا اللحم، يأمرهم بصل الحمر التي يصحون اللحم عليها، وأن يحرصوا موازينهم في أوجه الحوافيت حتى يشين للمشتري ما يوزن له، وأن لا يترك أحدا منهم يبيع لحم ضأن وقمار في حافوت واحد حتى لا يلتبس الأمر على الجاهل^(٥). ومن الجدير نذكر هنا أن أسعار اللحوم في الأسواق الأندلسية كانت تحدد من قبل المحتسب، فد اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يحصر الجرائين في بيعه بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة ومن حالف ذلك تعرض للعقوبة الفادحة المشددة، بالمعرب والتجريب في الأسواق ومن تم القتي من البلد، إن كثر ذلك منه ولم يشب^(٦).

وكان من واجبات المحتسب مراقبة الطباخين، فاشترط في مطابخهم أن تكون مجصصة مسطحة ليتمكن من غسلها في كل الأوقات، وطلب منهم أن يقوموا بغسلهم في

^(١) المغربي، نوح الطوب، ج ١، ص ٢١٨.

^(٢) السبكي، في آداب الصبغة، ص ١١، ٢٦.

^(٣) ابن عبد البر، في آداب الصبغة، ص ٩١.

^(٤) السبكي، في آداب الصبغة، ص ٢٢-٢٤.

^(٥) السبكي، في آداب الصبغة، ص ٢٣-٢٤.

^(٦) المغربي، نوح الطوب، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩.

صو، المصباح، ويحيى لا يحيى شيء من أمورهم حتى يشاهد القصة المقدم عليهم
تنظيفهم اللحم وصمه في القدور ورفعها على النار بعد وضع الأبارير فيها وما لا بد منه
لطبخها^(١) وحثهم على ضرورة تنظيف أيديهم وملابسهم وتنظيف الأواني والقدور
المستعملة في عملية الطبخ، وتنظيف اللحوم وسائر المكونات قبل طبخها وتنظيفها
بمبتدل نظيف^(٢)، وكل المحتسب يتقدم في الصباح والمساء، فلما بالصباح فترت على
اللحم الذي منه يطبخون لئلا يكون احما رديا ولما بالمساء فلتا تبقى لهم بقية فيريدوا
عليها غيرها ويحطو بها ثم يحدوا طبخها، وكان يأمرهم أن يضعوا ما يطبخونه في
الصباح والقدور فواسعة ليراه المشتري ولا يحيى عليه منه شيء^(٣)، ولما لا يطبخوا
في الليل ولا في السحر ولا في الدبار الخفية^(٤).

وكل على المحتسب أن يتخذ الهرسين والمغليين والقلائين والشوئين وبساعي
العسل والسمس واللين وصانعي الكعك والمسمعات وأصحاب الحلوى والمجهذات^(٥)، ويتخذ
العطارين والصيدلة الذين يكثر عشم ويلحق الناس منهم ضرر بالغ، لأن الكثف عليهم
صعب المرام وعش مضديهم لا يكف بحصر ولا يزل^(٦).

ويراقب الزبائن لئلا يخطوا الزيت الطيب بالردي، ولا يشتوا فيه بماء أو غيره،
ويأمرهم بتجربة الكيل للمشتري، ولما يتصدقا بما يجتمع في الصحن من بقايا مكائيلهم
من الزيت، لأن ذلك من حقوق الناس^(٧)، ويمنع معاصر الزيتون أن يصر فيها زريعة
ككنا لئلا تطلق رائحته بالزيت^(٨).

(١) الشفلي، في أدب الصبغة، ص ٣٥.

(٢) الشفلي، في أدب الصبغة، ص ١٣٥ ابن عبد قزوف، في أدب الصبغة، ص ١٩٧ مؤلف مجهول، كتاب
الطبخ، ص ٧٨-٧٩.

(٣) ابن عبد قزوف، في أدب الصبغة، ص ٩٦-٩٧.

(٤) الشفلي، في أدب الصبغة، ص ٣٥.

(٥) ابن عديم، في القضاء والحكمة، ١٤، ١٥، ١٥٥ الشفلي، في أدب الصبغة، ص ٢٦، ١٣٩ ابن عبد
قزوف، في أدب الصبغة، ص ٩٢، ٩٧، ١٠١، ١١٠ ابن الأثير، معجم القرية، ص ١٢٣-١١٤.

(٦) الشفلي، في أدب الصبغة، ص ٤١-٤٧ ابن عبد قزوف، في أدب الصبغة، ص ٨٦-٨٧.

(٧) ابن عبد قزوف، في أدب الصبغة، ص ١٠٥.

(٨) الشفلي، في أدب الصبغة، ص ٦٨.

١ وينبغي على المحتجب أن يتدخل في شؤون الخواطين، فيلزمهم بجودة التفصيل
ول لا يماطلوا الناس بحياطة أمتعتهم وحوادثهم لأنهم يتصرفون بالتفرد إليهم، وأن
تكون الخياطة درزا لاشلا، وألا يكون الخيط طويلا لأن الحياطة لا يتمكن من شدة أطولها
فتكون الخياطة به غير متقنة^(١)، ويتفقد تفصيلهم للثياب لأن من تصديهم من يصل
الثوب كاملا ويخترط في الخواصر فيغطي القبل في التزويج وهو ضيق، وقد سرق منه
بقدر الحرط، وكذلك يصوقون أكمام الثوب الكساء ويخربون خياطتها طلب التزهير، فإذا
ليس الثوب قليلا تفتت خياطته وتفصلت أجزأه وخسر مشيئته، وكذلك يؤسسون
أطواق الثوب الكفلى لتظهر عند القبول كاملة^(٢). وكان المحتجب يرهق الكتانيين لئلا
يرشوا الماء على الكفلى لثقل وزنه، ويلزم باقي العزل بتجهيزه تحت الشمس لأن
النساء بذلك عند تمام عزله بالماء ليصن وجهه ويزيد في وزنه^(٣)، ويتفقد أحوال
قطائين ويلزمهم بتلميع قطن من الثواب العالقة به^(٤) ويمنع حاككة الدباج وغيرهم
من تصبغ الدباج لئلا يتسحق ويشد^(٥)، ويعرض على الصباغين أن لا يثربوا الثياب
المصبوغة المبلولة على الطرقات لكي لا تلحق القصور بملابس الناس^(٦)، ولأن
يصبغوا المسوجات القطنية والكتانية بالقطن السعالي، لأن الألوان الأخرى لا تثبت
عليها^(٧)، وأن يختاروا الألوان القطنية للملابس الجسامة الممردة صبغها^(٨) ويلزم
القضاة أن لا يلبسوا ثوبا يغطي القفص، ولا يلبسوه أحدا ويظهرن على ذلك^(٩) ولأن
يكتفوا على كل حرقة اسم صاحبها لئلا تحلط ألبسة الناس ببعضها^(١٠)، وألا يستعملوا
المعتل لحصر الثياب، وأن لا يقصروها بالمعزيب لأن ذلك يضر الثياب ويوهن قوتها^(١١)

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢-٦٣ من الأخوة معكم القرية، ص ١٣٧.

(٢) السطلي، في آداب الصبغة، ص ٩٢.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الصبغة، ص ٨٧.

(٤) السطلي، في آداب الصبغة، ص ١٦٤ من الأخوة معكم القرية، ص ١٤٢.

(٥) ابن عبد الرؤوف، في آداب الصبغة، ص ٨٦، ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٧) السطلي، في آداب الصبغة، ص ٦٣.

(٨) ابن عديم، في القضاء والصبغة، ص ٥٠.

(٩) السطلي، في آداب الصبغة، ص ١٦٣ من الأخوة معكم القرية، ص ١٣٩.

(١٠) ابن الأخوة معكم القرية، ص ١٣٩.

(١١) ابن عديم، في القضاء والصبغة، ص ١٤٩ السطلي، في آداب الصبغة، ص ٦٣.

ويمنع لرفقتين أن يروا حرقاً في ثوب قصير إلا بعد موافقة صاحبه، ويمنع الطرازين أن يغيروا رسم الثوب عند قصار^(١). ويجب عليه أن يحد الحشائين والرفقتين أن لا يوسعا فتح أطواق الثياب كثيراً، ويفرض على الحشائين أن يطاؤا مقام المحتاسي، وأن يحدوا القطن فيها^(٢)، وينهى الفرانج عن تزيين وجوه الفراء، لأن التزيين يستر عيوبها^(٣)، ويوصيهم أن لا يستعملوا الحرف لتضمير القراء الباقية، فإنها دلسة عندهم^(٤)، وكان المحتسب يتصدى لعمل الموط* فإمرهم أن لا يعملوا أفراهما وسمعة، وكذلك كل يعرض على القبايين أن لا يعملوا اللبود من صوف المينة^(٥)، وإمرهم بتحصين عملهم لأنهم يعملونها محولة قليلة الصوف لا يتكف بها^(٦). أما الحصارون، فكل المحتسب يمنهم من عمل الحلقة القصيرة في كل ما يعمل منها، وينهاهم من طبع الحلقة لئلا يوهوا الناس أنها مدبوغة، وإمرهم بتحصين ما يخطونه من حصار أو غيره^(٧)، إذ لم يسمح لهم ببيع قف الطين والتراب إلا أن تكون مصلبة ومقاومة مطوية الأطراف، وكذلك القواس الغرايل يجب أن تكون قوية القصب مقروصة الأطراف، مشدودة على الفرصات^(٨).

وكان المحتسب يأمر صائغي (غرايل الشعر) بصل الشعر جيداً، وأن لا يستعملوا شعر الميت فيها^(٩)، ويمنع الجلائين من بيع جلود الميتة تية، وإما يبيعونها مدبوغة للإتقال والطين عابها وما كان من مبالغ البيت، وكذلك الذين يفسلون الجلد لسي يملعون أن يحدوا على موضع القطع بقا السكين أو بحديدة يتحدونها لهذا الغرض ليعفوا

(١) الشطي، في أدب الصبغة، ص ٦٢.

(٢) ابن جبرون، في القساء والصبغة، ص ٥٨.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في أدب الصبغة، ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٠.

* الموط: كتاب من خر أو صوف أو كتان، وقيل هو ثوب الأعتر، والجمع مروط، والمرط كل ثوب

مغطى من منظور، لنس العرب، مع ٧، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٥) الشطي، في أدب الصبغة، ص ٦٨-٦٩، أن الأخوة معلم القريه، ص ٢٢٩.

(٦) ابن جبرون، في القساء والصبغة، ص ٥٠.

(٧) ابن عبد الرؤوف، في أدب الصبغة، ص ١٠٢.

(٨) ابن جبرون، في القساء والصبغة، ص ١٣٥ الشطي، في أدب الصبغة، ص ٦٤.

(٩) الشطي، في أدب الصبغة، ص ٦٨، أن الأخوة معلم القريه، ص ٢٢٨.

بذلك رقة الجلد، ويظهر غليظا في رأي العين^(١)، ولا يسمح للديابغين أن يخلطوا جلده
 الماعز مع جلد الضلّ، ولأن يبيعوا جلدا إلا أن يكون مذبوغا^(٢)، ولا يسمح لصناع
 الأفرق (نوع من الفحل) في عمل فرق^(٣) إلا أن تتصل حقيقتا جلده خروا ولحدافى
 ظهوره أو يوصل من الجلد صغير لا يبلغ سعة الطهر، ويكون مجموعا بالخرو لا
 بالتشبيك^(٤)، ويمنعهم من حشو الفروق البالية والطين لدخل أجزاء الحذاء^(٥).

وحرس المحتسب على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم، بحيث يجعل
 كل شكل مع شكله في مواضع مطومة^(٦)، ومنع الخيازين من مجاورة "أهل الحرف
 لفترة"، كالسماكين والبيطارة والحجاسين وما أشبه ذلك^(٧). وكان على القرعيين أن
 يتخذوا مقرهم بعيدا عن الطرق لكي لا يلحقوا الضرر بالمشاة^(٨). وطلب من سائعي
 السمك أن يتخذوا مكانا يكون فيه سوقهم بعيدا عن الطريق، وذلك لما ينشأ عنه من
 روائح كريهة^(٩)، وجعل لسوق الصباغين والديابغين خارج أسوار المدن تقاديا للروائح
 الكريهة^(١٠)، كما لم ير أن تكون مواضع صناعات القرمود والأجر خارج أبواب المدن، حيث
 تكون هذه المواضع واسعة^(١١).

وكان المحتسب يتفقد أهل القرى والأدهان والأكحال وتفخر عليهم فإن وجدت
 مشوشة عوفوا عليها ومنعوا من الجلوس لبيعها^(١٢). وكان عليه أن يسهى الجبالصين
 عن حائط القراب بالجص عند الطبخ، ولمرهم أن يخربلوا الجص بالغربال فوسط، وأن
 يجهنوا طليخه^(١٣)، وكذلك يلمس الجبارين أن يخربلوا الجير ويخلصوه من الحجارة

(١) ابن عبد البروف، في أدب الصبغة، ١٠٢-١٠٣.

(٢) السقلي، في أدب الصبغة، ص ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٤) ابن جدون، في القضاء والصبغة، ص ٥٩، ابن الأخرى، معجم القرية، ص ١١٩.

(٥) ابن جدون، في القضاء والصبغة، ص ٤٣.

(٦) ابن عبد البروف، في أدب الصبغة، ص ٩٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٨) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٩) ابن جدون، في القضاء والصبغة، ص ١٤٩، عن ابن موسى، تشليط الاقتصاد، ص ٢٢٩.

(١٠) ابن جدون، في القضاء والصبغة، ص ٣٤.

(١١) ابن عبد البروف، في أدب الصبغة، ص ١١٢.

(١٢) السقلي، في أدب الصبغة، ص ١٦٤، ابن عبد البروف، في أدب الصبغة، ص ١١٢.

المختلطة به^(٢١)، ويلزم عملة الأجر والقرميد أن يصعدوا أنواعا مختلفة منها، لتلبية رغبات الناس واحتياجاتهم، ولأن يصنعوا عملها ويجيدوا طبخها، ولأن تكون قوايهم مصنوعة من خشب صلب لا ينخره الموم، ولأن يتقيدوا قسي أصنافهم بقوامصات والمقاييس الموضوعة من قبل المحتسب^(٢٢)، ويفرض على عملة القين أن يظلوا من الرمل عند عملها ولأن يتقيدوا التراب الطيب لها^(٢٣)، ويلزم العنقاوين بتبيين تزيينهم وتطبيخهم، ولأن يظلوا من الرمل فيه، ولأن يخلطوه جيدا قبل بدء العمل^(٢٤)، وكذلك يأمرهم بأن يوسعوا لقواء كداح الوصور، ويحملي الفلال ويوظفوها بشكل جيد لئلا تقع^(٢٥).

وتركزت رقابة المحتسب على ضرورة توافر الدقة والجودة في أصصال قبنائين^(٢٦)، والقدهائين^(٢٧)، والرقاقين، والكمدائين^(٢٨). وكان يطلب من الكمدايين أن يربطوا في قلب الكاد وفي ذلك^(٢٩)، ولأن يختاروا الخرق الجيدة — من القطر والكتل — ويهينوا يسلها وتطفيها من الشوائب العالقة بها^(٣٠).

وكان من واجبات المحتسب أن يمنع الزجاجيين من إخراج الزجاج مسن للزرن القهربد إلا بعد يوم وليلة، لكي يكسب القوة والمتانة^(٣١)، ويعرض عليهم أن لا يصعدوا أنية مشاكلة لأنية العمر^(٣٢)، ويختبر عليهم رماد الأفران لئلا يفسدوا التراب قسي مستودعاتها^(٣٣). كما يمنع الحدائين من طرق المسامير القبلية ويبيعها على قسها جديدة، ويأمرهم أن لا يخلطوا المسامير المختلفة الأحجام والأوزان مع بعضها، ولأن يجيدوا

^(٢١) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٤.

^(٢٢) ابن جندب، في القضاء والصبغة، ص ٣٤ - ٣٥، ابن عبد فرؤوف، في أدب الصبغة، ص ١١٢.

^(٢٣) ابن عبد فرؤوف، في أدب الصبغة، ص ١١٢.

^(٢٤) ابن عبد فرؤوف، في أدب الصبغة، ص ١١٢، الجرسيني، في الصبغة، ص ١٢١.

^(٢٥) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٧.

^(٢٦) ابن جندب، في القضاء والصبغة، ص ٣٤ - ٣٥.

^(٢٧) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٨.

^(٢٨) الجرسيني، في الصبغة، ص ١٢٤.

^(٢٩) ابن جندب، في القضاء والصبغة، ص ٤٨.

^(٣٠) الجرسيني، في الصبغة، ص ١٢٤.

^(٣١) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٧.

^(٣٢) ابن جندب، في القضاء والصبغة، ص ٤٣.

^(٣٣) السطلي، في أدب الصبغة، ص ٦٧.

طبخها فلا تنكسر عند الاستعمال^(١)، ويتقدم المحتسب إلى عملة المفتاح لئلا يعملوا محتاحاً على آخر لأي شخص غير موثوق به، ولا على رسم فسي طيسن أو عجيس^(٢)، ويطلب من عملة الخراف والأكواب أن تكون وفرة الحطب والحديد، ولي تكون ألواح المطبقات من الخراف والصنابق على أضلاع مسطرة، ولتقلها منقح الصنم، ويكون لتنظر هي ذلك إلى رجل مثيل في صناعة البحارة^(٣).

ومن مهتم المحتسب أيضاً أن يحد لصناع الأمقلمس والمساس والقوام وشبه ذلك، لئلا تصنع إلا منكرة^(٤)، وأن يتخذ لسوق الصوافة، ويذهابهم عن القرى، ويمنعهم من ترويح قنارهم والتنكير المزيفة وغش الناس بها^(٥)، وعليه أيضاً لئلا يسمح بأن يتداول الناس عملة من غير عملة البلاد، لأن لاختلاف العملة يكون داعية إلى فساد النقد، وزيادة في الصرف، واختلاف الأحوال، وحرجها عن عداقتها^(٦).

واهتم المحتسب بأن يكون للحنانين في كل صعدة موقف خاص بهم^(٧)، ولي يكون للحنانين موقف يجتمعون فيه، ولا يدخلون الأسواق، فإلهم يؤذون الناس، وكذلك الأسر بالنسبة لباتني القدم والجور وما شابه^(٨)، ولير المحتسب بأن يرتب أهل الأسواق مديراً يشعرهم بأوقات الصلاة في كل يوم، وطلب من الكتانين والصغارين بالذات أن يتركوا العمل أوقات الصلوات المفروضة^(٩).

وكان من واجبات المحتسب للنظر في أمور الصناعات، ومعرفة أحوال صناعاتهم، ومنعهم من المعاملة والتسويق في أصنافهم^(١٠)، وحثهم على اجتناب الغش والتكليس، ومعالجة المخالفين منهم بالردع والجر والتوبيخ والتعزير والضرب والسجن والإسجاج

(١) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٣) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٩، ٣٦.

(٤) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٩.

(٥) يحيى بن حمر، لمقام السوق، ص ٣٢-٣٥، ٧٢، ٧٧، ٨٥-٨٦، ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٩.

(٦) ١٥٨، ١٤٦، ابن الأثير، معالم القرية، ص ١٢٣-١٢٤.

(٧) ابن عديم، في القضاء والقصة، ص ٥٨.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٩، ٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١١) الشطي، في أدب الصيعة، ص ٦٢.

من السوق وانقي من البلد^(١) كما ذكرنا إذ للمحتجب أن يكثر العبوسة التي يراها منسية.

ولكثره مسؤوليات المحتجب التي يباشرها، فقد جرت العادة على أن يتخذ له أوقافاً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق، وملاحقة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات فكل المحتجب كما أثرنا سابقاً - "يمشي بنفسه ركباً على الأسواق، وأوقافه معه، وميزانه الذي يزن به الخير في يد أحد الأعوان"^(٢). وكل لازماً أن يتوافر في أولئك الأعوان صفات وخصائص يتميزون بها عن غيرهم، فلا يستعمل المحتجب من الأعوان "من كل غلطاً، ولا شريباً، ولا غضوباً، ولا مهدراً كثير الكلام واللدن"^(٣)، وإنما يستعمل من كل حياء، عفيفاً ورعاً، لا يميل ولا يرتشي، مشهوراً بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعتة، خبيراً بالجيد والرديء من حرفته^(٤). وقد جرى العرف على أن يكون لهؤلاء الأعوان لجرة مطومة يتقاضوها يومياً^(٥).

وكان من أهم أعوان المحتجب "العريف"، الذي كان يختار من يرس ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصناعات^(٦). فقد جعل المحتجب على كل حرفة عريفاً من صانع أهلها، مشهوراً بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعتة بصيراً بالمسارها^(٧) وكل من أهم ولجباته أن يبحث عن أضرارهم ويطلع على أسرارهم ويخبرهم على غشهم وتكليسهم بالسر والعلانية، ويأمرهم بتطويق حوائثهم وأموالهم، وأن يطلعوه على خفي أسرارهم وجيب أسرارهم، حتى لا يخفي من أسرارهم كثير ولا قليل، ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل، فيرول مكرهم، ويرتفع على المعلمين غشهم وضرمهم^(٨)، ومن ولجباته أيضاً أن

(١) يخبر بر عر، أمكام السوق، ص ٢٦-٣٢، ٣٨، ٥٢-٦٠ أن عبد القزوف، في أدب الصبة، ص ١٩٢

الجرسيلي، في الصبة، ص ١٢٦-١٢٧، القري، فتح الطوب، مج ١، ص ٢١٩

(٢) القري، فتح الطوب، مج ١، ص ٢١٨.

(٣) ابن عدي، في القضاء والصبة، ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢ المجلدي، التيسير في أمكام التيسير، ص ٥٥-٥٦.

(٥) ابن عدي، في القضاء والصبة، ١١.

(٦) القنلي، في أدب الصبة، ص ٣٢، ٣٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٣، ٣٥، ٣٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٩، ٣٣-٣٤، المجلدي، التيسير في أمكام التيسير، ص ٥٦.

يساعد المحتجب في تنظيم طرق العمل بين أهل الحرف^(١) ولما يقوم بحمل المنزلة على
والخصومات التي تقع بين الحرفيين، ويحكم بها دون إبلاغها إلى حاكمهم، لأن ذلك
أرفق لهم وأسهل لاكتشافهم^(٢).

وكان على المحتجب أن لا يبيع أحدا من أعوانه للقيام بواجب محدد، كوزن
الخبر على الحبارين مثلا، لئلا يتغلبنى عن عشهم وتكليسهم لقاء الرشوة، وعليه أيضا
أن لا يحبر أحدا من أعوانه بموعد خروج التفتيش على الأسواق، حتى لا يسارع أحدهم
إلى تنبيه أهل الفس لاخذوا حذرهم^(٣).

ومما تقدم يبدو لنا أهمية الحصة ومكافة المحتجب في المجتمع الأتليسي، ولما لها
الدفع في الحياة الاقتصادية. ومما يدل على أهمية المحتجب في الأتليس من الناحية
العملية، أن ملوك إسبانيا المسيحيين كانوا كلما استردوا من المسلمين إقليما لمقاموا فيه
المحتجب، ولهذا وجد لفظ المحتجب، يدخل في اللغة القشتالية فمصدر "الموتلى" يدل على
قولي المكلف بصيغ الموازين والمكفيل^(٤).

^(١) ابن خلدون، في القضاء والحصة، ص ١٣٥؛ التلغلي، الأصفاء في العصر العربي، ص ١٤٩.

^(٢) ابن خلدون، في القضاء والحصة، ص ٢٤.

^(٣) التلغلي، في آداب الحصة، ص ١٩؛ قلبي، حلة الحصة، ص ١١١-١١٢.

^(٤) بروغيسال، سلسلة محفلات، ص ٨٨.

السادسة

تناولت هذه الدراسة: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، حيث تتبع الباحث جميع هذه الحرف والصناعات مبتدئاً بخاماتها الأولية، ومناطق انتشارها، وأنواعها، والحالة الاجتماعية للعاملين فيها، وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

١- يعتبر مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، إذ يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان، بينما الصناعة عمل يرتكز على تحويل المواد الخام الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق الحرفة، ولذا أطلقنا عليها تجاوزاً اسم "الحرف الصناعية".

٢- اهتم الأندلسيون بتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعات المختلفة، ولذا برعوا في مجال الزراعة، وقامت على المحصول الزراعية بأنواعها المتعددة بعض صناعات المهمة. كما اهتموا بتربية الحيوانات واستغلوا من لحومها وأصولها وجلودها في صناعات عديدة ومتنوعة، وبشكل خاص في استغلال ثروات البلاد الطبيعية، كالعسل والنسي وفرت المادة الخام اللازمة من الأحشاب، والفضة المائنة إذا استخرجوا الأسماك والسمور والمرجان واللؤلؤ من مجاري الأنهار ومن سواحل البحار المحيطة بالأندلس. واستغلوا المناجم والمواد المعدنية المنتشرة في الأراضي الأندلسية وأصنوا استثمارها في مجال الصناعة مستغلين في ذلك من خبرة سكان البلاد ثم مشاركتهم العمل في مختلف المجالات، مما كفل له تفكير أكثر على نمو وتطور الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي على مر العصور.

٣- كثفت صناعة المنسوجات من الصناعات الأندلسية المتميزة، والتي حظيت باهتمام ورعاية الأمراء والخلفاء، فازدهرت ازدهاراً كبيراً في عصر الخلافة والطوائف وعصر المرابطين والمرموقين، ودولة بني الأحمر. وكثفت بجانب قرطبة ومالقة والعمرية ودلاية وغرناطة من أهم المراكز التي اهتمت بهذه الصناعة. وقد حظيت صناعة الطرغز حلصة باهتمام الأمراء إذ كثفت تنسج فيها ثياب الأمراء والخلفاء وأعيان الدولة من النسيج المصنوع المعروف بالذهب. وانتقلت صناعة المنسوجات من الأندلس

الإسلامية إلى بلدان أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وإيطاليا وإنجلترا مما يعكس فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية.

كما اشتهرت الأندلس بالصناعات الجلدية، وتميزت بجودة مصنوعاتهما، ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى ممالك إسبانية المسيحية وإلى فرنسا وإنجلترا، وقد أطلق الأوروبيون على تنوع المنائر من الجلد اسم الجلد القرطبي، مما يدل على أثر الحضارة الأندلسية في الصناعات الجلدية.

٤- هذا، وقد استفاد مسلمو الأندلس من خبراتهم في ميدان الكيمياء وسفروها لخدمة الصناعة، فبرعوا في صناعة الأصباغ، ولقنوا الألوان المتعددة، مما اكتسب ملابسهم الألوان الزاهية الفاتحة، كما برعوا في صناعة الزجاج والخزف والبريق والصابون، وصناعة الورق، وكانت الأخيرة من الصناعات المتطورة، حتى أن الأندلسيين توصلوا في عهدي المرابطيين والموحدين إلى صناعة الورق الملون وكانت الأندلس في عهد الدولة النصرية هي الدولة الوحيدة في جانب علم التي تستعمل الورق الإسلامي، بينما كانت بقية بلدان المغرب تستعمل الورق الرومي. وانتقلت صناعة الورق من الأندلس إلى ممالك إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا.

٥- كانت الصناعات الخشبية من بين الصناعات الأندلسية المتطورة وخاصة ما يتعلق منها بصناعة العمار والمفصولات الخشبية والآلات الموسيقية والأثاث والأدوات المنزلية، وكانت المفصولات الخشبية في العصر الموحي تصنع بطريقة فنية متطورة إذ كانت تعمل على حركات هندسية وميكانيكية فريدة من نوعها.

٦- كان للضرورة العسكرية أثر بالغ في اهتمام الدولة بصناعة السفن والأساطيل الحربية، فاستعملت وتطورت بالتدريج، وبلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار، حتى تحدث قطع الأسطول الأندلسي وتنوعت من حيث الحجم والوظيفة، ووصلت البحرية الأندلسية إلى أوج عظمتها وقوتها.

كما اهتمت الدولة بصناعة الأسلحة والمعدات الحربية إذا أنتجت معادن الأسلحة كميت كبيرة منها، وبلغت قمة التطور في هذه الصناعة في القرن الخامس الهجري/

الرابع عشر الميلادي، إذ توصل الأندلسيون إلى صناعة الأسلحة النارية واستخدموها في حروبهم مع القصارى الإسبان.

٧- استخرج المسلمون كميات وفيرة من معادن الذهب والفضة واستثمروها في تزيين المساجد والقصور، وهي صناعة الطلي والأنيق والتماثيل وقطع الفضة، مما يدل على رفاه والرعاة الاقتصادي الذي كان يعم به أهل الأندلس.

٨. كان المسلمون في بداية الفتح يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق، إضافة إلى استعمال الفقد المصروية في إسبانيا قبل الفتح، وفي عهد الإمارة لم يصربوا الدينير، بل اكتفوا بصرب الدراهم والفلوس من الفضة، هي حين ضربت الدينير والدراهم من خلاص الذهب والفضة في عصر الخلافة، ولكن دراسة طباع المراكبية في سك الفقد، وكان من معوقات عصر الطوائف أنه بالرغم من ترقى الأندلس إلى دولات، وكثرة الأمراء المتعاقبين على سائر أجزائها، فلم ينفذ كل موحداً. وكانت العملة الذهبية والفضة المصروية في أيام المرابطين مختلفة ومتعددة. وضرب الموحدين الدينير والدراهم المربعة، وكانت الدراهم تصرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، وكشفت دراسة عن أنواع العملة المتداولة في الأندلس في القرن الثامن والتاسع الهجري /الرابع والخامس عشر الميلادي، وكشفت أنها كانت تصرب من خلاص الذهب والفضة، ولها مربعة الشكل لا مستديرة.

٩- يلاحظ بصورة عامة ازدهار الصناعات الأندلسية على اختلاف أنواعها، ووصولها إلى درجة كبيرة من الإتقان والرقى وبخاصة في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ويعود السبب في ذلك إلى وحدة الدولة وقوتها واستقرارها السياسي، واهتمامها بمظاهر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة، وتشجيع الطغاة للصناع وحثهم على العمل وصناعة إتقانها، يضاف إلى ذلك اهتمام الدولة بمظاهر الأبهة والترف، وحرصها على تشييد المساجد والقصور وتزيينها بكل مظاهر الفروعة والجمال.

كما يلاحظ ازدهار الصناعات في عصر الطوائف نتيجة للتفكك الذي جرى بين ملوكها، إذ بكل واحد منهم قصارى جهده لإحاطة نصه بهالة من الأبهة والرفاهية تشبهاً بما كان يفعله خلفاء قرطبة.

١٠- تضح أن الحرف والصناعات في الأندلس لم تكن مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وإنما كل ينعلها الأندلسيون بعقدهم المتعددة، وشاؤك فيها العلماء والعشاه والأكباء والقصة وغيرهم. وقد انصفت أسماء كثير من الحرف بأسماء بعض العائلات المشهورة، إذ تبين أن الحرف كانت تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، كما لاحظنا أن التملك بين أهل الحرف قد بلغ حد العصبة للحرفة والاعتزاز بها. وقد أكد كل ذلك على نظرة المجتمع الإسبانية للعاملين في الحرف والصناعات.

١١- بينت الدراسة مدى اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها على أسس التخصص الحرفي، إذ نجد لأهل كل حرفة سوقاً خاصة بهم. كما اهتمت الدولة بإقامة الأسواق الجامعة الأسبوعية والدائمة لتشجيع الصناع والتجار على بيع منتجاتهم وبضائعهم، وبالتالي تنشيط الحركة الاقتصادية.

١٢- كل تنظيم الإداري للحرف والصناعات في غاية الدقة والإنجاز، إذ نجد في كل صناعة ما يسمى بـ"الأمير" و"الحريف"، كما نجد المعلم، والعامل المدرّب، والمعلم.

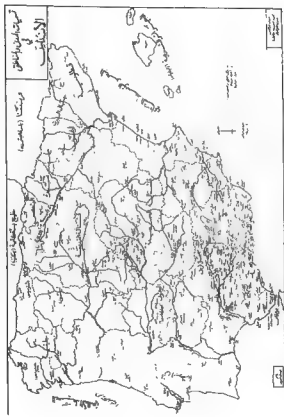
١٣- أوجدت الدولة جهازاً خاصاً للإشراف والرقابة على الأسواق، كل يطلق عليه اسم "الحصبة"، وكان يرأسه موظف خاص يدعى "صاحب الحصبة" أو "المحتسب"، وكل عليه أن يبحث عن أساليب العمل والتكليس التي كل يمارسها أهل الحرف والصناعات ويقولونها، وأن يراقب الدقة والجودة في الصناعة، وأن يحدّ الصناع على نظافة المنتج وأدوات الإنتاج. وكل له اختصاصات ومهام كثيرة ومتنوعة، ولذا جرت العادة على أن يتخذ له أحرافاً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق ومراقبة المصالحين من أصحاب الحرف والصناعات ومقايضتهم. وما يدل على أهمية المحتسب في المجتمع الأندلسي، أن الإخبار، كانوا كلما استردوا إقليماً لقوا به المحتسب.

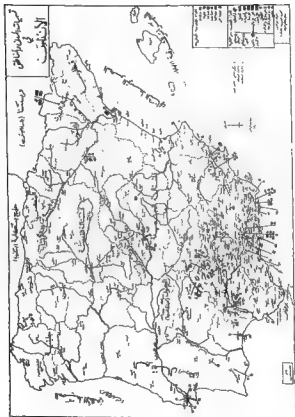
١٤- أكدت الدراسة على نظرة المجتمع الإسبانية للعاملين في الحرف والصناعات، وعلى سعة الطبقة العاملة بكثرة الصناع في المجتمع الأندلسي، وبيّنت أن وضع الصناع بصورة عامة لم يكن جيداً، إذ كانت أجورهم قليلة، وممتواهم المعيشي متدنياً.

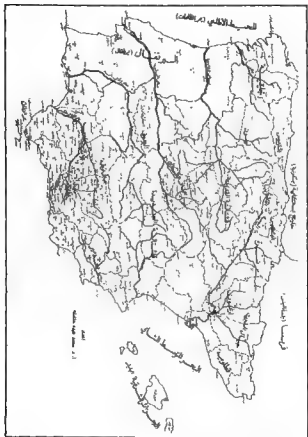
الخرائط

تسميات المدن والمناطق في الأندلس

المعادن، مناطق توزيعها وانتشارها في الأندلس







المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- المخطوطات:

ابن السبايكر، محمد بن علي رافعة (ت ٩٩٧هـ/١٥٨٨م):

- ١- توضيح المسالك إلى معرفة قبائل وقبائل، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، عمّان، ميكروفليم، شريط رقم (٥٥٩).

ابن فضل الله المصري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

- ٢- مسالك الأصيل في مسالك الأصيل، ج ٢، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمّان، ميكروفليم، شريط رقم (٢١٣٧).
 - ٣- مسالك الأصيل في مسالك الأصيل، ج ٥، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمّان، ميكروفليم، شريط رقم (١٠٣٨).
- ب- المصادر المطبوعة.

ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاة (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م):

- ١- فتاوى كتاب الصلاة، جزء ١، علي بنشر: عرت المطر الصيني، مطبعة السعد، مصر، ١٩٥٦ م.
- ٢- رحلة السيرة، ط ١، ج ١، ج ٢، تحقيق: حسين مؤنس، شركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ٣- مقتضب من كتاب نحة الفهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.

بحراني الصفاء:

- ٤- رسائل بحراني الصفاء وخلائ الوفا، ٤ مجلدات، دار صفا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧ م.
- ٥- الأحوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م):
معالم القربة في أحكام الصبة، علي بنقله وتصحيحه: روبن لوي، مطبعة دار الفنون، كمبودج، ١٩٣٧ م.

الإدريسي، عبد الله بن محمد المصري (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٨ أجزاء، تحقيق: شبرولي وأخرون، نابولي، بروستنت لودويج، ج. برونيل لوجدونلي بكتا فورم، ١٩٧٥ م.

الإدريسي، محمد بن علي السمرسي الحطائي (ت ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م):

٧- القدر السديد في أخبار سلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨ م.

الأردني جمال الدين أبو الحسن علي بن طاهر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م):

٨- بدائع القدرات، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م.

الأزهري، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م):

٩- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله درويش، مراجعة: محمد علي الجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

الآشعري، الشيخ بكر بن إبراهيم (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م):

١٠- كتاب التفسير في صناعة التفسير، تقديم: عبد الله كسون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٧-٨، ١٩٥٩-١٩٦٠ م.

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القلزمسي (المتوفى في النصف الأول من ق ٤هـ/١٠م):

١١- كتاب الأقاليم، EDIDIT. DE. J H MOELLER GOTHAE مكتبة المثنى بغداد (د.ت).

١٢- مسالك الممالك، EDIDIT. MJ DEGOEJE لوجدونلي بكتا فورم، لودي، ج. برونيل، ١٩٢٧ م.

الأصمعي، محمد فكتاب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

١٣- خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب والأندلس، ٣ أجزاء، تحقيق: أنطوان أنطونش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وأخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦ م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

١٤- عيون الأطباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ م.

أورسوبيس بالولوس (وكبير ٢٧٥-٣٨٠م):

١٥- تاريخ العالم، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢ م.

الباكري، عبد الرشيد صالح بن دوري (عاش في ق. ٩-١٥م):

١٦- كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه: صباة الدين ابن موسى بوبناتوم، منشورات دار العلم، إدارة التحرير الفرنسية للأدب الشرقية، موسكو، ٩٧١ م.

ابن بسلام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):

١٧- التحيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط٢، التمام، تحقيق: إحسان عيسى، دار الثقافة بيروت، شبيل، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م.

ابن بشكو، أبو القاسم حلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م):

١٨- كتاب الصلة، لسان، دار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.

ابن بصال، عبد الله محمد بن عبد الملك (عاش في ق. ٥-١١م):

١٩- كتاب الفلاحة، عي بشره: خوسيه ماريا مولس بيروكروما، ومحمد عزيملي، معهد مولاي الحسن بتون، ١٩٥٥.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٢٠- رحلة ابن بطوطة المسماة: نعمة النظر في غرائب الأمصار، ط١، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت، لبيل، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.

البيضاوي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٢١- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ٢، أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية،

١٣٧٣هـ/١٩٥١ م. ١٣٧٤هـ/١٩٥٥ م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٦٤م):

٢٢- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري،
ط ١ تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

الجرجاني، عمر بن عثمان بن الفضل (ت في النصف الأول من ق ١٠هـ/ ١٠م):

٢٣- رسالة في الحصة، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحصة
والمحتسب، تحقيق: لؤي بروقتال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأندلس
الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.

ابن جلجل، أبو داود بن سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٧٧هـ/ ١٩٨٧م):

٢٤- طبقات الأطباء والعلماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي
الفرنسي للأندلس الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.

الجوهري، إسماعيل بن حمد (ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م):

٢٥- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ط ٣ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،
دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.

ابن حجاج الإشبيلي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١١م):

٢٦- المقفع في القلائد، تحقيق: صلاح جزول، وجلسر أبو صعدة، تحقيق
وإشراف: عبد العزيز النوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني،
١٤٠٧هـ/ ١٩٨٢ م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

٢٧- رسائل ابن حزم الأندلسي، ط ١، ٤٠١، إجراء، تحقيق: إحصاء عيسى، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ١٩٨٣ م.

٢٨- طوق الحمامة في الألفة والألف، تحقيق: صلاح الدين الفاسمي، دار
النشور الثقافية العامة، تاليف عربية، الدار التونسية للنشر، بغداد، العراق،
(د.ت).

ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد. (د.ت):

٢٩- مفرد العلوم ومبدا العلوم، جمعت من كتاب الطب المنصوري لأبي بكر
محمد بن زكريا الرازي، ص ١١٠ مقدمة فرنسية، (د.ت).

الحكيم: أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٥٩هـ/١٣٥٧م):

٣٠- الفوحة المشبكة في ضوابط دفر السكة، تحقيق: حسين مؤنس، منشورات
معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الحمودي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

٣١- جنوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ط٢، ضمن: تحقيق: إبراهيم
الأبياري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م.

الحميري: محمد بن عبد المصم (عاش في ق ٩هـ/١٥م):

٣٢- الروض المصطر في خبر الأقطار، تحقيق: إسماعيل عباس، مكتبة لبنان،
ودار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

٣٣- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المصطر، عن بشره، أبيه
بروهسال، دار الجول، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

ابن حوقل: أبو قاسم التنصيني (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٣٤- صورة الأرض، ضمن: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)

ابن حبان: أبو مروان حبان بن خلف بن حسوب القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م):

٣٥- المقتبس، ج ٥، أعنى بشره: بـ شلميتا، مـ كورينطي وم صبح وغيرهم،
المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

٣٦- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة،
بيروت، لبنان، (د.ت).

٣٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، مطابع الأهرام
لتجارية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٣٨- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ق ٣، منشور، قطونية، باريس،
١٩٣٥م.

ابن خالين: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإسباني (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)

٣٩- قلادة القبول ومحاسن الأعيان، ط ١، ٤ أجزاء، تحقيق: حسين يوسف
حريوش، مكتبة المار، فزرقاء، الأردن ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

ابن الخراط: أبو محمد (ت ٥٨١هـ/١١٨٦م):

٤٠- كتاب اختصار الفتاوى الأتوار، تقديم وتحقيق: إميليو مولينا وخاينيتو يوسف بولا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي مدريد، ١٩٩٠ م.

الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م):

٤١- تخرّيج دلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحرف والصنعة والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

ابن الخطيب، إسماعيل بن محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م):

٤٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، ط ٢، ٤ مجلدات، تحقيق: محمد عبد الله علي، شركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الحانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م، ١٩٧٥م، ١٩٧٧م وطبعة دار المعارف، مصر، (د.ت).

٤٣- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أصل الأعلام في من يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إليفي بروغنسل، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م.

٤٤- ربحانة الكتاب وجمعة المنتاب، ط ١، مجلدان، المطبعة العربية الحديثة، مكتبة الحانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ١٩٨١م.

٤٥- فكتيبة الكاملة في من لقيناه بالأندلس من شعراء فلكية قائمة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٦٣ م.

٤٦- قلعة البدرية في أخبار الدولة المصرية، ط ٢، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الألفاق الجديدة، منشورات دار الألفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م.

٤٧- مشاهدات إسماعيل بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس مجموعة من رسائله، نشر وتحقيق: أحمد مختار المصاوي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٤٨- كتاب العبر وديوان المبتدأ والحرر في أيام العرب والمجم والسير ومن
عصرهم من دوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة
المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م.

٤٩- مفتحة ابن خلدون، ط ١٤٢٥، ٤ أجزاء، تحقيق: عبد الواحد وافي، وافي عبد
الواحد وافي، لجنة قبيل العربي، ١٩٦٠ م، ١٩٦٥ م، ١٩٦٦ م.

ابن حلكل، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار
صغار بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م.

ابو الخير الأندلسي (عاش في ق ٥٠هـ/١١م):

٥١- كتاب في الفلاحة، ط ١٤١٤ بالمطبعة الجديدة بشارع الطالعة، ع ٦٤، فاس،
١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م.

ابو دحية، أبو القحطاب عمر بن حسن (ت ٦٢٣هـ/١٢٣٥م):

٥٢- القطار من ثمار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون،
مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع، (د.ت.).

الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠هـ/١١٧٤م):

٥٣- كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض وربها وغشوش
المدلس فيها، منشور ضمن كتاب دراسة في الفكر الاقتصادي العربي
للسيد محمد عاشور، ط ١، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٣ م.

الدينوري، أبو حنيفة بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

٥٤- قطعة من الجزء الخامس من كتاب فتيات، عني بنشره: ب.لوي، مطبعة
بريل، لندن، المعروسة، ١٩٥٣ م.

-كتاب فتيات، قسم فتيات من القانون فتياتي، اعقني بجمعها: محمد حميد الله،
المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣ م.

-كتاب فتيات، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق: برهارد
لعين، منشورات فرانز شتايفر بفسلغن، ١٩٧٤ م.

قرشاطلي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):

٥٥- كتاب القتل الأثوار، تقديم وتحقيق: إيمانويل مولينا وخلفيتو يوسف بولا،
لمجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد القمارون مع العالم العربي، مدريد،
١٩٩٠م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م):

۵۶- فتاویٰ ابن رشد، ط ۱، ۳، ۴، مقدم و تحقیق: المختار بن الطاهر قنفلانی، دار الغرب الاسلامی، بیروت ط ۱، ۱۴۰۷ھ/ ۱۹۸۷ م.

الربيعي، أبو بكر محمد بن الحسن الإتييلي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م):

٥٧- كتاب ابن العوام، ط١، تحقيق: رمضان عبد التواب، ١٩٦٤ م.

الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٧٩١م):

٥٨- تاج العرب من جواهر الفلاس، تحقيق: عبد الفتاح العلو، مراجعة مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦ م.

١٣٠٨ هـ / ١٩٩٠ م : ١٧٠٨ هـ / ١٩٩٠ م : ١٧٠٨ هـ / ١٩٩٠ م :

٥٩- كتاب صلة العلة، وهو ذيل للعلة البشكولية في تراجم أعلام الأنسليم، مكتبة خدام بيروت، لبنان، (إدت).

زرچانی، نوری رحیمی، عبود الله بن احمد بن محمد (ت ۶۹۴ھ/۱۲۹۴م):

٦- أنشأ العوام في الأندلس، قسماً، دراسة: محمد بن شريف، مطبعة محمد الخامس، طاب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٠٤٨

٦- الأئمة المعطوب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط ١٩٧٢ م.

لزهری، ابو عبد اللہ محمد بن قیس بکر (ت بعد ۴۵۶ھ/۱۱۶۰م):

٦١- كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨ م.

ابن سعد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ١٦٥هـ/٧٨٦م):

٦١- اختصار الفتح المعلق في التاريخ المحلي، ط٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

- ٦٤- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: ألفون قرنيط خينيس، معهد مولاي حسن، مطبعة كريمة ديس، طنون، المغرب، ١٩٥٨ م.
- ٦٥- كتاب الجغرافيا، ط١، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٩٧٠ م.
- ٦٦- المغرب في حلى المغرب، ط١، جزأين، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ م.
- المسقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الملقب (ت في نهاية ق ١١هـ/ ١١ م أبو لؤلؤ في ١٢هـ/ ١٢م):
- ٦٧- في آداب الحسبة، باعثناء: كون وإيفي بروفسال، بلير، ١٩٣١ م.
- بن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي (ت ١٠٦٥هـ/ ١٠٦٥م):
- ٦٨- المحصن، ٥ مجلدات، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت.)
- السويطي، العافظ جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
- ٦٩- بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزأين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية صودا بيروت، لبنان، (د.ت.)
- ٧٠- تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٢ م.
- بن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- ٧١- صلة السمع وسعة الهمم، تحقيق: أحمد مختار الحلبي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١ م.
- الشافعي، اسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م):
- ٧٢- فضائل الأندلس وأهلها، لابن حرم وابن سعيد وشافعي، ط١ نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨ م.
- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري الدمشقي، (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م):
- ٧٣ - كتاب نغمة الدهر في عجائب قبر و البحر.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م):

- ٧٤- المصنف بالإمامة كاترير بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط ٢، تحقيق: عبد الهادي فتوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
الصفهاني، عبد الله بن ياقين بن ياقين بن جوس بن مالك بن عتاك (ت بعد ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م):

- ٧٥- مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيوي بغرناطة المسماة بكتيب التليل، تحقيق: لومي بروفسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥ م.
الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عسيرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م):
٧٦- بركة الملتس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧ م.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م):
٧٧- مرآة الملوك، ط ١، المكتبة العربية و مطبعها، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ م.
ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد (ت ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م):
٧٨- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، ٣ مجلدات، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من ق ١٢هـ / ١٢م):
٧٩- رسالة في أدب الحسبة والمحاسب، منشور ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحاسب"، تحقيق: لومي بروفسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.

- ابن عدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت في النصف الأول من ق ١٢هـ / ١٢م):
٨٠- رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحاسب"، تحقيق: لومي بروفسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.

- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م):
٨١- قبيل المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط ٣، ٣ أجزاء، تحقيق: ج. م. كولان، لومي بروفسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

الديان المغرب في أخير الأندلس و المغرب قطعة من تاريخ المرابطيين، ج ٤،
كتب المطبوعات: إحصاء عيسى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
العزري، أبو العباس أحمد بن عمر المعروف بـ الندائسي (ت ٤٧٨هـ /
١٠٨٥م):

٨٢- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخضر و تقريب الأثر و المستل
في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز
الأهوازي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

ابن القطر، محمد بن أحمد الأموي (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م):
٨٣- كتاب الوثائق والسجلات، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب. شاميتا، وف.
كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

ابن العلوم، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (عاش في ٦هـ / ١٢م):
٨٤- كتاب الفلاحة، مدريد، ١٨٠٢م.

ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (عاش في ٦هـ / ١٢م):
٨٥- قطعة من كتاب فرحة الأنس لابن غالب عن كور الأندلس و منسها بعد
الأربعاء، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية،
مج ١، ج ٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـ / نوفمبر ١٩٥٥م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م):
٨٦- إحياء علوم الدين، ٦ أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
(د.ت.)

الضبي، محمد بن عبد الوهاب (ت ١١١٩هـ / ١٧٠٧):
٨٧- رحلة الوزير في إبتكاف الأسير، تحقيق: فريد البستاني، منشورات مؤسسة
الجنري فرانكو، ١٩٤٠م.

أبو القداء، عباد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م):
٨٨- تقويم قبلد، اعتنى بتصحيحه ريتود، والبارون ماك كوكين نيسا، دار
الطبعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

ابن فرحون الملكي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م):

- ٨٩- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، (د.ت).
- ابن الفارسي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٢هـ / ١٠١٢م):
- ٩٠- تاريخ علماء الأندلس، فسمان، دار المصرية للتأليف و الترجمة، مطابع سول العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م):
- ٩١- مختصر كتاب البلال، مطبع بريل، لندن المحروسة، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)
- ابن القاضي، أبو الفضل أحمد بن محمد المكشاشي (ت ١٠٥٢هـ / ١٦٦٦م):
- ٩٢- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ١٦، جزأ، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، و مكتبة المتيقفة، تونس، ١٩٧٠ م.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م):
- ٩٣- ترتيب المفردك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ٤ أجزاء، تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، و دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د.ت).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م):
- ٩٤- كتاب المجالس و المساربات، تحقيق: الحبيب الفقي وأخرون، الجامعة التونسية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨ م.
- القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م):
- ٩٥- تقييد قرطبة، نشر مع ترجمة فرنسية: رينهارت دوزي، الطبعة الجديدة، بريل، لندن، ١٩٦٦.
- القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م):

- ٩٦- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، و دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٦٩م.
- ٩٧- عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات، ط١، تحقيق: فاروق سعد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- الفاشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م):
- ٩٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط١، ١٤ جزء، تحقيق: بيبرس خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م):
- ٩٩- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.
- الكتاني، الشيخ أبو عبد الله محمد الطبيب (ت حوالي ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م):
- ١٠٠- كتاب تشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إسماعيل عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت.).
- ابن الكثير، أبو مروان عبد الملك القرطبي (هاتف في أول نوفمبر ١٩٦٠هـ / ١٢م):
- ١٠١- قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار المصري، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- المقلي، أبو القاسم بن رضوان (ت ٧٨٣هـ / ١٣٨١م):
- ١٠٢- شبهة الخلافة في السياسة النافذة، ط١، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- مجهول المؤلف (هاتف في ٤هـ / ١٠م):
- ١٠٣- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أشرافها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم، مطبع ريندير، مدريد، ١٨٦٧م.
- مجهول المؤلف (من رجال في ٩هـ / ١٥م):

١٠٤- آخر أيام غرناطة، و هو كتاب نبذة مصر في انقضاء دولة بني مصر،
لمؤلف أندلسي من رجال القرن التاسع الهجري، معاصر لسقوط غرناطة،
ط١، تحقيق: محمد رضوان الدقة، دار صلى، دمشق، ١٩٨٤م.

مجهول المؤلف (من أهل ق ٨هـ / ١٥م):

١٠٥- الحلال الموشية في ذكر الأحرار المرلكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن
تاسع الهجري، ط١، تحقيق: سهيل زكار، و عبد القادر زمامة، دار قرشاد
الحديثة، لدار البيضاء، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

مجهول المؤلف:

١٠٦- كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان قرش في القديم أو "بيوتات فاس لكسيري"
، تحقيق: عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز العلمي
للبحث العلمي، الرباط، ع ٣، السنة الأولى، ع ١-٥، السنة الثانية، ١٩٦٤
١٩٦٥.

مجهول المؤلف (عاش في ق ٧هـ / ١٣م):

١٠٧- كتاب الطبائع في المغرب و الأندلس في عصر الموحدين، تحقيق:
أبوزريو لويثي ميرلندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٩-
١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م.

مجهول المؤلف:

١٠٨- وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تقديم: حسن مؤنس، صحيفة معهد
الدراسات الإسلامية، مدريد، مج ١٣، ١٩٦٥ ١٩٦٦م.

المجلكي، أحمد بن سعيد (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م):

١٠٩- كتاب التفسير في أحكام التسحر، تقديم و تحقيق موسى لقبال، الشركة
الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م.

المرلكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م):

١١٠- كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، السعر ١٤، و السعر ٥، في
١، تحقيق: إحصان جبار، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥.

المرلكشي، محيي الدين بن محمد بن عبد الواحد بن علي التميمي (عاش في ق
٧هـ / ١٣م)

١١١- المعجوب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بهذه الفترة من أخبار شعراء و أعيان الكتّاب، ط١، تحقيق: محمد سعيد العربي و محمد العربي الطامي، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

المسعودي علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م):

١١٢- مروج الذهب و معادن الجواهر، ٦ أجزاء، تحقيق: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م، ١٩٦٦م، ١٩٧٠م، ١٩٧٤م، ١٩٧٥م.

ابن مطروح المرقسطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م):

١١٣- روضة المحسن و عدة المحسن ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ "قبرر المرقسطي" و فصول من كتاب باخرة العصر و فائدة العصر، تحقيق و دراسة: منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م):

١١٤- لأصغر التقاليم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط بيروت، لبنان، ١٩٠٦م

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م):

١١٥- نفع طبيب من عصر الأندلس للطبيب، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عيسى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

-لزهارة الرياض في أخبار عيسى، ٣ أجزاء، تحقيق "مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شامي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ١٩٤٠م، ١٩٤٣م.

المكائلي، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م):

١١٦- الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق: محمد القاسمي، المركز الجامعي للبحث العلمي،

الرباط، ١٩٦٥م.

نير منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م):

١١٧- لسان العرب، ١٦ مجلدًا، دار صادر للطباعة و النشر، و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٥٦م.

التويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م):

١١٨- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط " إفريقيا و المغرب، و الأندلس، و صقلية و القروطنش " (٢٧-٧١٩هـ / ٦٤٧-١٣١٩م)، من كتب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو حنيفة، دار النشر المغربية، ودار البيضاء، (د.ت).

بن هشام القضي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م):

١١٩- المدخل إلى توفيم اللسان، مجلدان، دراسة و تحقيق: حوسبة بيروت لائترو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

١٢٠- وثائق عربية غرناطية من قرون قتلسم السجري / الحامس عشر الميلادي، تحقيق: لويس سيكودي لوثينا، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

بن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م):

١٢١- خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و لولادة، القاهرة، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

قونشوريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م):

١٢٢- المعيار المغرب و الجمع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب، ١٣ جزءًا، حرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

بقرت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م):

١٢٣- معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

يحيى بن عمر، أبو بكر يا يحيى بن عمر بن يوسف الكاشي (ت ٢٧٩هـ /

٨٩٢م):

١٢٤- أحكام السوق، تحقيق، حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات
الشرابي، شركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م.

ثانياً المراجع الحديثة

أربلان، شكيب

١- تاريخ غروات العرب في فرنسا و سويسرا و إيطاليا و جزائر البحر الأبيض
المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (د.ت.).

٢- الحقل الهندسية في الأخيار والآثار الأندلسية، ٣ أجزاء، دار مكتبة الهمسات،
بيروت، لبنان، (د.ت.).

بشاش، نجاة

٣- فنجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الخامس للهجرة،
منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، تونس، ١٩٧٦م.

بدر، أحمد

٤- الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢م.

بنوي، عبد الرحمن

٥- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت،
دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

البرقوني، عبد الرحمن

٦- حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر ١٩٢٣م.

بروفيسال، أبي

٧- حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: نوقان فرغوط، منشورات دار مكتبة
الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت.).

٨- الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط١، دار المعارف،
قاهرة، محرم ١٣٩٩هـ/ ديسمبر ١٩٧٩م.

٩- سلسلة محاضرات علمية في أدب الأندلس و تاريخها، ترجمة، محمد عبد
الهادي شعيرة، و عبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب بجامعة طرود
الأول بالمكتنرية،

المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.

١٠- الشرق الإسلامي و الحصار العربي الأتلمية، منشورات معهد الدراسات
فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، تطون ١٩٥١م.

الجازم، علي

١١- قصة العرب في إسبانيا، مترجم عن
المعروف، مصر، ١٩٦٠م.

الجزيري، عبد الله بن العباس:

١٢- تقدم العرب في العلوم والصناعات وأدبياتهم لأوروبا، ط١، دار الفكر
العربي، ١٩٦١م.

جواد علي

١٣- المعاصر في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين،
بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٢م.

جمليلة، محمد عبد

١٤- صلاح حصارية في الأندلس، منشور ضمن كتاب "بحوث و دراسات مهداة
إلى عبد الكريم غزالية، بمناسبة بلوغه الخامسة و الستين"، الجامعة
الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

حسين بك، طه

١٥- آراء حرة، عني بشراء قسم الطعرات العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة،
المطبعة المصرية، (دلت).

حمدي، عبد المنعم

١٦- تاريخ المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف
المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية،
١٩٨٦م.

حمودة، علي محمد

١٧- تاريخ الأندلس السياسي و العمراني و الاجتماعي، ط١، دار الكتاب العربي،
مصر، ١٩٥٧م.

توريس

١٨- لبقيا شعبها و أرضها، ترجمة: طارق فودة، مراجعة وتقديم: عز الدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، مؤسسة فونكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ديسمبر، ١٩٦٥م.

التوري، عبد العزيز

١٩- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

- نشوء الأصناف و الحرف في الإسلام، ممثل من مجلة كلية الآداب بغداد، ع١، حزيران ١٩٥٩م.

توري، رينهارت

✓ ٩٠- المعجم المعسل بلسان الملايس عبد العرب، ترجمة: أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

رسيلر، جاك س

٢١- المحصورة العربية، ترجمة: غلام عبود، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، دار المصرية للتأليف والنشر، (د.ت.).

الرفاعي، أنور

٢٢- الإسلام في حضارته و نظمه الإدارية و الفلسفية و الأيضية و العلمية و الاجتماعية و الاقتصادية و الصحية، دار الفكر، ١٩٨٢م.

أبو ربيعة، هشام

٢٣- علاقات الموحدين بالممالك الصخرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، ط١، دار الفوقاني، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.

سليم، السيد عبد العزيز

٢٤- تاريخ مدينة العمرة الإسلامية "قاعدة لسطول الأندلس" مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٢٥- في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٦- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس - دراسة تاريخية عمالية أثرية في العصر الإسلامي، جران، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م.
و طبعة مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية، ١٩٨٤م.

شكر مصطفى

٢٧- الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م.

شبكة، محمد كمال

٢٨- يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، لجنة البيل العربي، ١٩٦٩م.

الشيخ، صباح إبراهيم

٢٩- الأصف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.

طرخاني، إبراهيم علي

٣٠- المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.

الطبيبي، أمين

٣١- الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والثقافة الأوروبية، ط١، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٦م.

عائور، سعد عبد الفتاح

٣٢- المدينة الإسلامية، وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

العبدى، أحمد مختار، والسيد عبد العزيز سالم

٣٣- تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، جران، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت.).

العبدى، أحمد مختار

٣٤- الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، منشور ضمن كتاب "دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية"، ط١، منشورات دار المسائل، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٥- الصغالية في إسبانيا، لمحة عن أصلهم و نشأتهم و علاقتهم بحركة القشعرية،
المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٣م.

عيسى، إحسان

٣٦- تاريخ الأدب الأنطلسي، عصر الطوائف و المرابطيين، ط١، دار الثقافة،
١٩٦٢م.

عيسى، فقرة حمزة

٣٧- دور المرأة الأنطلسية في الحياة العلمية من الفتح حتى بداية الخلافة الأيوبية،
(٩٢ ٤٢٢هـ / ٧١١ ١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة
الموصل، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

عبد الحليم رجب، محمد

٣٨- العلاقات بين الأنطلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بنى أمية
وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار
الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت.).

عبد الوهاب، حسن حسي

٣٩- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ط٢، جرائ، مكتبة المعارف،
تونس (د.ت.).

عجيل، كريم

٤٠- الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، (٩٢ ٤٩٤هـ / ٧١١
١١٠٢م) ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

عز الدين، موسى

٤١- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرون السادس الهجري،
ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

عزلي، محمد عبد الله

٤٢- الأعلام الجغرافية و التاريخية الأنطلسية باللغتين الإسبانية و العربية مرعنة
على حروف المعجم، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،
١٩٧٦م.

٤٢- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصدين وهو العصر قرابح من كتاب الإسلام في الأندلس - ط٤، مكتبة الحثلي، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

القاسي، عبد الرحمن

٤٤- حطة الصبة في النظرية و التطبيق و التدوين، دار الثقافة، و دار قبيص، المغرب، (د.ت.).

قائز هنتري:

٤٥- المكايل والأوزان الإسلامية و ما يغلها في النظام المترى، ط٢، ترجمة: كامل الصلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، آب، ١٩٧٠م.

فراج، عز الدين

٤٦- فصل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، (د.ت.).

فرحات، يوسف شكري:

٤٧- غرابة في ظل بني الأحمر، دراسة حصارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ١٤٠٢ / ١٩٨٢م.

ليو، فضل. محمد أحمد

٤٨- تاريخ مدينة المربة الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، (٣٤٤ - ٤٨٤هـ / ٩٩٥ - ١٠٩١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

فكري، أحمد علي:

٤٩- قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ و حضارة، مؤسسة شبب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، (د.ت.).

القنجرى، أحمد شوقي

٥٠- علوم الإسلامية، ط١، ٣ أجزاء، إشراف صلاح جاسم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ١٩٨٥م.

كب، ستانود

٥١- المسلمون في تاريخ الحضارة، ط٢، ترجمة: محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ١٩٨٥م.

كرد علي، محمد

٥٢- الإسلام و الحضارة العربية، ط٣، ج٢، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

كولان، ج. - بي

٥٣- الأندلس، ط١، لجنة ترجمة: دقنة المعارف الإسلامية؛ إبراهيم: حورشيد و آخرون، دار الكتب اللبناني، بيروت، دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م.

كيب، جوزيف ماك

٥٤- مدينة المسلمين في إسبانيا، ط٢. ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف و التوزيع، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ملي محمد

٥٥- المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفريجة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

مؤنس، حسين

٥٦- تاريخ الجغرافيين في الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م.
٥٧- فجر الأندلس، (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية)، ط٢، دار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ١٩٨٥م.
مورينو، ماثيويل جوميت:

٥٨- فن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع،מוד محمود صد
العزيز، مراجعة: جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
الغليلي، إدريش:

٥٩- الفن الإسلامية على حروف المعجم، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٩م.
هبلجنة، محمود حسين شبيب:

٦٠- فوضع الأراضي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، محرم
١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

ثالثاً: الموريات

برثي، بول

- ١- كسب السكر وصناعة السكر في المغرب القديم، مجلة البحث العلمي،
جامعة محمد الخامس، الرباط، ع ١، السنة الأولى، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

بلونيس، لويس

- ٢- الطيب الأندلسي فر من غون الحياة، (القرن ٦ هـ / ١١ - ١٣م)، مجلة
دراسات أندلسية، ع ٦، تونس، ١٩٩١م.

التهلي، الراجحي:

- ٣- نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من خلال "المقتبس لأبى حنبل"، مجلة
المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية للرباط، المغرب، ع ٢٩، السنة
الحادية عشرة، مارس ١٩٨١م.
خاتمة لويس:

- ٤- ملاحظات حول سكة النفود الإسلامية بالأندلس، صحيفة المعهد المصري
للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٤، ع ١، ٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

ديوي طه، عبد الواحد

- ٥- تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي،
مجلة المورد، مج ١٧، ع ١، بغداد، ١٩٨٨م.

ريبر، خوليان

- المكتبات و هواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، جرن، ترجمة: جمال محرز، مجلة
معهد المخطوطات العربية، مج ٤، ج ١، مج ٥، ج ١، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م.

ريكر، جيد الرحمن

- ٧- صناعة السيف الإسلامي، و مشاهير الصانع في العصور الوسطى، مجلة
المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٢٠، ١٩٧٩ - ١٩٨٠م.

زمنة، عبد القادر

- ٨- أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج
٤٨، ج ١، ذو القعدة ١٣٩٢هـ - كانون الثاني ١٩٧٣م.

٩- نلس و صناعيتها الثقافية، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعلب، جامعة محمد ابن عبد الله، ج ٤، ٥، ١٩٨٠ - ١٩٨١ م.

السمراني، إبراهيم خليل:

١٠- أثر العراق الحضري على الأندلس في القرنين الثاني و الثالث للهجرة، (١٠١ - ٣٠٠هـ / ٧٢٠ - ٩١٢م) مجلة المورخ العربي، ج ٢٧، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦ م.

الشويري، طاهر خير الله:

١١- الحرقة و ترويضها، مجلة المقتطف، مج ٢٩، ج ١، يناير، ١٩٠٤ م.
عباس، إحسان:

١٢- اتحاد البحرين في مجلة الأندلس، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج ١، سنة ٢٣، كانون الأول، ١٩٧٠ م.
١٣- سوارل ابن رشد، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج ١، سنة ٢٢، كانون أول، ١٩٦٩ م.

١٤- أخبار الفراء و المعين في الأندلس، (١٣٨ - ٥٣٩ هـ)، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج ١، سنة ١٦، آذار، ١٩٦٣ م.

علي، محمد عبد الله

١٥- من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي، كتاب عمر و رفعة و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمندلق، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ١٦، ١٩٧١ م.

أبو الفصل، محمد أحمد

١٦- فتاوى تشايب في حصار الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، (١٣٨ - ١٧٢هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨م)، مجلة المورخ العربي، ج ٣٦، سنة ١٤، ١٩٨٨ م.

كوركيس عوك

١٧- ورق نو لكاد صناعته في الصور الوسطى، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢٣، ج ٣، تموز، ١٩٨٤ م.

١٨- السجاء الإسلامي و مشتقلته في إسبانيا، المجلد التاريخي المصرية، مج ١١، ١٩٦٣م.

١٩- فصل مصر على صناعة السجاء بإسبانيا، مجلة "المجلة"، مج ٢، ع ١١، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ / نوفمبر ١٩٥٧م.

مرووق، محمد عبد العزيز

٢٠- صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس، كتف المصنوعة من العاج، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٧، ج ٢، ديسمبر، ١٩٥٥م.

المنجد، صلاح الدين:

٢١- معجم أشهر المدن الأندلسية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٧، ج ٢، نيسان "أبريل" ١٩٧٢م.

الونطيري، عبد القلي:

٢٢- ملامح من المجتمع الأندلسي من خلال نصوص لحن العامة "مقارنة سومير لغوية"، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع ٣٧، ١٩٨٧م.

المراجع الأجنبية

Imamuddin, S. M.

- 1-The Economic History of Spain under the Umayyads (711-1031 .A.C), published by: Asiatic society of Pakistan , Dacca . 1963 .

Grenville, freeman

- 2- The muslim and christian calendaers , London , Oxford university , press , new york , 1963

Shatzmiller , Maya

- 3- Professions and ethnic origin of urban laboures in muslim Spain - evidence from amoroccan source .

مجلة لورق، ع ٥-٦، ١٩٨٢ ١٩٨٣ م.

Williams, leonard

- 4- The Arts and Crafts of older Spain . 3 parts . chicago , 1908 .

ABSTRACT

The crafts and industries in Al-Andalus From the Islamic conquest until the Decline of Granada. 92-897A.H-711-1492A.C

By:

Jehad Ghaleb Mustafa Al-Zghool

The study investigated an important aspect of the economic life of the Andalusian society it aimed at elaborating the significance of Crafts and industries in that the society and the role that these Crafts played in promoting economy and establishing a prosperous and stable life.

The study also specified the raw materials used in Andalusian industries and their distribution including minerals Agriculture. Crops. Forests. Animals. and Water resources. marble and stone quarries. It was found that the Andalus-sites invested and utilized these resources very well in all types of industries:

The development of Crafts and industries in the Andalusian this research.

The study investigated textile, industries such as, silk, cotton, wool, linen, fur, embroidery and carpet. Other industries were also investigated including hides industry, carpentry, wood work, ship manufacturing, and jewelry (gold, silver, copper, bronze), as well as black smithing, food industries, chemical industries (dyes, paper, oils, soap), china, weapon industry, coin mintage, ivory and marble.

The study also dealt with the social conditions of the workers in Crafts and industries and indicated workers formed organizations similar to what is known today as unions. Those organizations played an important role in society. Further more, these organizations were considered vocational and industrial. The numbers wages and dress in these Crafts and industries were also discussed.

The study revealed the positive attitude of the community towards the workers in these Crafts and industries

The relationship between the government and the owners of these Crafts and industries was investigated, and it was shown that the government paid attention to establishing and organizing markets, taking into consideration vocational specialization, which reached a high level of perfection even among specialists in the same profession.

The study also dealt with shopping centers and vocational unions, which were highly organized. on the other hand, the government established a control and supervision department
al-hisba al-muhtasib . A
separate section was devoted to the functi al-
muhtasib

لقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلس،
 والنضارة الإسلامية فيها، وما يشمل ذلك من نواحي
 سياسية وعسكرية واجتماعية وأدبية. وأما الدراسات
 الاقتصادية فكانت نادرة، مما حرم المكتبة العربية من هذا
 النوع من هذه الدراسات الهامة، وجعلها مفقودة إليه، وقد
 دفعني ذلك للقيام بدراسة علمية متخصصة تتناول جانباً
 من جوانب النضارة الإسلامية في الأندلس ألا وهو
 الجانب الاقتصادي وتجسّري الدراسة من هذا
 الموضوع الواسع: (الحرف والصناعات في الأندلس
 منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة). (٩٢-٨٩٧ هـ
 - / ٧١١-١٤٩٢ م)، لتبحثها بدقة وعمق، وخاصة أن
 الحرف والصناعات كان لها دور مهم في حياة المجتمع
 الأندلسي، ولعبت دوراً مميزاً في تنشيط الاقتصاد،
 وإشاعة رخاء واستقرار بين الأندلسيين، مما مكّنهم
 من السير يوماً تلو الآخر التقدم والازدهار.

مركز الألفق للخدمات الجامعية

اردن - الاردن - مقابل البوابة الشمالية لجامعة البيرة

Publications Worldwide



0310423